تفسير الثعالبي

المسمى

بالجواهر الحسان في تفسير القرآن

للإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي

(٧٨٦ - ٨٧٥ هـ)

حقق أصوله على أربع نسخ خطية وعلق عليه وخرج أحاديثه

الشيخ علي محمد معوض
والشيخ عادل أحمد عبد الموجود

وشارك في تحقيقه

الأستاذ الدكتور عبد الفتاح أبو سنة

خبير التحقيق بمجمع البحوث الإسلامية
وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
وعضو لجنة المصحف بالأزهر الشريف

الجزء الرابع

دار إحياء التراث العربي — مؤسسة التاريخ العربي

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

دار إحياء التراث العربي

بيروت حارة حريك شارع دكاش بناية كليوباترا - بملكه
هاتف: 836551 - 836696 - 836766

تلكس: 23644 ص. ب: 11/7957 بيروت - لبنان
فاكس: 2124783422 001

تفسير الثعالبي

الجزء الرابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة مريم

هذه السُّورة مكية بإجماع إلاَّ السجدة منها، فقيل: مكيَّةٌ.

وقيل: مدنيَّةٌ.

﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾.

قوله عزَّ وجل: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قد تقدَّمَ الكلامُ في فواتح السوَرِ.

وقوله: ﴿ذكر رحمت ربك﴾ مرتفِعٌ بقوله: ﴿كهيعَصَ﴾ في قَوْلِ فرقةٍ.

وقيل: إنَّهُ ارتفعَ على أنَّهُ خَبَرُ مُبْتَدإٍ محذوفٍ تَقْديرُهُ: هذا ذكر، وحكَى أبو عمرو الدَّانِي عن ابن يعمر[1] أنَّه قرأ: «ذَكَّر رحمة ربك»: بفتح الذَّالِ، وكسر الكافِ المشدَّدة، ونصبِ الرَّحمة.

وقوله ﴿نادى﴾: مَعناه بالدُّعَاءِ والرغبَةِ؛ قاله ابنُ العربيِّ في «**أحكامه**»[2].

وقوله تعالى: ﴿إذ نادى ربه نداء خفيًّا﴾: يناسِبُ قَوْلَهُ: ﴿ادعوا ربَّكُمْ تضرُّعاً وخُفْيَةً﴾. [الأعراف: ٥٥].

وفي «**الصحيح**» عن النبي ﷺ أنه قال: «خيرُ الذِّكْرِ الخفيُّ، وخيرُ الرِّزْقِ ما يَكْفِي»[3]

---

(١) ينظر «**مختصر الشواذ**» ص (٨٦)، و«**المحرر الوجيز**» (٤/ ١٤)، و«**البحر المحيط**» (٦/ ١٦٣)، و«**الدر المصون**» (٤/ ٤٩٠).

(٢) ينظر: «**أحكام القرآن**» (٣/ ١٢٥٠).

(٣) تقدم تخريجه.

وذلك؛ لأنَّهُ أَبْعَدُ مِن الرياء، فأَمَّا دُعاءُ زكرياء عليه السلام فإنما كان خفيًّا لوجهين:

أَحدُهُما: أَنَّهُ كان ليلاً.

والثاني: أَنَّهُ ذَكَرَ في دُعَائه أَحوالاً تفتقرُ إلى الإخفاءِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿وإِنِّي خفت الموالي من وراءي﴾. وهذا مما يُكْتَمُ. انتهى.

و﴿وهن العظم﴾ معناه ضَعُفَ، و﴿اشتعل﴾ مُسْتَعَارٌ للشيْب مِن اشتعال النَّار.

وقولهُ: ﴿ولم أكن بدعائِك رب شقيًّا﴾ شُكْر للّه ـ عز وجل ـ على سالف أياديه عنده، معناه: قد أَحسنتَ إليَّ فيما سلَف، وسعدتُ بدعائي إيَّاك؛ فالإنعامُ يقتضي أَنْ يشفع أَوله آخره.

ت: وكذا فسَّر الدَّاوُودِيُّ، ولفظه: «ولم أكنْ بدُعائِك رَبِّ شقيًّا»، يقولُ: كنْتَ تعرفني الإِجابَة فيما مَضىٰ، وقاله قتادةُ: انتهى.

وقوله: ﴿وإني خفت الموالي...﴾ الآية، قيل: معناه خاف أَن يرثَ الموَالي مَالَهُ، والموالي: بنو العمّ، والقرابةُ.

وقولُه ﴿من وراءي﴾ أَيْ: من بعدي.

وقالت فرقةٌ: إنما كان مواليه مهملِينَ للدِّين؛ فخاف بموته أَنْ يضيع الدينُ؛ فطلب وليّاً يقومُ بالدين بعده؛ حَكَى هذا القولَ: الزَّجَّاجُ، وفيه: أَنه لا يجوزُ أَن يسأل زَكَرِيَّاءُ من يرث ماله؛ إذ الأَنبيَاء لا تُورَثُ.

قال: *ع[١]*: وهذا يُؤَيّده قولُه[٢] ﷺ: «إِنَّا مَعْشَرَ الأَنْبِيَاءِ لاَ نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فَهُو صَدَقَة»[٣]. والأَظهرُ الأَلْيق بزكرياء عليه السلام أن يريدَ وِرَاثةَ العِلْم والدِّينِ، فتكون الوارثةُ

---

(١) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٤ـ ٥).

(٢) في جـ: قول النبي.

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٢٢٧ـ ٢٢٨) كتاب «فرض الخمس»: باب فرض الخمس، حديث (٣٠٩٤)، (٧/ ٣٨٩) كتاب المغازي باب حديث لبني النضير، حديث (٤٠٣٣)، (٩/ ٤١٢ـ٤١٣) كتاب «النفقات»: باب حبس الرجل قوت سنة على أهله، حديث (٥٣٥٨)، (١٣/ ٢٩٠ـ٢٩١) كتاب «الاعتصام بالكتاب والسنة»: باب ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين والبدع، حديث (٧٣٠٥)، ومسلم (٣/ ١٣٧٧ ـ ١٣٧٩) كتاب «الجهاد»: باب حكم الفيء، حديث (٤٩/ ١٧٥٧)، وأبو داود (٢/ ١٥٤ـ ١٥٦) كتاب «الخراج»: باب في صفايا رسول الله ﷺ من الأموال، حديث (٢٩٦٣)، والترمذي (٤/ ١٥٨) كتاب «السير»: باب ما جاء في تركة رسول الله ﷺ، حديث (١٦١٠)، وفي «الشمائل» (٢١٦)، =

مستعارةً، وقد بلغه اللّه أَمَلَهُ.

قال ابنُ هِشَام: و﴿مِنْ وراءي﴾ متعلّقٌ بـ ﴿الموالي﴾، أو بمحذوفٍ هو حالٌ من[١] الموالي، أو مُضَافٍ إليهم، أيْ: كائِنِينَ مِنْ وَرَائي، أو فعل الموالي مِنْ ورائي، ولا يصحّ تعلقه بـ «خِفْتُ»؛ لفساد المعنى. انتهى من «**المغني**».

و﴿خِفتُ المَوَالِي﴾ هي قراءةُ الجمهور[٢]، وعليها هو هذا التفسير.

وقرأ عثمانُ بنُ عَفَّانَ، وزيدُ بنُ ثابتٍ، وابنُ عباسٍ[٣]، وجماعةٌ «خَفَّتِ» بفتح الخاء، وفتح الفاء وشدِّها، وكَسْر التَّاء، والمعنى على هذا: قد انقطَع أَوْلِيَائِي، وماتُوا، وعلى هذه القراءة، فإنما طلب وَليًّا يقوم بالدين.

قال ابنُ العربي[٤] في «**أحكامه**»: ولم يخف زكرياءُ وارثَ المالِ، وإنما أراد إرْثَ

= وعبد الرزاق (٩٧٧٢)، وأبو يعلى (١/ ١٢، ١٣) رقم: (٢، ٤)، وابن حبان في «**صحيحه**» (٨/ ٢٠٧ـ الإحسان) حديث (٦٥٧٤)، والبيهقي (٦/ ٢٩٧)، والبغوي في «**شرح السنة**» (٥/ ٦٣١، ٦٣٢ـ بتحقيقنا) كلهم من طريق الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر بن الخطاب به، وفيه قصة طويلة.

وأخرجه مالك (٢/ ٩٩٣) كتاب الكلام: باب ما جاء في تركة النبي ﷺ، حديث (٢٧)، والبخاري (١٢/ ٧، ٨) كتاب «الفرائض»: باب قول النبي ﷺ: «لا نورث، ما تركنا صدقة» حديث (٦٧٢٧، ٦٧٣٠)، ومسلم (٣/ ١٣٧٩) كتاب «الجهاد والسير»: باب قول النبي ﷺ «لا نورث، ما تركنا فهو صدقة» حديث (٥١/ ١٧٥٨)، وأبو داود (٢/ ١٦٠، ١٦١) كتاب «الخراج والفيء والإمارة»: باب في صفايا رسول الله ﷺ من الأموال، حديث (٢٩٧٦، ٢٩٧٧)، والنسائي (٧/ ١٣٢) كتاب «قسم الفيء»، وأحمد (٦/ ١٤٥، ٢٦٢)، وعبد الرزاق (٩٧٧٤)، وابن الجارود في «**المنتقى**» رقم (١٠٩٨)، وابن حبان (٨/ ٢٠٩ـ الإحسان) رقم (٦٥٧٧)، «**والبيهقي**» (٦/ ٢٩٧، ٢٩٨) كلهم من طريق الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: إن أزواج النبي ﷺ حين توفي رسول الله ﷺ أردن أن يبعثن عثمان بن عفان إلى أبي بكر، فيسألنه ميراثهن من النبي ﷺ، قالت عائشة لهنَّ: أليس قد قال رسول اللّه ﷺ: «لا نورث، ما تركنا فهو صدقة»؟!

وفي بعض طرق الحديث أن راوي هذا الحديث هو أبو بكر.

(١) لأنه في الأصل صفة للنكرة، فقدِّم عليها.

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٥)، «**والبحر المحيط**» (٦/ ١٦٥)، «**والدر المصون**» (٤/ ٤٩١).

(٣) وقرأ بها محمد بن علي، وعلي بن الحسن، وسعيد بن العاص، وابن يعمر، وسعيد بن جبير، وشُبَيْل بن عزرة.

ينظر: «**مختصر الشواذ**» ص(٨٦)، «**والمحتسب**» (٢/ ٣٧)، «**والكشاف**» (٣/ ٤)، «**والمحرر الوجيز**» (٤/ ٥)، «**والبحر المحيط**» (٦/ ١٦٥)، وزاد نسبتها إلى الوليد بن مسلم عن ابن عامر.

وهي في «**الدر المصون**» (٤/ ٤٩١).

(٤) ينظر: «**أحكام القرآن**» (٣/ ١٢٥٠).

النبوة، وعليها خاف أن تخرج عن عَقِبه، وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّا ـ معَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ ـ لاَ نُورَثُ، مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ»[١] انتهى.

وقرأ عليُّ بنُ أَبي طَالِبٍ، وابنُ عباسٍ، وغيرُهما ـ رضي اللّه عنهم ـ «يرِثُنِي وَارِثٌ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ[٢]».

ت: وقوله: ﴿فهب لي﴾ قال ابنُ مَالكٍ في «**شرح الكافية**» اللامُ هنا: هي لامُ التعدِيَة؛ وقاله ولدُه في «**شرح الخلاصة**».

قال ابنُ هشام: والأَوْلَىٰ عندي أن يمثل للتعدية بنحو: ما أكرم زيداً لعمرو، وما أحبه لبكر، انتهى.

١٢ وقولُه: ﴿من آل يعقوب﴾ يريدُ يرث منهم الحِكْمة / والعلم، والنبوة، و﴿رضيّاً﴾ معناه: مرضيّاً، والعاقر من النساء التي لا تلد من غير كبرة، وكذلك العاقرُ من الرجال.

وقوله: ﴿لم نجعل له من قبل سميًا﴾ معناه في اللغة: لم نجعل له مُشَارِكاً في هذا الاسم، أي: لم يسم به قبل يَحْيَىٰ، وهذا قول ابن عباس[٣] وغيره.

وقال مجاهدٌ[٤] وغيره: ﴿سميًا﴾ معناه: مثيلاً، ونظيراً، وفي هذا بعدٌ: لأَنه لا

(١) ينظر الحديث السابق.

(٢) وبها قرأ عاصم الجحدري، وابن يعمر، وأبو حرب بن أبي الأسود، والحسن، وقتادة، وأبو نهيك، وجعفر بن محمد.

قال أبو الفتح: هذا ضرب من العربية غريب، ومعناه التجريد، وذلك أنك تريد: فهب لي من لدنك وليّاً يرثني منه أو به وارث من آل يعقوب.

وهو الوارث نفسه، فكأنه جرد منه وارثاً. ومثله قول الله تعالى: ﴿لهم فيها دار الخلد﴾ [فصلت: ٢٨]، فهي نفسها دار الخلد، فكأنه جرد من الدار داراً، وعليه قول الأخطل: [الطويل]

بنزوة لصٍّ بعدما مر مصعبٌ ... بأشعث لا يُفلَى ولا هو يَقْمَلُ

ومصعب نفسه هو الأشعث، فكأنه استخلص منه أشعث. ا.هـ.

ينظر: «**المحتسب**» (٢/ ٣٨)، «**ومختصر الشواذ**» (٨٦)، «**والكشاف**» (٣/ ٥)، «**والمحرر الوجيز**» (٤/ ٥)، «**والبحر المحيط**» (٦/ ١٦٥)، «**والدر المصون**» (٤/ ٤٩٢).

(٣) ذكره ابن عطية (٤/ ٦)، والسيوطي (٤/ ٤٦٨) وعزاه إلى الفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري (٨/ ٣٠٩) برقم: (٢٣٥٠٥)، وذكره ابن عطية (٤/ ٦)، وابن كثير (٣/ ١١٢)، والسيوطي (٤/ ٤٦٨).

يفضل على إِبرَاهِيم ومُوسَىٰ عليهما السلام إلا أن يفضل في خاص؛ كالسودد[١]، والحصر.

والعتي، والعُسِيُّ: المبالغة في الكبر، أو يُبْس العود، أو شيْب الرأس، أو عقيدة ما، وزكرياء: هو من ذرية هارون ـ عليهما السلام ـ ومعنى قوله: ﴿سويًّا﴾ فيما قال الجمهور، صحيحاً من غير عِلَّة، ولا خرس.

وقال ابن عباس: ذلك عائدٌ على الليالي، أراد: كاملات مستويات[٢].

وقوله: ﴿فأَوحى إِليهم﴾ قال قتادة[٣]، وغيره: كان ذلك بإِشارة.

وقال مجاهد[٤]: بل بكتابة في التراب.

قال *ع[٥]*: وكِلاَ الوجهين وَحي.

وقوله: ﴿أَنْ سبحوا﴾ قال قتادة: معناه صلوا السُّبْحة، والسُّبحة: الصلاة[٦]، وقالت فرقة: بل أَمرهم بذكر اللّه، وقول: سُبْحان اللّه.

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍۢ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾

وقوله ـ عز وجل ـ: [﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾ المعنى: قال اللّهُ له: يا يَحْيَىٰ][٧] خذ الكتابَ، وهو التوراةُ، وقوله: ﴿بقوة﴾ أَيْ: العلم به، والحفظ له، والعمل به، والالتزام للوازمه.

---

(١) السُّودَدُ: الشرف، وقد يهمز وتضم الدال.
ينظر: «لسان العرب» (٢١٤٤).
(٢) ذكره ابن عطية (٤/٧).
(٣) ذكره ابن عطية (٤/٧).
(٤) أخرجه الطبري (٨/٣١٤) رقم (٢٣٥٣٩)، وذكره ابن عطية (٤/٧)، والبغوي (٣/١٩٠)، وابن كثير (٣/١١٣).
(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/٧).
(٦) ذكره ابن عطية(٤/٧).
(٧) سقط في جـ.

وقوله: ﴿صبيًا﴾ يريد: شاباً لم يبلُغ حدّ الكهولة، ففي لفظ صبي على هذا، تجوّزٌ، واستصحابُ حال.

وروى مَعْمَرُ أَنَّ الصِّبْيَانَ دعوا يَحْيَىٰ إلى اللَّعب، وهو طِفْل، فقال: إني لم أُخلقْ للعب، فتلك الحِكْمة الَّتي آتاه اللّهُ عز وجل وهو صَبِيٌّ[١]، وقال ابن عباس: من قرأ القرآن قبل أن يحتلم، فهو ممن أوتي الحِكْمة صَبِيّاً[٢]. «والحنان»: الرحمةُ، والشفقةُ، والمحبّة؛ قاله جمهورُ المفسرين، وهو تَفْسِير اللغة؛ ومن الشواهد في «الحَنَان» قولُ النابغة: [الطويل]

أَبَا مُنْذِرٍ، أَفْنَيْتَ فَاسْتَبْقِ بَعْضَنَا حَنَانَيْكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ[٣]

وقال عطاء بن أبي رباح: ﴿حَنَاناً مِنْ لَدُنَّا﴾ بمعنى تعظيماً مِنْ لدنا[٤].

قال *ع[٥]*: وهو أَيضاً ما عظم من الأَمر لأَجل اللّه عز وجل ومنه قولُ زيدِ بن عَمْرِو بن نُفَيْل في خبر بِلاَلٍ: واللّهِ، لَئِنْ قَتَلْتُمْ هَذَا العَبْدَ لأَتَّخِذَنَّ قَبْرَهُ حَنَاناً[٦].

قال *ص*: قال أَبو عبيدة: وأَكْثَر ما يُسْتَعمل مثنى. انتهى، والزكاةُ التنميةُ، والتَّطْهير في وُجُوه الخير.

قال مجاهدٌ: كان طعامُ يَحْيَى العُشْب، وكان للدمع في خَدّه مجارٍ ثابتة، ولَمْ يَكُنْ جبّاراً عَصِيّاً[٧]، روي أن يحيى عليه السلام لم يواقِعْ معصيةً قَطُّ صغيرة ولا كبيرة، والبَر كثير البرّ، والجبار: المُتكبّر، كأَنه يجبر الناس على أَخلاقه.

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٣١٥) برقم: (٢٣٥٤٨)، وذكره ابن عطية (٤/ ٧)، وابن كثير (٣/ ١١٣)، والسيوطي (٤/ ٤٧٠)، وعزاه لأحمد في **«الزهد»**، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والخرائطي، وابن عساكر عن معمر بن راشد.

(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ٧)، والبغوي (٣/ ١٩٠) والسيوطي (٤/ ٤٧٠)، وعزاه لابن مردويه، والبيهقي في **«شعب الإيمان»** عن ابن عباس مرفوعاً، وأخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس موقوفاً.

(٣) البيت لطرفة بن العبد في **«ديوانه»** ص (٦٦)، و**«الدرر»** (٣/ ٦٧)، و**«الكتاب»** (١/ ٣٤٨)، و**«ولسان العرب»** (١٣/ ١٣٠) (حنن)، و**«همع الهوامع»** (١/ ١٩٠)، وبلا نسبة في **«جمهرة اللغة»** ص (١٢٧٣)، و**«شرح المفصل»** (١/ ١١٨)، و**«والمقتضب»** (٣/ ٢٢٤).

(٤) أخرجه الطبري (٨/ ٣١٦) رقم (٢٣٥٥٩)، وذكره ابن عطية (٣/ ١١٣).

(٥) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٤/ ٧).

(٦) ذكره ابن عطية (٤/ ٧).

(٧) ذكره ابن عطية (٤/ ٨).

وقوله: ﴿وسلام عليه﴾ قال الطَّبرِيُّ[١]، وغيرُه: معناه وأَمانٌ عليه.

قال ❊ع[٢]❊: والأَظهرُ عندي: أَنها التّحيةُ المتعارفة، فهي أَشرف وأَنبه من الأَمان؛ لأَن الأَمان متحصَّلٌ له بنفي العِصْيان عنه، وهو أَقلّ درجاته، وإِنما الشرف في أن سلم اللّهُ عليه، وحيَّاه في المواطن الَّتي الإِنسان فيها في غاية الضعْفِ، والحاجةِ، وقلَّةِ الحيلة.

﴿وَٱذكر في الكتاب مريم﴾، الكتاب: هو القُرْآنُ، والاِنْتباذ: التنحِّي.

قال السُّدِّيُّ: انتبذت لتطهر من حيض[٣]، وقال غيره: لتعبد اللّه عز وجل.

قال ❊ع[٤]❊: وهذا أَحْسن.

وقوله: ﴿شرقياً﴾ يريد: في جهة الشرق من مساكن أهلها، وكانوا يعظمون جهة المَشْرق؛ قاله الطبري.

وقال بعضُ المفسرين: اتخذت المكانَ بشرقي المحرابَ.

﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿فاتخذت من دونهم حجاباً﴾، أيْ: لتستتر به عن الناس؛ لعبادتها.

«والروح»: جبريلُ عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿قالت إِني أَعوذُ بالرحمٰن منك إِن كنت تقيًّا﴾، المعنى: قالت مريمُ للملك الذي تمثل لها بشراً، لما رأَتْهُ قد خرق الحِجَاب / الَّذي اتخذته؛ فأساءت به الظن: ٢ب
أَعوذ بالرحمٰن منك إِن كنت ذا تُقًى، فقال لها جبريلُ عليه السلام: ﴿إِنما أَنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيًّا﴾.

(١) ينظر «الطبري» (٨/ ٣١٨).
(٢) ينظر «المحرر الوجيز» (٤/ ٨).
(٣) أخرجه الطبري (٨/ ٣١٩) برقم (٢٣٥٧٢)، وذكره ابن عطية (٤/ ٩)، وابن كثير (٣/ ١١٤) بمعناه.
(٤) ينظر «المحرر الوجيز» (٤/ ٩).

وقرأ أَبو عمرو[1] ونافعٌ بخلاف عنه «لِيَهَبَ»[2].

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۝٢١ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ۝٢٢ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ۝٢٣﴾.

﴿قالت أَنّى يكون لي غلامٌ ولم يمسسني بشر ولم أَك بغيًّا﴾، والبغي: الزانية، وروي: أن جبريلَ ـ عليه السلام ـ حين قاولها هذه المقاولة، نفخ في جيب دِرْعها؛ فسرت النفخة بإذن اللّه تعالى حتّى حملت منها؛ قاله وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ، وغيرُهُ[3].

وقال أُبيُّ بنُ كَعْبٍ[4]: دخل الروح المنفوخُ من فمها؛ فذلك قوله تعالى: ﴿فحملته﴾ أي: فحملت الغلام، ويذكر أنها كانت بنت ثلاث عشرة سنة، فلمَّا أحسَّت بذلك، وخافت تعنيفَ الناس، وأن يُظَنَّ بها الشَّرُ ﴿انتبذت﴾ أي: تنحت مكاناً بعيداً؛ حياء وفراراً على وجهها، و﴿أَجاءها﴾ معناه: اضْطرّها، وهو تعدية [جاء] بالهمزة.

و﴿المخاض﴾: الطَّلْقُ، وشدةُ الولادة، وأَوْجَاعُها، وروي: أَنها بلغت إلىٰ موضع كان فيه جِذْع نخلة بالٍ يابس، في أَصْله مِذْود بقرة، على جرية ماء، فاشتدَّ بها الأَمْرُ هنالك، واحتضنت الجِذْع؛ لشدة الوجع، وولدت عيسى عليه السلام فقالت عند ولادتها؛ لما رأته من صعُوبة الحال مِنْ غير ما وجه: ﴿يا ليتني مت قبل هذا﴾ فتمنت الموتَ من جهة الدِّين؛ أَن يُظَنّ بها الشر، وخوفَ أَن تُفْتَتَن بتغيير قومها، وهذا مُباحٌ؛ وعلى هذا الحدِّ تمناه عمرُ ـ رضي اللّه عنه ـ.

(١) وأما قراءتهما، فإنهما أسندا الفعل إلى ضمير «ربك»، فكأنه قال: «ليهب الله «أو ربك» لك»، ولم يكن جبريل الذي يهب بل الله سبحانه.
وأما قراءة الباقين، فقد أسندوا الفعل للمتكلم، والهبة لله سبحانه، ومنه أمر الرسول والوكيل قد يسندان هذا النحو إلى أنفسهم وان كان الفعل للمرسل والموكل.
ينظر: «**السبعة**» (٤٠٨)، و«**الحجة**» (٥/ ١٩٥)، و«**اعراب القراءات**» (٢/ ١٤)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ١٣٢)، و«**حجة القراءات**» (٤٤٠) و«**شرح الطيبة**» (٥/ ٣٠)، و«**العنوان**» (١٢٦)، و«**شرح شعلة**» (٤٨٥)، و«**إتحاف**» (٢/ ٢٣٤).

(٢) في جـ: لأهب.

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ٣٢٢) برقم (٢٣٥٩١)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٠).

(٤) ذكره ابن عطية (٤/ ١٠)، والبغوي (٣/ ١٩٢).

﴿وكنت نسيًا﴾ أي: شَيْئاً مَتْرُوكاً محتقراً، والنَّسِيُّ في كلام العرب: الشيءُ الحقير الذي شأنه أن يُنْسَى، فلا يُتَأَلَّمُ لفقده؛ كالوتد، والحبل للمسافر، ونحوه.

وهذه القصةُ تقتضي أنها حملت واستمرَّت حامِلاً على عُرْف البشر، واستحْيَتْ من ذلك؛ ومرّت بسببه، وهي حاملٌ، وهو قولُ جمهور المتأوّلين.

وروي عن ابن عباسٍ أنه قال: ليس إلا أن حملت، فوضعت في ساعةٍ واحدة؛ والله أعلم[١].

وظاهر قوله: ﴿فأجاءها المخاضُ﴾ أنها كانت على عُرْف النساء.

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾.

وقولُهُ سبحانه: ﴿فناداها مِنْ تحتها﴾ قرأ ابنُ كَثِير، وأبو عَمْرو، وابْنُ عامرٍ، وعَاصِمٌ[٢]: «فناداها مَنْ تحتها» على أن «مَنْ» فاعل بنادى، والمراد بـ «مَنْ» عيسى؛ قاله مجاهدٌ، والحسنُ، وابنُ جُبَيْرٍ، وأُبَيّ بن كَعْب[٣].

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٣٢٥) برقم (٢٣٦٠٥)، وذكره ابن عطية (٤/ ١١)، والبغوي (٣/ ١٩٢)، وابن كثير (٣/ ١١٦).

(٢) إنما قرأها عاصم هكذا من رواية أبي بكر، وإلا فهي من رواية حفص المشهورة مِثْلُ الباقين «مِن تحتها».
وحجة هؤلاء أنه روي عن أبيّ قال: الذي خاطبها هو الذي حملته في جوفها.
وحجة الباقين ما روي عن ابن عباس أنه قال: «من تحتها»: جبريل، ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها.
ينظر: **«السبعة»** (٤٠٨ ـ ٤٠٩)، و**«الحجة»** (٥/ ١٩٧)، و**«إعراب القراءات»** (٢/ ١٦)، و**«معاني القراءات»** (٢/ ١٣٣)، و**«شرح الطيبة»** (٥/ ٣٢)، و**«العنوان»** (١٢٦)، و**«شرح شعلة»** (٤٨٥)، و**«حجة القراءات»** (٤٤١)، و**«إتحاف»** (٢/ ٢٣٥).

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ٣٢٧) عن مجاهد برقم (٢٣٦٢٦)، والحسن برقم (٢٣٦٣١)، وابن جبير برقم (٢٣٦٣٣)، وأبي بن كعب (٢٣٦٣٥)، وذكره ابن عطية (٤/ ١١)، والبغوي (٣/ ١٩٢) عن مجاهد والحسن، وابن كثير (٣/ ١١٧) عن مجاهد، والحسن، وسعيد بن جبير، والسيوطي (٤/ ٤٨٢) وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.
والثاني: عزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن الحسن.
والثالث: عزاه لابن المنذر عن أبي بن كعب.

وقال ابنُ عباسٍ: المراد بـ «مَنْ» جِبْرِيلُ، ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها[١].

والقول الأولُ أظهر وأبْيَنُ، وبه يتبيّن عُذْر مريم، ولا تبقى بها استرابة.

وقرأ نافعٌ، وحمزةُ، والكِسَائِيُّ، وحَفْصٌ عن عَاصِم: «مِنْ تَحْتِهَا» بكسر الميم، واختلفوا أيضاً فقالت فرقةٌ: المرادُ عِيسَىٰ، وقالت فِرْقَةٌ: المرَاد جِبْرِيلُ المحاور لها قَبْلُ.

قالوا: وكان في بُقْعة أَخفضَ من البُقْعة الَّتي كانت هي عليها؛ والأَول أظهَرُ.

وقرأ ابنُ عباس[٢]: «فَنَادَاهَا مَلَكٌ مِن تَحْتِهَا».

والسَّرِيُّ: من الرجال العظيمُ السيّد، والسري: أيضاً الجدولُ مِنَ الماء؛ وبحسَبِ هذا اختلف النّاسُ في هذه الآية.

فقال قتادةُ، وابنُ زيدٍ: أَراد جعل تحتك عَظِيماً من الرجال، له شأنٌ[٣].

وقال الجمهورُ: أَشار لها إلى الجَدْول، ثم أَمرها بهز الجِذْع اليابِس؛ لترى آيَةً أُخْرى.

وقالت فرقةٌ: بل كانت النخْلة مطعمة رطباً، وقال السُّدِّيُّ: كان الجِذْع مقطوعاً، وأجري تحتها النهر لحينه[٤].

قال *ع[٥]*: والظاهر من الآية: أَن عِيسَىٰ هو المكلِّم لها، وأَن الجِذْع كان يَابِساً؛ فهي آيات تسليها، وتسكن إِليها.

قال *ص*: قوله: ﴿وهُزِّي إِلَيْكِ﴾ تقرر في عِلْم النحو أَن الفِعْل لا يتعدَّى إلى ضمير مُتّصلٍ، وقد رفع المتصل، وهما لمدلول واحد، وإذا[٦] تقرر هذا؛ فـ «إِليك» لا يتعلق بـ «هُزِّي»، ولكن يمكن أن يكون «إِلَيْك» حالاً من جِذْع النخلة؛ فيتعلَّق بمحذْوفٍ؛ أَيْ: هزي بجذْع النخلة مُنْتهياً إِليك. انتهى.

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٣٢٧) برقم (٢٣٦٢٥)، وذكره ابن عطية (٤/ ١١)، والبغوي (٣/ ١٩٢)، وابن كثير (٣/ ١١٧)، والسيوطي (٤/ ٤٨٢)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ١١)، «**والبحر المحيط**» (٦/ ١٧٣).

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ٣٣٠) عن قتادة برقم (٢٣٦٥٦)، وابن زيد برقم (٢٣٦٥٧)، وذكره ابن عطية (٤/ ١١)، وابن كثير (٣/ ١١٧).

(٤) أخرجه الطبري (٤/ ٣٣٠) برقم (٢٣٦٦٢)، وابن عطية (٤/ ١١).

(٥) ينظر «**المحرر الوجيز**» (٤/ ١١-١٢).

(٦) في جـ: تقدر.

والباءُ في قوله: ﴿بجذع﴾: زائدةٌ مؤكّدة، ﴿وجَنِيّاً﴾: معناه: قد طابت / وصلحَتْ ١٣أ
لِلاجْتناء، وهو من جَنَيْتُ الثمرةَ.

وقال عَمْرُو بْنُ مَيْمُون[١]: ليس شيءٌ للنُّفَساءِ خيراً من التَّمر، والرُّطَب.

وقرةُ العَيْن مأخُوذة من القُرِّ؛ وذلك، أَنَّهُ يحكى: أَن دمعَ الفرح باردُ المسِّ، ودمعَ الحُزْن سخن المس[٢]، وقِيلَ: غير هذا.

قال *ص*: ﴿وقري عيناً﴾ أَيْ: طِيبي نفساً. أَبو البَقَاءِ: «عيناً»: تمييز. اهـ.

وقوله سبحانه: ﴿فإمَّا ترين من البشر أحداً...﴾ الآية، المعنى: أَن اللّه عز وجل أمرها على لسان جِبْرِيلَ عليه السلام أو ٱبنها؛ على الخلاف المتقدم: بأن تُمْسك عن مخاطبة البشر، وتحيل على ٱبنها في ذلك؛ ليرتفع عنها خجلها، وتبين الآية؛ فيقوم عذرها.

وظاهر الآية: أَنها أُبيح لها أن تقولَ مضمن هذه الألفاظ الّتي في الآية؛ وهو قولُ الجمهور.

وقالت فِرقةٌ: معنى ﴿قولي﴾ بالإشارة، لا بالكلام.

قال *ص*: وقولُه: ﴿فقولي﴾ جوابُ الشرط، وبينهما جملةٌ محذوفةٌ يدل عليها المعنى؛ أيْ فَإمَّا تَرَيِنَّ مِنَ البَشَرِ أَحداً، وسألك أو حاورك الكلام، فقولي. انتهى.

﴿وصومًا﴾ معناه عن الكلام؛ إذ أَصلُ الصوم الإمساكُ.

وقرأَتْ فرقةٌ: «إِني نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَمْتاً» ولا يجوز في شَرْعِنا نذرُ الصمتِ؛ فروي: أَن مريم عليها السلام لمَّا اطمأنَّت بما رأت مِنَ الآياتِ، وعلمت أَن اللّه تعالى سيبيِّنُ عذرَها، أَتَتْ به تحمله مدلة من المكان القَصِيّ الذي كانت مُنْتبذةً به، والفَرِيُّ: العظيمُ الشَّنِيعُ؛ قاله مجاهد[٣]، والسُّدِّيُّ، وأكثرُ استعماله في السُّوء.

---

(١) ذكره ابن عطية (٤/ ١٢).
(٢) في جـ: الملمس.
(٣) أخرجه الطبري (٨/ ٣٣٥) عن مجاهد برقم (٢٣٦٨٢)، وعن السدي برقم (٢٣٦٨٥)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٣)، والبغوي (٢/ ١٩٣)، وابن كثير (٣/ ١١٨)، والسيوطي (٤/ ٤٨٦)، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

واختُلِف في معنى قوله تعالى: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾، فقيل: كان لها أَخٌ اسمه هارون؛ لأَن هذا الاِسْم كان كَثِيراً في بني إِسْرَائِيل.

ورَوَى المغيرةُ بن شُعْبة: أَنَّ رسولَ الله ﷺ أَرسله إلى أَهْلِ نَجْرَانَ في أَمْرٍ من الأُمُور، فقالتْ له النصارى: إِن صَاحِبَك يزعم أَنَّ مريمَ هي أُخْت هارون، وبينهما في المدّةِ ستُّ مائةِ سنة.

قال المغيرةُ: فلم أَدر ما أقول، فلما قَدِمْتُ على النبيّ ﷺ ذكرتُ ذلك له، فقال: أَلَمْ يَعْلَمُوا أنهم كانوا يسمون بأسماء الأنبياءِ والصّالحين[1].

قال *ع[2]*: فالمعنى أَنه اسم وافق اسماً.

وقيل: نسبُوها إِلى هَارُون أَخِي مُوسَى؛ لأَنها مِنْ نَسْله؛ ومنه قولُه ﷺ: «إِن أَخَا صُدَاءٍ أَذَّنَ، وَمَنْ أَذَّنَ، فَهُوَ يُقِيمُ»[3].

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٨٥) كتاب الآداب: باب النهي عن التكني بأبي القاسم، حديث (٩/ ٢١٣٥)، والترمذي (٥/ ٣١٥) كتاب التفسير: باب ومن سورة مريم، حديث (٣١٥٥)، والنسائي في التفسير (٢/ ٢٩) رقم (٣٣٥)، وأحمد (٤/ ٢٥٢)، وابن أبي شيبة (١٤/ ٥٥١)، والطبري في **«تفسيره»** (١٦/ ٧٧-٧٨)، والطبراني في **«المعجم الكبير»** (٢٠/ ٤١١) رقم(٩٨٦)، والبيهقي في **«دلائل النبوة»** (٥/ ٣٩٢)، وابن حبان (٦٢٥٠)، والبغوي في **«تفسيره»** (٣/ ١٩٤) كلهم من طريق عبد الله بن إدريس عن أبيه عن سماك بن حرب عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن شعبة به.
وقال الترمذي: حديث صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن إدريس.
وذكره السيوطي في **«الدر المنثور»** (٤/ ٤٨٦)، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٢) ينظر **«المحرر الوجيز»** (٤/ ١٣).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٦٩)، وأبو داود (١/ ٣٥٢): كتاب الصلاة: باب في الرجل يؤذن، ويقيم آخر، الحديث (٥١٤)، والترمذي (١/ ٣٨٤): كتاب الصلاة: باب ما جاء أن من أذن فهو يقيم، الحديث (١٩٩)، وابن ماجه (١/ ٢٣٧): كتاب الأذان: باب السنة في الأذان، الحديث (٧١٧)، والبيهقي (١/ ٣٩٩): كتاب الصلاة: باب الرجل يؤذن ويقيم غيره، وابن سعد في **«الطبقات الكبرى»** (٧/ ٥٠٣)، وأبو نعيم (١/ ٢٦٦) في **«التاريخ»**، من حديث عبد الرحمن بن زياد بن أنعُم الأفريقي، عن زياد بن نعيم الحضرمي، عن زياد بن الحارث الصدائي به، وقال الترمذي: (إنما يعرف من حديث الأفريقي. . وقد ضعفه القطان وغيره. . قال: ورأيت محمد بن إسماعيل - يعني البخاري - يقوي أمره، ويقول: هو مقارب الحديث).
وللحديث شاهد من حديث ابن عمر:
قال: أبطأ بلال يوماً بالأذان، فأذن رجل، فجاء بلال فأراد أن يقيم، فقال رسول الله ﷺ: «يقيم من أذن». =

وقال قتادةُ: نسبوها إِلىٰ هَارُونَ اسم رَجُلٍ صَالِحٍ في ذلك الزمان[1].

وقالتْ فرقةٌ: بل كان في ذلك الزمان رجلٌ فاجِرٌ اسمه هَارُون نسبُوها إِليه؛ علىٰ جهة التَّغيير.

ت: واللّٰهُ أعلمُ بصحّة هذا، وما رواه المُغِيرة إِنْ ثبت هو المعوَّلُ عليه، وقولهم: ﴿ما كان أبوك امرأَ سَوْءٍ﴾ المعنى: ما كان أَبُوك، ولا أمّك أهلاً لهذه الفِعْلة، فكيف جِئْت أنت بها؟ والبَغِيّ: الّتي تبغِي الزنَا، أي: تطلبه.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فأَشَارَتْ إِلَيْه﴾ يقوي قولَ مَنْ قال: إِنَّ أمرها بـ ﴿قُولي﴾، إنما أريد به الإِشارة.

وقوله: ﴿آتاني الكتاب﴾ يعني الإِنجِيل، ويحتمل أن يريد التوراةَ والإِنجيل، و«آتاني» معناه: قضى بذلك ـ سُبْحَانه ـ وأَنفذه في سَابِقِ حُكْمه، وهذا نحو قولِه تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللّٰهِ﴾ [النحل: ١].

﴿وأَوْصَانِي بالصلٰوة والزكٰوة﴾ قيل: هما المشرُوعتانِ في البدن، والمال.

وقيل: الصلاةُ: الدعاءُ، والزكاة: التطهُّرُ من كُلِّ عيْبٍ، ونقصٍ، ومعصيةٍ. والجبارُ؛ المتعَظِّمُ؛ وهي خلق مقرونة بالشقاء؛ لأَنَّها مناقضة لجميع الناس، فلا يلقى صاحبها من كل أحد إِلا مكروهاً، وكان عِيسَىٰ عليه السلام في غاية التَّوَاضُع؛ يأكلُ الشجر، ويلبَسُ الشَّعْر، ويجلس على الأَرض، ويَأْوِي حيث جَنَّه الليل. لاَ مَسْكَن لَه.

= أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (ص ـ ٢٥٨)، رقم (٨١١)، والبيهقي (١/ ٣٩٩)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٠٥) من طريق سعيد بن راشد السماك، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر به، وقال البيهقي: تفرد به سعيد بن راشد، وهو ضعيف.

وأخرج العقيلي (٢/ ١٠٥) بسنده عن يحيى بن معين، قال: سعيد بن راشد السماك يروي «من أذن فهو يقيم»، ليس حديثه بشيء.

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٣٣٥) برقم (٢٣٦٨٧)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٤)، والبغوي (٣/ ١٩٣)، وابن كثير (٣/ ١١٩).

قال قتادة: وكان يقولُ: سَلُوني؛ فإني لَيّن القلب، صَغِيرٌ في نفسي[١].

وقالت فرقةٌ: إنَّ عيسى عليه السلام كان أُوتي الكتابَ وهو في سِنِّ الطفولِيّة، وكان يصومُ، ويُصَلّي.

٣ ب قال *ع[٢]*: / وهذا في غاية الضَّعْف.

ت: وضعفُه مِنْ جهة سنده؛ وإلا فالعقلُ لا يحِيلُه؛ لا سِيَّما وأمره كله خرق عادة، وفي قصص هذه الآية؛ عن ابن زيد، وغيره: أَنهم لما سَمِعُوا كلام عِيْسَىٰ أَذْعنوا وقالوا: إن هذا الأمر عظيم.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذلك عيسى ابْنُ مريم قولَ الحقِّ الذي فيه يمترون﴾ المعنى: قل يا محمدُ، لمعاصريكَ من اليَهُود والنَّصَارَى ذلك الذي هذه قِصَّته؛ عيسى ٱبْنُ مريم.

وقرأَ نافعٌ، وعَامّةُ الناس[٣]: «قَوْلُ الحَقِّ» برفع القول؛ على معنى هذا هو قول الحق.

وقرأ عاصمٌ، وابنُ عَامِرٍ: «قولَ الحقِّ» بنصب اللام[٤]؛ على المصدر.

وقوله: ﴿إن اللّه ربي وربكم...﴾ الآية، هذا من تمام القول الّذي أمِر به محمد ﷺ: أَن يقولَه، ويحتمل أنْ يكون من قول عِيسَىٰ عليه السلام ويكون قوله: «أَنَّ» بفتح الهمزة، عطفاً على قوله: «الكتاب».

وقد قال وَهْبُ بنُ مُنَبِّه: عهد عيسى إِليهم: أَن اللّه ربي وربُّكُمْ[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٣٣٩) برقم (٢٣٧١٣)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٥).

(٢) ينظر «المحرر الوجيز» (٤/ ١٥).

(٣) ينظر: «السبعة» (٤٠٩)، و«الحجة» (٥/ ٢٠١)، و«إعراب القراءات» (٢/ ١٨)، و«معاني القراءات» (٢/ ١٣٥)، و«شرح الطيبة» (٥/ ٣٣، ٣٤)، و«العنوان» (١٢٧)، و«شرح شعلة» (٤٨٦)، و«حجة القراءات» (٤٤٣)، و«إتحاف» (٢/ ٢٣٦).

(٤) في جـ: القول.

(٥) أخرجه الطبري (٨/ ٣٤٢) رقم (٢٣٧٢١) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ١٥).

ت: وما ذكره وَهْبُ [مصرح به في القرآن، ففي آخر المائدة: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ...﴾ الآية. [المائدة: ١١٧]. وامتراؤهم][١] في عِيسَىٰ هو اختلافهم؛ فيقول بعضُهم: لَزَنْيَةٌ، وهم اليهُود، ويقول بعضُهم: هو اللّهُ؛ تعالى اللّهُ عن قولهم عُلُوّاً كبيراً، فهذا هو امتراؤُهم، وسيأتي شرحُ ذلك بإِثْرِ هذا.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

وقوله: ﴿فاختلف الأَحزاب من بينهم﴾ هذا ابتداء خبر من الله تعالى لمحمدٍ ﷺ بأن بني إِسْرَائِيلَ اختلفوا أحزاباً، أيْ: فرقاً.

وقوله: ﴿من بينهم﴾ بمعنى: من تلقَائِهِم، ومن أَنْفسِهم ثار شرُّهم، وإِنّ الاِخْتلاف لم يخرج عنهم؛ بل كانوا هم المختلفين.

وروي في هذا عن قتادةَ: أَنَّ بني إِسْرَائِيلَ جمعوا من أَنفسهم أَربعة أحبار غاية في المَكَانةِ والجَلاَلَة عندهم وطلبوهم أن يبيِّنُوا لهم أَمْرَ عِيسَىٰ فقال أَحَدُهم: عيسى هو اللّهُ؛ تعالى اللّه عن قولهم.

وقال له الثلاثة: كذبتَ، واتبعه اليعقوبيةُ، ثم قِيلَ للثلاثة؛ فقال أحدهم: عيسى ابنُ اللّه، [تعالى اللّه عن قولهم][٢] فقال له الاِثنان: كذبت، واتبعه النُّسْطُورِيَّةُ، ثم قيل للاِثنين؛ فقال أَحدهما: عيسى أحد ثلاثةٍ: اللّه إِله، ومريم إِله، وعيسى إِله؛ [تعالى اللّه عن قولهم عُلوّاً كبيراً][٣] فقال له الرابعُ: كذبت، واتَّبَعَتْهُ الإِسْرَائِيلية، فقِيلَ للرابع؛ فقال: عيسى عبدُ اللّه، وكلمتُه أَلقاها إِلى مريم، فاتّبعَ كلَّ واحد فريقٌ من بني إِسْرَائِيل، ثم اقْتَتلُوا فغُلِبَ المؤمنون، وقُتِلوا، وظَهَرَت اليَعْقُوبيّة على الجميع[٤].

و«الويل»: الحزنُ، والثُّبور، وقِيلَ: «الويل»: وَادٍ في جَهَنَّم، و﴿مشْهد يَوْم عَظِيم﴾: هو يوم القيامة.

---

(١) سقط في جـ.
(٢) سقط في ب، جـ.
(٣) في ب، جـ سقط.
(٤) أخرجه الطبري (٨/٣٤٣) برقم (٢٣٧٢٤)، وذكره ابن عطية (٤/١٦)، وابن كثير (٣/١٢١)، والسيوطي (٤/٤٨٨، ٤٨٩)، وعزاه لعبد الرزاق، وابن أبي حاتم عن قتادة نحوه.

وقولُه سبحانه: ﴿أَسمع بهم وأبصر﴾ أي: ما أَسْمَعَهم، وأبصرهم يوم يرجعُون إِلَيْنا، ويرَوْن ما نصنع بهم، ﴿لكن الظالمون اليوم﴾ أيْ: في الدنيا في ﴿ضلال مبين﴾ أيْ بيِّن، ﴿وأنذرهم يومَ الحسرةِ﴾ وهو يوم ذَبْحِ الموت؛ قاله الجمهورُ.

وفي هذا حَدِيثٌ صحيحٌ خرجه البُخَاريُّ وغيرُه عن النبي ﷺ: أَنَّ المَوْتَ يُجَاءُ بِهِ في صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُذْبَحُ عَلَى الصِّرَاطِ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَيُنَادَى: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، خُلُودٌ لاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ لاَ مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ. . .﴾[(١)] [الآية][(٢)].

قال *ع[(٣)]*: [وعند ذلك تُصِيب أَهلَ النار حسرةٌ لا حَسْرة مثلها.

وقال ابنُ زيد، وغيره: يَوْمَ الحَسْرَةِ][(٤)]: هو يَوْمَ القِيَامَةِ[(٥)].

قال *ع[(٦)]*: ويحتمل أَن يكونَ يوم الحسرة اسمُ جِنْسٍ شاملٌ لحسَرَاتٍ كَثِيرَةٍ؛ بحسب مواطن الآخرة: منها يوم مَوْتِ الإِنسان، وأَخْذِ الكتاب بالشِّمال، وغير ذلك، ﴿وهم فِي غَفْلَةٍ﴾ يريد: في الدنيا.

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٢٨٢) كتاب التفسير: باب ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ حديث (٤٧٣٠)، ومسلم (٤/ ٢١٨٨ـ ٢١٨٩) كتاب الجنة والنار: باب النار يدخلها الجبارون، حديث (٤٠، ٤١/ ٢٨٤٩)، والترمذي (٥/ ٣١٥ـ ٣١٦) كتاب التفسير: باب ومن سورة مريم، حديث (٣١٥٦)، والنسائي في «**الكبرى**» (٦/ ٣٩٣) كتاب التفسير: باب قوله تعالى: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾، حديث (١١٣١٦)، وأحمد (٣/ ٩)، وأبو يعلى (٢/ ٣٦٤) رقم (١١٢٠)، والطبري في «**تفسيره**» (٨/ ٣٤٥) رقم (٢٣٧٣٣) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٤/ ٤٨٩)، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وابن مردويه.
وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة: أخرجه النسائي في «**الكبرى**» (٦/ ٣٩٣ـ ٣٩٤) كتاب التفسير: باب قوله تعالى ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ حديث (١١٣١٧)، والطبري في «**تفسيره**» (٨/ ٣٤٥) رقم (٢٣٧٣٤) كلاهما من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة به.
وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٤/ ٤٨٩)، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم، وابن مردويه.
(٢) سقط في ب.
(٣) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ١٧).
(٤) سقط في ب.
(٥) أخرجه الطبري (٨/ ٣٤٥) برقم (٢٣٧٣٧)، وذكره ابن عطية(٤/ ١٧)، وابن كثير (٣/ ١٢٢).
(٦) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ١٧).

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾.

قوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ...﴾ الآية، عبارةٌ عن بقائِهِ ـ جل وعلا ـ بعد فناء مَخْلُوقاتِه، لا إِلٰه غَيْرُه.

وقوله: ـ عزَّ وجل ـ: ﴿واذْكُرْ في الكتاب إبراهيم إنَّه كان صديقاً / نبياً....﴾ ١٤أ
الآية، قوله: ﴿واذكر﴾ بمعنى آتْلُ وشهر؛ لأن اللّه تعالى هو الذاكِرُ؛ ﴿والكتاب﴾: هو القرآن، والصديق: بناءُ مبالغَةٍ فكان إبراهيمُ عليه السلام [يُوصَفُ][1] بالصِّدْقِ في أَفْعَالِهِ وأَقْوالِهِ.

وقوله: ﴿يا أَبَتِ إِني أَخاف أَن يَمَسَّكَ عذابٌ من الرحمٰن...﴾ الآية، قال الطَّبرِيُّ[2]: «أخاف» بمعنى أعلمُ.

قال *ع[3]*: والظَّاهِرُ عندي أنه خوفٌ على بابه؛ وذلك أن إبراهيم عليه السلام في وقْتِ هذه المقالة لم يَكُن آيِساً من إيمان أَبِيه.

ت: ونحو هذا عبارة المهدوي[4]، قال: قيل: «أَخافُ» معناه: أَعْلَمُ، أيْ: إِنِّي أَعْلَمُ إن متَّ عَلَى ما أَنْتَ عليه.

ويجوزُ أَن يكون «أَخَافُ» على بابِهِ، ويكونَ المعنى: إِنِّي أَخاف أَن تَموت عَلَىٰ كُفْرك؛ فيمسَّكَ العذابُ. انتهى.

وقوله: ﴿لأَرْجُمَنَّك﴾ قال الضَّحَّاكُ[5]، وغيرُه: معناه بالقوْلِ، أَي: لأَشْتمنَّك.

وقال الحسَنُ: معناه: لأَرْجمنَّك بالحجارة[6].

---

(١) سقط في ب.
(٢) ينظر: «الطبري» (٨/ ٣٤٧).
(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٨).
(٤) ذكره البغوي (٣/ ١٩٧)، ولم يعزه لأحد.
(٥) أخرجه الطبري (٨/ ٣٤٧) برقم (٢٣٧٤١)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٨)، والبغوي (٣/ ١٩٧)، وابن كثير (٣/ ١٢٣).
(٦) ذكره ابن عطية (٤/ ١٨)، والبغوي (٣/ ١٩٧).

وقالتْ فرقةٌ: معناه لأَقْتُلَنَّكَ، وهذان القولان بمعنًى واحدٍ.

وقوله: ﴿واهْجُرني﴾ على هٰذا التَّأْوِيل إنما يترتب بأَنه أَمْرٌ على حياله؛ كأَنه قال: إن لم تَنْتَهِ قتلتُك بالرَّجم، ثم قال له: واْهجرني، أَيْ: مع انْتهائِكَ، و﴿مَلِيّاً﴾ معناه: دهراً طوِيلاً مأْخوذٌ من المَلَوينِ؛ وهما اللَّيْلُ والنَّهارُ؛ هذا قول الجمهور.

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾.

وقولهُ: ﴿قال سلام عليك﴾ اختُلِف في معنى تَسْلِيمه علىٰ أَبِيهِ، فقال بعضُهم: هي تحيةُ مفارقٍ، وجوَّزوا تحيةَ الكَافِرِ وأَن يُبْدَأَ بها.

وقال الجمهورُ: ذلك السلامُ بمعنى المُسَالمةِ، لا بمعنى التَّحِيَّة.

وقال الطبريّ[١]: معناه أَمَنَة مِنِّي لك؛ وهذا قول الجمهُورِ؛ وهم لا يَروْن ابتداءَ الكافِرِ بالسَّلاَم.

وقال النَّقَّاشُ: حليمٌ خاطب سَفِيهاً؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَماً﴾[٢] [الفرقان: ٦٣].

وقوله: ﴿سأَستغفر لك ربي﴾ معناه: سأَدْعُو اللّه تعالى في أَن يَهْدِيَكَ، فيغفِرَ لك بإِيمانك، ولمّا تبيَّن له أَنه عدوٌّ للّه تبرّأَ منه.

والحفِيُّ: المهتبلُ المتلطِّف، وهذا شُكر من إبراهيمَ لنعم اللّه تعالى عليه، ثم أَخبر إبراهيمُ عليه السلام بأَنه يعتزلهم، أَيْ: يصيرعنهم بمعزِل، ويروى: أَنهم كانوا بأَرض كُوثَى، فرحل عليه السلام حَتَّىٰ نزل الشامَ، وفي سفرته تلك لقِيَ الجبَّار الَّذي أَخْدم هاجرَ...» الحديثَ الصحيح بطوله[٣]، و﴿تدعون﴾ معناه: تعبدون.

وقوله: ﴿عَسَىٰ﴾: تَرَجٍّ في ضمنه خَوْفٌ شديد.

وقوله سبحانه: ﴿فلما اعتزلهم...﴾ إلى آخر الآية: إخبار من اللّه تعالى لنبيّه ﷺ أَنَّه لما رَحَل إبراهيم عن بلد أَبيه وقومه، عوّضَهُ اللّهُ تعالى من ذلك ابنَهُ إسحاق، وابنَ ابْنِه

---

(١) ينظر: «الطبري» (٨/ ٣٤٩).
(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ١٩).
(٣) تقدم هذا الحديث في «تفسير سورة إبراهيم».

يعقوبَ ـ على جميعهم السلام ـ وجعلَ الولدَ له تَسْلِيَةً، وشَدًّا لِعَضُدِهِ.

وإسحاقُ أَصغر من إسماعيل، ولما حملت هاجرُ بإِسْمَاعِيل، غارَتْ سَارَةُ؛ فحملت بإسحاق، هكذا فيما روي.

وقوله تعالى: ﴿ووهبنا لهم من رحمتنا﴾ يريد: العِلْم، والمنزِلَة، والشَّرَف في الدنيا، والنَّعيم في الآخرة؛ كُلُّ ذلك مِنْ رَحْمة اللّه عز وجل، ولِسَانُ الصِّدْق: هو الثَّناءُ البَاقِي عليهم آخر الأَبد؛ قاله ابنُ عباس[1] وإبراهيمُ الخليل ﷺ وذريته مُعظَّمة في جميع الأمم والمِلَل.

قال *ص*: ﴿وكلاً جعلنا [نبيّاً][2]﴾ أبو البقاء: هو منصوبٌ بـ ﴿جَعَلْنَا﴾. انتهى.

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾.

وقوله (عزَّ وجل): ﴿واذكر في الكتاب موسى﴾، أي: على جهة التَّشْرِيف له، ﴿وناديناه﴾ هو تَكْلِيمُ اللّه له، والأَيْمن: صفةُ لجَانِب، وكان على يَمِينِ مُوسَىٰ، وإلا فالجبل نفسُه لاَ يَمْنة له ولا يَسْرة، ويحتمل أن يكون الأَمن مأخُوذاً من الأيمن، ﴿وقربناه﴾ أَيْ: تقريب تَشْرِيف، والنَّجِيّ: من المُنَاجَاة.

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿واذْكُرْ في الكتاب إسماعيل﴾ هو أيضاً من لسانِ الصِّدْقِ المضمون بقاؤه على إبراهيمَ عليه السلام وإسماعيلُ عليه السلام: هو أبو العربِ اليومَ؛ وذلك أَنَّ اليَمَنِية والمُضَرِية ترجع إلى ولد إسماعيل، وهو الذَّبِيحُ في قول الجمهُور.

وهو الرَّاجِحُ؛ من وجوهٍ:/ منها قولُه تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ ٤ ب
[هود: ٧١].

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٣٥٠) برقم (٢٣٧٥٨)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٩)، وابن كثير (٣/ ١٢٤)، والسيوطي (٤/ ٤٩١) وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.
(٢) سقط في د، حـ.

فَوَلَدٌ بُشِّر أَبواه بأن سَيَكُونُ منه ولدٌ كيف يُؤْمَرُ بذبحه؟!.

ومنها أن أَمْرَ الذبح كان بِمِنًى بلا خِلاَفٍ، وما روي قَطُّ أَن إِسحاقَ دخل تلك البلاد، وإِسماعيلُ بها نَشَأَ، وكان أَبوه يزُورُه مِرَاراً كَثِيرةً يأتي من الشام، ويرجِعُ من يَوْمِهِ على البُرَاق؛ وهو مركَبُ الأَنْبياء.

ومنها قولُه ﷺ: «أَنَا ٱبْنُ الذَّبِيحَيْنِ»[(١)] وهو أَبُوهُ عبدُ اللّهِ، والذَّبِيحُ الثَّانِي هو إِسْماعِيلُ.

ومنها [تَرْتِيبُ][(٢)] آيات سورة «والصَّافَّاتِ» يكاد ينصُّ على أَنَّ الذبيح غيرُ إِسحاق، ووصفه اللّهُ تعالىٰ بصِدْق الوَعْد؛ لأنه كان مُبَالِغاً في ذلك؛ ورُوي أَنَّه وعد رَجُلاً أَنْ يلقاه في مَوْضِعٍ، فبقي في ٱنْتِظاره يَوْمَهُ ولَيلَتَهُ، فلما كان في اليَوْمِ الآخر جاء الرجُلُ، فقال له إِسماعيلُ: ما زِلْتُ هنا في ٱنتِظارِكَ منذ أَمْسِ، وقد فعل مِثْلَهُ نبيُّنا محمدٌ ﷺ قبل مَبْعَثِه، خرَّجه التِّرمِذِيّ وغيرُه.

قال سُفيان بن عُيَيْنَةَ[(٣)]: أَسْوَأُ الكَذِبِ إِخْلاَفُ المِيعَادِ، ورَمْي الأَبْرِيَاءِ بالتُّهَمِ.

و﴿أَهْلَهُ﴾ المرادُ بهم قومه، وأُمَّته؛ قاله الحسنُ[(٤)].

وفي مُصْحَف ابنِ مَسْعُود: «وكَانَ يَأْمُرُ قَوْمَهُ».

وإِدْرِيسُ عليه السلام من أَجْدَاد نُوح عليه السلام.

﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾ قالت فرقةٌ من العلماء: رُفِع إِلى السماءِ.

قال ابنُ عَبَّاسٍ: كان ذلك بأَمْرِ اللّه تعالى[(٥)].

وقوله: ﴿وبكياً﴾ قالت فرقةٌ: جمع[(٦)] بَاكٍ، وقالت فرقةٌ: هو مَصْدَرٌ بمعنى البُكَاءِ؛ التقديرُ: وبَكُوا بُكِيّاً.

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) سقط في جـ.
(٣) ذكره ابن عطية (٤/ ٢١).
(٤) ذكره ابن عطية (٤/ ٢١)، والبغوي (٣/ ١٩٩).
(٥) ذكره ابن عطية (٤/ ٢١).
(٦) في د، جـ: هو جمع.

واحتجَّ الطَّبَرِيُّ[١]، ومَكّي لهذا القول؛ بأن عُمَر رضي اللّه عنه قرأ سُورةَ مريم، فسجد ثُمَّ قال: هذا السُّجودُ، فأَيْنَ البُكى[٢]؟ يَعْنِي: البُكَاء.

قال *ع[٣]*: ويحتمل أن يريد عُمر رضي اللّه عنه فأين البَاكُون؟ وهذا الذي ذكروه عن عُمَر، ذكره أَبُو حَاتِم، عن النبيِّ ﷺ.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف...﴾ الآيَة، الخَلْفُ، ـ [بسكون][٤] اللام ـ مُسْتعمل إذا كان الآتي مَذْمُوماً؛ هذا مشهورُ كَلامِ العَرَبِ، والمرادُ بالخلْف: مَنْ كفر وعَصَى بعدُ مِنْ بني إسرائيل، ثم يتناول معنى الآيةَ مَنْ سِوَاهُم إلَى يوم القيامة، وإضاعة الصَّلاَةِ بتَرْكِهَا وبجحْدِها، وبإضاعة أَوْقَاتِهَا.

وروى أَبُو دَاوُدَ الطيالسي في «مسنده» بسنده عن عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «إذا أَحْسَنَ الرَّجُلُ الصَّلاةَ، فَأَتَمَّ رُكُوعَهَا، وَسُجودَهَا، قَالَتِ الصَّلاَةُ: حَفِظَكَ اللّهُ؛ كَمَا حَفِظْتَنِي، وَتُرْفَعُ، وإذَا أَسَاءَ الصَّلاَةَ؛ فَلَمْ يُتِمَّ رُكُوعَهَا، وَلاَ سُجُودَهَا، قَالَتِ الصَّلاَةُ: ضَيَّعَكَ اللّهُ؛ كَمَا ضَيَّعْتَنِي، وَتُلَفُّ كَمَا يُلَفُّ الثَّوْبُ الخَلَقُ، فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُهُ». انتهى[٥] من «التذكرة»، والشَّهَوَاتُ: عُمُومٌ، والغَيُّ: الخُسْران؛ قاله ابنُ زيد[٦].

(١) ينظر: «الطبري» (٨/ ٣٥٤) برقم: (٢٣٧٧٧).
(٢) أخرجه الطبري (٨/ ٣٥٤) برقم: (٢٣٧٧٧)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٢)، وابن كثير (٣/ ١٢٧)، والسيوطي (٤/ ٤٩٨)، وعزاه لابن أبي الدنيا في «البكاء»، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن عمر بن الخطاب.
(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٢).
(٤) في ب سقط.
(٥) أخرجه أبو داود الطيالسي (١/ ٦٦، ٦٧ـ منحة) برقم: (٢٥٤) من طريق خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت به. وذكره الهندي في «كنز العمال» (١٩٠٥٤)، وعزاه للطبراني، والبيهقي في «شعب الإيمان».
(٦) أخرجه الطبري (٨/ ٣٥٧) برقم: (٢٣٧٩٨)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٣).

وقد يكُونُ [الغي بمعنى الضَّلاَلِ، والتقديرُ: يلْقون جَزَاءَ الغَيِّ.

وقال عبدُ اللّه بن عمرو، وابنُ مسعودٍ: الغَيُّ: وَادٍ في][1] جهنَّم، وبه وَقَعَ التوعُّدُ في هذه[2] الآية.

وقال ﴿ص﴾: الغي عندهم كُلُّ شرّ؛ كما أن الرشاد كلُّ خيرٍ. [انتهى][3].

و﴿جنات عدن﴾: بدلٌ من الجنَّةِ في قوله ﴿يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ﴾.

وقولُه ﴿بالغيب﴾، أيْ أخبرهم من ذلك بما غَابَ عنهم، وفي هذا مَدْحٌ لهم على سرعة إيمانهم وبدارهم إِذْ لم يعاينوا، و﴿مَأْتِيًّا﴾ مفعولٌ على بابه.

وقال جماعةٌ من المفسرين: هو مفعولٌ في اللفظ؛ بمعنى فاعل؛ فـ ﴿مَأْتِيًّا﴾ بمعنى آتٍ، وهذا بَعِيدٌ.

﴿ت﴾: بل هو الظَّاهِرُ، وعليه اعتمد ﴿ص﴾.

واللَّغْوُ: السَّقَطُ من القول.

وقوله ﴿بكرة وعشيًّا﴾ يريدُ في التقدِيرِ.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾.

وقولُه عز وجل: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك...﴾ / الآية، قال ابنُ عباس، وغيرُه: ٥ أ
سبب هذه الآية: أن النبي ﷺ أَبطَأَ عنه جِبْرِيلُ عليه السلام مُدَّةً فلما جاءه قال: «يَا جِبْرِيلُ، قَدِ اشْتَقْتُ إِلَيْكَ، أفلاَ تزورنا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورَنَا» فنزلت هذه الآية[4].

---

(١) سقط في جـ.

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ٣٥٦) برقم: (٢٣٧٩٣)، (٢٣٧٩٦) بلفظ «نهر في النار يعذب فيه الذين اتبعوا الشهوات»، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٣)، وابن كثير (٣/ ١٢٨)، وعزاه لعبد الله بن مسعود، والسيوطي (٤/ ٥٠٠)، وعزاه للفريابي، وسعيد بن منصور، وهناد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبري، والحاكم وصححه، والبيهقي في «**البعث**» عن ابن مسعود.

(٣) في ب، جـ سقط.

(٤) أخرجه الطبري (٨/ ٣٥٩) برقم (٢٣٨٠٦)، وذكره البغوي (٣/ ٢٠٢)، وابن عطية (٤/ ٢٤)، وابن كثير (٣/ ١٣٠)، والسيوطي (٤/ ٥٠٢)، وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس بنحوه.

وقال الضَّحَّاكُ، ومجاهدٌ: سببها أَن جِبْرِيلَ تأَخَّر عن النبي ﷺ عند قَوْلِه في السؤالات المتقدِّمَةِ في سُورةِ الكَهْفِ: «غداً أُخبِرُكُم»(١).

وقال الدَّاوُودِيُّ عن مجاهدٍ: أَبطأت الرسل عن رسول اللّه ﷺ ثم أَتى جِبْرِيلُ عليه السلام قال: ما حَبَسَكَ؟ قال: وكَيْفَ نَأْتِيكم. وأَنْتُمْ لاَ تَقُصُّونَ أَظْفَارَكُمْ. وَلاَ تَأْخُذُونَ شَوَارِبَكُمْ وَلاَ تَسْتَاكُونَ، وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ. انتهى(٢).

وقد جاءت في فَضْل السواك آثارٌ كثيرة، فمنها: ما رواه البزارُ في **«مسنده»** عن النبي ﷺ أنه قال: إِنَّ العَبْدَ إِذَا تَسوَّكَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَامَ المَلَكُ خَلْفه، فَيَسْمَعُ لِقَرَاءَتِهِ، فَيَدْنُو مِنْهُ حَتَّىٰ يَضَعَ فَاهُ عَلَىٰ فِيهِ، فما يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ القُرْآنِ إِلاَّ صَارَ فِي جَوْفِ المَلَكِ»(٣). انتهى من **«الكوكب الدري»**.

وفيه: عن ابنِ أَبِي شَيْبَة، عن النبي ﷺ أنه قال: «صَلاَةٌ عَلَى إِثْرِ سِوَاكٍ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ صَلاَةٍ بِغَيْرِ سِوَاكٍ(٤) انتهى.

---

(١) ذكره البغوي (٣/ ٢٠٢)، وابن عطية (٤/ ٢٤).

(٢) ذكره ابن كثير (٣/ ١٣٠) وعزاه لمجاهد، والسيوطي (٤/ ٥٠٢)، وعزاه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٣) أخرجه البزار (١/ ٢٤٢ـ كشف) رقم (٤٩٦) من حديث علي بن أبي طالب مرفوعاً.
وقال البزار: لا نعلمه عن علي بأحسن من هذا الإسناد، وقد رواه بعضهم عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي موقوفاً.
وقال المنذري في **«الترغيب»** (٣٣٥): رواه البزار، بإسناد جيد لا بأس به.
وقال الهيثمي في **«المجمع»** (٢/ ١٠٢): رواه البزار، ورجاله ثقات ا. هـ. أما الموقوف الذي أشار إليه البزار، فأخرجه البيهقي (١/ ٣٨) من طريق أبي عبد الرحمن السلمي عن علي موقوفاً.

(٤) أخرجه البزار (١/ ٢٤٥ـ كشف) رقم (٥٠٢)، وابن حبان في **«المجروحين»** (٣/ ٥)، وابن عدي في **«الكامل»** (٦/ ٢٣٩٥)، وابن الجوزي في **«الواهيات»** (١/ ٣٣٦) من طريق معاوية بن يحيى الصدفي عن الزهري عن عروة عن عائشة.
وقال البزار: لا نعلم رواه إلا معاوية.
وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح، ومعاوية بن يحيى ضعيف. قاله الدارقطني.
وللحديث طريق آخر: أخرجه ابن خزيمة (١/ ٧١) رقم (١٣٧)، والحاكم ١/ ١٤٦)، وأحمد (٦/ ١٤٦)، والبزار (١/ ٢٤٤) رقم (٥٠١) من طريق محمد بن إسحاق عن الزهري عن عروة عن عائشة به.
وقال ابن خزيمة: أنا استثنيت صحة هذا الخبر، لأني خائف أن يكون محمد بن إسحاق لم يسمع من محمد بن مسلم، وإنما دلّسه عنه.
أما الحاكم فقال: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي.
وضعفه النووي في **«المجموع»** (١/ ٣٢٥) وقال: ذكره الحاكم في **«المستدرك»** وقال: صحيح على شرط =

وفي «البخاري»: أَنَّ السِّوَاكَ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ، مَرْضَاة لِلرَّبِّ[(١)]. اهـ.

وقوله سبحانه: ﴿له ما بين أيدينا...﴾ الآية، المقصودُ بهذه الآية الإِشعارُ بملك اللّه تعالى لملائكته، وأن قَلِيلَ تصرُّفِهِم، وكَثِيرَه إنما هو بأَمْرِه وانتقالهم مِنْ مَكانٍ إِلى مَكانٍ إِنَّما [هو][(٢)] بحدٍّ منه.

وقولُه: ﴿ومَا كَانَ ربك نسيًّا﴾ أَيْ: ممن يلحقُه نِسيانٌ لبعثنا إِليك، فـ ﴿نَسِيًّا﴾. فَعِيلٌ من النِّسْيانِ، وهو الذُّهُولُ عن الأُمور.

وقرأ ابنُ مسْعودٍ[(٣)]: «وَمَا نَسِيَكَ رَبُّكَ».

وقوله ﴿سميًّا﴾ قال قوم: معناه مُوَافِقاً في الاِسْم.

قال *ع[(٤)]*: وهذا يحسنُ فيهِ أَن يريد بالاِسْم ما تقدم مِنْ قوله ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أَيْ: [هل][(٥)] تعلم من يسمى بهذا، أَو يوصف بهذه الصفة؛ وذلك أَن الأُمم والفِرَق لا يسمون بهذا الاِسْم وَثَناً، ولا شَيْئاً سِوَى اللّه تعالى.

= مسلم، وأنكروا ذلك على الحاكم، وهو معروف عندهم بالتساهل في التصحيح، وسبب ضعفه أن مداره على محمد بن إسحاق، وهو مدلس، ولم يذكر سماعه، والمدلس إذا لم يذكر سماعه لا يحتج به بلا خلاف كما هو مقرر لأهل هذا الفن. وقوله: «إنه على شرط مسلم» ليس كذلك، فإن محمد بن إسحاق لم يرو له مسلم شيئاً محتجاً به، وإنما روى له متابعة، وقد علم من عادة مسلم وغيره من أهل الحديث أنهم يذكرون في المتابعات من لا يحتج به للتقوية لا للاحتجاج، ويكون اعتمادهم على الإسناد الأول، وذلك مشهور عندهم.

(١) أخرجه النسائي (١/ ١٠) كتاب الطهارة: باب الترغيب في السواك، حديث (٥)، وأحمد (٦/ ١٢٤)، وأبو يعلي (٨/ ٣١٥) رقم (٤٩١٦)، وابن حبان (١٤٣ـ موارد)، والحميدي (١٦٢)، وابن المنذر في «**الأوسط**» (٣٣٨)، وأبو نعيم في «**الحلية**» (٧/ ١٥٩)، والبيهقي (١/ ٣٤)، وابن خزيمة رقم (١٣٥) من حديث عائشة.

وعلقه البخاري (٤/ ١٥٨) باب سواك الرطب واليابس للصائم، بصفة الجزم، فهو صحيح عنده.

وصححه أيضا ابن خزيمة، وابن حبان.

وقال البغوي في «**شرح السنة**» (١/ ٢٩٤ـ بتحقيقنا): هذا حديث حسن.

وقال النووي في «**المجموع**» (١/ ٣٢٤): حديث صحيح.

وفي الباب عن جماعة من الصحابة.

(٢) سقط في جـ.

(٣) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٢٤).

(٤) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٢٥).

(٥) سقط في ب.

قال القُشَيْرِيُّ في «**التحبير**»: قولهُ تعالى: ﴿واصطبر لعبادته﴾: الاضطبارُ: نهايةُ الصَّبْرِ، ومَنْ صَبَر ظَفَرَ، ومَنْ لاَزَمَ وَصَلَ؛ وفي مَعْناه أَنْشَدُوا: [البَسيط].

[لاَ تَيْئَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ إِذَا ٱسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَىٰ فَرَجَا][1]

أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَىٰ بِحَاجَتِهِ وَمُدْمِنِ الْقَرْعِ لِلأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا

وأنشدوا: [البسيط]

إِنِّي رَأَيْتُ وَفِي الأَيَّامِ تَجْرِبَةٌ لِلصَّبْرِ عَاقِبَةٌ مَحْمُودَةَ الأَثَرِ

وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي شَيْءٍ يُحَاوِلُهُ[2] وَٱسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلاَّ فَازَ بِالظَّفَرِ

انتهى.

وقال ابنُ عباسٍ، وغيرُه: ﴿سميًّا﴾ معناه: مَثِيلاً، أَو شَبِيهاً، ونحو ذلك[3]؛ وهذا قوْلٌ حَسَنٌ، وكأن السمي بمعنى: المسامي، والمضاهي؛ فهو من السُّموِّ.

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿ويقول الإنسان أءِذَا ما متُّ لسوف أَخرج حياً﴾، الإنسان: اسمُ جِنْسٍ يرادُ به الكافرون[4]، وروي أَنَّ سببَ نزُولِ هذه الآية هو: أَن رجالاً من قريشٍ كانُوا يقولون هذا ونحوه، وذكر: أَن القائِلَ هو أُبيُّ بْنُ خَلَفٍ.

ورُوِي[5] أَن القائل هو العَاصِي بْنُ وَائِل، وفي قوله تعالى: ﴿ولم يك شَيْئاً﴾ دَلِيلٌ على أَنَّ المعدومَ لا يسمى شَيْئاً.

وقال أَبو علي الفارسي: أَراد شَيْئاً موجُوداً.

---

(١) سقط من جـ.
(٢) في ب، جـ: يطالبه.
(٣) أخرجه الطبري (٨/ ٣٦١، ٣٦٢) برقم (٢٣٨٢١، ٢٣٨٢٢)، وذكره البغوي (٣/ ٦٥)، وابن عطية (٤/ ٢٥)، وابن كثير (٣/ ١٣١)، والسيوطي (٤/ ٥٠٣)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.
(٤) في جـ: النافرين.
(٥) في ب، جـ: وقيل.

قال ع[١]: وهذه من أبي علي نزعةٌ اعتزالية؛ [فتأملها][٢]، والضمير في ﴿لنحشرنهم﴾ عائدٌ على الكفَّارِ القائلين ما تقدم، ثم أخبر تعالى: أنه يقرن بهم الشياطِينَ المغوين لهم، و﴿جثيًّا﴾ جمعُ جَاثٍ، فأخبر سبحانه: أنه يحضر هؤلاءِ المُنْكِرينَ البعْثَ مع
٥ ب الشياطين [المغوِينَ][٣]، فيجثُون / حول جهنَّم؛ وهو[٤] قعودُ الخائفِ الذَّلِيل على رُكْبتَيْهِ كالأَسِير، ونحوِه.

قال ابنُ زيدٍ[٥]: الجثيُ: شَرُّ الجلُوسَ، و«الشيعة»: الفِرْقَةُ المرتبطة بمذهبٍ وَاحِدٍ، المتعاونة فيه، فأخبر سبحانه أنه ينزع مِنْ كُلِّ شيعةٍ أَعْتاها وأَولاَها بالعذاب، فتكون مقدمتها إلى النَّار.

قال أَبو الأَحْوص: المعنى: نبدأُ بالأَكَابر[٦] جرماً[٧]، وأيّ: هنا بُنِيَتْ لمَّا حُذِف الضميرُ العَائِدُ عليها مِنْ صَدْر صِلَتها، وكأن التقدِير: أَيُّهم هو أشَدُّ، و﴿صليًّا﴾: مصدَرُ صَلِيَ يَصْلَى إِذَا باشَرَهُ.

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾.

وقوله عزَّ وجل: ﴿وإِن منكم إِلاَّ واردها﴾ قَسَمٌ، والواو تَقْتَضِيه، ويفسّره قولهُ ﷺ: «مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلاثَةُ أَوْلاَدٍ، لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ إِلاَّ تَحِلَّةَ الْقَسَمِ»[٨]. وقرأ ابن

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٣٠).
(٢) سقط في جـ.
(٣) سقط في ب، جـ.
(٤) في جـ: ويعني.
(٥) أخرجه الطبري (٨/ ٣٧٠) رقم (٢٣٨٧٢)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٦).
(٦) في حـ: بالأكابر فالأكابر.
(٧) أخرجه الطبري (٧/ ٣٦٣) برقم (٢٣٨٢٧)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٦)، وابن كثير (٣/ ١٣١)، والسيوطي (٤/ ٥٠٤) وعزاه لهناد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن أبي الأحوص.
(٨) أخرجه البخاري (٣/ ١٤٢) كتاب الجنائز: باب فضل من مات له ولد فاحتسبه، حديث (١٢٥١)، ومسلم (٤/ ٢٠٢٨) كتاب البر والصلة: باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، حديث (١٥٠/ ٢٦٣٢)، والترمذي (٣/ ٣٦٥) كتاب الجنائز: باب ما جاء في ثواب من قدم ولداً، حديث (١٠٦٠)، والنسائي (٤/ ٢٥) كتاب الجنائز: باب من يتوفى له ثلاثة، حديث (١٨٧٥)، وابن ماجه (١/ ٥١٢) كتاب الجنائز: باب ما جاء في ثواب من أصيب بولده، حديث (١٦٠٣)، وأحمد (٢/ ٢٣٩ـ ٢٤٠)، والحميدي (٢/ =

عباس[١]، وجماعَةٌ: «وإِنْ مِنْهُمْ» بالهَاءِ على إِرَادة الكُفَّار.

قال ❊ع[٢]❊: ولا شغب في هذه القراءة، وقالت فِرْقَةٌ من الجمهور القارئين «منكم»، المعنى: قُلْ لهم يا محَمَّدُ، فالخِطَاب بـ ﴿مِنْكُمْ﴾ للكفرةِ، وتأويل هؤلاءِ أَيضاً سَهْلُ التناوُلِ.

وقال الأكثرُ: المخاطَبُ العَالَمُ كلّه، ولا بُدّ مِنْ وُرُودِ الجميع، ثم اختلفوا في كَيْفِيَّةِ ورود المُؤْمِنِينَ، فقال ابنُ عباسٍ، وابنُ مسعودٍ، وخالدُ بن مَعْدَانَ، وابنُ جُرَيْجٍ[٣]، وغيرُهم: هو ورودُ دخولٍ، لكنَّها لا تعدو عليهم، ثم يُخْرِجهم اللّهُ عز وجل منها بعدَ مَعْرِفتهم حَقِيقَةَ ما نَجَوْا منه.

وروى[٤] جابرُ بنُ عبدِ اللّهِ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «الوُرُودُ فِي هَذِهِ الآيَةِ هُوَ الدُّخُولُ»[٥]، وقد أَشْفَقَ كَثِيرٌ من العلماء من تحقُّقِ[٦] الورودِ مع الجَهْلِ بالصَّدَرِ ـ جعلنا اللّه تعالى من الناجين بفضله ورحمته ـ، وقالت فِرْقَة: بَلْ هُو ورودُ إِشْرَافٍ، واطِّلاعٍ، وقُرْبٍ، كما تقول: وردتُ الماءَ؛ إِذا جِئْتَه، وليس يلزم أَن تدخل فيه، قالوا:

= ٤٤٤ رقم (١٠٢٠)، ومالك (١/ ٢٣٥) كتاب الجنائز: باب الحسبة في المصيبة، حديث (٣٨)، وأبو يعلى (١٠/ ٢٨٥) رقم (٥٨٨٢)، والبيهقي (٤/ ٦٧) كتاب الجنائز: باب ما يرجى في المصيبة بالأولاد إذا احتسبهم، والبغوي في **«شرح السنة»** (٣/ ٢٩٥ـ بتحقيقنا) كلهم من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(١) وقرأ بها عكرمة.

ينظر: **«الكشاف»** (٣/ ٣٤)، **«والمحرر الوجيز»** (٤/ ٢٧)، **«والبحر المحيط»** (٦/ ١٩٧)، **«والدر المصون»** (٤/ ٥١٩).

(٢) ينظر **«المحرر الوجيز»** (٤/ ٢٧).

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ٣٦٤) برقم (٢٣٨٣٣) عن ابن عباس، وبرقم (٢٣٨٣٤) عن ابن جريج، وبرقم (٢٣٨٣٦) عن خالد بن معدان، وذكره البغوي (٣/ ٢٠٤) عن ابن عباس، وخالد بن معدان، وعن ابن مسعود بلفظ: «القيامة والكناية راجعة إليها»، وابن عطية (٤/ ٢٧)، والسيوطي (٤/ ٥٠٥)، وعزاه لعبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وهناد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في **«البعث»** عن مجاهد قال: خاصم نافع بن الأزرق ابن عباس فقال ابن عباس.

(٤) في جـ: قال.

(٥) أخرجه أحمد (٣/ ٣٢٩)، والحاكم (٤/ ٥٨٧)، والبيهقي في **«شعب الإيمان»** (١/ ٣٣٦) رقم (٣٧٠) من حديث جابر مرفوعاً.

وذكره الهيثمي في **«المجمع»** (٧/ ٥٨) وقال: رواه أحمد، ورجاله ثقات.

والحديث ذكره السيوطي في **«الدر المنثور»** (٤/ ٥٠٥)، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، والحكيم الترمذي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في **«البعث»**.

(٦) في جـ: تحقيق.

وحَسْبُ المُؤمِن بهذا هَوْلاً؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: الآية ٢٣].

وروت فرقة أثراً: أنّ الله تعالى يجعلُ النَّارَ يوم القيامة جامدةَ الأعلىٰ كأنها إهالةٌ فيأتي الخلقُ كلُّهم؛ برُّهم وفاجرُهم، فيقفون عليها، ثم تسوخُ بأهلِها، ويخرجُ المؤمنون الفائزون، لم ينلهم ضرٌّ، قالوا: فهذا هو الورودُ.

قال المهدوي[١]: وعن قتادةَ قال: يرد النَّاسُ جهنَّمَ وهي سَوْدَاءُ مظلِمةٌ، فأَما المؤمنُونَ فأضاءَتْ لهم حَسَناتُهم، فَنَجَوْا منها، وأما الكفارُ فأوبقتهم سَيِّئَاتُهم، وٱحْتُبِسُوا بذنوبهم. [انتهى][٢].

وروت حَفْصَةُ ـ رضي الله عنها ـ أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ وَالحُدَيْبِيَةِ» قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه، وأَيْنَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ مِنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ فَقَالَ ﷺ: «فَمَهْ[٣]، ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾»[٤] ورجح الزجاجُ[٥] هذا القَوْلَ؛ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الحُسْنَىٰ أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١].

ت: وحديثُ حفصةَ هذا أَخرجهُ مُسْلِم، وفيه: «أَفلم تَسْمَعِيهِ يقولُ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾»[٦].

وروى ابنُ المبارك في «**رقائقه**»: أَنه لما نزلت هذه الآية: ﴿وإنْ منكم إلاَّ واردها﴾ ذهب ابن رواحَةَ إلى بَيْتِهِ فَبكى [فَجاءَتِ ٱمْرَأَتُهُ، فَبَكَتْ]،[٧] وَجَاءَتْ الخَادِمُ فَبَكَتْ، وجاءَ

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٣٦٥).

(٢) سقط في جـ.

(٣) في جـ: مه.

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ٢٨٥)، وابن ماجه (٢/ ١٤٣١) كتاب «الزهد»: باب ذكر البعث، حديث (٤٢٨١)، وهناد في «**الزهد**» (١/ ١٦٥) رقم (٢٣٠) كلهم من طريق الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر عن حفصة به.
قال البوصيري في «**الزوائد**» (٣/ ٣١٥): هذا إسناد صحيح إن كان أبو سفيان سمع من جابر بن عبد الله اهـ.
وأخرجه أيضاً من طريق الأعمش ـ أبو يعلى (١٢/ ٤٧٣) رقم (٧٠٤٤).
والحديث ذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٤/ ٢٨٢)، وزاد نسبته إلى ابن سعد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري، والطبراني، وابن مردويه.

(٥) ينظر: «**معاني القرآن**» (٣/ ٣٤٠، ٣٤١).

(٦) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٤٢) كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان، حديث (١٦٣/ ٢٤٩٦)، وأحمد (٦/ ٤٢٠) كلاهما من طريق حجاج بن محمد: أخبرنا ابن جريج، أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة... فذكر الحديث.

(٧) سقط في جـ.

أَهْلُ البَيْتِ فَجَعَلُوا يَبْكُونَ، فَلَمَّا انقَضَتْ عَبْرَتُهُ، قَالَ: يَا أَهْلاَهُ، مَا يُبْكِيكُمْ، قَالُوا: لاَ نَدْرِي، وَلَكِنْ رَأَيْنَاكَ بَكَيْتَ فَبَكَيْنَا، فَقَالَ: آيَةٌ نَزَلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّه ﷺ يُنَبِّئُنِي فِيهَا رَبِّي أَنِي وَارِدٌ النَّارَ، وَلَمْ يُنَبِّئْنِي أَنِّي صَادِرٌ عَنْهَا، فَذَلِكَ الَّذِي أَبْكَانِي[١]. انتهى.

١٦أ وَقال ابنُ مَسْعُودٍ: ورودُهُمْ / : هو جَوَازُهُمْ على الصِّراطِ[٢]، وذلك أَنَّ الحديث الصَّحيحَ تضمن أَنَّ الصراط مَضْرُوبٌ على مَتْنِ جهنم.

والحَتْمُ: الأَمر المنفذُ المجزُوم، و﴿الَّذِين اتَّقوا﴾: معناه اتَّقَوْا الكُفر ﴿ونَذَرُ﴾ دالةٌ على أَنهم كَانُوا فيها.

قال أَبُو عُمَر بنُ عَبْدِ البَرِّ في «التمهيد» بعد أَن ذكر روَاية جابر، وابنِ مَسْعُودٍ في الوُرُودِ: وروي عن كَعْبٍ أَنه تَلاَ: ﴿وإِنْ مِنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ فقال: أَتَدْرُونَ مَا وُرُودُهَا؟ إِنه يُجَاءُ بجهنَّم فتُمْسكُ للناس كأَنها متْن إِهَالَة: يعني: الوَدَك الذي يجمد على القِدْر من المرقَةِ، حَتَّى إِذا استقرت عليها أَقدَام الخَلاَئِق: بَرّهم وفَاجرُهم، نَادَى مُنَادٍ: أَنْ خُذِي أَصْحَابك، وذَرِي أَصْحَابِي، فيُخْسَفُ بكلِّ وليٍّ لها، فَلَهِيَ أَعلَمُ بهم مِنَ الوَالِدَة بولَدِهَا، وينجو المُؤْمِنُونَ نَدِيَّة ثيابهم[٣].

وروي هذا المعنى عن أَبي نَضْرَةَ، وزاد: وهو معنى قولِه تَعالَى:: ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ [يٰسٓ: ٦٦]. انتهى.

وقوله تعالى: ﴿وإِذا تُتْلَى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاماً. . .﴾ الآية، هذا افتخارٌ من كفار قريش؛ وأنه إنما أنعم اللّه عليهم؛ لأَجْلِ أَنهم على الحقِّ بزعمهم. والنَّدِيّ، والنَّادِي: المجْلِسُ، ثم رد اللّه تعالى حُجَّتَهم وحقَّر أَمْرهم؛ فقال تعالى: ﴿وكم أَهلكنا قبلهم من قَرْن هم أَحسن أَثاثاً ورِءياً﴾ أيْ: فلم يُغْنِ ذلك عنهم شَيْئاً[٤]، والأَثَاثُ: المال العين، والعَرْض[٥] والحيوان.

وقرأَ نافِعٌ[٦] وغيرُه: «ورءيا» بهمزةٍ بعدها ياءٌ؛ من رُؤْيةِ العَيْنِ.

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٢٨٢)، وعزاه إلى أحمد، وابن المبارك، كلاهما في «الزهد»، وابن عساكر.

(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٧)، وابن كثير (٣/ ١٣٢).

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ٣٦٥) رقم (٢٣٨٣٨)، وذكره ابن كثير (٣/ ١٣٣).

(٤) سقط في جـ، وفي ب شيئاً.

(٥) في جـ: العروض.

(٦) ينظر: «السبعة» (٤١١، ٤١٢)، و«الحجة» (٥/ ٢٠٩)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٢٣)، و«معاني القراءات» (٢/ ١٣٨)، و«العنوان» (١٢٧)، و«حجة القراءات» (٤٤٦)، و«شرح شعلة» (٤٨٧)، و«إتحاف» (٢/ ٢٣٩).

قال البخاري[١]: ورءياً: منظراً.

وقرأ نافعٌ أيضاً، وأهل المدينة: «وَرِيّاً» بياء مشددة، فقيل: هي بمعنى القِرَاءةِ الأُولى، وقيل: هي بمعنى الرِّيِّ في السُّقْيَا؛ إذْ أَكْثَر النعمة مِنَ الريِّ والمطر.

وقرأ ابنُ جُبَيْر، وابنُ عباسٍ، ويزيدُ البربري: «وَزِيّاً» بالزاي المعجمة؛ بمعنى: المَلْبَس. [وأما][٢]:

﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾.

قوله سبحانه: ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمٰن مداً﴾، فيحتمل أنْ يكون بمعنى الدُّعَاءِ والابْتِهَال؛ كأنه يقولُ: الأَضَلّ مِنّا ومنكم مد اللّه له، أيْ: أَمْلَىٰ له؛ حَتَّى يؤول ذلك إلَى عذابه، ويحتمل أنْ يكون بمعنى الخبر؛ أنه سبحانه هذه عَادَتُه: الإمْلاَءُ للضَّالِينْ: ﴿حَتَّى إذا رأَوا مَا يُوعَدُون إمَّا العَذَابَ﴾، أيْ: في الدنيا بنصر اللّه لِلْمُؤمِنِينَ عليهم، ﴿وإمَّا الساعةُ﴾ فيصيرون إلى النارِ، والجندُ النَّاصِرُون: القَائِمُون بأَمْر الحرب، و﴿شر مكاناً﴾ بإزاء قَوْلِهم ﴿خير مقاماً﴾ و﴿أَضْعَفُ جُنداً﴾ بإزاء قولهم: ﴿أحسن ندياً﴾ ولما ذكر سبحانه ضَلاَلَةَ الكَفَرةِ وافتخارَهُم بنِعَم الدنيا عَقَّبَ[٣] ذلك بذكر نِعْمة اللّه على المؤمِنينَ في أنه يزيدهم هُدًى في الارْتِبَاط بالأَعمالِ الصَّالحة، والمعرفة بالدَّلائل الوَاضِحَة، وقد تقدَّم تَفْسِيرُ البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ عن النبيِّ ﷺ: «وأنها: سُبْحَانَ اللّهِ، والحمْدُ لِلَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إلاَّ اللّهُ، واللّهُ أَكْبَرُ» وقد قال ﷺ لأَبِي الدَّرْدَاءِ: «خُذْهُنَّ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكَ، وَبَيْنَهُنَّ؛ فَهُنَّ البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ، وَهُنَّ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ[٤]»، وعنه ﷺ أنه قَالَ: «خُذُوا جُنَّتَكُم، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ، أَمِنْ عَدُوٍّ حَضَرَ؟ قَالَ: مِنَ النَّارِ، قَالُوا: مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قَالَ: سُبْحَانَ اللّهِ، والحمْدُ لِلَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ، واللّهُ أَكْبَرُ، وَهُنَّ البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ»[٥].

---

(١) ينظر: «صحيح البخاري» (٨/ ٢٨٠) كتاب التفسير: باب كَهيعَصَ.

(٢) سقط في جـ.

(٣) في ب، جـ: عَقَّبَ الله.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٩١)، وذكره الهندي في «كنز العمال» (٤٣٦٦٤)، وعزاه للطبراني عن أبي الدرداء.

(٥) أخرجه الحاكم (١/ ٥٤١)، والطبراني في «الصغير» (١/ ١٤٥)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ١٧-=

وكَان أَبو الدرداء يقولُ إِذَا ذكر هذا الحدِيثَ: لأُهَلِّلَنّ، ولأُكَبِّرنَّ اللّه، ولأُسَبِّحَنَّهُ حَتَّى إِذَا رَآنِي الجَاهِلُ ظَنَّنِي مَجْنُوناً[١].

ت: ولو ذكرنا ما ورد مِنْ صَحِيحِ الأَحادِيث في هذا الباب، لخرجنا بالإِطالة عن مقصُودِ الكتاب.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾﴾.

وقوله/ سبحانه: ﴿أفرأيت[٢] الذي كفر بآياتنا﴾ هو العَاصِي بْنُ وَائِلِ السَّهْمِيُّ؛ قاله ٦ ب جمهورُ المفسرين، وكان خبره أَنَّ خَبَّابَ بْنَ الأَرَتّ كان قَيْناً في الجاهلية، فعمل له عملاً، واجتمع له عنده دَيْن؛ فجاءه يَتَقاضَاهُ، فقال له العاصِي: لا أقضيك حتَّى تكفُرَ بمحمدٍ، فقال خَبَّابٌ: لا أكفرُ بمحمَّدٍ حتى يُميتَكَ اللّهُ، ثم يبعثك؛ فقال العاصي: أَوَ مبعُوثٌ أنا بعد الموت؟! فقال: نعم، فقال: فإِنه إِذَا كان ذلك، فسيكُونُ لِي مَالٌ، ووَلَدٌ، وعند ذلك أَقضيكَ دَيْنَكَ؛ فنزلت الآيَةُ في ذلك.

وقال[٣] الحسنُ: نزلتْ في الْوَلِيدِ بنِ المُغِيرة.

قال: *ع*[٤]: وقد كانت لِلْوَلِيدِ أَيْضاً، أَقْوَالٌ تشبه هذا الغرض.

ت: إِلاَّ أَنَّ المسند الصحيح في «البخاري» هو الأَول.

= ١٨)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٠٨٥) كلهم من طريق محمد بن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة به.
وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٩٢) وقال: رواه الطبراني في «الصغير» و «الأوسط»، ورجاله ثقات.
وقد طعن أبو حاتم كما في «العلل» (٢/ ١٠٠) رقم (١٧٩٣) في هذا الحديث.
وله طريق آخر عند الخطيب: فأخرجه في «تاريخه» (٩/ ٣٣٦) من طريق صلة بن سليمان العطار عن أشعث عن ابن سيرين عن أبي هريرة به.
ونقل الخطيب عن أبي حاتم قوله في صلة: متروك الحديث، أحاديثه عن أشعث منكرة.

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٣٧٤) رقم (٢٣٨٩٨)، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٠)، وابن كثير (٣/ ١٣٥).
(٢) في جـ: يعني أفرأيت.
(٣) ذكره ابن عطية (٤/ ٣٠).
(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٣٠).

وقولُه: ﴿أَم اتخذ عند الرحمٰن عهداً﴾ معناه بالأَيمان، والأَعمال الصالحات[١].

و﴿كَلاَّ﴾ زَجْرٌ، وردٌّ، وهذا المعنى لاَزِمٌ لـ «كَلاَّ»، ثم أَخبر سبحانه: أَن قولَ هذا الكافر سَيُكْتب علىٰ معنى حِفْظه عليه، ومعاقبته[٢] به، ومدّ العذاب: هو إطالتُه وتَعْظِيمه.

﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ونرثه ما يقول﴾ أَيْ: هذه الأَشياء التي سمّى أنه يُؤْتَاها في الآخرة، يرث اللّهُ ماله منها [في الدنيا؛ بإِهلاكه، وتَرْكِه لها، فالوراثة[٣] مستعارةٌ][٤].

وقال النحاس[٥]: ﴿نرثه ما يقول﴾ معناه: نحفظه عليه؛ لنعاقبه به؛ ومنه قوله ﷺ: «العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ» أي: حفظة ما قالوا.

قال *ع[٦]*: فكأَنَّ هذا المجرم يورث هذه المقالة.

وقوله: ﴿ويكونون عليهم ضِدّاً﴾ معناه: يجدونهم خِلاَفَ ما كانوا أمّلُوه في مَعْبُودَاتِهِم؛ فَيَؤُولُ ذلك بهم إِلى ذِلَّة، وضِدُّ ما أملوه من العزّ، وغيره، وهذه صفة عامة.

و﴿تؤزهم﴾ معناهُ: تُقْلِقُهم وتحرِّكُهم إِلى الكفر والضلالِ.

قال قتادةُ[٧]: تزعِجُهم إِزْعاجاً، وقال ابنُ زيد[٨]: تُشْلِيهم إِشْلاَءً، ومنه: أَزِيزُ القِدر، وهو غَلَيَانُه وحَرَكَته؛ ومنه الحديثُ: «أَتَيْتُ رسولَ اللّهِ ﷺ فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، وهُو يَبْكِي، وِلِصَدْرِهِ أَزِيزٌ كأَزِيزِ المِرْجَلِ»[٩].

---

(١) في ب، جـ: الصالحة.
(٢) في ب: ومعاقبته إياه.
(٣) في جـ: الوارثة.
(٤) سقط في ب.
(٥) ذكره ابن عطية (٤/ ٣١).
(٦) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٣١).
(٧) أخرجه الطبري (٨/ ٣٧٩) رقم (٢٣٩٢٦)، وذكره البغوي (٣/ ٢٠٨)، وابن عطية (٤/ ٣٢)، وابن كثير (٣/ ١٣٦)، والسيوطي (٤/ ٥٠٧)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.
(٨) أخرجه الطبري (٨/ ٣٧٩) رقم (٢٣٩٢٧)، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٢).
(٩) أخرجه أبو داود (١/ ٣٠٠) كتاب الصلاة: باب البكاء في الصلاة، حديث (٩٠٤)، والنسائي (٣/ ١٣) =

ت: هذا الحديثُ خرَّجه مسلمٌ، وأَبو دَاوُدَ عن مُطَرِّف عن أَبيه.

وقال العِرَاقِيّ: ﴿تؤزهم﴾ أيْ: تدفعهم: انتهى.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿فلا تعجل عليهم﴾ أيْ: لاَ تَسْتَبْطِىءْ عَذَابهم.

وقوله تعالى: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وَفْداً﴾.

قال *ع[١]*: وظاهر هذه الوفادة[٢] أَنها بعد ٱنقضاءِ الحساب، وإِنما هي النهوضُ إِلَى الجنَّة، وكذلك سوقُ المجرمين إِنما هو لدخُولِ النَّارِ.

و﴿وفداً﴾ قال المفسرون: معناه رُكْباناً، وهي[٣] عادةُ الوفود؛ لأَنهم سَرَاةُ الناسِ، وأَحسنهم شَكْلاً، وإِنما شَبَّهَهم بالوفْدِ هيئة، وكرامة.

وروي عن عَلِيّ ـ رضي اللّه عنه ـ أَنهم يَجِيئُونَ رُكْباناً على النُّوقِ المحلاَّة بِحِلْيَةِ الجنَّة: خطمُها من يَاقُوتٍ، وزَبَرْجَدٍ[٤]، ونحو هذا.

وروى عمرو بْنُ قيس المَلاَّئِي: أَنهم يركبون على تماثيل مِنْ أَعمالهم الصَّالِحة، وهي

= كتاب السهو: باب البكاء في الصلاة، حديث (١٢١٤)، والترمذي في «**الشمائل**»رقم (٣٢٣)، وأحمد (٤/ ٢٥، ٢٦)، وعبد بن حميد في «**المنتخب من المسند**»رقم (٩٠٠)، وابن خزيمة (٩٠٠)، وأبو يعلى (٣/ ١٧٤ـ٧٥) رقم (١٥٩٩)، وابن حبان (٥٢٢ـ موارد)، والحاكم (١/ ٢٦٤)، والبيهقي (٢/ ٢٥١) كتاب الصلاة، كلهم من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه به.
وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي.
وصححه ابن خزيمة، وابن حبان.
تنبيه: عزا المؤلف هذا الحديث لمسلم، وقد وهم في ذلك.
وينظر: «**تحفة الأشراف**» (٤/ ٣٥٩).

(١) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٣٢).
(٢) في ب: الرفادة.
(٣) في جـ: وهو.
(٤) أخرجه الطبري (٨/ ٣٨٠) رقم (٢٣٩٢٩)، وذكره البغوي (٣/ ٢٠٩)، وابن عطية (٤/ ٣٢)، وابن كثير (٣/ ١٣٧)، والسيوطي (٤/ ٥٠٨)، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد الله بن أحمد في «**زوائد المسند**»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والحاكم وصححه، والبيهقي في «**البعث**» عن علي.

في غَاية الحُسْن[١].

وروي: أَنه يركب كُلُّ واحدٍ منهم ما أَحبَّ؛ فمنهم: مَنْ يركبُ الإِبلَ، ومنهم: مَنْ يركب الخَيْلَ، ومنهم مَنْ يركب السُّفُنَ، فتجيء عَائِمَةً بهم، وقد ورد في «الضَّحَايَا»: أَنها مَطَايَاكُمْ إِلَى الجَنَّةِ[٢]؛ وأَكْثَر هذه فيها ضَعْفٌ مِنْ جهة الإِسْناد، والسَّوْقُ: يتضمن هَوَاناً، والوِردُ: العطاش؛ قاله[٣] ابن عباس، وأَبُو هريرة، والحَسَنُ[٤].

١٧ واختُلِفَ في الضَّمِير في قوله: ﴿[لا] يملكون[٥]﴾ فقالت / فِرْقَةٌ: هو عائد على ﴿المُجْرِمين﴾ أي: لا يملكون أَنْ يَشْفَعَ لهم؛ وعلى هذا فالاِسْتِثْنَاءُ مُنقَطِع، أَيْ: لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً يشفعُ له.

والعهدُ عَلَى هذا الأَيمان، وقال ابنُ عباسٍ: العهدُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ[٦]، وفي الحدِيث: يقول اللَّهُ تعالى يَوْمَ القِيَامة: «مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدِي عَهْدٌ، فَلْيَقُمْ».

قال ع[٧]: ويحتمل: أَنْ يكون المجرمون يعمُّ الكَفَرَةَ والعُصَاة، أَيْ: إِلاَّ من اتخذ عند الرحمٰن عَهْداً من عُصَاةِ المؤمِنِينَ؛ فإِنه يشفع لهم، ويكون الاِسْتِثْناء مُتَّصِلاً.

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٣٨٠) رقم (٢٣٩٣٢) نحوه، وذكره ابن عطية ٤/ ٣٢)، وابن كثير (٣/ ١٣٧) نحوه.

(٢) قال السخاوي في المقاصد ص (٥٨): أسنده الديلمي من طريق ابن المبارك عن يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة رفعه بهذا، ويحيى ضعيف جداً، ووقع في **«النهاية»** لإمام الحرمين، ثم في **«الوسيط»** ثم في **«العزيز»**: «عظموا ضحاياكم، فإنها على الصراط مطاياكم»، وقال الأول: معناه: إنها تكون مراكب للمضحين، وقيل: إنها تسهل الجواز على الصراط، لكن قد قال ابن الصلاح: إن هذا الحديث غير معروف ولا ثابت فيما علمناه. وقال ابن العربي في **«شرح الترمذي»**: ليس في فضل الأضحية حديث صحيح، ومنها: قوله: «إنها مطاياكم إلى الجنة».

(٣) سقط في جـ.

(٤) أخرجه الطبري (٨/ ٣٨١) عن ابن عباس برقم (٢٣٩٣٦)، وعن أبي هريرة برقم (٢٣٩٣٧) وعن الحسن برقم (٢٣٩٣٨)، وذكره البغوي (٣/ ٢٠٩)، وابن عطية (٤/ ٣٢)، وابن كثير (٣/ ١٣٨)، والسيوطي (٤/ ٥٠٩، ٥١٠)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في **«البعث»** عن ابن عباس، وعزاه أيضاً لابن المنذر عن أبي هريرة، ولهناد عن الحسن.

(٥) في ب، جـ: يملكون.

(٦) أخرجه الطبري (٨/ ٣٨١) برقم (٢٣٩٤٣)، وذكره البغوي (٣/ ٢٠٩) ولم يعزه لأحد، وابن عطية (٤/ ٣٢)، وابن كثير (٣/ ١٣٨)، والسيوطي (٤/ ٥١٠)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في **«الأسماء والصفات»** عن ابن عباس.

(٧) ينظر **«المحرر الوجيز»** (٤/ ٣٢).

وقالت فِرْقَةٌ: الضميرُ في[(١)] ﴿لا يملكون﴾ للمتقين.

وقوله: ﴿إلا من اتَّخذ...﴾ الآية أي: إلاَّ من كان له عملٌ صَالِحٌ مبرورٌ؛ [فيشفَعُ] فيُشَفَّع[(٢)]، وتحتملُ الآيةُ أنْ يُرادَ بـ «مَنْ» النبي ﷺ، وبالشَّفَاعَة الخاصَّة له العامة في أهل الموقِفِ، ويكون الضميرُ في ﴿لا يملكون﴾[(٣)] لجميع أَهْلِ الموقف؛ أَلا تَرَى أنَّ سَائِرَ الأنبياء يتدافعون الشفاعةَ إِذْ ذَاكَ، حَتَّى تصيرَ إليه ﷺ.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الرحمٰن ولدا﴾.

قال البَاجِيُّ في **«سنن الصالحين»** له: رُوِيَ عن ابن مَسْعُودٍ، أنه قال: إنَّ الجبل ليقولُ للجبل: يا فلانُ، هل مَرَّ بِكَ اليومَ ذَاكِرٌ لله تعالى؟ فإنْ قال: نعم، سُرَّ بِهِ[(٤)]، ثُمَّ قرأ عبدُ اللّهِ: ﴿وقالوا اتخذ الرحمٰن ولداً لقد جئتم شَيْئاً إِدّا﴾ إِلىٰ قوله: ﴿وتخر الجبال هدّاً أن دعوا للرحمٰن ولدا﴾ قال: أَترونَها تسمع الزُّورَ، ولا تَسْمَعُ الخيْرَ[(٥)]. انتهى.

وهكذا رواه ابنُ المُبَارك في **«رقائقه»** وما ذكره ابنُ مسعودٍ لا يقالُ من جهة الرأْيِ، وقد رُوِيَ عن أَنسٍ، وغيرِهِ نحوه.

قال الباجي بإِثْرِ الكَلاَمِ المتقدم: وروى جعفرُ بْنُ زَيْدٍ، عن أَنَسِ بن مَالِكٍ أنه قالَ: مَا مِنْ صَبَاحٍ وَلاَ رَوَاحٍ إلاَّ وتُنَادِي بِقَاعُ الأرض بعضها بعضاً: أَيْ جَارَةُ، هَلْ مَرَّ بِكِ اليَوْمَ عَبْدٌ يُصَلِّي أَو يَذْكُر اللّه؟ فَمِن قائلةٍ: لاَ، ومِنْ قَائِلَةٍ: نَعَمْ، فإذا قَالَتْ: نَعَمْ، رأت لها فَضْلاً بذلك. انتهى.

﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

---

(١) في جـ، ب: في قوله.
(٢) في ب: ليشفع.
(٣) في جـ: في يملكون.
(٤) ذكره السيوطي (٤/ ٥١١) وعزاه لابن المبارك، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وأحمد في **«الزهد»**، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في **«العظمة»**، والطبراني، والبيهقي في **«شعب الإيمان»** عن طريق عون عن ابن مسعود.
(٥) ذكره السيوطي (٤/ ٥١١)، وعزاه لعون.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾.

وقوله سبحانه: ﴿لقد جِئْتم شَيْئاً إِدًّا﴾ الآية، الإِدُّ: الأَمرُ الشنيعُ الصَّعْبُ.

ت: وقالَ العِرَاقِي: «إِدًّا»، أَيْ: عَظِيماً، انتهى.

والانْفِطَارُ: الانْشِقَاقُ، والهَدُّ: الانْهِدَامُ، قال محمدُ بنُ كَعْبٍ[١]: كاد أَعداءُ اللّه أَنْ يُقِيمُوا علينا السَّاعَةَ.

وقوله: ﴿إِن كُلُّ مَنْ في السمْوات...﴾ الآية، إِنْ نافيةٌ بمعنى مَا.

وقوله: ﴿فرداً﴾ يتضمنُ عَدَمَ النصير، والحَوْلِ والقُوّةِ، أَيْ: لا مُجِير له مما يُريد اللّهُ به.

وعبارة الثَّعْلَبِيّ: «فرداً» أَيْ: وحيداً بعمله، ليس معه من الدنيا شيءٌ. اهـ.

ت: وهذه الآيةُ تُنظر إِلى قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ...﴾ الآية. [الأنعام: ٩٤].

وقوله تعالى: ﴿سيجعل لهم الرحمٰن وداًّ﴾ ذهب أكثرُ المفسرين إِلى: أن هذا الوُدّ هو القبول الذي يضعه اللّهُ لمن يحب مِنْ عباده؛ حَسْبَمَا في الحديث الصَّحيح المأثور، وقال عُثْمان بن عَفّان ـ رضي اللّه عنه ـ: أَنها بمنزلة قولِ النبيِّ ﷺ «من أَسَرَّ سَرِيرةً أَلْبَسَهُ اللّهُ رِدَاءَها»[٢].

ت: والحديثُ المتقدِّمُ المُشَارُ إِليه أَصلُهُ في **«الموطإ»** ولفظه: مالك، عن سُهَيْل بن أبي صالح السَّمان، عن أَبيه، عن أَبِي هريرَةَ؛ أَنَّ رسولَ اللّه ﷺ قال: «إِذَا أَحَبَّ اللّهُ العَبْدَ قَالَ لِجِبْرِيلُ: يَا جِبْرِيلُ قَدْ أَحْبَبْتُ فُلاَناً فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي في أَهْلِ السَّمَاءِ[٣]: إِنَّ اللّهَ أَحَبَّ فُلاَناً، فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَضَعُ لَهُ القَبُولَ فِي الأَرْضِ».

وَإِذَا أَبْغَضَ الْعَبْدَ، قَالَ مالكٌ: لا أَحْسبُه إِلاَّ قال في [البُغْضِ][٤] مثلَ ذلك[٥].

---

(١) ذكره ابن عطية (٤/ ٣٤).
(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ٣٤).
(٣) في جـ: السموات.
(٤) سقط في ب.
(٥) أخرجه مالك (٢/ ٩٥٣) كتاب الشعر: باب ما جاء في المتحابين في الله، حديث (١٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٣٠) كتاب البر والصلة: باب إذا أحب الله عبداً، حديث (١٥٧/ ٢٦٣٧)، والترمذي (٥/ ٣١٧ ـ =

قال أَبُو عُمرَ [بن عبد البرِّ][١] في «التمهيد»[٢] / ، وممن رَوَى هذا الحدِيثَ عن ٧ ب
سُهَيْل، بإِسناده هذا[٣] فذكر البُغْضَ من غير شَكٍّ معمرُ وعبدُ العزيز بن المختار، وحماد بنُ سَلَمة، قالوا في آخره: وإِذَا أَبْغَض بمثل[٤] ذلك، ولم يشكوا.

قال أَبو عُمَر: وقد قال المفسِّرُون في قوله تعالى: ﴿سيجعل لهم الرحمٰن ودًّا﴾: يُحِبُّهم ويُحبِّبُهم إِلى الناس، وقاله مُجَاهِدٌ، وابنُ عباس[٥]، ثم أَسند أَبو عُمَرَ عن كَعْبٍ أنه قال: واللّهِ مَا اسْتَقَر لعبدٍ ثَنَاءٌ في أَهْل الدُّنْيَا حتى يَسْتَقِرَّ له في أَهْل السماء.

قال كعبٌ: وقرأتُ[٦] في التوراة أنه لم تكن مَحَبَّةٌ لأَحَدٍ من أَهْل الأَرْضِ إِلاَّ كان بَدْأَها مِنَ اللّه عز وجل ينزلها عَلَىٰ أَهْل السماء، ثم ينزلها على أَهْل الأرض، ثم قرأت القرآن، فوجدتُ فيهِ: ﴿إِنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمٰن ودًّا﴾ وأَسْنَد أَبو عمر، عن قتادة [قال][٧]: قال هَرِم بْنُ حَيَّان: ما أَقْبَلَ عبدٌ بقلبه إِلى اللّهِ تعالى إِلاَّ أَقبل اللّهُ بقلوب أَهْل الإيمان عليه حَتَّى يرزُقَه مودَّتَهُمْ ورحْمَتَهُمْ. انتهى[٨].

قال ابنُ المُبَارَك في «رقائقه»: أَخبرنا سُلَيْمَان بْنِ المُغِيرة، عن ثابت قال: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللّهِ، مَنْ أَهْلُ الجَنَّة؟ قال: «مَنْ لاَ يَمُوتُ حَتَّى يَمْلأَ [اللّهُ][٩] سَمْعَهُ[١٠] مِمَّا

= ٣١٨) كتاب «التفسير»: باب «ومن سورة مريم»، حديث (٣١٦١)، وأحمد (٢/ ٢٦٧، ٣٤١)، وعبد الرزاق (١٩٦٧٣)، وابن حبان (٣٦٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٣٠٦) كلهم من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وأخرجه البخاري (١٣/ ٤٦٩) كتاب التوحيد: باب كلام الرب عز وجل مع جبريل، حديث (٧٤٨٥) من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة.

(١) سقط في ب، جـ.
(٢) ينظر: «التمهيد» (٢١/ ٢٣٧ـ ٢٣٨).
(٣) في جـ: هذه.
(٤) في جـ، ب: مثل.
(٥) أخرجه الطبري (٨/ ٣٨٥) عن مجاهد برقم (٢٣٩٦١)، وعن ابن عباس برقم (٢٣٩٦٥)، وذكره البغوي (٣/ ٢١٠)، وعزاه عن مجاهد، والسيوطي (٤/ ٥١٢)، وعزاه لعبد الرزاق، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير عن ابن عباس بلفظ: «محبة في الناس في الدنيا».
(٦) في جـ: قوله.
(٧) سقط في جـ.
(٨) أخرجه الطبري (٨/ ٣٨٦) رقم (٢٣٩٦٧).
(٩) سقط في ب، جـ.
(١٠) في جـ: مسامعه.

يُحِبُّ» قال: فقيل[١]: يا رسول اللّهِ، مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟ قال: «مَنْ لاَ يَمُوتُ حَتَّىٰ يَمْلأَ اللّهُ سَمْعَهُ مِمَّا يَكْرَهُ». انتهى.

قال *ع[٢]*: وفي حَدِيثِ أبي هريرة قال: قَالَ رسولُ اللّه ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ إلاَّ وَلَهُ فِي السَّمَاء صِيتٌ، فَإِنْ كَانَ حَسَناً، وُضِعَ فِي الأَرْضِ حَسَناً، وإِنْ كَانَ سَيِّئاً وُضِعَ فِي الأَرْضِ سَيِّئاً»[٣].

ت: وهذا الحديثُ خَرَّجَهُ أَبُو دَاوُدَ في كتاب «الزهد».

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يسرناه بلسانك﴾ أَيْ: القرآن ﴿لتبشر به المتقين﴾ أيْ: بالجنة، والنَّعِيم الدائم، والعِزّ في الدنيا.

و﴿قوماً لدًّا﴾ هم: قريشٌ، ومعناه: مُجَادِلِينَ مُخَاصِمِينَ، والألَدُّ: المُخَاصِمُ المبالِغُ في ذلك، ثم مثَّل لهم بإِهلاَكِ مَنْ قبلهم إِذْ كانوا أَشَدَّ مِنهُم، وأَلَدَّ وأَعْظَم قدْراً، و«الركز»: الصَّوْتُ الخفِيّ.

---

(١) في جـ: قيل.

(٢) ينظر «المحرر الوجيز» (٤/ ٣٤).

(٣) أخرجه البزار (٣٣٠٦ـ كشف) من حديث أبي هريرة.
وذكره الهندي في «كنز العمال» (٤٣٠٣٨)، وعزاه للبزار عن أبي هريرة.

تَفسِيرُ سُورَةِ طَهَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

قوله سبحانه وتعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ قوله سبحانه وتعالى: ﴿طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ قيل: طه: اسْمٌ من أسْماءِ نَبِيِّنا محمّدٍ ﷺ وقِيلَ: معناه: يا رَجُلُ؛ بالسُّرْيَانِيَّة، وقِيلَ: بغيرها مِنْ لُغَاتِ العَجَم.

قال البخاريُّ: قال ابن جُبَيْر: ﴿طه﴾: يا رجلُ، بالنَّبطِيَّة[1]. انتهى.

وقيل[2]: إنها لغةٌ يَمانِيَةٌ في «عَكٍّ»؛ وأنشد الطبريُّ[3] في ذلك: [الطويل]

دَعَوْتُ بِـ «طَه» فِي الْقِتَالِ فَلَمْ يُجِبْ ... فَخِفْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُوَائِلاً[4]

وقال آخرُ: [البسيط]

إِنَّ السَّفَاهَةَ[5] ـ طه ـ مِنْ خَلاَئِقِكُمْ ... لاَ بَارَكَ اللَّهُ فِي الْقَوْمِ الْمَلاَعِينِ[6]

وقالت فِرْقَةٌ من العُلَمَاءِ: سَبَبُ نزولِ هذه الآية أن قريشاً لما نظرت إلى عيش النبي ﷺ وشَظَفِه وكَثْرة عِبَادَته؛ قالت: إن محمداً مع ربِّه في شقاءٍ، فنزلت الآيةُ رادَّةً عليهم[7].

---

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٣٨٩) برقم (٢٣٩٨٨) بلفظ: «يا رجل كلمة بالنبطية»، وذكره ابن كثير (٣/ ١٤١).

(٢) في ب، جـ: وحكى.

(٣) ينظر: «الطبري» (١٦/ ١٣٦).

(٤) البيت لمتمم بن نويرة، و«الموئل»: الملجأ، ومُوَائِل منه: طالب النجاة، وهو اسم فاعل «واءل» أي: بادر، والشاهد في قوله: «طه» على أنها بمعنى «يا رجل». ينظر البيت في: «تفسير الطبري» (١٦/ ١٣٦)، وفيه «صفت بطه»، و«روح المعاني» (١٦/ ١٤٨).

(٥) في جـ، ب: الشفاعة.

(٦) والاستشهاد به كالاستشهاد بالبيت السابق ـ ينظر البيت في «حاشية الشهاب» (٦/ ١٧٨)، و«الطبري» (٨/ ٣٩٠)، و«مجمع البيان» (٤/ ٢)، و«الفخر الرازي» (٢٢/ ٤)، و«البحر المحيط» (٦/ ٢١٢)، و«الدر المصون» (٥/ ٣).

(٧) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٥١٦) عن الربيع بن أنس، وعزاه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

وأسند عِيَاضٌ في «الشفا»[١] من طريق أَبِي ذَرٍّ الهروي، عن الرَّبِيعِ بن أَنَسٍ قال: كان
١٨أ النبيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى / ، قَامَ عَلَى رِجْلٍ وَرَفَعَ الأُخْرَىٰ، فَأَنْزَل اللّه؛ ﴿طه﴾ يعني: طَإِ الأَرْضَ يَا محمدُ، ﴿ما أنزلنا عَلَيْكَ القُرآنَ لتشقى﴾ ولاَ خَفاءَ بِمَا في هذا كله من الإِكْرام له (ﷺ) وحُسْن المعاملة. انتهى.

[قال *ص*: ﴿لتشقى * إِلاَّ تذكرة﴾ عِلَّتانِ لِقَوْلِه: ﴿ما أنزلنا﴾. انتهى][٢].

وقد تقدم القولُ في مَسْأَلَةِ الاسْتِوَاء، وباقي الآية بيّن.

قال ابنُ هِشَام: قوله تعالى: ﴿وإِن تجهر بالقول﴾ أَيْ: فاعلم أنه غَنِيٌّ عن جهرك؛ ﴿فإِنه يعلَمُ السِّر وأَخْفَى﴾، فالجوابُ مَحذُوفٌ. انتهى.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ۝١٤﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وهل أتاك حديث موسى * إِذ رأى ناراً فقال لأهله ٱمكثوا إِني آنستُ ناراً لعلي آتيكم منها بقبسٍ أو أجد على النار هدى﴾ هذا الاسْتفهام توقيفٌ مضمنه: تَنْبِيه النفس إِلى ٱستماع ما يورد عليها، وهذا كما تبدأُ الرجل إِذا أَرَدْتَ إِخْبَارَه بأَمْرٍ غَرِيبٍ؛ فتقول: أعلمْتَ كذا، وكذا، ثم تبدأ تخبره.

وكان من قصّة مُوسَىٰ ـ عليه السلام ـ أنه رحل من مَدْيَن بأهله بِنْت شُعَيْب ـ عليه السلام ـ وهو يريدُ أَرض مِصْر، وقد طالت مُدَّة جِنَايته هُنَالِكَ، فَرَجَا خَفَاءَ أَمْرِه، وكان فيما يزعمون رَجُلاً غَيُوراً، فكان يَسِيرُ الليلَ بأَهْلِهِ، وَلاَ يَسِيرُ بالنهار مخافةَ كشفة[٣] الناس، فَضَلَّ عن طريقه في لَيْلَةٍ مُظْلمة، فبينما هو كذلك، وقد قَدَحَ بزنده، فلم يُورِ شَيْئاً ﴿إِذْ رَأَى ناراً فقال لأهله امكُثُوا﴾، أَيْ: أَقِيموا، وذهب هو إِلى النار، فإِذا هي مُضْطَرِمةٌ في شَجَرةٍ خَضْرَاءَ يانِعةٍ، قيل: كانت من عُنَّابٍ، وقِيلَ: من عَوْسَجٍ[٤]، وقِيلَ: من عُلَّيْقٍ[٥]، فكلَّما

---

(١) في ب: عبارة من.
(٢) سقط في ب.
(٣) في جـ: كشف.
(٤) العَوْسَجُ: شجر من شجر الشوك، له ثمر مُدَوَّرٌ كأنه خرز العقيق. واحدته: عوسجة.
ينظر: «المعجم الوسيط» (٦٠٦).
(٥) في جـ، ب: عليقة.

دَنَا مِنْها، تباعَدَتْ منه، ومَشَتْ فإذا رجع عنها اتَّبَعَتْهُ، فلما رأَى ذَلِكَ أيقنَ أَنَّ هذا مِنْ أُمُورِ اللّه الخَارِقَةِ للعادة، ونُودِي، وانْقَضَىٰ أَمْرُه كُلّه في تلك الليلة؛ هذا[1] قول الجُمْهُورِ، وهو الحقُّ، وما حُكِيَ عن ابنِ عباسٍ: أنَّه قال: أَقامَ في ذلك الأَمْرِ حَوْلاً، فغيرُ صَحِيحٍ عن ابن عباس[2].

و﴿آنَسْتُ﴾: معناه: أَحْسَسْتُ، والقَبَسُ: الجذْوةُ من النار، تكون على رَأْس العُودِ.

والهُدَى: أراد هُدَى الطريقِ، أَيْ: لعلي أَجِدُ مرشداً لي، أَوْ دليلاً.

وفي قِصَّة مُوسَىٰ بأسْرها في هذه السورة تَسْلِيةٌ للنبي ﷺ عما لَقِيَ في تَبْلِيغه من المَشَقَّاتِ ﷺ والضميرُ في قوله: ﴿أتاها﴾: عائِدٌ على النار.

وقوله: «نُودي»: كنايةٌ عن تَكْلِيم اللّه تعالى له (عليه السلام).

وقرأَ نَافِعٌ[3] وغيرُه: إِنِّي ـ بكسر الهمزة ـ على الابْتداءِ، وقرأَ أَبُو عَمْرو، وٱبْنُ كَثِيرٍ: «أَنِّي» ـ بفتحها ـ على معنى: لأَجل أَنِّي أَنا رَبُّك، فَاخْلَعْ نعليك.

واخْتُلِفَ في السبب الذي مِنْ أَجْله أُمِرَ بخلْعِ النعلين: فقالتْ فِرْقَةٌ: كَانَتَا من جِلْد حمارٍ مَيِّتٍ، فأُمِرَ بِطَرْحِ النَّجاسَةِ.

وقالت فرقةٌ: بل كَانَتْ نَعْلاَهُ مِنْ جِلْدِ بقَرَةٍ ذَكِيّ؛ لكن أُمِر بخلعهما لينَالَ بركَةَ الوَادِي المُقدَّسِ، وتمَسَّ قَدَماهُ تُرْبَةَ الوَادِي.

قال *ع[4]*: وتحتمل الآيَةُ مَعْنًى آخَرَ، هو الأَلْيقُ بها عِنْدِي؛ وهو: أَن اللّه تعالى أمره أَنْ يتأَدَّبَ، ويتَوَاضَعَ؛ لعظم الحَالِ الَّتي حَصَلَ فيها، والعُرْف عِنْد المُلُوكِ: أَنْ تُخلَعَ

---

(١) في جـ: هذا هو.

(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ٣٨).

(٣) وكذلك قرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، غير أن نافعاً فتح الياء، وأسكنها الباقون.
ينظر: «**السبعة**» (٤١٧)، و«**الحجة**» (٥/ ٢١٨)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٢٨)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ١٤٣)، و«**شرح الطيبة**» (٥/ ٣٩)، «**وحجة القراءات**» (٤٥١)، و«**شرح شعلة**» (٤٩٠)، و«**إتحاف**» (٢/ ٢٤٤).

(٤) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٣٩).

النَّعْلاَنِ، ويبلغ الإنسان إِلَى غاية تَوَاضُعِهِ، فكأَنَّ مُوسَىٰ ـ عليه السلام ـ أُمِر بذلك عَلَى هذا الوجه، وَلاَ نُبَالِي كيفَ كَانَتْ نَعْلاَهُ من ميتة أَوْ غيرها.

و﴿المقدس﴾: معناه المطهَّرُ، و﴿طوى﴾: [معناه][1] مَرَّتَيْنِ.

فقالت فرقةٌ: معناه قُدِّسَ مرتيْنِ، وقالت فِرْقةٌ: معناه طُوِيَتْ لك الأَرْضُ مَرَّتَيْنِ من ظنك.

قال الفَخْرُ: وقِيلَ: إِنَّ طُوًى ٱسْم وادٍ بالشام، وهو عند الطُّورِ الذي أَقْسم اللّه به في القرآن.

٨ ب وقيل / : إِنَّ ﴿طُوًى﴾ بمعنى: يَا رَجُلُ، بالعَبْرَانِيَّةِ، كأنه قِيلَ: يا رجل ٱذْهَبْ إِلَى فِرْعون. انتهى «من تفسيره لسورة والنازعات».

قال *ع[2]*: وحدثني أَبِي ـ رحمه اللّه ـ قال: سمعت أَبا الفضل بْنَ الجوهري ـ رحمه اللّه تعالى ـ يقول: لما قِيل لموسى: استمع لما يُوحَىٰ، وقف على حَجَرٍ، واستند إِلَى حَجَرٍ، ووضع يَمِينه عَلَى شِمَالِهِ وأَلْقى ذَقَنَهُ على صَدْرِه، ووقف يستمع، وكان كُلُّ لباسه صُوفاً.

وقوله تعالى: ﴿وأقم الصلوٰة لذكري﴾: يحتمل أن يريدَ: لِتَذْكُرَنِي فيها، أَوْ يريد: لأَذْكركَ في عِلِّيِّينَ بها، فالمصدرُ محتمل الإضافة إِلى الفَاعِلِ، أَوِ المفعول.

وقالت فِرْقةٌ: معنى قولِهِ ﴿لذكري﴾ أيْ: عند ذِكْري، أَيْ: إِذا ذكرتني، وأمري لك بها.

ت: وفي الحديث عَنِ النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَنْ نَسِيَ صَلاَةً، فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ وَقْتُهَا[3]؛ قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِي﴾». انتهى.

---

(١) سقط في جـ.
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٣٩).
(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٢٦٩)، والبخاري (٢/ ٧٠) «كتاب مواقيت الصلاة» باب من نسي صلاة، الحديث (٥٩٧)، ومسلم (١/ ٤٧٧) «كتاب المساجد» باب قضاء الصلاة الفائتة، الحديث (٣١٤/ ٦٨٤)، والترمذي (١/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦) «كتاب الصلاة» باب ما جاء في الرجل ينسى، الحديث (١٧٨)، وابن ماجه (١/ ٢٢٧) «كتاب الصلاة» باب من نام عن الصلاة أو نسيها، حديث (٦٩٦)، والنسائي (١/ ٢٩٣)، كتاب المواقيت باب فيمن نسي صلاة (٦١٣)، وأبو داود (١/ ١٧٤) «كتاب الصلاة» باب من نام عن =

فقد بيَّن لك ﷺ ما تحتمله الآيةُ، واللّهُ الموفِّقُ بفضله؛ وهكذا استدل ابنُ العربي هنا بالحديثِ[١]، ولفظه: وقد رَوَى مَالِكٌ وغيرُه: أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ نَامَ عَنْ صَلاَةٍ أَوْ نسِيَهَا، فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا؛ فَإِنَّ اللّهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ: أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِي»[٢]. انتهى من **«الأحكام»**. **وقرأت** فرقةٌ: «لِلذِّكْرَىٰ»، **وقرأت**[٣] فرقةٌ: «لِلذِّكْرِ»، **وقرأت** فرقةٌ: «لِذِكْرَى»[٤] بغيرِ تعريف.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِن الساعة﴾: يريدُ[٥]: القيامةَ آتيةٌ، فيه تحذيرٌ وَوَعِيدٌ.

وقرأ ابنُ كَثِير، وعاصِمٌ: «أَكَاد أَخفيها» ـ بفتحِ الهمزة ـ بمعنى: أظهرها، أيْ: إنها من تيقُّن وقُوعِهَا تَكاد تَظْهَرُ، لكن تَنحَجِبُ إلى الأجلِ المعلومِ، والعربُ تقولُ: خَفَيْتُ الشَّيْءَ بمعنى: أَظْهَرْتُهُ.

= صلاة أو نسيها (٤٤٢)، وأبو عوانة (١/ ٣٨٥)، والدارمي (١/ ٢٨٠)، وابن خزيمة (٢/ ٩٧) رقم (٩٩٣)، والطحاوي في **«شرح معاني الآثار»** (١/ ٤٦٥)، وفي **«المشكل»** (١/ ١٨٧)، والبيهقي (٢/ ٢١٨)، وابن عبد البر في **«التمهيد»** (٦/ ٢٧٠)، من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول اللّه ﷺ: «من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك».
وأخرجه مسلم (١/ ٤٧٧) «كتاب المساجد» باب قضاء الصلاة الفائتة(٣١٦)، وأحمد (٣/ ٣٦٩)، وأبو نعيم(٩/ ٥٢)، بلفظ: «إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها فإن اللّه تعالى يقول: ﴿أقم الصلاة لذكري﴾.

(١) ينظر **«أحكام القرآن»** لابن العربي (٣/ ١٢٥٨).
(٢) ينظر الحديث السابق.
(٣) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٤/ ٣٩)، **«والبحر المحيط** (٦/ ٢١٨)، و**«الدر المصون»** (٥/ ١١).
(٤) في جـ: لذكر.
(٥) في جـ: يوم.

وقرأ الجمْهورُ[(١)]: «أُخْفِيهَا» ـ بضم الهمزة ـ فقيل: معناه: أظهرها، وزعموا: أَنَّ «أَخْفَيْتُ» من الأَضْدَادِ.

وقالت فرقةٌ: ﴿أكادُ﴾ بمعنى أُرِيدُ، أيْ: أرِيدُ إِخْفَاءَها عنكم؛ لتجزى كل نفس بما تسعى، واسْتَشْهَدُوا بقول الشاعر: [الكامل]

كَـادَتْ وَكِـدْتَ وَتِـلْـكَ خَـيْـرُ إِرَادَةٍ .... (٢)

وقالت فرقةٌ: أَكاد: على بَابها بمعنى: أَنها مقاربة ما لم يَقَعْ لكن الكلام جَارٍ على ٱستعارةِ العَرَبِ، ومَجَازِهَا، فلما كانت الآيةُ عبارة عن شِدَّةِ خَفَاءِ أَمْرِ القيامة ووقْتِها، وكان القَطْعُ بإِتْيَانِها مع جَهْلِ الوَقْتِ أَهْيَبُ على النفوسِ؛ بالغ ـ سُبْحَانَه ـ في إِبْهَام وقْتِها، فقال: ﴿أكاد أخفيها﴾؛ حتَّى لاَ تظهرُ أَلْبتةَ، ولكن ذلك لا يقعُ، ولا بُدَّ مِنْ ظُهُورِهَا، وهذا التَّأْوِيلُ هو الأَقْوىٰ عندي.

وقوله سبحانه: «فلا يصدنك عنها»: أيْ: عن الإِيمانِ بالسَّاعَةِ، ويحتمل عودُ الضمير على الصَّلاَةِ.

وقوله: ﴿فتردَىٰ﴾: معناه فتَهْلك، والرَّدَىٰ: الهلاكُ، وهذا الخطابُ كله لموسى عليه السلام، وكذلك ما بعده.

وقال النقاشُ: الخطابُ بـ ﴿لاَ يصدنك﴾: لنبينا محمد ﷺ وهذا بَعِيدٌ[(٣)].

وقوله سبحانه: ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ تقريرٌ مضمنه التَّنْبِيهُ، وجمعُ النفْسِ؛ لتلقى ما يورد عليها، وإِلاَّ فقد علم سُبْحَانه مَا هِيَ في الأَزَل.

---

(١) ينظر: «المحتسب» (٢/ ٤٧ ـ ٤٨)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٠)، و«الدر المصون» (٥/ ١١).

(٢) صدر بيت للأخفش، وعجزه:

.... لـو عـاد مـن لـهـو الـصـبـابـة مـا مـضـى

ينظر «الصحاح» (كود)، و«اللسان» (كود) و (كيد)، و«التاج» (كود).

وقال الزبيدي: وقال الأخفش في تفسير الآية: مَعناه: أُخفِيهَا. وفي «تَذكرة أبي عَلِيّ» أن بعضَ أهلِ التأويل قالوا: ﴿أكادُ أُخفيها﴾ مَعْنَاه أُظهِرُها، قال شَيْخُنَا: والأَكثر على بقائها على أصلها، كما في «البحْر» و«النَّهر» و«وإعْرَاب أَبي البقاءِ» و«والسَّفاقِسِيّ»، فلا حاجةَ إِلى الخُروج عن الظاهر، والله أعلم، قال السيوطيّ: وعكسه كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾ أي يكاد. قلت: وفي «اللسان»: قال بعضهم في قوله تعالى ﴿أكاد أُخْفِيهَا﴾ أريد أخفيها، فكما جاز أن تُوضَع أُريد مَوْضِعَ أكاد في قوله ﴿جِدَاراً يُرِيد أَنْ يَنْقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧]. فكذلك أكادُ، فتأمَّل.

(٣) ذكره ابن عطية (٤/ ٤٠).

قال ابنُ العَرَبِيُّ في «**أحكامه**»: وأجابَ مُوسَى عليه السلام بقوله: ﴿هي عصاي...﴾ الآيَةَ، بأَكْثَرَ مما وقَعَ السؤالُ عنه؛ وهذا كقولهﷺ: «هو الطَّهُورُ مَاؤُهُ، الحِلُّ مَيْتَتُهُ»[1] / ١٩أ
لمن سَأَلَهُ عن طَهُورِيَّةِ ماء البَحْر. انتهى.

---

(١) أخرجه مالك (١/ ٢٢) كتاب الطهارة: باب الطهور للوضوء، الحديث (١٢)، والشافعي في (١/ ١٦): كتاب الطهارة، ومحمد بن الحسن في «**الموطأ**» (٤٣) كتاب الطهارة: باب الوضوء بماء البحر، الحديث (٤٦)، وابن أبي شيبة (١/ ١٣١) كتاب الطهارات: باب من رخص في الوضوء بماء البحر، وأحمد (٢/ ٣٦١)، والدارمي (١/ ١٨٦) كتاب الطهارة: باب الوضوء من باب البحر، والبخاري في «**التاريخ الكبير**» (٣/ ٤٧٨)، وأبو داود (١/ ٦٤) كتاب الطهارة: باب الوضوء بماء البحر، الحديث (٨٣)، والترمذي (١/ ١٠٠ـ١٠١) كتاب الطهارة: باب ما جاء في ماء البحر أنه طهور، الحديث (٦٩)، والنسائي (١/ ١٧٦) كتاب الطهارة: باب الوضوء بماء البحر، وابن ماجه(١/ ١٣٦) كتاب الطهارة: باب الوضوء بماء البحر، الحديث (٣٨٦)، وابن خزيمة (١/ ٥٩) كتاب الطهارة: باب الرخصة في الغسل والوضوء من ماء البحر، الحديث (١١١)، وابن حبان في «**موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان**» كتاب الطهارة: باب ما جاء في الماء، الحديث (١١٩)، وابن الجارود ص: (٢٥) باب في طهارة الماء والقدر الذي ينجس الماء والذي لا ينجس، والدارقطني (١/ ٣٦) كتاب الطهارة: باب في ماء البحر، الحديث (١٣)، والحاكم (١/ ١٤٠ ـ ١٤١) كتاب الطهارة، والبيهقي في (١/ ٣) كتاب الطهارة: باب التطهير بماء البحر، وفي «**معرفة السنن والآثار**» (١/ ١٥٠ ـ ١٥١)، والخطيب في «**تاريخ بغداد**» (٧/ ١٣٩)، وابن بشكوال في «**الغوامض**» (ص ـ ٥٥٥)، والجوزقاني في «**الأباطيل**» رقم (٣٣١)، من رواية مالك عن صفوان بن سليم، عن سعيد بن سلمة من آل ابن الأزرق، عن المغيرة بن أبي بردة، أنه سمع أبا هريرة يقول: سألَ رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فإن نتوضأ به عطشنا. أفنتوضأ بماء البحر؟ فقال رسول الله ﷺ «هو الطهور ماؤه، الحل ميتته» وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح وقد توبع مالك على هذا الحديث فتابعه أبو أويس وعبد الرحمن بن إسحاق وإسحاق بن إبراهيم. فمتابعة الأول رواها أحمد (٢/ ٣٩٢ـ ٣٩٣)، ومتابعة الثاني والثالث، أخرجها الحاكم (١/ ١٤١) كتاب الطهارة، والبيهقي في «**معرفة السنن والآثار**» (١/ ١٥٣ـ ١٥٤) كتاب الطهارة: باب ما تكون به الطهارة من الماء.

وقد تابعه أيضا الجلاح أبو كثير، فرواه عن سعيد بن سلمة. أيضا أخرجه البخاري في «**التاريخ الكبير**» (٣/ ٤٧٨)، والحاكم (١/ ١٤١) كتاب الطهارة، والبيهقي (١/ ٣) كتاب الطهارة: باب التطهير بماء البحر. و«**معرفة السنن والآثار**» (١/ ١٥٤) كتاب الطهارة باب ما تكون به الطهارة من الماء.

وممن روى هذا الحديث عن أبي هريرة غير المغيرة سعيد بن المسيب. أخرجه الدارقطني (١/ ٣٧) رقم (١٥) والحاكم (١/ ١٤٢) من طريق عبد الله بن محمد القدامي ثنا إبراهيم بن سعد عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة به.

وسكت عنه الحاكم والذهبي وعبد الله بن محمد القدامي ضعيف.

قال ابن عدي (٤/ ٢٥٨): عامة أحاديثه غير محفوظة وهو ضعيف على ما تبين لي من رواياته واضطرابه فيها ولم أر للمتقدمين فيه كلاماً فأذكره.

أبو سلمة بن عبد الرحمن عنه:

=

....

= أخرجه الحاكم (١/ ١٤٢)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٣٢) من طريق سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ثنا محمد بن غزوان قال: ثنا الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة به.
ومحمد بن غزوان قال أبو زرعة: منكر الحديث، وقال ابن حبان: يقلب الأخبار ويسند الموقوف.
ينظر «**المجروحين**» (٢/ ٢٩٩)، «**المغني**» (٢/ ٦٢٣) رقم (٥٨٩٢) وقد صحَّح هذا الحديث جمع من الأئمة والحفَّاظ منهم:
١ـ البخاري فقال: هو حديث صحيح كما نقل عنه الترمذي في «**العلل الكبير**» (١/ ٤١) رقم (٣٣).
٢ـ الترمذي فقال: حسن صحيح.
٣ـ ابن خزيمة: بإخراجه في صحيحه وسكوته عليه.
٤ـ ابن حبان: بإخراجه في صحيحه وسكوته عليه، وقال في «**المجروحين**» (٢/ ٢٩٩): حديث أبي هريرة صحيح.
٥ـ الحاكم.
٦ـ البيهقي في «**معرفة السنن والآثار**» (١/ ١٥٢) ونقل قول البخاري في تصحيح الحديث.
٧ـ الجوزقاني في «**الأباطيل**» فقال: هذا حديث حسن وغيرهم كثير.
وفي الباب عن علي، وجابر، وعبد الله بن عمرو، وأبي بكر، وابن عباسٍ، وأنس، والفِراسِيِّ، وابن عمر، وعبد الله المدلجي، وسليمان بن موسى، ويحيى بن أبي كثير مرسلا.
أما حديث علي: رواه الدارقطني (١/ ٣٥) كتاب الطهارة باب في ماء البحر، الحديث (٦)، والحاكم (١/ ١٤٢ـ١٤٣) كتاب الطهارة كلاهما من رواية ابن عقدة الحافظ، ثنا أحمد بن الحسين بن عبد الملك، ثنا معاذ بن موسى، ثنا محمد بن الحسين، حدثني أبي عن أبيه، عن جده، عن علي قال: سئل رسول الله ﷺ عن ماء البحر فقال: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته».
قال الحافظ في «**التلخيص**» (١/ ١٢): وفيه من لا يعرف.
وحديث جابر: رواه أحمد (٣/ ٣٧٣)، وابن ماجه (١/ ١٣٧) كتاب الطهارة باب الوضوء بماءالبحر، الحديث (٣٨٨)، والدارقطني (١/ ٣٤) كتاب الطهارة باب في ماء البحر، الحديث (٣)، وابن خزيمة (١/ ٥٩)، وابن حبان (١٢٠ـ موارد)، وابن الجارود (٨٧٩)، والدارقطني (١/ ٣٤)، والبيهقي (١/ ٢٥٣ـ ٢٥٤)، وأبو نعيم في «**الحلية**» (٩/ ٢٢٩) من طريق إسحاق بن حازم عن عبيد الله بن مقسم عن جابر أن رسول الله ﷺ سئل عن ماء البحر فقال: «الحل ميتته، الطهور ماؤه».
قال الحافظ في «**تلخيص الحبير**» (١/ ١١): قال أبو علي بن السكن: حديث جابر أصح ما روي في هذاالباب.
وأخرجه الطبراني في «**المعجم الكبير**» (٢/ ٢٠٣). الحديث (١٧٥٩)، والدارقطني (١/ ٤٣)، والحاكم (١/ ١٤٣) كتاب الطهارة، من وجه آخر من رواية المعافي بن عمران، عن ابن جُريج، عن أبي الزبير، عن جابر به.
قال الحافظ في «**التلخيص**» (١/ ١١) إسناده حسن ليس فيه إلا ما يخشى من التدليس، ورواه الدارقطني (١/ ٣٤) أيضا من طريق مبارك بن فضالة، عن أبي الزبير.
وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص: ـ أخرجه الحاكم (١/ ١٤٣) كتاب الطهارة، من طريق الحكم بن موسى، ثنا معقل بن زياد، عن الأوزاعي، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده، أن =

....

= رسول اللّه ﷺ قال: «ميتة البحر حلال وماؤه طهور»، وقد رواه الدارقطني (١/ ٣٥) كتاب الطهارة باب في ماء البحر، الحديث (٧)، من هذا الوجه أيضاً، من رواية الحكم بن موسى، عن معقل فقال عن المثنى، عن عمرو بن شعيب ومن طريق المثنى أيضاً أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٤١٨) والمثنى بن الصباح ضعفه ابن معين وغيره وقال النسائي: متروك. ينظر «المغني» (٢/ ٥٤١) رقم (٥١٧٥).

قال الحافظ في «التلخيص» (١/ ١٢): ووقع من عند الحاكم الأوزاعي بدل المثنى وهو غير محفوظ.

وحديث أبي بكر: أخرجه الدارقطني (١/ ٣٥) كتاب الطهارة باب في ماء البحر، الحديث (٤) من طريق عبد العزيز بن أبي ثابت، عن إسحاق بن حازم الزيات، عن وهب بن كيسان، عن جابر بن عبد اللّه، عن أبي بكر الصديق أن رسول اللّه ﷺ سئل عن البحر، الحديث. وقال الدارقطني: عبد العزيز ليس بالقوي، ورواه ابن حبان في «المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين» (١/ ٣٥٥)، من وجه آخر عن أبي بكر مرفوعاً، لكنه من رواية السَّري بن عاصم، قال ابن حبان: يسرق الحديث، ويرفع الموقوف، وأخرجه الدارقطني (١/ ٣٥)، والبيهقي (١/ ٤) كتاب الطهارة باب التطهير بماء البحر، عن أبي بكر موقوفاً، وصحح وقفه الدارقطني، وابن حبان في «الضعفاء».

وحديث ابن عباس: أخرجه الدارقطني (١/ ٣٥) كتاب الطهارة باب في ماء البحر، الحديث (١٠)، والحاكم (١/ ١٤٠) كتاب الطهارة، كلاهما من رواية سريج بن النعمان، عن حماد بن سلمة، عن أبي التياح، عن موسى بن سلمة، عن ابن عباس، قال: سئل رسول الله ﷺ، عن ماء البحر فقال: «ماء البحر طهور». قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. وأقره الذهبي، لكن الدارقطني قال: الصواب أنه موقوف قال الحافظ في «التلخيص» (١/ ١١): رواته ثقات لكن صحح الدارقطني وقفه، والموقوف خرجه أحمد (١/ ٢٧٩) في مسند ابن عباس رضى اللّه عنه من طريق عفان، عن حماد بن سلمة به، وفيه: وسألته يعني ابن عباس عن ماء البحر، فقال: ماء البحر طهور.

وحديث أنس: أخرجه عبد الرازق (١/ ٩٤) كتاب الطهارة باب الوضوء من ماء البحر، الحديث (٣٢٠)، عن الثوري، عن أبان بن أبي عياش، عن أنس، عن النبي ﷺ في ماء البحر قال: «الحلال ميتته الطهور ماؤه» وأخرجه الدارقطني (١/ ٣٥) كتاب الطهارة باب في ماء البحر، الحديث(٨) من طريق محمد بن يزيد، عن أبان به وقال: أبان متروك.

وحديث الفِرَاسي أو ابن الفراسي: أخرجه ابن ماجه (١/ ١٣٦ـ ١٣٧) كتاب الطهارة باب الوضوء بماء البحر، الحديث (٣٨٧) عن سهل بن أبي سهل عن يحيى بن بكير، عن الليث بن سعد، عن جعفر بن ربيعة، عن بكر بن سوادة، عن مسلم بن مخشي عن ابن الفراسي قال: كنت أصيد وكانت لي قربة أجعل فيها ماءً، وإني توضأت بماء البحر فذكرت ذلك لرسول اللّه ﷺ فقال: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته» هكذا قال ابن ماجه: عن ابن الفراسي.

وأخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (١٦/ ٢٢٠)، من طريق أبي الزنباع روح بن الفرج القطان، عن يحيى بن بكير، وفيه عن مسلم بن مخشي، أنه حدثه أن الفراسي قال: كنت أصيد في البحر الأخضر على أرماث وكنت أحمل قربة لي فيها ماء، فذكره.

قال الترمذي في «علله» (ص: ٤١) رقم (٣٤)، قال: سألت البخاري عن حديث ابن الفراسي في ماء البحر فقال: حديث مرسل، لم يدرك ابن الفراسي النبي ﷺ. والفراسي له صحبة. =

ت: والمُسْتَحْسَنُ من الجواب: أَنْ يكون مُطَابِقاً للسؤال، أو أَعَمَّ منه؛ كما في الآية، والحديث، أَمَّا كونُه أَخَصَّ منه، فَلاَ. انتهى.

﴿وأَهُش﴾: معناه: أَخْبِطُ بها الشَّجَر؛ حتَّىٰ ينتثر الوَرَقُ لِلْغَنم، وعَصَا مُوسَى عليه السلام هي الَّتي كان أَخَذَها من بَيْتِ عِصِيِّ الأَنْبِيَاءِ عليهم السلام الَّذِي كان عند شُعَيْب عليه السلام حين اتَّفَقَا عَلَى الرَّعْي[١]، وكانت عَصَا آدم عليه السلام، هبط بها من الجَنَّةِ، وكانت من العير الَّذِي في وَرَقِ الرَّيْحَانِ، وهو الجِسْم المُسْتَطِيل في وسطها، ولما أَراد اللَّهُ سبحانه تَدْرِيب مُوسَىٰ في تلقي النبوءة، وتَكَالِيفها، أمره بإِلْقَاءِ العَصَا، فأَلْقَاهَا، فإِذا هي حَيَّةٌ تَسْعَى، أيْ تَنْتَقِلُ، وتَمْشِي، وكانت عَصاً ذَاتَ شُعْبَتَيْنِ، فصارت الشُّعْبَتَانِ فماً[٢] يلتقِمُ الحِجَارَةَ، فلما رآها مُوسَى رَأَىٰ عِبْرةً؛ فولَّى مُدْبِراً ولم يُعَقِّبْ؛ فقال اللَّهُ تعالى له: ﴿خذها ولا تخف﴾ فأَخذَها بيده، فصارت عَصاً كما كانت أَوَّل مرةٍ؛ وهي سِيرَتُها الأُولَى، ﴿واْضمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَناحِكَ﴾، أَيْ: جَنْبِك.

قال *ع[٣]*: وكُلُّ مَرْعُوبٍ من ظُلْمَةٍ ونحوها فإِنه إِذا ضَمَّ يده إِلَى جناحه، فَتَر

= قال الحافظ البوصيري في «الزوائد» (١/ ١٦١): هذا إسناد رجاله ثقات إلا أن مسلماً لم يسمع من الفراسي إنما سمع من ابن الفراسي، وابن الفراسي لا صحبة له وإنما روى هذا الحديث عن أبيه فالظاهر أنه سقط من هذا الطريق.

وحديث ابن عمر: رواه الدارقطني (٤/ ٢٦٧) باب الصيد والذبائح والأطعمة، الحديث (٢) طريق إبراهيم بن يزيد، عن عمرو بن دينار، عن عبد الرحمن بن أبي هريرة، أنه سأل ابن عمر قال: آكل ما طفا على الماء، قال: إن طافيه ميتة، وقال: قال رسول للَّه ﷺ: «إن ماءه طهور وميتته حل».

وإبراهيم بن يزيد هو الخوزي، قال النسائي والدارقطني: متروك، وذكره البخاري في «الضعفاء»، وقال الحافظ: متروك، ينظر «الضعفاء» للنسائي رقم (١٤) والدارقطني (١٣) والبخاري (١٤) و«التقريب» (١/ ٤٦).

وحديث عبد اللَّه المدلجيّ: أخرجه الطبراني في «الكبير» كما في «المجمع» (١/ ٢١٨)، وقال الهيثمي: وفيه عبد الجبار بن عمر ضعفه البخاري والنسائي، ووثقه محمد بن سعد.

أما مرسل سليمان بن موسى ويحيى بن أبي كثير: فأخرجه عبد الرازق في «المصنف» (١/ ٩٣) رقم (٣١٩).

وهذا الحديث من الأحاديث التي عدها بعض الحفاظ متواترة كالحافظ السيوطي ص (٢٣) رقم (١١) «الأزهار المتناثرة».

(١) في ب/ جـ: الرعية.

(٢) في جـ: مما.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٢).

رُعْبُهُ، وربط جَأْشه[١]، فجمع اللّه سبحانه لموسى عليه السلام تَفتِير الرُّعْبِ مع الآيةِ في اليَدِ.

ورُوِي أَنَّ يدَ مُوسَى خرجت بَيْضَاءَ تَشفّ وتُضِيء؛ كأَنَّها شَمْسٌ من غيرِ سُوءٍ، أَيْ: من غير بَرَصٍ، ولا مثلة، بل هو أمر ينحسر، ويَعُود بحكم الحَاجَةِ إليه، ولما أَمَرَه اللّه تعالى بالذَّهَابِ إِلَى فِرْعَون، علم أنها الرسالة، وفهم قدر التَّكْلِيف؛ فدعا اللَّهَ في المَعُونة؛ إِذْ لاَ حَوْلَ له إِلاَّ به.

و﴿اشرح لي صدري﴾ معناه: لفهم ما يرد عَلَيّ مِنَ الأمور، والعُقْدة التي دَعَا في حَلِّها هي التي ٱعترتْهُ بالجَمْرةِ في فِيهِ، حين جَرَّبه فرعون، وروي في ذلك: أَنَّ فِرْعون أراد قَتْلَ مُوسَى، وهو طِفل حينَ مَدَّ يَدَهُ عليه السلام إِلَى لِحْيَةِ فرعون، فقالت له ٱمرأَتُه: إِنه لا يَعْقِلُ، فقال: بل هو يَعْقِلُ، وهو عَدُوِّي، فقالت له: نجرِّبُه، فقال لها: أَفْعَلُ، فدَعا بجمَراتٍ من النَّارِ، وبطبقٍ فيه يَاقُوتٌ، فقالا: إِنْ أَخذ الياقُوتَ، عِلِمْنَا أنه يعقِلُ، وإِنْ أخذ النارَ، عَذَرْنَاهُ، فمدَّ مُوسَى يده إِلى جمرة[٢] فأَخذها، فلم تعد على يده، فجعلها في فِيهِ، فأَحْرَقَتْهُ، وأَوْرثت لِسَانَهُ عُقْدَةً، وموسى عليه السلام إنما طلب مِنْ حَلِّ العُقْدَة قدراً يُفْقَهُ معه قولُه، فجائز أَنْ تكون تِلْكَ العقدةُ قد زَالَتْ كُلُّها، وجائزٌ أَن يكون قَدْ بَقِيَ منها القَلِيلُ، فيجتمع أن يؤتى هو سُؤْلَهُ، وأنْ يقولَ فِرْعَون: ﴿وَلاَ يَكَادُ يَبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢].

ولو فرضنا زوالَ العُقْدة جملة، لكانَ قولُ فِرْعَون سَبّاً لِمُوسَى بحالته القَدِيمةَ.

وَالوَزِير: المُعِين القَائِمُ بوزر الأُمورِ، وهو ثِقَلها، فيحتمل الكَلاَمُ أَنَّ طلبَ الوَزِير من أَهْلِهِ على الجملة، ثم أَبْدَل هَٰرونَ من الوزير المَطْلُوب، ويحتمل أنْ يريدَ: وٱجْعل هَٰرُونَ وَزِيراً، فيكون مفعولاً أَوّلاً لـ ﴿ٱجْعل﴾، وكان هَٰرُونَ عليه السلام أكبر من مُوسَىٰ عليه السلام بأَرْبع سنين، والأَزْرُ: الظهر[٣]؛ قاله أَبُو عُبَيْدَة[٤].

وقوله: ﴿كَثِيراً﴾ نعتٌ لمصدرٍ مَحْذُوفٍ، أيْ: تسبيحاً كثيراً.

---

(١) فلان قوي الجأش أي القلب.
ينظر: «لسان العرب» (٥٢٩).

(٢) في جـ: الجمرات.

(٣) في ب، جـ: بمعنى الظهر.

(٤) ذكره ابن عطية (٤/ ٤٣).

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى * إذ أوْحَيْنا إلى أمك ما يوحى﴾ قيل: هو وَحْي إلهام، وقِيلَ: بملك، وقِيلَ: برؤيَا رَأَتْهَا، وكان مِنْ قصة موسى عليه السلام فيما رُوي أن فرعون ذُكِرَ له أَنَّ خرابَ مُلْكِه يكونُ عَلَى يد غُلاَم من بَنِي إسرائيل؛ فأمر بِقَتْلِ
٩ ب كُلِّ / مَوْلُودٍ يولَدُ لبني إسرائيل، ثم إنه رَأَى مع أَهْل مملكَته: أَنَّ فناء بني إسرائيل يعودُ على القِبْطِ بالضَرَرِ؛ إذْ هم كانوا عَمَلَةَ الأَرْضِ، والصناع، ونحو هذا؛ فعزم على أَنْ يقتُلَ الوِلْدَانَ سنةً، ويَسْتَحْيِيَهُم سنةً، فولد هَٰرونُ عليه السلام في سَنَةِ الاسْتِحْيَاءِ، ثم ولد مُوسَىٰ عليه السلام في العام الرابع سَنَةَ القَتْلِ، فخافت عليه أُمُّه؛ فأَوْحَىٰ اللَّه إلَيْها: ﴿أنْ ٱقذفيه في التابوت﴾ فأخذَت[1] تابُوتاً فقذفَتْ فيه مُوسَىٰ راقِداً في فِرَاشٍ، ثم قذفَتْهُ في يَمِّ النيل، وكان فرعون جَالِساً في مَوْضِعٍ يُشْرِفُ منه على النِّيلِ إذْ رَأَى التَّابُوتَ فأمَرَ به، فسِيقَ إليه، وٱمرأته معه، ففُتِحَ فرأَوْهُ فَرَحِمَتْهُ[2] ٱمرأَته؛ وطلبَتْهُ لتتَّخذَهُ ٱبناً، فأباح لها ذلك، ثم إنَّها عرضَتْهُ للرَّضَاعِ، فلم يقبلِ[3] ٱمرأَةً فجعلت تُنَادي عليه في المدينة، ويُطَافُ به يُعْرَضُ للمَرَاضِعِ، فكلما عُرِضَتْ عليه ٱمرأةٌ أَبَاهَا، وكانت أمه قالَتْ لأُخْتِه: ﴿قصيه فبصرت به﴾ [القصص: ١١] وفهمت أمره، فقالت لهم: أنا أدلُّكم على أَهْل بيت يَكْفُلُونه لَكُمْ، وهم له نَاصِحُون، فتعلَّقُوا بِهَا، وقالوا: أَنْتِ تَعْرِفِينَ هذا الصبيَّ، فأَنْكَرتْ، وقَالَتْ: لاَ، غَيْرَ أَني أَعْلم مِنْ أَهْلِ هٰذا البَيْتِ الحِرْصَ على التقرُّبِ إلى المملكةِ، والجدّ في خِدْمتها، ورِضَاهَا، فتَرَكُوها وسَأَلُوها الدَّلاَلَة، فجاءت بِأُمِّ مُوسَى، فلما قَرَّبَتْهُ، شَرِبَ ثَدْيَهَا، فسُرَّت بذلك آسِيَةُ ٱمرأَةُ فِرْعون (رضي اللَّه عنها) وقالت لها: كُونِي مَعِي في القَصْرِ، فقالت لها: ما كُنْتُ لأَدَعَ بيتي وَوَلَدِي، ولكنه يكُون عِنْدِي، فقالت: نعم، فأَحسنت إلى أَهْل ذلك البيت غَايَةَ الإِحْسَانِ،

(١) في ب: فاتخذت.
(٢) في جـ: ورحمته.
(٣) في جـ: فلم يقبل للرضاع.

واعتزَّ بنو إِسْرَائِيل بهذا الرِّضاعِ، والسبب من المَمْلَكَةِ، وأقام موسى عليه السلام حتى كَمَلَ رضاعُه، فأرْسَلت إِليها آسية: أنْ جِئِيني بولدي لِيَوْم كذا، وأمَرتْ خَدَمَها، ومَنْ مَعَها أنْ يلقينه بالتحَفِ، والهَدَايا، واللّباس؛ فوصل إِليها علىٰ ذلك، وهو بخيرِ حَالٍ وأجْمَل ثياب، فسُرّت بِهِ، ودخَلتْ به عَلَى فِرْعَوْن؟ ليراه ويَهَبَ لَهُ[1] فرآه وأعْجَبه، وقرَّبَهُ فأخذ موسى عليه السلام بِلِحْيَةِ فرعون، وجَبَذَهَا، فاسْتَشَاطَ فرعونُ، وقال: هذا عَدُوٌّ لي، وأمَر بذبْحِهِ، فَنَاشَدَتْهُ فيه ٱمرَأَتُه، وقالَتْ: إنه لاَ يَعْقِلُ، فقال فِرْعَونُ: بل يَعْقِلُ، فاتَّفَقَا عَلَى تَجْرِيبه بالجمْرَةِ[2] والياقُوتِ؛ حَسَبَ ما تقدَّمَ، فنجاه اللَّهُ من فرعون ورَجَعَ إِلى أُمِّه، فَشَبَّ عندها، فَٱعْتَزَّ به بنو إِسْرَائِيل[3] إِلى أن تَرَعْرَعَ، وكان فَتًى جَلداً[4] فَاضِلاً كَامِلاً، فاعتزت به بنو إسرائيل بظاهر ذلك الرِّضاع، وكان يحميهم، ويكون ضِلعهُ مَعهم، وهو يَعْلَمُ مِنْ نفسه أنه مِنْهُم، ومِنْ صَمِيمِهم، فكانت بصيرته في حمايتهم أكِيدة، وكان يَعْرِفُ ذلك أَعيانُ بني إِسْرَائِيل، ثم وقعت له قِصَّةُ القِبْطِيِّ المتقاتل مع الإسرائيلي على ما سيأتي إِنْ شاءَ اللَّه تَعَالى، وعدد اللَّه سبحانه عَلَىٰ موسى في هذه الآية ما تضمنته هذه القِصَّة: مِنْ لُطْفه سُبْحَانه به في كُلِّ فَضل، وتخليصه من قِصَّةٍ إِلَى أُخْرَىٰ، وهذه الفُتُون التي فتنه بها، أيْ: اختبره بها، وخلَّصَهُ حتى صلح لِلنّبوّةِ، وسلم لها.

وقوله ﴿ما يوحى﴾ / إبهامٌ يتضمن عِظَمَ الأَمْرِ وَجَلالَته وهذا كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿إِذ يَغْشَى السِّدْرةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم: ١٦] ﴿فَأَوْحَى إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]. وهو كثيرٌ في القرآن، والكلام الفصيح. ١٠أ

وقوله: ﴿فليلقه اليم بالساحل﴾ خبرٌ خرج في صِيغَةِ الأَمر[5] [مُبالغةً؛ ومنه قوله ﷺ «قُومُوا فَلأُصَلِّ لَكُمْ» فأخرج الخبر في صِيغَة الأمْرِ لنفسه، مُبَالغةً][6]، وهذا كَثِيرٌ، والمرادُ بالعدُوِّ في الآية: فرعونُ ثم أخبر تعالى مُوسَى عليه السلام أنه أَلْقى عليه مَحَبَّةً منه.

---

(١) في جـ: ويهبه.
(٢) في جـ: بالجمرات.
(٣) في جـ: بنو إسرائيل بظاهر هذا الرضاع.
(٤) الجَلَدُ: القوة والشدة، وَجَلُدَ الرجل فهو جَلْدٌ جَلِيدٌ.
ينظر: «لسان العرب» (٦٥٤).
(٥) في جـ: الأمر لنفسه.
(٦) سقط في جـ.

قالت فِرقةٌ: أَرَادَ القَبولَ الذي يضعه اللَّهُ في الأرضِ لِخَيارِ عِبَادِه، وكان حَظُّ مُوسَىٰ منه في غاية الوَفْرِ؛ وهذا أقوَىٰ ما قِيلَ هنا مِنَ الأقوال.

وقرأَ الجُمْهورُ[١]: «ولِتُصْنَعَ» بكسر اللام، وضم التاء؛ على مَعْنَىٰ: ولِتُغْذى، وتُطْعم، وتربى.

وقوله: ﴿عَلَى عَيْني﴾ معناه: بمرأىً مِنِّي.

وقوله: ﴿عَلَى قَدَرٍ﴾ أيْ: لميقاتٍ محدُودٍ للنبوَّة التي قد أرادها اللَّهُ تعالى، ﴿واصطنعتك﴾: معناه جعلْتُك مَوْضِعَ الصَّنِيعة ومقر الإِجْمال والإِحْسَان.

وقوله: ﴿لنفسي﴾ إضَافة تَشْرِيف؛ وهذا كما تقولُ: بيتُ اللَّهِ، ونحوه: «والصِّيَامُ لِي»[٢] وعبَّر بالنَّفْسِ عن شِدَّة القُرْبِ، وقوة الاخْتِصَاص.

وقوله تعالى: ﴿ولا تَنِيَا في ذِكْرِي﴾ معناه: لا تُبْطِئَا وتضعفا؛ تقولُ: وَنَى فلانٌ في كذا، إِذا تَبَاطَأَ فيه عن ضَعْفٍ، والوَنْيُ: الكَلاَلُ، والفَشَلُ في البَهَائِم والإِنْسِ.

وفي مُصْحَفِ ابن مَسْعُودٍ[٣]: «ولاَ تَهِنَا فِي ذِكْري» معناه: لاَ تَلِينَا؛ مِنْ قَوْلِك: هَيِّنٌ لَيِّنٌ. ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً﴾ أيْ: حَسِّنا لَهُ الكلمة مع إِكْمَالِ الدَّعْوة.

قال ابْنُ العَرَبي[٤] في «أحْكَامِهِ»: وفي الآية دَلِيلٌ على جواز الأَمْر بالمعرُوفِ، والنهي عن المنكر باللِّين لمن معه القُوَّة، وفي الإسرائيليات: أَنَّ مُوسَى عليه السلام أقامَ بباب فِرْعَوْن سنةً لا يجد مَنْ يبلغ كَلاَمَهُ حَتَّى لقيه حِينَ خَرَج، فجرى له ما قَصَّ اللَّهُ تعالى عَلَيْنَا من خَبَرِه؛ وكان ذلك تَسْلِيةً لمن جاء بعده مِنَ المؤْمِنِينَ في سِيرَتهم مع الظَّالِمِينَ. انتهى.

وقولهما: ﴿إننا نخافُ أَنْ يفرُطَ﴾ معناه: يعجل، ويتسرع إِلينا بمكروه.

وقوله عز وجل ﴿إِنَّني معكما﴾ أيْ بالنَّصْر والمعُونَةِ.

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٤)، و«البحر المحيط» (٦/ ٢٢٧)، و«الدر المصون» (٥/ ٢٠).
(٢) تقدم تخريجه في سورة البقرة.
(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٥)، و«البحر المحيط» (٦/ ٢٣٠).
(٤) ينظر: «أحكام القرآن» (٣/ ١٢٦٠).

﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿فأتياه فقولا إنا رسولاَ ربك فأرسل معنا بني إسْرَائِيل ولا تعذبهم...﴾ الآية جُمْلَةَ ما دُعي إليه فرعون الإيمان، وإرسال بني إسْرَائِيل، وأما تعذِيبُه بني إسْرَائيل، فبذبح أولادِهم، وتسخِيرهم وإِذْلاَلَهم.

وقولهما: ﴿والسلام على من اتَّبع الهدى﴾ يحتمل أنْ يكون آخر كلام؛ فيقوى أنْ يكون السلامُ بمعنى التَّحِيَّة؛ كأَنَّهما رَغِبَا بها عنه، وجَرَيَا على العُرْف في التسلِيم عند الفَرَاغِ مِنَ القول.

ويحتمل أَنْ يكون في دَرْجِ القول، فيكون خبراً بأن السلامة للمهتدين، وبهذين المعنيين قالت كلّ فرقة من العلماء.

وقوله سبحانه: ﴿أعطى كل شيء خلقه﴾ قالت فرقة: المعنى أَعطى كل موجود من مخلوقاتِه خلْقته، وصورته، أي: أكمل ذلك له، وأتقنه ﴿ثم هدى﴾، أي: يسّر كُلَّ شيء لمنافعه؛ وهذا أحسنُ ما قيل هنا، وأشرف معنًى وأعم في الموجودات.

وقول فرعونَ: ﴿فما بال القرون الأُولى﴾ يحتمل أن يريد ما بال القرون الأولى لم تبعث لها، ولم يوجدْ أمرك عندها؟ ويحتمل أن يريد فرعون قطعَ الكلام، والرجوعَ إلى / ١٠ ب
سؤال موسى عن حالة مَنْ سلف من الأمم؛ روغاناً في الحجّة، وحَيْدَةً.

وقيل: البالُ: الحالُ، فكأنه سأله عن حالهم، وقولُ موسى [عليه السلام]: ﴿علمها عند ربي في كتاب﴾ يريد في اللَّوْحِ المحفُوظِ، و﴿لا يضل﴾: معناه لا ينتلف ويعمه، «والأزواج» هنا: بمعنى الأنواع.

وقوله: ﴿شتى﴾ نعتٌ للأزواج، أي: مختلفة.

وقوله ﴿كلوا وأرعَوْا﴾ بمعنى هي صالحةٌ للأكل والرعي، فأخرج العبارة في صيغة الأمر؛ لأنه أرْجى الأفعال، وأهزها للنفوس. و﴿النهى﴾ جمع نُهْيَةٍ، والنُّهْيَةُ: العَقلُ النَّاهِي عن القبائح.

﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ

ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿منها خلقناكم﴾ يريد من الأرض ﴿وفيها نعيدكم﴾ أيْ: بالموت، والدفن. ﴿ومنها نخرجكم﴾ أيْ: بالبعث ليوم القيامة.

وقوله: ﴿ولقد أريناه آياتنا﴾ إخبار لنبيِّنا محمد ﷺ.

وقوله ﴿كلها﴾ عائد على الآيات التي رآها فرعون، لا أنه رأى كلَّ آية للَّه عز وجل وإنما المعنى: أن اللَّه أراه آيات ما؛ كاليد، والعصا، والطّمْسة، وغير ذلك. وكانت رؤيتُه لهذه الآياتِ مستوعبة يرى الآياتِ كلَّها كاملةً. ومعنى ﴿سوى﴾ أيْ: عَدْلاً ونصَفَةً، أي: حالنا فيه مُستَوِيَة.

وقالت فرقة: معناه مستوياً من الأرض؛ لا وهْدَ فيه، ولا نشز، فقال موسَى: ﴿موعدكم يوم الزينة﴾ وروي أَنَّ يوم الزينة كان عيداً لهم، ويوماً مشهوراً.

وقيل: هو يوم كسر الخليج الباقي إلى اليوم.

وقوله: ﴿وأن يُحْشَرَ الناس﴾ عطفاً على ﴿الزينة﴾؛ فهو في موضع خفض.

﴿فتولى فرعون فجمع كيدة﴾ أي: جمع السحرةَ، وأمرهم بالاِسْتعدَادِ لموسى، فهذا هو كيدُه.

﴿ثم أتى﴾ فرعونُ بجمعه، فقال موسى للسحرة: ﴿ويلكم لا تفتروا على اللَّه كذباً﴾ وهذه مُخاطَبةُ مُحَذِّر[1]، وندبَهم في هذه الآية إلى قول الحق إذا رأوه، وألاَّ يباهتوا بكذب؛ ﴿فيسحتكم﴾ أيّ: فيهلككم، ويذهبكم، فلما سمع السَّحَرَةُ هذه المقالةَ، هالهم هذا المنزع، ووقع في نفوسهم من هَيْبَتِه شديد الموقع. و﴿تنازعوا أمرهم﴾ والتنازُعُ يقتضي اَختلافاً كان بينهم في السرِّ؛ فقائلٌ منهم يقول: هو محقٌّ، وقائل يقول: هو مُبْطل، ومعلوم أن جميع تناجيهم إنما كان في أمر موسى عليه السلام و﴿النَّجوى﴾ المسارة، أي: كل واحد يناجي مَنْ يليه سِرّاً؛ مخافةً من فرعون أن يتبين له فيهم ضعف.

---

(١) في جـ: محذور.

وقالت فرقة: إنما كان تناجيهم بالآية التي بعد هذا.

﴿إن هذان لساحران﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ والكسائيُّ[١]: «إنَّ هذان لساحران» فقالت فرقةٌ: قوله: «إن» بمعنى: نعم؛ كما قال ﷺ إن الحمدُ للّه، برفع الحمد.

وقالت فرقةٌ: إنّ هذه القراءةَ على لغةِ بَلْحَارِث بن كعب، وهي إبقاء ألف التثنية في حال النَّصْبِ، والخِفْضِ، وتُعْزىٰ هذه اللغة لكِنَانةَ، وتُعزى لخثْعَم.

وقال الزجاج[٢]: في الكلام ضميرٌ تقديره: إنه هذان لساحران

وقرأ أبو عَمْرو وَحْدَه: «إنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ».

[وقرأ ابنُ كثيرٍ: «إنْ هَذَانِّ لَسَاحِرَانِّ» بتخفيف إنَّ، وتشديد نون هذان لساحران].[٣].

وقرأ حفصٌ عن عاصِمٍ: «إنْ» بالتخفيف «هَذَانِ» خفيفة أَيْضاً «لَسَاحِرَانِ».

وعبّر كَثيرٌ من المفسرين عن الطريقة بالسادة أهْل العَقْل والحِجَا؛ وحكوا / أن ١١أ العرب تقول: فلانٌ طريقةُ قومِه، أيْ: سيدهم، والأظهر في الطريقة هنا أنها السِّيرة، والمملكة، والحال الّتي كانُوا عليها.

و﴿المُثْلَىٰ﴾ تأنيث أمثل، أي: الفاضلة الحسنة.

وقرأَ جمهورُ[٤] القرَّاء: «فأَجْمِعوا»: بقطْع الهمزة، وكسْرِ الميم؛ على معنى: أنفذُوا[٥]، وأعزِمُوا.

---

(١) ينظر: «السبعة» (٤١٩)، و«الحجة» (٥/ ٢٢٩)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٣٦)، و«معاني القراءات» (٢/ ١٤٩)، و«شرح الطيبة» (٥/ ٤٤)، و«العنوان» (١٢٩)، و«حجة القراءات» (٤٥٤)، و«شرح شعلة» (٤٩٢)، و«إتحاف» (٢/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩).

(٢) ينظر: «معاني القرآن» (٣/ ٣٦١).

(٣) سقط في جـ.

(٤) ينظر «المحرر الوجيز» (٤/ ٥١)، و«البحر المحيط» (٦/ ٢٣٩)، و«الدر المصون» (٥/ ٣٧)، و«السبعة» (٤١٩، ٤٢٠)، و«الحجة» (٥/ ٢٣٢)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤٠)، و«معاني القراءات» (٢/ ١٥١)، و«شرح الطيبة» (٥/ ٤٥)، و«العنوان» (١٣٠)، و«حجة القراءات» (٤٥٦)، و«شرح شعلة» (٤٩٣)، و«إتحاف» (٢/ ٢٥٠).

(٥) في جـ: انفروا.

وقرأ أبو عمرو وَحْدَهُ «فَٱجْمَعُوا» من جمع، أي: ضموا سِحْركم بعضه إلى بعض.

وقوله ﴿صفا﴾ أي: مصطفين، وتداعوا إلى هذا؛ لأنه أهيب، وأظهر لهم، و﴿أفْلَحَ﴾ معناه: ظفر بِبُغْيَته، وباقي الآية بيِّن مما تقدم.

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾.

وقوله: ﴿فَأَوْجَسَ﴾ عبارة عما يعتري نفسَ الإنسان إذا وقع ظنّه في أمر على شَيْء يسوؤه، وعبّر المفسرون عن أوْجَس بأضمر؛ وهذه العبارة أعمُّ من الوجيس بكثير.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَىٰ﴾ أي الغالب، وروي في قصص هذه الآية: أن فِرْعون (لعنه اللّه) جلس في عِلّية له طولها ثمانون ذراعاً، والناس تحته في بسيطٍ، وجاء سَبْعُون ألف ساحرٍ، فألْقوا مِنْ حبالهم وعِصِيّهم ما فيه وَقْرُ ثَلاَثِ مِائَةِ بعيرٍ، فهال الأمر، ثم إن موسى عليه السلام ألقى عَصَاهُ من يده، فٱستحالت ثُعْباناً، وجعلت تَنْمُو حتّىٰ روي أنها عبرت النهر بذَنَبِها، وقيل: البحر، وفرعونُ في هذا كلِّه يضحكُ؛ ويرى أن الاسْتواءَ حاصلٌ، ثم أَقبلتْ تأكل الحِبَال والعِصِيّ حتى أفنتها، ثم فَغرتْ فَاهَا نحو فرعون؛ ففزع عند ذلك؛ وٱستغاث بموسى، فمد مُوسَى يده إليها، فرجعت عصاً كما كانت، فنظر السحرةُ، وعلموا الحقَّ، ورَأَوْا عدم الحبال والعِصِيّ؛ فأَيقَنُوا أنّ الأمر من اللّه عز وجل فآمنوا رضي اللّه عنهم.

وقوله سبحانه: ﴿فألقي السحرة سجداً قالوا آمنا برب هٰرون وموسى * قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾.

قال *ص *: «في» على بابها، وقِيلَ: بمعنى على.

*ت *: والأول أصوب.

﴿ولتعلمن أينا﴾ قوله: أَيُّنا؛ يريد نَفْسَهُ، وربَّ موسى عليه السلام.

وقال الطَّبَرِيُّ[١]: يريد نفسه، ومُوسى، والأول أذهب مع مخرقة فرعون، وباقي الآية بَيِّنٌ، ثم قال السحرةُ لفرعون: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ أي: لن نفضلك، ونفضِّلَ السلامة مِنْك علىٰ ما رأينا مِنْ حُجَّة اللّه تعالى، وآياته، وعلى الذي فَطَرنا، هذا على قول جماعةٍ: أَنَّ الواو في قوله ﴿والَّذِي﴾: عاطفة.

وقالت فرقةٌ: هي واو القسم، ﴿وفَطَرَنا﴾ أيْ: خلقنا، واخترعنا، فٱفعل يا فرعونُ ما شِئْت؛ وإنما قضاؤُك في هذه الحياة الدنيا، والآخرةُ مِنْ وراء ذلك لنا بالنعيم، ولك بالعذاب الأليم.

وهؤلاءِ السحرةُ ٱختلف الناسُ: هل نفذ فيهم وَعِيدُ فرعون، أم لا؟ والأمر في ذلك محتمل.

وقولهم: ﴿واللّه خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ ردّ لقول فرعون: ﴿أَيُّنَا أَشَدُّ عَذاباً وَأَبْقَىٰ﴾.

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾.

وقوله عز وجل: ﴿إنه مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فإنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى...﴾ الآية.

قالت فرقة: هذه الآيةُ بجملتها مِنْ كلام السحرة لفرعون علىٰ جهة الموعظة له، والبيان فيما فعلُوه.

وقالتْ فرقةٌ: بلْ هي مِنْ كَلامِ اللّه عز وجل لنبيِّنَا محمدٍ ﷺ تنبيهاً على قُبْح ما فعل فرعون، وحُسْنِ ما فعل السحرة، وموعظة، وتحذِيراً قد تضمنت القِصّة المذكورة مثاله.

وقوله: ﴿لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَىٰ﴾ مختصٌّ بالكافر؛ فإنه مُعَذَّب عذاباً ينتهي به إلى الموت، ثم لا يُجْهز عليه فيستريح / ، بل يُعاد جلده، ويجدّدُ عذابه. ١١ ب

وأما مَنْ يدخل النار من المؤمنين بالمعاصي، فهم قبل أن تخرجهم الشفاعةُ في غمرة

(١) ينظر: «الطبري» (٨/ ٤٣٦).

قد قاربوا الموت، إلا أنهم لا يُجْهز عليهم، ولا يجددُ عذابهم؛ فهذا فرقُ ما بينهم وبين الكفار، وفي الحديث الصحيح: «أَنَّهُمْ يُمَاتُونَ فِيهَا إِمَاتَةً»، وهذا هو معناها؛ لأنه لاَ مَوْتَ في الآخرة: وَ﴿تَزَكَّىٰ﴾ معناه: أطاع اللَّهَ، وأخذَ بأَزْكَى الأُمور.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ﴾ هذا ٱستِئْنافُ إخبارٍ عن شيْء من أمر موسى، وباقي الآية بيِّنٌ، وقد تقدم ذكر ما يخصها من القصص.

وقوله تعالى: ﴿لاَ تَخَافُ دَرَكاً﴾ أيْ: من فرعون، وجنودِهِ، ﴿وَلاَ تَخْشَىٰ﴾ غرقاً من البحر.

وقوله ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ إبهام أهول من النصّ؛ وهذا كقوله: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾. [النجم: ١٦].

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾ يريد: من أول أمره إلى هذه النهاية، ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ مقابل لقوله: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾.

وقوله عز وجل: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ...﴾ الآية، ظاهر هذه الآية: أنّ هذا القول قِيل لبني إسرائيل حينئذٍ عند حُلولِ النِّعم التي عددها اللّهُ عليهم، ويحتمل أن تكون هذه المقالة خُوطِب بها مُعَاصِرُو النبي ﷺ، والمعنى: هذا فِعْلُنا بأسلافكم؛ وتكون الآيَةُ على هذا اعتراضاً في أثناء قصة موسى، والقصدُ به توبيخُ هؤلاء الحضور إذ لم يصبر سلفُهم على أداء شكر نعم اللّه تعالى، والمعنى الأول أظهر وأبْين.

وقوله سبحانه: ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَن...﴾ الآية، وقصص هذه الآية: أن اللّه تعالى لما أنجى بني إسرائيل، وغرّق فرعون، وعد بني إسرائيل أن يسيروا إلى جانب طور سيناء؛ ليكلم فيه موسى، ويناجيه بما فيه صلاحهم، فلما أخذوا في السير، تعجل موسى عليه السلام؛ ٱبتغاءَ مَرضَاةِ ربِّه، حَسْبما يأتي بعدُ.

وقرأ جمهورُ الناس[1]: «فَيَحِلّ» بكسر الحاء، «وَيَحْلِلْ» بكسر اللام.

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٦)، و«البحر المحيط» (٦/ ٢٤٦)، و«الدر المصون» (٥/ ٤٥)، و«السبعة» (٤٢٢)، و«الحجة» (٥/ ٢٤٢)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤٨)، و«معاني القراءات» (٢/ ١٥٦)، و«شرح

وقرأ الكِسَائِيُّ وَحْدَه بضمهما، ومعنى الأول: فيجب، ويحقُّ، ومعنى الثاني: فيقع وينزل، و﴿هَوَىٰ﴾ معناه: سقط أيْ: هَوَىٰ في جَهَنَّم، وفي سخط اللّه ـ عافانا اللّه من ذلك ـ، ثم رجَّىٰ سبحانه عباده بقوله: ﴿وإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ ..﴾ الآية، والتوبة من ذنب تصِحُّ مع الإقامة على غيره، وهي توبةٌ مقيدة، وإذا تاب العبد، ثم عَاوَدَ الذنب بعينه بعد مُدّة؛ فيحتمل عند حُذَّاق أهل السنة: ألاَّ يعيدَ اللّهُ تعالى عليه الذنبَ الأول؛ لأن التوبةَ قد كانت محتْهُ، ويُحتمل: أن يعيده؛ لأنها توبةٌ لم يوف بها، واضْطرب الناس في قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ من حيث وَجَدُوا الهُدَىٰ ضمن الإيمان والعمل؛ فقالت فرقة: ثم لزم الإسلام حتى يموت عليه.

وقيلَ: غير هذا، والذي يقوي في معنى: ﴿ثم ٱهْتَدَىٰ﴾ أن يكون: ثم حفظ معتقداتِه من أن تخالف الحق في شَيْء من الأشياء؛ فإن الاهتداءَ على هذا الوجه غيرُ الإيمان، وغيرُ العَمَلِ؛ وَرُبَّ مُؤْمِنٍ عمل صالحاً قد أوبقه عدم الاهْتداء؛ كالقدرية والمُرْجِئة، وسائر أهل البدع، فمعنى: ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾: ثم مشى في عقائد الشَّرْعِ على طريقٍ قَوِيم ـ جعلنا اللّه منهم بمنه ـ وفي حِفْظ المعتقَدَاتِ ينحصر معظم أمر الشرع.

﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾.

= «الطيبة» (٥/٤٨)، و«العنوان» (١٣٠)، و«حجة القراءات» (٤٦٠)، و«شرح شعلة» (٤٩٥)، و«إتحاف» (٢/٢٥٣).

١٢ أ وقولهُ سبحانه: / ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ الآيةَ، وقصص هذه الآية: أن موسى عليه السلام لمَّا شرع في النهوض ببني إسرائيل إلى جانب الطور؛ حيث كان الموعدُ أن يكلم اللّهُ موسىٰ بما لهم فيه شرفُ العاجل والآجل ـ رأىٰ موسى عليه السلام على جهة الاجْتِهَاد أن يتقدم وحدَهُ مُبادراً لأمر اللّه سبحانه؛ طلباً لرضائه، وحرصاً على القرب منه، وشوقاً إلى مُناجاته، وٱستخلف عليهم هارونَ، وقال لهم موسى: تسيرون إلى جانب الطور، فلما ٱنتهى موسى ﷺ وناجى ربَّه، زاده اللّهُ في الأجل عشراً، وحينئذٍ وقفه على معنى ٱستعجاله دون القوم؛ ليخبره موسى أنهم على الأثر، فيقَعَ الإعلامُ له بما صنعوا، وأعلمه موسى أنه إنما ٱستعجل طلب الرضى، فأعلمه اللّهُ سبحانه: أنه قد فتن بني إسرائيل، أي: ٱختبرهم بما صنع السَّامِرِيّ، ويحتمل أن يريد: ألقيناهم في فتنة، فلما أخبر اللّه تعالى مُوسَى بما وقع، رجع موسىٰ إلى قومه غَضْبَانَ أَسِفاً، وباقي الآية بيِّن، وقد تقدّم قصصُها مستوفًى؛ وسمّى العذاب غضباً من حيْثُ هو عن الغضب.

وقرأ نافعٌ[١]، وعَاصِمٌ: «بِمَلْكِنَا» بفتح الميم، وقرأ حمزةُ، والكِسَائِيُّ: «بِمُلْكنا» بضمة، وقرأ ٱبْنُ كَثِير، وأَبُو عَمْرٍو، وَٱبْنُ عَامرٍ: «بِمِلْكِنَا» بكسرة؛ فأما فتحُ الميم، فهو مصدرٌ من ملك، والمعنى: ما فعلنا ذلك بأنا ملكنا الصواب، ولا وُفِّقْنا له، بل غلبتنا أنفُسُنا.

وأَما كسرُ المِيم، فقد كثر ٱستعماله فيما تحوزه اليدُ، ولكنه يستعمل في الأمور الَّتي يُبْرِمها الإِنسان، ومعناها كمعنى الَّتي قبلها، والمصدرُ مضافٌ في الوجهين إلى الفاعل.

وقولهم: ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً. . .﴾ الآيةَ؛ سموها أوزاراً من حيث هي ثَقِيلة الأجرام، أو من حيثُ تأثَّموا في قذفها، وقرأ أبو عمرو، وحمزةُ، والكسائيُّ: «حَمَلْنَا» بفتح[٢] الحاء، والميم.

وقولهم: ﴿فَكَذَٰلِكَ﴾ أيْ: فكما قذفنا نحن، فكذلك أيضاً ألقى السامري.

قال *ع[٣]*: وهذه الألفاظ تقتضي أنَّ العِجْل لم يَصُغْهُ السامريُّ، ثم أخبر[٤] تعالى

(١) ينظر: «السبعة» (٤٢٢، ٤٢٣)، و«الحجة» (٥/ ٢٤٤)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤٩)، و«معاني القراءات» (٢/ ١٥٦)، و«شرح الطيبة» (٥/ ٤٩)، و«العنوان» (١٣٠)، و«شرح شعلة»(٤٩٦)، و«إتحاف» (٢/ ٢٥٤).

(٢) ينظر: «السبعة» (٤٢٣)، و«الحجة» (٥/ ٢٤٦)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٥٠)، و«معاني القراءات» (٢/ ١٥٧)، و«شرح شعلة» (٤٩)، و«العنوان» (١٣٠)، و«شرح شعلة» (٤٩٦)، و«إتحاف» (٢/ ٢٥٥).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٩).

(٤) في جـ: أخبر اللّه.

عن فِعْل السامري بقوله: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً﴾ ومعنى قوله ﴿جَسَداً﴾ أي شخصاً لا رُوحَ فيه، وقيل: معناه جسداً لا يتغذى، «والخُوَارُ»: صوت البقر.

قالت فرقةٌ منهم ابن عباس: كان هذا العجلُ يخُورُ ويمشي، وقيل غير هذا[١].

وقوله سبحانه: ﴿فقالوا﴾ يعني: بني إسرائيل: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ موسى إلٰهه، وذهب يطلبه في غَيْرِ موضعِه، ويحتمل أن يكون قوله ﴿فَنَسِيَ﴾ إخباراً من الله تعالى عن السَّامِرِيّ؛ أي: فنسي السامري دينه، وطريق الحق، فالنِّسْيَانُ في التأويل الأول بمعنى الذهُول، وفي الثَّانِي بمعنى الترك.

ت: وعلى التّأويل الأول عوَّلَ البخاريُّ[٢]: وهو الظَّاهر.

ولقولهم أيضاً قبل ذلك: ﴿ٱجْعَل لَنَا إِلَهاً﴾ [الأعراف: ١٣٨].

وقول هَارُون: ﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾ أي: إلى الطور الَّذي واعدكم اللّهُ تعالى إليه ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ فيما ذكرتُه لكم؛ فقال بنو إسرائيل حين وَعَظهم هارونُ، وندبَهُم إلى الحق: ﴿لَن نَّبْرَحَ﴾ عابدين لهذا الإله عَاكِفِين عليه، أي: مُلاَزِمين له.

ويحتمل قولُه: ﴿أَلاَّ تَتَّبِعَنِي﴾ أيْ: ببني إسرائيل نحو جبل الطور، ويحتمل قولُهُ: ﴿أَلاَّ تَتَّبِعَنِ﴾ أيْ: أَلاّ تسير بسيري، وعلى طريقتي في الإصلاح والتَّسْدِيد.

/ وقوله: ﴿يبنؤم﴾ قالت فرقة: إنَّ هَارُونَ لم يكن أَخا موسى إلا مِنْ أمه. ١٢ ب

قال *ع*[٣]: وهذا ضَعِيفٌ. وقالتْ فرقةٌ: كان شَقِيقَه؛ وإنما دعاه بالأم ٱستعطافاً برحم الأم، وقول موسى: ﴿مَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ هو كما تقول: ما شأْنُكَ، وما أمرك، لكن لفظةُ الخطب تقتضي ٱنتهاراً؛ لأن الخطب مستعمل في المكاره، و﴿بَصُرت﴾ بضم الصاد: من البصيرة، وقرأتْ فرقةٌ بكسرها[٤]، فيحتمل أن يراد من البصيرة، ويحتمل من البصر.

---

(١) ذكره ابن عطية (٤/ ٥٩).

(٢) ينظر: «**البخاري**» (٨/ ٢٨٥) كتاب التفسير: باب سورة طه.

(٣) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٦٠).

(٤) قرأ بها أبو السَّمَّال والأعمش مع فتح صاد «يبصروا».
كما في «**مختصر الشواذ**» ص ٩٢.
وينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٦١)، و«**البحر المحيط**» (٦/ ٢٥٤)، و«**الدر المصون**» (٥/ ٤٩)، و«**التخريجات النحوية**» ص ٢٩٢.

وقرأ حمزةُ، والكسائي[١]: «بما لم تُبْصروا» بالتاء مِنْ فوقُ، يريد مُوسى مع بني إِسرائيل، والرسول هنا: هو جِبْرِيلُ عليه السلام والأَثَرُ: هو ترابٌ تحت حافر فرسه.

وقوله: ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أَيْ: على الحلي، فكان منها ما ترى، ﴿وكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ أي: وكما وقع وحدث قربت لي نفسي، وجعلت[٢] لي سُؤْلاً وإرباً حتى فعلته، وكان موسى عليه السلام لا يقتل بني إسرائيل إلاَّ في حدٍّ أو بوحْيٍ، فعاقبه بآجتهاد نفسه؛ بأن أبعده ونحَّاه عن الناس، وأمر بني إِسرَائيل بآجتنابه، وآجتنابِ قبيلته وأَلاَّ يُؤَاكلُوا ولا يُنَاكحوا، ونحو هذا، وجعل له أنْ يقول مدة حياته: لاَ مِسَاسَ، أي: لا مُمَاسَّة، ولا إذاية.

وقرأ الجمهور[٣]: «لَنْ تُخْلَفَهُ» بفتح اللام، أي: لن يقع فيه خلف، **وقرأ** آبْنُ كَثِير، وأَبُو عَمْرٍو: «تخلِفه» بكسر اللام، على معنى لن تستطيع الرَّوغَانَ، والحيْدَةَ عن موعد العذاب، ثم وبَّخه عليه السلام بقوله: ﴿وآنظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ. . .﴾ الآية، و﴿ظَلْتَ﴾ وظل معناه: أقام يفعل الشيء نهاراً، ولكنها قد تُستعمل في الدائب ليلاً ونهاراً، بمثابة طَفِقَ.

وقرأ آبْنُ عباس[٤] وغيرُه: «لَنَحْرُقَنَّهُ» بضم الراء وفتح النون؛ بمعنى لنبردنه بالمبرد، **وقرأ** نافعٌ وغيره: «لَنُحَرِّقَنَّهُ» وهي قراءةٌ تحتمل الحرق بالنار، وتحتمل بالمبرد. وفي مصحف آبنِ مَسْعُود[٥]: «لنذبحنه ثم لنحرقنه ثم لننسفنه» وهذه القراءةُ هي مع رواية من روى أن العِجْلَ صار لحماً ودماً، وعلى هذه الرواية يتركب أن يكون هناك حرقٌ بنارٍ، وإِلاَّ فإذا كان جماداً مِنْ ذهب ونحوه، فإنما هو حرق بمبرد، اللَّهم إِلاَّ أَن تكون إذابة، ويكون النسف مُسْتعاراً، لتفريقه في اليمِّ مذاباً.

---

(١) ينظر: «**السبعة**» (٤٢٤)، و«**الحجة**» (٥/ ٢٤٩)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٥٢)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ١٥٨)، و«**شرح الطيبة**» (٥/ ٥٠)، و«**العنوان**» (١٣٠)، و«**إتحاف**» (٢/ ٢٥٥).

(٢) في جـ: جعلته.

(٣) يُنظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٦٢)، و«**البحر المحيط**» (٦/ ٢٥٦)، و«**الدر المصون**» (٥/ ٥١)، و«**السبعة**» (٤٢٤)، و«**الحجة**» (٥/ ٢٤٩)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٥٣)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ١٥٨)، و«**شرح الطيبة**» (٥/ ٥٠)، و«**العنوان**» (١٣٠)، و«**شرح شعلة**» (٤٩٦)، و«**إتحاف**» (٢٥٦).

(٤) وقرأ بها علي وعمرو بن فائد.
ينظر: «**المحتسب**» (٢/ ٥٨)، و«**الكشاف**» (٣/ ٨٥)، و«**المحرر الوجيز**» (٤/ ٦٢)، و«**البحر المحيط**» (٦/ ٢٥٧)، وزاد نسبتها إلى حميد، وأبي جعفر في رواية.
وهي في «**الدر**» (٥/ ٥٢).

(٥) وقرأ بها أبي.
ينظر: «**الكشاف**» (٣/ ٨٥)، و«**المحرر الوجيز**» (٤/ ٦٢)، و«**البحر المحيط**» (٦/ ٢٥٧).

وقرأت فِرْقَةٌ: «لَنَنْسِفَنَّهُ» بكسر السين[1]، وقرأت فرقةٌ بضمها، والنَّسْفُ: تفريقُ الريح الغبار، وكل ما هو مثله؛ كتفريق الغربال ونحوه، فهو نَسْفٌ، و﴿اليمّ﴾: غمرُ الماءِ من بحرٍ أو نَهرٍ، وكل ما غمر الإنسان من الماء فهو يَمٌّ، واللام في قوله ﴿لنحرقنَّه﴾ لام قسم، وقال مكي (رحمه اللّه تعالى): وأسند أن موسى عليه السلام كان مع السبعين في المُنَاجَات، وحينئذٍ وقع أمر العجل، وأن اللّه تعالى أعلم موسى بذلك، فكتمه موسى عنهم، وجاء بهم حتى سمعوا لَغَطَ بني إسرائيل حول العجل، فحينَئذٍ أعلمهم.

قال *ع[2]*: وهذه رواية ضعيفةٌ، والجمهورُ على خلافها، وإنما تعجل موسى عليه السلام وحدَهُ فوقع أمر العجل، ثم جاء موسى، وصنع ما صنع بالعجل، ثم خرج بعد ذلك بالسَّبْعِين على معنى الشفاعة في ذَنْب بني إسرائيل، وأن يطلعهم أيضاً على أمر المناجات، فكان لموسى عليه السلام نهضتان، واللّه أعلم.

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾.

١٣ أ وقوله سبحانه: ﴿كَذٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ مخاطبة / لنبينا محمد ﷺ أي كما قصصنا عليك نبأ بني إسرائيل، كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق مُدّتك، والذِّكْر: القُرْآن.

وقوله: ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ يريد بالكُفر بهِ، و﴿زُرْقاً﴾ قالت فرقةٌ معناه: يُحْشرونَ أول قيامهم سودَ الألوَانِ، زُرْقَ العُيونِ، فهو تَشْوِيه، ثم يعمون بعد ذلك، وهي مواطن.

وقالت فرقةٌ: أراد زرق الألوان، وهي غايةٌ في التشويه، لأنهم يَجِيئُون كلَوْن الرماد، ومهيع في كلام العرب أن يسمى هذا اللون أزرق: ﴿يَتَخافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْراً﴾ أيْ: يتخافت المجرمون بينهم، أي: يتسارون، والمعنى: أنهم لهول المطلع وشِدّة ذهاب أذهانهم، قد عزب عنهم قَدْر مُدّة لبثهم.

واختلف الناسُ فيما ذا، فقالتْ فرقةٌ: في دار الدنيا، ومُدّة العمر، وقالت فرقةٌ: في الأرضِ مدة البَرْزَخِ.

---

(١) أما الكسر فهو قراءة السبعة. وأما ضم السين، فقرأ بها عيسى بن عمر، كما في **«مختصر الشواذ»** ص ٩٢. وينظر: **«المحرر الوجيز»** (٤/ ٦٢)، و**«البحر المحيط»** (٦/ ٢٥٧)، و**«الدر المصون»** (٥/ ٥٢).

(٢) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٤/ ٦٢).

و﴿أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ معناه: أثبتهم نفساً يقول: إن لبثتم إلاَّ يوماً، أي: فهم في هذه المقالة يظنون أن هذا قَدْرَ لبثهم.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الجِبَالِ...﴾ الآية، السائلُ: قِيلَ: رجلٌ من ثقيف، وقيل: السائل: جماعةٌ من المؤمنين، ورُوِي: أن اللّه تعالى يرسل على الجبال رِيحاً، فتدكدكها حتى تكون كالعِهْن المنفوش، ثم تتوالى عليها حتى تُعِيدها كالهَبَاءِ المُنْبَثّ، فذلك هو النسفُ.

والقَاعُ: هو المستوي من الأرض، والصَّفْصَف: نحوه في المعنى. والأَمْتُ: ما يعتري الأرضَ من ٱرتفاع وٱنخفاضٍ.

وقولُه: ﴿لاَ عوَجَ لَهُ﴾ يحتمل: أن يُرِيدَ الإخبارَ به، أي: لا شَكَّ فيه، ولا يخالف وجوده خبره، ويحتمل: أن يريدَ لا مَحِيدَ لأحدٍ عن ٱتباع الدَّاعِي، والمشْيِ نحو صَوْته، والخشوعُ: التَّطَامُنُ، والتواضُعُ، وهو في الأصوات ٱستعارةٌ بمعنى الخفاء.

والهَمْسُ: الصَّوْتُ الخفيُّ الخَافِتُ، وهو تخافُتُهم بينهم، وكَلاَمُهم السر، ويحتمل أن يريد صوتَ الأقْدام؛ وفي «البُخَاري»[1]: ﴿هَمْساً﴾: صوت الأقدام، انتهى. ومن في قوله ﴿إلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنْ﴾ يحتمل أن تكون للشافع، ويحتمل أن تكون للمَشفوع فيه.

﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الوُجوه﴾ معناه: ذلّت، وخضعت، والعَانِي: الأسِير؛ ومنه قوله ﷺ في أمر النساء: «هن عوان عندكم» وهذه حالةُ النَّاس يومَ القيامة.

قال *ص*: وَعَنَتْ: من عَنَا يَعْنُو: ذَلَّ، وخَضَعَ؛ قال أُمَيَّةُ بنُ أبي الصَّلْتِ: [الطَّويل]

(١) ينظر «صحيح البخاري» (٨/ ٢٨٥) كتاب التفسير: باب سورة طه.

مَلِيكٌ عَلَىٰ عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيْمِنٌ لِعِزَّتِهِ تَعْنُو الْوُجُوهُ وَتَسْجُدُ[(١)]

انتهى.

ت: وأحاديثُ الشفاعة قَدِ ٱستفاضَتْ، وبلغت حَدَّ التواتر، ومن أعظمها شفاعة أرْحم الراحمين سبحانه وتعالى ففي «صحيح مُسْلم»، من حديث أبي سَعِيدِ الخُدْرِيِّ قال: فيقولُ اللّه عز وجل: «شَفَعَتِ المَلاَئِكَةُ، وشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وشَفَعَ المُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إلاَّ أَرْحَم الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيَخْرُجُ مِنْهَا قَوْماً لَمْ يَعْمَلُوا خَيْراً قَطُّ، قَدْ عَادُوا حُمَماً، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الجَنَّةِ» وفيه: «فيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ، فِي رِقَابِهِمُ الخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ هَؤُلاَءِ عُتَقَاءُ اللّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلاَ خَيرٍ قَدَّمُوهُ...»[(٢)]/ الحديث، وخرج أبو القاسم إسحاقُ بنُ إبراهيم الختلي بسنده عن ٱبنِ ١٣ ب
عباسٍ، قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «إذَا فرغ اللّهُ تعالى مِنَ القَضاءِ بين خَلْقِه، أخرج كِتَاباً من تحت العَرْشِ؛ أَنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، وَأَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، قَالَ: فَيُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مِثْلَ أَهْلِ الجَنَّةِ، أَوْ قَالَ: مِثْلَيْ أَهْلِ الجَنَّةِ، قَالَ: وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّهُ قَالَ: مِثْلَيْ أَهْلِ الجَنَّةِ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ: عُتَقَاءُ اللّهِ».[(٣)] انتهى من «التذكرة».

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً﴾، معنى خاب: لم ينجَحْ، ولا ظفر بمطلُوبه، والظلمُ يَعمُّ الشِّركَ والمَعاصِي، وخيبةُ كلّ حاملٍ بقدْرِ ما حمل مِنَ الظُّلْم.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ومَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ معادلٌ لقوله: ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْماً﴾ والظلم والهَضْمُ: هما متقاربان في المعنى، ولكن من حيثُ تَنَاسقَا في هذه الآية؛ ذهب قومٌ إلى تَخْصِيص كل وَاحِدٍ منهما بمعنًى، فقالوا: الظلم: أن تعظم عليه سيِّئاته، وتكثر أكثر مما يجب.

والهَضْمُ: أن ينقص من حَسَناتِهِ، ويبخسها.

وكلهم قرأ: «فَلاَ يَخَافُ» على[(٤)] الخبر غيرَ ٱبن كَثِيرٍ؛ فإنه قرأ: «فَلاَ يَخَفْ» على النهي.

---

(١) ينظر: «ديوانه» (٢٩)، وهو من شواهد «البحر» (٣/ ٥٠١)، و«الدر المصون» (٢/ ٥٣٧)، (٥/ ٥٧).

(٢) تقدم تخريج هذا الحديث.

(٣) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٦)، وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس.

(٤) ينظر: «السبعة» (٤٢٤)، و«الحجة» (٥/ ٢٥١)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٥٧)، ولكنه أثبتها بالتاء الفوقية، و«معاني القراءات» (٢/ ١٥٩)، و«شرح الطيبة» (٥/ ٥٢)، و«العنوان» (١٣٠)، و«شرح شعلة» (٤٩٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» (٢/ ٢٥٧).

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾.

﴿وَكَذٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ﴾ بحسب توقع البشر، وترجيهم ﴿يَتَّقُونَ﴾ اللّهَ، ويخشَوْنِ عَقَابه؛ فيؤمِنُون ويتذكَّرونَ نِعَمه عندهم، وما حذَّرهم من أليم عقابه هذا تأويل فرقة في قوله: ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾.

وقالت فرقةٌ: معناه أَوْ يُكْسِبُهُمْ شَرَفاً، ويبقى عليهم إيمانهم ذكراً صالحاً في الغابرين.

وقوله تعالى: ﴿ولا تعجل بالقرآن...﴾ الآية، قالت فِرْقةٌ: سببها: أن النبي ﷺ كان يخاف وقْتَ تكليم جِبْريلَ له أنْ ينسى أول القرآن، فكان يقرأُ قبل أن يستتم جبريلُ عليه السلام الوحْيَ؛ فنزلت في ذلك، وهي على هذا في معنى قوله: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦]. وقيل غير هذا.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾.

وقوله عز وجل: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي...﴾ الآية، العهدُ هنا بمعنى الوصِيّة، والشيءُ الّذي عهد إلى آدم عليه السلام هو أَلاَّ يقرَبَ الشجرة.

ت: قال عِياضٌ: وأما قوله تعالى: ﴿وعَصَىٰ آدمُ رَبَّهُ فَغوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] أي: جهل، فإنّ الله تعالى أخبر بعذره بقوله: ﴿ولَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ قيل: نسي، ولم ينو المخالفة؛ فلذلك قال تعالى: ﴿ولم نجد له عزماً﴾، أيْ: قصداً للمخالفة.

ت: وقيل: غير هذا مما لا أرى ذكره هنا، ولِلَّه دَرُّ ٱبْنِ العَرَبيّ حيثُ قال[1]: يجبُ تنْزيه الأنْبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ عما نَسَبَ إليهم الجهالُ. ولكن البَارِي سبحانه بحُكْمه النافذ، وقَضَائِه السابق أسلم آدم إلى الأكل من الشجرة متعمِّداً للأكل، ناسِياً للعهد، فقال في تعمده: ﴿وَعَصَى آدَمُ﴾ وقال في بيان عُذْره: ﴿ولَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ﴾ فَمُتَعَلِّق العهد غيرُ متعلِّق النسيان، وجاز للمولى أن يقول في عبده لحقه: عَصَىٰ تَثْرِيباً،

(١) ينظر: «أحكام القرآن» (٣/ ١٢٦١).

ويعود عليه بفضله فيقول: نَسِيَ تقريباً، ولا يجوز لأحد مِنّا أن يطلق ذلك على آدمَ، أو يذكره إلاَّ في تلاوة القرآن أو قول النبيّ ﷺ. انتهى من «**الأحكام**».

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَىٰ﴾ المعنى: إنّ لك يا آدمُ في الجنة نعمة تامة، لا يصيبك جوعٌ، ولاَ عُري، ولاَ ظَمأٌ / ، ولا بروزٌ للشمس يؤذِيك، وهو ١٤ أ الضحاء.

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾.

وقوله: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ﴾ *ص*: عدّي هنا بـ «إِلىٰ» على معنى أنهى الوسوسة إليه، وفي «الأعراف» باللام، فقال أبو البقاء: لأنه بمعنى ذكر لهما. انتهى.

ثم أعلمهم سُبْحانه: أن من اتبع هُدَاه فلا يضِلّ في الدنيا، ولا يَشْقَىٰ في الآخرة، وأنَّ من أعرض عن ذِكْر اللّه، وكفر به؛ فإنَّ له معيشةً ضَنْكاً، و«الضَّنْك»: النكدُ الشاقّ من العيش والمنازل، ونحو ذلك.

وهل هذه المعيشةُ الضنك تكون في الدنيا، أو في البَرْزَخ، أو في الآخرة؟ أقوال.

ت: ويُحْتَمَلُ في الجميع، قال القرطبي: قال أبو سعيد الخُدْرِيّ، وٱبْنُ مسعودٍ: ضَنْكاً: عذاب القبر[1]، وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ فِيمَنْ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً ونَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيامَةِ أَعْمَىٰ﴾ أَتَدْرُونَ مَا الْمَعِيشَةُ الضَّنك؟ قالوا: اللّهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: عَذَابُ الكَافِرِ فِي الْقَبْرِ؛ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ لَيُسَلَّطُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ تِنِّيناً ـ وَهِيَ الحَيَّاتُ ـ لِكُلِّ حَيَّةٍ تِسْعَةُ رُؤُوسٍ، يَنْفُخْنَ في جِسْمِهِ، وَيَلْسَعْنَهُ

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٤٧٢) رقم (٢٤٤٢٤)، وذكره البغوي (٣/ ٢٣٥)، والسيوطي (٤/ ٥٥٧)، وعزاه لابن أبي شيبة، والبيهقي عن ابن مسعود.

وَيَخْدِشْنَهُ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، ويُحْشَرُ مِنْ قَبْرِهِ إِلَىٰ مَوْقِفِهِ أَعْمَىٰ»[١]. انتهى من «**التذكرة**» فَإِنْ صَحَّ هذا الحديث، فلا نظر لأحد معه، وإن لم يصحَّ، فالصوابُ حملُ الآية على عُمُومها؛ والله أعلم.

قال الثَّعْلَبِيُّ: قال ابْنُ عباس: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يضِلُّ وَلاَ يَشْقَىٰ﴾ قال: أَجار اللّهُ تعالى تابعَ القرآن من أنْ يضل في الدنيا، أو يشقى في الآخرة[٢]. وفي لفظ آخر: «ضمن اللّهُ تعالى لمن قرأ القرآن...» الحديث، وعنه: مَنْ قرأ القرآن واتَّبع ما فيه، هَدَاهُ اللّه تعالى مِنَ الضَّلاَلَةِ ووقاه اللّهُ تَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ سُوءَ الحِسَابِ. انتهى.

وقولُه سبحانه: «ونَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أعْمَىٰ» قالت فرقةٌ: وهو عَمَى البَصَر، وهذا هو الأَوْجه، وأما عمى البَصِيرة، فهو حاصل للكافر.

وقوله سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ النسيان هنا: هو التركُ، ولا مَدْخَلَ للذهول في هذا الموضع، و﴿تُنسَىٰ﴾ أيضاً بمعنى: تُترك في العذاب.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ القُرُونِ﴾ المعنى: أفلم[٣] يبين لهم.

(١) أخرجه أبو يعلى (١١/ ٥٢١-٥٢٢) رقم (٦٦٤٤)، وابن حبان (٨٧٢ ـ موارد)، والطبري في «**تفسيره**» (١٦/ ٢٢٨) من حديث أبي هريرة.
وقال الهيثمي في «**المجمع**» (٣/ ٥٨): رواه أبو يعلى، وفيه دراج، وحديثه حسن، واختلف فيه.
وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٤/ ٥٥٧)، وزاد نسبته إلى ابن أبي الدنيا في «**ذكر الموت**»، والحكيم الترمذي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٢) أخرجه الطبري (٨/ ٤٦٩) برقم (٢٤٤٠٠) بنحوه، وذكره البغوي (٣/ ٢٣٥)، وابن كثير (٣/ ١٦٨)، والسيوطي (٤/ ٥٥٦)، وعزاه للفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، ومحمد بن نصر، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في «**شعب الإيمان**» من طريق عن ابن عباس.

(٣) في جـ: أو لم.

وقرأت[١] فرقةٌ: «نَهْدِ» بالنون، والمراد بالقرونِ المهلَكِين: عَادٌ، وثَمُودٌ، والطَّوائِفُ التي كانت قريشٌ تجوزُ على بلادهم في المرور إلى الشام وغيره، ثم أعلم سبحانه نبيه ﷺ أن العذابَ كان يصير لهم لِزَاماً لولا كلمة سبقَتْ من اللّه تعالى في تَأْخيره عنهم إلى أجلٍ مُسَمًّى عنده، فتقدير الكلام. ولولاَ كلمةٌ سبقت في التَّأْخِير، وأجلِ مسمى، لَكَانَ العذابُ لِزَاماً؛ كما تقولُ لَكَانَ حَتْماً، أو واقعاً، لكنّه قدم وأَخّر؛ لتشابه رُؤوس الآي.

واختُلِف في الأجل المسمى: هل هو يوم القيامة، أو موت كل واحد منهم، أو يوم بدْرٍ؟ وفي «صحيح البخاري»:[٢] أن يوم بَدْرٍ هو: اللزام، وهو: البَطْشَةُ الكُبْرىٰ، يعني: وقع في البخاري من تفسير ٱبْنِ مَسْعُودٍ، وليس هو من تفسير النبي ﷺ.

قال *ص*: وَ﴿لِزَاماً﴾: إمَّا مصدرٌ، وإمَّا بمعنى ملزم، وأجاز أبو البقاء: أنْ يكون جمع لاَزِمٍ، كَقَائِمٍ وقيام. انتهى.

ثم أمر اللّه سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بالصّبْر على أقوالهم: إنه ساحرٌ، إنه كاهن، إنه كاذب[٣] إلَى غير ذلك.

١٤ ب وقوله سبحانه: / ﴿وسبح بحمد ربك...﴾ الآية، قال أكثرُ المفسرين: هذه إشارةٌ إلى الصلوات الخمس؛ فقبل طلوع الشمس صلاةُ الصبح، وقبل غُرُوْبِها صَلاةُ العَصْر، ومن آناءِ الليل العِشَاءُ، وأطرافُ النهار المغرِبُ والظهر.

[قال ٱبْنُ العربي[٤]: والصحيحُ أنَّ المغربَ من طَرَفِ الليل، لاَ مِنْ طرف النَّهَارِ. انتهى من «الأحكام»][٥].

وقالت فرقةٌ: آناء الليل: المغرب والعشاء، وأطراف النهار: الظهر وحدها، ويحتمل اللفظ أن يراد به قول: سبحان اللّه وبحمده.

---

(١) وهي قراءة ابن عباس والسلمي.
كما في «الجامع لأحكام القرآن» (١١/ ١٧٢).
ينظر: «الكشاف» (٣/ ٩٦)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٦٩)، و«البحر المحيط» (٦/ ٢٦٧)، و«الدر المصون» (٥/ ٦٣).

(٢) ينظر «صحيح البخاري» (٨/ ٣٥٥) كتاب التفسير: باب ﴿فسوف يكون لزاماً﴾ رقم (٤٧٦٧).

(٣) في جـ: كذاب.

(٤) ينظر: «أحكام القرآن» (٣/ ١٢٦٣).

(٥) سقط في جـ.

وقالت فرقةٌ: في الآية: إشارةٌ إلى نوافل، فمنها آناء الليل، ومنها قبل طلوع الشمس ركعتا الفجر.

ت: ويتعذر على هذا التأويل قولُه: ﴿وقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾؛ إِذْ لَيْس ذلك الوقْتُ وقْتَ نفل[1]، على ما علم إلاَّ أنَّ يتأول ما قبل الغروب بما قبل صلاة العصر وفيه بعد.

قال *ص*: ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ في موضع الحال، أي: وأنت حامدٌ. انتهى.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿لعلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ بِفَتْح التاء، أي: لعلك تُثَابُ على هذه الأعمال بما ترضى به.

قال ابنُ العربي في «أحكامه»[3]: وهذه الآية تُماثِلُ قولَهُ تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥].

وعنه ﷺ أنه قال: «إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ؛ فإِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ ألاَّ تُغْلَبُوا[4] عَلَىٰ صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ يَعْنِي: الصُّبْحَ، وقَبْلَ غُرُوبِها؛ فَٱفْعَلُوا»[5].

وفي الحديث الصحيح أيضاً: «منْ صَلَّى البَرْدَيْنِ، دَخَلَ الجَنَّةَ»[6]. انتهى.

وقرأَ الكسائي، وأبو بكر عن عاصم[7]: «تُرْضَىٰ» أي: لعلك تُعْطى ما يرضيك، ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ: بالاحتقار لشأن الكفرة، والإِعراض عن أموالهم، وما في أَيْديهم من الدنيا؛ إِذ ذلك مُنْحَسِرٌ عنهم صائر إِلى خِزْي، والأزواج: الأنواع، فكأنه قال: إِلَى ما متعنا به أقواماً منهم، وأَصنافاً.

---

(١) سقط في جـ.
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٧٠)، و«البحر المحيط» (٦/ ٢٦٩).
(٣) ينظر: «أحكام القرآن» (٣/ ١٢٦٣).
(٤) في جـ: لا تغموا.
(٥) تقدم تخريجه.
(٦) أخرجه البخاري (٢/ ٥٢) كتاب مواقيت الصلاة: باب فضل صلاة الفجر، حديث (٥٧٤) ومسلم (١/ ٤٤٠) كتاب المساجد: باب فضل صلاة الصبح والعصر، حديث (٢١٥/ ٦٣٥)، وأحمد (٤/ ٨٠)، والدارمي (١/ ٣٣١، ٣٣٢)، وابن حبان (١٧٣٩)، والبيهقي (١/ ٤٦٦)، والبغوي في «شرح السنة» (٢/ ٣٩ـ بتحقيقنا).
(٧) ينظر: «السبعة» (٤٢٥)، و«الحجة» (٥/ ٢٥٢)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٥٧)، و«معاني القراءات» (٢/ ١٦٠)، و«شرح الطيبة» (٥/ ٥٣)، و«العنوان» (١٣٠)، و«شرح شعلة» (٤٩٧)، و«إتحاف» (٢/ ٢٥٩).

وقوله: ﴿زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ شبَّه سبحانه نِعَم هؤلاء الكفار بالزهر، وهو ما ٱصْفَرَّ من النَّوْر، وقيل: الزهر: النور جملةً؛ لأن الزهر له منظر، ثم يضمحل عن قرب، فكذلك مآلُ هؤلاء، ثم أخبر سبحانه نبيه ﷺ: أن ذلك إنما هو ليختبرهم به، ويجعله فِتْنَةً لهم وأمراً يجازون عليه أسوأ الجزَاءِ؛ لفساد تقلبهم فيه.

﴿ص﴾: وَ﴿زَهْرَةَ﴾: منصوبٌ على الذمِّ، أو مفعولٌ ثانٍ لـ: ﴿متعنا﴾ مضمن معنى أعطينا. اهـ.

ورزق اللّه تعالى الذي أحله للمتقين من عباده، خير وأبقى، أيْ: رزق الدنيا خيرٌ ورزق الآخرة أبقى، وبين أنه خير من رزق الدنيا، ثم أمره سبحانه وتعالى بأن يأمر أهله بالصلاة، ويمتثلها معهم ويَصْطَبِر عليها ويلازمها، وتكفَّل هو تعالى برزْقِهِ لا إِلٰهَ إِلاَّ هو، وأخبره أن العَاقِبَةَ للمتقِينَ بنصره في الدنيا، ورحمته في الآخرة، وهذا الخطابُ للنبي ﷺ ويدخل في عُمُوْمِهِ: جميعُ أمته.

ورُوِيَ: أنَّ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ رضي اللّه عنه كان إذا رأى شيئاً من أخبار السلاطين وأحوالهم، بادر إلَى منزله، فدخله وهو يقول: ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ...﴾ الآية إلى قوله ﴿وأبْقَى﴾ ثم يُنَادِي: الصَّلاَةَ الصَّلاَةَ رَحِمَكُمُ اللّهُ، ويصلي(١).

وكان عُمَرُ بْنُ الخطَّابِ رضي اللّه عنه يوقِظُ أَهْلَ دَارِهِ لِصَلاَةِ اللَّيْلِ ويصلِّي هو ويتمثَّلُ بالآية(٢).

قال الداوودي: وعن عَبْدِ اللّه بْنِ سَلاَمٍ، قال: «كان النبيُّ ﷺ إذا نزل بأهله ضِيقٌ أوْ شِدَّةٌ أمرهم بالصَّلاَةِ، ثم قرأ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلاَةِ﴾ إلى قوله ﴿للتقوى﴾»(٣). انتهى.

قال ٱبن عطاء اللّه في «التنوير»: وٱعلم أنَّ هذه الآية علمت أهل الفَهْم عن اللَّه تعالى كَيْفَ يطلبون / رزقَهُم، فإذَا توقفت عليهم أسباب المعيشة، أكثروا من الخِدْمة والموافقة، ١٥ أ
وقَرَعُوا بابَ الرِّزْقِ بمعاملة الرزَّاق ـ جل وعلا ـ ثم قال: وسمعتُ شَيْخَنَا أَبَا العَبَّاس

(١) أخرجه الطبري (٨/ ٤٨٠) رقم (٢٤٤٥٩)، وذكره ابن عطية (٤/ ٧١)، وابن كثير (٣/ ١٧١).
(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ٧١)، وابن كثير(٣/ ١٧١) نحوه، والسيوطي (٤/ ٥٦١)، وعزاه لمالك، والبيهقي عن أسلم عن عمر.
(٣) ذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٤/ ٥٦١)، وعزاه إلى أبي عبيد، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، والطبراني في «**الأوسط**»، وأبي نعيم في «**الحلية**»، والبيهقي في «**شعب الإيمان**» عن عبد اللّه بن سلام.

المُرْسِي رضي اللّه عنه يقول: واللّه مَا رَأَيْتَ العزَّ إلاَّ في رفع الهِمّة عن الخلق، واْذْكُرْ رحمك اللّه هنا: ﴿وللّه العِزَّةُ ولِرَسُولِهِ وَللْمُؤمِنين﴾ [المنافقون: ٨].

ففي العز الذي أعزّ اللّه به المؤمن رفْعُ همته إلى مولاه، وثقتُه به دُونَ مَنْ سِوَاهُ، واستحي من اللّه بعد أن كساك حُلّة الإيمان، وزينك بزينة العِرْفان؛ أن تستولي عليك الغفلة والنسيان؛ حتى تميل إلى الأكوان[1]، أو تطلب من غيره تعالى وجود إحسان، ثم قال: ورفع الهِمَّة عن الخلْقِ: هو ميزانُ ذوي الكمال ومِسْبار الرجال، كما توزن الذَّواتُ كذلك توزن الأحوالُ والصِّفَاتُ. انتهى.

ومن كتاب «**صفوة التصوف**» لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي الحافظ حَدِيثٌ[2] بسنده عن ٱبنِ عُمَرَ قال: أَتَى النبيَّ ﷺ رَجلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ، حَدِّثْنِي حَدِيثاً، واْجْعَلْهُ مُوجَزاً، فقال له النبيُّ ﷺ: «صَلِّ صَلاَةَ مُوَدِّعٍ، كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ كُنْتَ لاَ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ، وَايأَسْ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، تَعِشْ غَنِيًّا، وإِيَّاكَ وَمَا يُعتذر مِنْهُ» ورواه أبو أيوب الأنصاري بمثله عن النبي ﷺ[3] انتهى.

﴿وقالوا لولا يَأْتينا﴾ محمدٌ ﴿بآيةٍ من ربه﴾، أي: بعلامة مما ٱقترحناها عليه، ثم وبخهم سبحانه بقوله: ﴿أَو لَمْ تَأْتِهِم بينةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَى﴾ أَيْ: [ما في][4] التوراة، وغيرها، ففيها أعظم شاهد، وأكبر آية له سبحانه.

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَـٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ولَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: من قبل إرسالنا إليهم محمداً، ﴿لقَالُوا رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً...﴾ الآية، وروى أبو سعيد الخِدْري، عن النبي ﷺ قال: «يَحْتَجُّ عَلَى اللّه تَعَالَىٰ يَوْمَ القِيَامَةِ ثَلاَثَةٌ: الهَالِكُ فِي الفَتْرَةِ، والمَغْلُوبُ

---

(١) في جـ: الأخوان.

(٢) في جـ: حدث.

(٣) أخرجه البيهقي في «**الزهد**» (٥٢٨)، والقضاعي في «**مسند الشهاب**» رقم (٩٥٢)، وابن النجار في «**ذيل تاريخ بغداد**» (١/١٠٨) من حديث ابن عمر.
وذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١٠/٢٣٢)، وقال: رواه الطبراني في «**الأوسط**»، وفيه من لم أعرفهم.

(٤) سقط في جـ.

عَلَىٰ عَقْلِهِ، والصَّبِيُّ الصَّغِيرُ. فيقُولُ المَغْلُوبُ عَلَىٰ عَقْلِهِ: رَبِّ، لَمْ تَجْعَلْ لِيَ عَقْلاً، ويَقُولُ الصَّبِيُّ نَحْوَهُ، ويَقُولُ الهَالِكُ فِي الفَتْرَةِ. رَبِّ، لَمْ يُرْسِلْ إِلَيَّ رَسولاً، وَلَوْ جَاءَنِي، لَكُنْتُ أَطْوَعَ خَلْقِكَ لَكَ، قَالَ: فَتَرْتَفِعُ لَهُمْ نَارٌ، وَيَقَالُ لَهُمْ: ردوهَا، فَيَرِدُهَا مَنْ كَانَ فِي عِلْمِ اللَّه أَنَّهُ سَعِيدٌ وَيَكِعُ عَنْهَا الشَّقِيُّ، فَيَقُولُ اللَّه تَعَالَىٰ: إِيَّايَ عَصَيْتُمْ فَكَيْفَ بِرُسُلِي لَوْ أَتَتْكُمْ»[١].

قال (ع)[٢]: أما الصبيُّ، والمغلوبُ علىٰ عقله، فبَيِّن أمرهما، وأما صاحبُ الفَترة، فليس ككفَّارِ قريش قبل بعثة النبي ﷺ، لأن كفار قريش، وغيرهم مِمَّنْ علم وسمع نبوَّة ورسالة في أقطار الأرضِ، ليسِ بصاحب فترةٍ، وقد قال النبيُّ ﷺ لرجل: «أبي وَأَبُوكَ فِي النَّارِ» ورأى ﷺ، عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ في النار[٣] وإلى غير هذا مِمَّا يطُولُ ذِكْره، وإنما صاحبُ الفترة يفرض أنه آدميٌّ لم يطرأ إليه أن اللَّه تعالى بعث رَسُولاً، ولاَ دَعا إِلى دِينٍ، وهذا قليلُ الوجود إلاّ أن يشذ في أطراف الأرض، والمواضع المنقطعة عن العمران.

ت: والصحيح في هذا الباب: «أَنَّ أَوْلاَدَ المُشْرِكِينَ في الجَنَّةِ، وأمَّا أَوْلاَدُ المُسْلِمِينَ فَفِي الجَنَّةِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ» متفق عليه.

وقد أَسند أَبو عُمَرَ في «**التمهيد**»[٤] من طريق أنس عن النبي ﷺ قال: «سأَلتُ رَبِّي في اللاَّهين مِنْ ذُرِّيَّةِ البَشَرِ ألاَّ يُعَذِّبَهُمْ فَأَعْطانِيهِمْ»[٥]. قال أبو عمر: إِنَّما قيل للأطفال:

---

(١) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (٨/ ٤٨١) رقم (٢٤٤٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٧١ ـ ٧٢).

(٣) أخرجه ابن إسحاق (١/ ٧٨ ـ ٧٩) «**تهذيب سيرة ابن هشام**»، ومن طريقه الطبري (٥/ ٨٩) (١٢٨٣١) عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، أن أبا صالح السمان حدثه، أنه سمع أبا هريرة يقول... فذكره، وأخرجه الحاكم (٤/ ٦٠٥) عن محمد بن عمر وعن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً به وصححه، ووافقه الذهبي.
وله شاهد من حديث أبي بن كعب، رواه أحمد (٥/ ١٣٨)، والحاكم (٤/ ٦٠٥) وصححه، ووافقه الذهبي.
وأخرجه أحمد (٣/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣) عن جابر.
وقال الهيثمي في «**المجمع**» (٢/ ٩١): رواه أحمد، وروى عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ بمثله. وفي الإسنادين عبد اللَّه بن محمد بن عقيل، وفيه ضعف، وقد وثق.

(٤) ينظر: «**التمهيد**» (١٨/ ١١٧)، وينظر: «**الاستذكار له**» (٨/ ٤٠١ ـ ٤٠٢).

(٥) أخرجه أبو يعلى (٦/ ٢٦٧) رقم (٣٥٧٠).
وقال الهيثمي في «**المجمع**» (٧/ ٢٢٢): رواه أبو يعلى من طرق، ورجال أحدها رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن المتوكل، وهو ثقة.

اللَّاهُونَ[١]؛ لأن أعمالهم كاللهو، واللعب من غير عقد، ولا عَـزْم، ثم أسند أبـو عـمر، ١٥ ب /عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «أَوْلَادُ المُشْرِكِينَ خَدَمُ أَهْلِ الجَنَّةِ»[٢].

قال أبو عمر[٣]، وروى شُعْبة، وسعيد بن أبي عروبة، وأبو عَوَانة، عن قتادة، عن أَبي سراية العجلي، عن سَلْمَان قال: أَطْفَالُ المُشْرِكِينَ خَدَمُ أَهْلِ الجَنَّةِ».

وذكر البخاري حَدِيثَ الرؤيا الطويل، وفيه: «وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ، فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام وأمَّا الوِلْدَانُ حَوْلَهُ، فَكُلُّ مَوْلُودٍ يُولدُ عَلَى الفِطْرَةِ، قَالَ: فقيل: يَا رَسُولَ اللَّه، وأَوْلَادُ المُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: وأَوْلَادُ المُشْرِكِينَ»، وفي رواية: «والصبيان حَوْلَهُ أَوْلَادُ النَّاسِ» وظاهره العمومُ في جميع أولاد الناس. انتهى [من **التمهيد**][٤] والذُّلُّ، والخِزْيُ مقترنان بعذاب الآخرة.

وقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ أَيْ: مِنَّا ومنكم ﴿مُتَرَبِّصٌ﴾ والتربصُ: التأنِّي، والصِّراطُ: الطريق، وهذا وَعِيدٌ بَيِّنٌ؛ والله الموفِّقُ، والهادي إلى الرشاد بفضله.

---

(١) في جـ: اللاهين.

(٢) أخرجه الطيالسي (٢/ ٢٣٥- منحة) رقم (٢٨٢٢)، وأبو يعلى (٧/ ١٣١) رقم (٤٠٩٠)، وأبو نعيم في «**الحلية**» (٦/ ٣٠٨)، وقال الهيثمي في «**المجمع**» (٧/ ٢٢٢): رواه أبو يعلى، والبزار، والطبراني في «**الأوسط**» إلا أنهما قالا: أطفال المشركين، وفي إسناد أبي يعلى يزيد الرقاشي، وهو ضعيف، وقال فيه ابن معين: رجل صدق. ووثقه ابن عدي، وبقية رجالهما رجال الصحيح.

والحديث ذكره العجلوني في «**كشف الخفاء**» (١/ ١٥١)، وعزاه للطبراني عن أنس، وسعيد بن منصور عن سلمان موقوفاً، وللبخاري في «**تاريخه الأوسط**» عن سمرة مرفوعاً.

(٣) ينظر «**التمهيد**» (١٨/ ١١٦- ١١٨) و «**الاستذكار**» (٨/ ٤٠٢).

(٤) سقط في جـ.

سُورَةُ الأنبياءِ

مكية بإجماع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ①﴾.

قوله عز وجل: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ...﴾ الآية: رُوي أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ، كان يبني جِدَاراً، فمر به آخرُ يومَ نزول هذه السورة، فقال الذي كان يبني الجدارَ: ماذا نزل اليوم من القرآن؟ فقال الآخر: نزل اليومَ ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاس حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ فنفض يديه من البُنْيان، وقال: واللّهِ لا بَنَيْتُ. قال أبو بكر بنُ العربي: قال لي شَيْخِي: في العبادة لا يذهب لك الزمان؛ في مُصَاولةِ الأقران؛ ومُوَاصلة الإخوان، ولم أرَ للخلاص شيئاً أقرب من طريقين: إمَّا أن يغلق الإنسان على نفسه بابه، وإما أن يخرج إلى مَوْضِعٍ لا يُعرفُ فيه، فإن ٱضطرّ إلىٰ مخالطة الناس، فَلْيَكُنْ معهم ببدنه، ويفارقهم بقلبه ولسانه، فإنْ لم يستطِعْ، فبقلبه، ولا يفارق السكوتَ. قال القُرْطُبِيُّ: ولأبي سليمان الخَطَّابِيّ في هذا المعنى: [الوافر]

أَنِسْتُ بِوَحْدَتِي وَلَزِمْتُ بَيْتِي ... فَدَامَ الأُنْسُ لِي وَنَمَا السُّرُورُ
وأَدَّبَنِي الزَّمَانُ فَلاَ أُبَالِي ... بِأَنِّي لا أُزَارُ وَلاَ أَزُورُ
وَلَسْتُ بِسَائِلٍ مَا دُمْتُ حَيّاً ... أَسَارَ الْجَيْشُ أَمْ رَكِبَ الأَمِيرُ

انتهى من «التذكرة».

وقوله: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حَسابُهُمْ﴾ عامٌ في جميع الناس، وإن كان المشارُ إليه في ذلك الوقت كفار قريش؛ ويدل على ذلك ما يأتي بعدُ من الآيات.

قال *ص*: اقترب: بمعنى الفعل المجرّد وهو قَرُبَ، وقيل: اقترب أبلغ للزيادة ﴿وهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ الواو للحال، انتهى.

وقوله: ﴿وَهُمْ فِي غفلةٍ مُعْرِضُونَ﴾ يريدُ: الكفار، ويأخذ عصاة المؤمنينَ من هذه الألفاظ قِسْطَهم.

ت: أيُّها الأَخُ أَشْعِرْ قلبك مَهَابَةَ رَبِّك، فإليه مآلك؛ وتأهب للقدوم عليه؛ فقد آنَ
١٦ أ ٱرتحالك؛ أنت في سكرة لذَّاتِك؛ وغشية شهواتِك؛ وإغماء غفلاتِك؛ ومِقْراضُ / الفناء يعمل في ثوب حياتك؛ ويفصل أجزاء عمرك جُزْءاً جزءاً في سائر ساعاتك؛ كل نفس من أنفاسك جزءٌ منفصل من جملة ذاتك وبذهاب الأجزاء تذهبُ الجمل، أنت جملة تؤخذ، آحادها وأبعاضها، إلى أن تستوفي سائرها عساكر الأقضية، والأقدار مُحْدقة بأسوار الأَعمار؛ تهدمُها بمعاول الليل والنهار؛ فلو أضاء لنا مِصْباحُ الاعتبار؛ لم يبقَ لنا في جَمِيع أوقاتنا سكونٌ ولاَ قَرار. انتهى من «**الكلم الفارقية والحكم الحقيقة**».

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥﴾.

وقوله: ﴿ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾ وما بعده مختصٌ بالكُفَّارِ، والذكر: القرآن، ومعناه محدث نزوله، لا هو في نفسه.

وقوله: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ جملة في موضع الحال، أيْ: ٱستماعهم في حال لَعِبٍ؛ فهو غير نافع، ولا وَاصِلٍ إلى النفس.

وقوله ﴿لاَهِيَةً﴾ حال بعد حال، واختلف النحاةُ في إعراب قوله: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فمذهبُ سيبويه[١] (رحمه الله تعالى): أن الضمير في ﴿أَسَرُّوا﴾: فاعل، وأن ﴿الَّذِينَ﴾ بدل مِنه، وقال: ليس في القرآن لغةُ مَنْ قال: أكلوُنِي البَرَاغِيثُ[٢]، ومعنى: ﴿أَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ تكلَّمُوا بينهم في السرِّ، ومُنَاجَاتِ بعضهم لبعض.

---

(١) ينظر «**الكتاب**» (٢/ ٤١).

(٢) الواو علامةُ جمع الفاعل، كما يَلْحق الفعلَ تاءُ التأنيث ليدلَّ على تأنيث الفاعل، كـ «قامت هند»، وهذه اللغة جاريةٌ في المثنى وجمعِ الإناث أيضاً فيقال: قاما أخواك، وقمن أخواتك» كقوله:

.... وقَدْ أَسْلَمَاهُ مُبْعَدٌ وَحَمِيمُ

وقوله:

وَلَكِنْ دِيافِيٌّ أَبُوهُ وَأُمُّهُ بِحَوْرَانَ يَعْصِرْنَ السَّلِيطَ أقارِبُهْ

واستدلَّ بعضهم بقوله عليه السلام: «يتعاقبون فيكم ملائكة»، ويعبِّر النحاة عن هذه اللغةِ بلغةِ «أكلوني البراغيث»، ولكنَّ الأفصحَ ألاَّ تلحقَ الفعلَ علامةٌ، وفرَّق النحويون بين لَحاقِهِ علامةَ التأنيث وعلامة التثنية والجمع بأنَّ علامةَ التأنيث ألزمُ؛ لأن التأنيث في ذاتِ الفاعل بخلاف التثنيةِ والجمعِ فإنه غيرُ لازمٍ.
ينظر: «**الدر المصون**» (٢/ ٥٨٠ ـ ٥٨١).

وقال أبو عبيدة[١]: أَسَرُّوا: أظهرُوا، وهو مِنَ الأضدَادِ، ثم بيَّن تعالى الأمر الذي تَنَاجوا به، وهو قولُ بعضهم لبعض على جهة التَّوبِيخ بزعمهم: ﴿أفَتَأتون السِّحْر﴾ المعنى: أَفَتَتَّبِعُون السحر وأنتم تبصرون، ثم أمر اللّه تعالى نبيه ﷺ، أن يقول لهم وللناس جميعاً: قُلْ ﴿رَبِّي يَعْلَمُ القَوْلَ فِي السَّمَاءِ والأَرْضِ﴾ أيْ: يعلم أقوالكم هذه، وهو بالمرصاد في المَجَازاةِ عليها، ثُمَّ عَدَّد سبحانه جَمِيعَ ما قَالتْهُ طوائِفُهم ووقع الاضرابُ بكُلِّ مقالة عن المتقدمة لها؛ ليبيّن اضطِرابَ أمرهم فقال تعالى: ﴿بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر﴾ والأَضْغَاثُ: الأَخْلاطُ، ثم حكى سبحانه اقتراحهم، آيةً تضطرهم؛ كناقة صالح وغيرها، وقولهم: ﴿كما أرسل الأولون﴾ دَالٌّ على معرفتهم بإتيان الرُّسُلِ الأَمَمَ المتقدمةَ.

﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ما آمنت قبلهم﴾ فيه محذوفٌ يَدُلُّ عليه المعنى تقديره: والآيةُ التي طلبوها عَادَتُنَا أَنَّ القومَ إنْ كفروا بها عَاجَلْنَاهُم، وما آمنت قبلهم قَرْيَةٌ من القُرَى التي نزلتْ بها هذه النازِلَةُ، أفهذه كانت تؤمن؟.

وقوله: ﴿أهلكناها﴾ جملة في موضع الصِّفَةِ لـ ﴿قرية﴾ والجُمَلُ: إذا اتَّبَعَتِ النَّكِرَاتِ؛ فهي صفاتٌ لها، وإذا اتبعت المعارف؛ فهي أحوالٌ منها.

وقوله سبحانه: ﴿وما أرسلنا قبلك إلاّ رجالاً نوحي إليهم فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ هذه الآية رَدٌّ على مَنِ استبعد منهم أَنْ يبعثَ اللّه بشراً رسولاً و﴿الذكر﴾ هو كُلُّ ما يأتي من تذكير اللّه عِبادَهُ، فأهل القرآن أَهْلُ ذكر، وأَمَّا المُحَالُ على سؤالهم في هذه الآية فلا يَصِحُّ أن يكونوا أهل القرآن في ذلك الوقت؛ لأنهم كانوا خُصُومَهُم، وإنما أحيلوا على سؤالِ أحبارِ أَهْلِ الكتابِ من حيثُ كانوا موافقين لكُفَّارِ قريش على ترك الإيمان بمحمد ﷺ.

﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ۝٨ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٩ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۝١١ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ۝١٢﴾.

---

(١) ينظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٣٤).

وقوله سبحانه: ﴿وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام﴾ قيل: الجَسَدُ من الأحياءِ: ما لا يَتَغَذَّى، وقيل: الجسد يَعُمُّ المُتَغَذي من الأجسامِ وغيرَ المتغذي فـ ﴿جعلناهم جسداً﴾ على التَّأويلِ الأول: مَنْفِيٌّ، وعلى الثاني: مُوجِبٌ، والنفيُ واقعٌ على صِفَتِهِ.

وقوله سبحانه: ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ الآية، هذه آية وعيدٍ.

وقوله: ﴿ومن نشاء﴾ يعني مِنَ المؤمنين، و﴿المسرفين﴾: الكُفَّارُ، ثم وَبَّخَهُمْ تعالى بقوله: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً﴾ / يعني: القرآن، ﴿فيه ذكركم﴾، أي: شَرَفُكُمْ، آخر الدَّهر، وفي هذا تحريضٌ لهم، ثم أكَّدَ التحريضَ بقوله: ﴿أفلا تعقلون﴾ و﴿كم﴾ للتكثير، ١٦ ب
و﴿قصمنا﴾ معناه: أهلكنا، وأصلُ القصم: الكَسْرُ في الأَجْرَام، فَإذا اسْتُعِيرَ للقوم والقرية ونَحْوِ ذلك فهو ما يُشْبِهُ الكَسْرَ وهو إهْلاكُهُم، و﴿أَنشأنا﴾، أي: خلقنا وَبَثَثْنَا أُمَّةً أُخْرَى غَيْرَ المُهْلَكَةِ.

وقوله: ﴿فلما أَحسوا﴾ وَصْفٌ عن حالِ قريةٍ من القُرَى المُجْمَلَةِ أَوَّلاً؛ قيل: كانت بالْيَمَنِ تُسَمَّى «حضور»، بَعَثَ اللَّه تعالى إلى أَهْلِها رسولاً فقتلوه، فَأَرْسَلَ اللَّه تعالى عليهم بختنصرَ صَاحِبَ بني إسرائيل فَهَزَمُوا جَيْشَهُ مرتين، فَنَهَضَ في الثالثة بنفسِهِ، فلما هزمهم، وأَخَذَ القَتْلَ فيهم رَكَضُوا هاربين، ويُحتَملُ أنْ لا يريدُ بالآية قريةً بعينها، وأَنَّ هذا وَصْفُ حالِ كُلِّ قريةٍ من القرى المُعَذَّبَة إذا أَحَسُّوا العذابَ؛ من أي نوع كان[1]، أَخذوا في الفرار و﴿أحسوا﴾ باشروه بالحواسِّ.

ص: ﴿إذا هم منها يركضون﴾ «إذا» الفجائية، وهي وما بعدها جواب لما. انتهى.

﴿لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَـٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَـٰهُمْ حَصِيدًا خَـٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾.

وقوله: ﴿لا تركضوا﴾ يُحْتَمُلُ على الرواية المُتَقَدِّمَةِ أَنْ يكونَ من قول رجالِ بُخْتَنَصَّرَ على جِهَةِ الخداعِ والاستهزاءِ بهم، فلما انصرفوا راجعينَ أَمَرَ بُخْتَنَصَّرُ أَنْ يُنَادَى فيهم: يا ثارات النَّبيِّ المقتولِ[2]، فَقُتِلُوا بالسَّيفِ عن آخرهم.

(١) في جـ: أكانوا.
(٢) في جـ: المفتول.

قال ع[1]: وهذا كُلُّهُ مَرْوِيٌّ، ويُحْتَمَلُ أَنْ يكونَ: ﴿لا تركضوا﴾ إلى آخر الآية. مِنْ كلامِ ملائِكَةِ العذابِ على جِهَةِ الهُزْءِ بِهم.

وقوله: ﴿حصيداً﴾ أي: بالعذاب كحصيدِ الزَّرْعِ بالمِنْجَلِ، و ﴿خامدين﴾ أي: موتى مُشَبَّهِينَ بالنارِ إذا طفئت، ثم وَعَظَ سبحانه السَّامِعِينَ بقوله: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾.

﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً﴾ الآية: ظاهِرُ الآية: الرَّدُّ على مَنْ قال من الكُفَّارِ في أَمْرِ مريمَ ـ عليها السلام ـ، وما ضَارَعَهُ من الكُفْرِ تعالى اللّه عن قَوْلِ المُبْطِلِينَ و«إن» في قوله: ﴿إن كنا فاعلين﴾ يُحْتَمَلُ أَنْ تكونَ شرطيةً، ويحتمل أَنْ تكونَ نافِيَةً بمعنى: ما كُنَّا فاعلين، وكُلُّ هذا قد قيل، و«الحَقّ» عام في القرآن والرسالة والشَّرْعِ، وكُلّ ما هو حَقٌّ، ﴿فيدمغه﴾ معناه: يُصِيبُ دِمَاغَهُ، وذلك مُهْلِكٌ في البَشَرِ؛ فكذلك الحَقُّ يُهْلِكُ الباطِلَ، و﴿الويل﴾: الخِزْيُ.

وقيل: هو اسمُ وادٍ في جَهَنَّمَ، وَأَنه المُرَاد في هذه الآية، وهذه مُخَاطَبَةٌ لِلْكُفَّارِ الذينَ وَصَفُوا اللّه عز وجل بما لا يجوزُ عليه تعالى اللّه عن قولهم.

وقوله: ﴿ومن عنده. . .﴾ الآية: عند هنا ليست في المسافات، وإنَّما هي تشريفٌ في المنزلة. ﴿ولا يستحسرون﴾ أي: لا يَكِلُّونَ، والحسير من الإبِلِ: المعيِيُ.

وقوله: ﴿لا يفتُرون﴾ وفي «الترمذي» عن أبي ذَرٍّ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إِنِّي أَرَىٰ مَالاَ تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَالاَ تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ؛ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إلاَّ وَمَلَكٌ واضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِداً للّهِ»[2] الحديث. قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح، وفي الباب عن عَائِشَةَ، وابنِ عَبَّاسٍ، وأَنَسٍ، انتهى من أصل الترمذي، أعني: «جَامِعِهِ».

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٧٦).
(٢) تقدم تخريج حديث الأطيط.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون﴾، أي: يُحْيُونَ غَيْرَهُم، ثم بَيَّنَ تعالى أَمْرَ التمانُع بقوله: ﴿لو كان فيهما آلهة إلاّ اللَّه لفسدتا﴾ وقد تَقَدَّمَ إِيضاحُ ذلك عند قوله تعالى: ﴿إِذاً لابتَغوا إلى ذي العَرْشِ سَبيلاً﴾ [الإسراء: ٤٢].

١٧ أ / وقوله: ﴿هذا ذكر من مَعِي وذكر من قبلي﴾ يُحْتَمَلُ أَنْ يريدَ بالإشارة بقوله: ﴿هذا﴾ إلى جميع الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا ـ أَنَّهَا تُبَيِّنُ أَنَّ اللَّه الخالِقَ وَاحِدٌ لا شريكَ له، ويحتمل أَنْ يريدَ بقوله: ﴿هذا﴾ القرآنَ والمعنى: فيه نَبأ الأَوَّلِينَ والآخرينَ فَنَصَّ أخبارَ الأَولين، وذَكَرَ الغُيُوبَ في أُمُورِهِمْ، حسبما هي في الكتب المُتَقَدِّمَةِ، وَذَكَرَ الآخرين بالدعوة، وبيانِ الشرع لهم، ثم حَكَمَ عليهم سبحانه بأَنَّ أَكْثرهم لا يعلمون الحقَّ، لإعراضهم عنه، وليس المعنى: فهم معرضون؛ لأَنَّهم لا يعلمون؛ بلِ المعنى: فهم معرضون، ولذلك لا يعلمون الحَقَّ، وباقي الآية بَيِّنٌ، ثم بَيَّنَ سبحانه نوعاً آخرَ من كُفْرِهِم بقوله: ﴿وقالوا اتخذ الرحمٰن ولداً﴾ الآية؛ كقول بعضهم: اتَّخَذَ المَلاَئِكَةَ بناتاً، وكما قالتِ النَّصَارَى في عيسى ابن مريم، واليهود في عزيرٍ.

وقوله سبحانه: ﴿بل عبادٌ مكرمون﴾ عبارةٌ تَشْمَلُ الملائِكَةَ وعيسى وعزير. وقال *ص*: بل إِضْرَابٌ عن نسبة الولد إليه تعالى عن ذلك عُلُوًّا كبيراً. و﴿عباد﴾ خبرُ مبتدإٍ محذوف، أي: هم عبادٌ. قاله أبو البقاء انتهى.

﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿لا يسبقونه بالقول﴾ عبارةٌ عن حُسْن طاعتهم ومُرَاعَاتِهِمْ لامتثالِ

الأمر، ثم أَخْبَرَ تعالى: أَنَّهم لا يشفعون إلاَّ لِمَنِ ارتضى اللَّه أَنْ يُشْفَعَ له، قال بعضُ المفسرين: لأَهْلِ لا إله إلاّ اللَّه، والمُشْفِقُ: المُبَالِغُ في الخوفِ، المُحْتَرِقُ النَّفْسِ من الفَزَعِ على أَمْرٍ ما.

وقوله سبحانه: ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه...﴾ الآية، المعنى: وَمَنْ يَقُلْ منهم كذا أَنْ لو قاله، وليس منهم مَنْ قال هذا، وقال بَعْضُ المفسرين: المراد بقوله: ﴿ومن يقل...﴾ الآية: إبْلِيسُ، وهذا ضعيفٌ؛ لأَنَّ إبْلِيسَ لم يُرْوَ قَطُّ أَنَّهُ ادَّعَى الرُّبُوبِيَّة، ثم وَقَفَهُمْ سبحانه على عِبْرَةٍ دَالَّةٍ على وَحْدَانِيَّتِهِ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ، فقال: ﴿أو لم ير الذين كفروا أن السمٰوات والأرض كانت رتقاً﴾ والرَّتْقُ: المُلْتَصِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، الذي لا صَدْعَ فيه ولا فَتْحَ، ومنه: امرأَةٌ رَتْقَاءُ، واخْتُلِفَ في معنى قوله: ﴿كانتا رتقاً ففتقناهما﴾ فقالت فِرْقَةٌ: كانت السماءُ مُلْتَصِقَةً بالأَرض ففتقها اللَّهُ بالهواء، وقالت فرقةٌ: كانت السمٰواتُ ملتصقةً بَعْضُهَا ببعضٍ، والأرضُ كذلك ففتقهما اللَّه سبعاً سبعاً؛ فعلى هذين القولين فالرُّؤْيَةُ الموقَف عليها رؤيةُ قلبٍ، وقالت فرقةٌ: السماءُ قبل المَطَرِ رَتْقٌ، والأَرضُ قبل النباتِ رَتْقٌ ففتقهما اللَّه تعالى بالمَطَرِ والنَّبَاتِ؛ كما قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ [الطارق: ١١، ١٢].

وهذا قولٌ حَسَنٌ يَجْمَعُ العِبْرَةَ وتعديدَ النعمةِ والحُجَّةِ بِمحسوسٍ بَيِّنٍ، ويُنَاسِبُ قوله تعالى: ﴿وَجعلنا من الماء كل شيء حي﴾، أي: من الماءِ الذي كان عَنِ الفَتْقِ، فَيَظْهَرُ معنى الآية، ويتوجَّهُ الاعتبارُ بها، وقالت فرقة: السماءُ والأَرْضُ رَتْقٌ بالظُّلْمَةِ ففتقهما اللَّه بالضَّوْءِ؛ والرُّؤْيَةِ على هذين القولين رُؤْيَةُ العَيْنِ، وباقي الآية بَيِّنٌ.

قال *ص*: قال الزَّجَّاجُ: السموات جَمْعٌ أُرِيدَ به الواحد؛ ولذا قال: ﴿كانتا رتقاً﴾. وقال الحُوفِيُّ: «قال: ﴿كانتا﴾ ـ والسمواتُ جَمْعٌ ـ: لأَنَّهُ أرادَ الصنفين» انتهى.

وقوله: ﴿سقفاً محفوظاً﴾ الحِفْظُ هنا عامٌّ في الحِفْظِ من الشيطان، ومن الوهي والسُّقُوطِ، وغير ذلك من الآفاتِ، والفَلَكُ: الجسمُ الدَّائِرُ دَوْرَةَ اليوم والليلةِ /. ١٧ ب
و﴿يسبحون﴾ معناه: يَتَصَرَّفُونَ، وقالت فرقة: الفَلَكُ مَوْجٌ مكفوفٌ، قوله: ﴿يسبحون﴾ من السِّبَاحَةِ وهي: العَوْمُ.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

وقوله عزَّ وجل: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد...﴾ الآية، وتقديرُ الكلام:

أَفَهُمُ الخالدون، إِنْ مِتَّ؟!

وقوله سبحانه: ﴿كل نفس ذائقة الموت...﴾ الآية: موعظةٌ[١] بليغةٌ لِمَنْ وُفِّقَ؛ قال أَبو نُعَيْم: كان الثَّوْرِيُّ (رضي اللّه عنه) إِذَا ذَكَرَ الموتَ لا يُنْتَفَعُ به أَيَّاماً». انتهى. من «التذكرة»[٢] للقرطبيِّ.

قال عبدُ الحقِّ في «العاقبة»: وقد أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بذكر الموتِ، وأَعَادَ القولَ فيه؛ تهويلاً لأَمرِهِ، وتعظيماً لشأْنِهِ، ثم قال: واعلم أَنَّ كثرةَ ذِكْرِ الموت يُرْدِعُ عن المعاصي، ويُلَيِّنُ القَلْبَ القاسي.

قال الحسن: ما رأيت عاقلاً قطُّ إِلاَّ وجدته حَذِراً من الموت، حزيناً من أَجْلِهِ، ثم قال: واعلم: أَنَّ طُولَ الأَمَلِ يكسل عن العمل، ويُورِثُ التواني، ويخلد إِلى الأرض، ويُمِيلُ إِلى الهوى، وهذا أَمرٌ قد شُوهِدَ بالعيان؛ فلا يحتاج إِلى بيان، ولا يُطَالَبُ صَاحِبُهُ بالبرهان؛ كما أَنَّ قِصَرَهُ يبعث على العَمَلِ، وَيَحْمِلُ على المُبَادَرَةِ، ويَحُثُّ على المسابقة؛ قال النَّبِيُّ ﷺ: «أَنا النَّذِيرُ، والمَوْتُ المُغِيرُ، والسَّاعَةَ المَوْعِدُ»[٣] ذكره القاضي أَبو الحسن بنُ صَخْرٍ في الفوائد. انتهى.

﴿ونبلوكم﴾ معناه: نَخْتَبِرُكُم، وقَدَّمَ ﴿الشَّرّ﴾ على لَفْظَةِ ﴿الخير﴾؛ لأَنَّ العَرَبَ من عادتها أَنْ تقدِّمَ الأَقَلَّ والأَرْدَى؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر: ٣٢]. فبدأ تعالى في تقسيم أُمَّةِ سَيِّدِنا محمد ﷺ بالظالم[٤]. و﴿فِتْنَةً﴾ معناه: امتحاناً.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وإِذا رآك الذين كفروا﴾: كأَبي جَهْلٍ وغيرِهِ، «وإِن» بمعنى: «ما»، وفي الكلام حَذْفٌ تقديره: يقولون: أَهذا الذي؟

(١) في جـ: هو عظة.

(٢) ينظر: «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» للقرطبي (١/ ٢٣).

(٣) أخرجه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٣٨٧)، والحديث ذكره الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ٤٥٩).
وقال: أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل»، وأبو القاسم البغوي بإسناد فيه لين.

(٤) في جـ: بالمظالم.

وقال «ص»: «إنْ»: نافية، والظاهِرُ أنَّها وما دَخَلَتْ عليه جَوَابُ إذًا، انتهى.

قوله سبحانه: ﴿وهم بذكر الرحمٰن هم كافرون﴾ رُوِيَ: أنَّ الآيَةَ نَزَلَتْ حِينَ أنكروا هذه اللَّفْظَةَ، وقالوا: ما نعرفُ الرَّحْمَنَ إلاَّ في اليمامة، وظاهِرُ الكلام: أنَّ ﴿الرحمٰن﴾ قُصِدَ به العبارة عنِ اللَّه عز وجل، وَوَصَفَ سبحانه الإنسانَ الذي هو اسمُ جنسٍ بأنه خُلِقَ من عَجَلٍ، وهذا على جهة المُبَالَغَةِ؛ كما تقول للرجل البطال: أنْتَ من لَعِبٍ وَلَهْوٍ.

﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار...﴾ الآية: حُذِفَ جوابُ «لو»؛ إيجازاً لدلالة الكلامِ عليه، وتقديرُ المحذوف: لما استعجلوا، ونحوه، وذَكَرَ الوجوهَ؛ لشرفها من الإنسانِ، ثم ذَكَرَ الظهورَ؛ ليُبَيِّنَ عُمُومَ النَّارِ لجميع أبْدَانِهِمْ، والضميرُ في قوله: ﴿بل تأتيهم بغتة﴾: للسَّاعَةِ التي تُصَيِّرُهُم إلى العذاب، ويُحْتَمَلُ أنْ يكونَ للنار، و﴿ينظرون﴾ معناهُ: يُؤَخَّرُونَ، و﴿حاق﴾ معناه: حَلَّ ونزل، و﴿يكلؤكم﴾، أي: يَحْفَظُكُمْ.

وقوله سبحانه: ﴿ولا هم منا يصحبون﴾ يحْتَمِلُ تَأْوِيلَيْنِ:

أحدهما: يجارون ويمنعون.

والآخر: ولا هم مِنَّا يُصْحَبُون بخيرٍ وتَزْكِيَةٍ ونحو هذا.

وقوله سبحانه: ﴿أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها..﴾ الآية ﴿نأتي الأرضَ﴾ معناه: بالقُدْرَة، ونقص الأرْض: إمَّا أنْ يُرِيدَ بتخريبِ ٱلْمَعْمُورِ، وإمَّا بموتِ البَشَرِ.

وقال قوم: النَّقْصُ من الأَطْرَاف: موتُ العلماءِ، ثم خاطب سبحانه نَبِيَّهُ ﷺ مُتَوَعِّداً
١٨ أ لِهَؤلاءِ / الكَفَرَةِ بقوله: ﴿ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك...﴾ الآية، والنَّفْحَةُ: الخَطْرَةُ والمَسَّةُ، والمعنى: ولئن مَسَّتْهُمْ صَدْمَةُ عذابٍ لَيَنْدَمُنَّ، ولَيُقِرُّنَّ بظلمهم، وباقي الآية بَيِّنٌ.

وقال الثعلبي: ﴿نفحة﴾، أي: طَرَفٌ؛ قاله ابن عباسٌ[١]، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿ليوم القيامة﴾ قال أبو حيان[٢]: اللام للظرفية بمعنى «في» انتهى.

قال القرطبي[٣] في «**تذكرته**»: قال العلماء: إذا انقضى الحسابُ كان بعدَه وَزْنُ الأعمالِ؛ لأَنَّ الوَزْنَ للجزاءِ، فينبغي أَنْ يكونَ بعد المُحَاسبَةِ، واخْتُلِفَ في الميزانِ والحَوْضِ: أَيُّهُمَا قَبْلَ الآخرِ، قال أبو الحسن القابسيُّ: والصحيحُ أَنَّ الحوضَ قبل الميزانِ، وذهب صاحِبُ «**القوت**» وغيرُه إلى: أَنَّ حَوْضَ النبي ﷺ إنما هو بَعْدَ الصِّرَاط.

قال القرطبي[٤]: والصحيح: «أَنَّ للنبي ﷺ حَوْضَيْنِ، وكلاهما يُسَمَّى كَوْثَراً، وأَنَّ الحَوْضَ الذي يُذَادُ عنه مَنْ بَدَّلَ وغَيَّرَ، يكونُ في المَوْقِفِ قبل الصراط، وكذا حِيَاضُ الأنبياءِ ـ عليهم الصلاة والسلام ـ تكونُ في الموقف؛ على ما وَرَدَ في ذلك من الأخبار»[٥] انتهى.

والفُرْقَانُ الذي أُوتي موسى وهارونُ قيل: التوراةُ، وهي الضِّيَاءُ والذِّكْرُ.

---

(١) ينظر: «**البحر المحيط**» (٦/ ٢٩٤).
(٢) في هذه اللام أوجه: ـ أحدها: قال الزمخشري مثلها في قولك: جِئْتُ لخَمْسٍ خَلَوْن من الشهر، ومنه قول النابغة: [الطويل]
تَوَهَّمْتُ آياتٍ لها فعرفتها لستةِ أعوام وذَا العامُ سَابعُ
والثاني: أنّها بمعنى في وإليه ذهب ابن قتيبة وابن مالك وهو رأي الكوفيّين ومنه عندهم ﴿لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إلاَّ هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ولقول مسكين الدارمي: [الطويل]
أولئك قومي قَدْ مَضَوْا لِسبِيلِهِم كما مضى مِنْ قَبلُ عادٌ وتُبَّعُ
وكقول الآخر: [الطويل]
وكلُّ أبٍ وابنٍ وإنْ عُمِّرا مَعاً مُقيمين مَفْقُودٌ لِوَقْتٍ وفَاقِدُ
والثالث: أنّها على بابها من التعليل ولكنْ على حذف مضاف أي لِحساب يَوْم القيامَة.
ينظر: «**الدر المصون**» (٥/ ٨٩ـ ٩٠) وينظر: «**الكشاف**» (٢/ ٥٧٤)، و «**البحر**» (٦/ ٣١٦).
(٣) ينظر: «**التذكرة**» (٢/ ٤١٧).
(٤) ينظر: القرطبي (١/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧).
(٥) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٩٩) كتاب الفضائل باب إثبات حوض نبينا ﷺ حديث (٣٧/ ٢٣٠١)، وأحمد (٥/ ٢٨٠).

وقالت فرقة: الفُرقَان: هو ما رَزَقَهُمَا اللَّهُ تعالى من نَصْرٍ وظُهُورٍ على فرعونَ وغيرِ ذلك، والضِّيَاءُ: التوراةُ، والذِّكْرُ: بمعنى التذكرة.

وقولُه سبحانه: ﴿وهذا ذكرٌ مبارك﴾ يعني: القرآن، ثم وَقَفَهُم سبحانه؛ تقريراً وتوبيخاً: هل يَصِحُّ لهم إنكارُ بَرَكَتِهِ وما فيه من الدعاءِ إلى اللَّه تعالى وإلى صالح العمل؟

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ (٥٢) قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٥٦)﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده...﴾ الآية. الرُّشْدُ عامٌّ، أي: في جميع المَرَاشِدِ وأنواعِ الخيراتِ.

وقال الثعلبيُّ: ﴿رُشْدَهُ﴾، أي: توفيقه، وقيل: صَلاَحَهُ، انتهى.

وقوله: ﴿وكنا به عالمين﴾: مَدْحٌ لإبراهيمَ عليه السلام، أي: عالمين بما هَلَّ له؛ وهذا نحو قولِهِ تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] والتماثيل: الأصنامُ.

﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨)﴾.

وقوله: ﴿وتاللَّه لأكيدن أصنامكم...﴾ الآية. رُوِيَ: أَنَّهُ حَضَرَهُم عِيدٌ لهم، فعزم قومٌ منهم على إبراهيمَ في حُضُورِهِ؛ طمعاً منهم أَنْ يَسْتَحْسِنَ شيئاً من أحوالهم، فَمَشَى معهم، فلما كان في الطريق ثَنَى عَزْمَه على التَّخَلُّفِ عنهم، فقعد، وقال لهم: إني سقيم، فَمرَّ به جُمْهُورُهُم، ثم قال في خلوةٍ من نفسه: ﴿وتاللَّه لأكيدن أصنامكم﴾ فَسَمِعَهُ قومٌ من ضَعَفَتِهِم مِمَّنْ كان يسيرُ في آخِرِ الناس.

وقوله: ﴿بعد أن تولوا مدبرين﴾ معناه: إلى عِيدِكُمْ، ثم انصرف إبراهيمُ عليه السلام إِلَى بيت أصنامِهِم فدخله، ومعه قَدُومٌ، فوجد الأَصنامَ قد وُقِّفَتْ، أَكْبَرُهَا أَوَّلٌ، ثم الذي يليه فالذي يليه، وقد جعلوا أَطْعِمَتَهُم في ذلك اليوم بين يدي الأَصنام؛ تبركاً لينصرفوا من ذلك العيد إلى أَكْلِهِ، فجعل ـ عليه السلامُ ـ يُقَطِّعُهَا بتلك القدوم، ويُهَشِّمُهَا حتى أفسد أَشكالها، حاشا الكبيرَ؛ فإِنَّهُ تَرَكَهُ بحالِهِ وعَلَّقَ القدومَ في يَدِهِ، وخَرج عنها، و﴿جذاذاً﴾:

معناه: قطعاً صِغاراً، والجَذُّ: القَطْعُ، والضميرُ في ﴿إليه﴾ أَظْهَرُ ما فيه أَنَّهُ عائِدٌ على إبراهيم، أي: فَعَلَ هذا كُلَّهُ؛ ترجِّياً منه أَنْ يَعْقُبَ ذلك منهم رَجْعَةٌ إِليه وإِلى شَرْعِهِ، ويُحْتَمَلُ أَنْ يعودَ على كبيرهم.

﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿قالوا من فعل هٰذا...﴾ الآية. المعنى: فانصرفوا من عِيدِهِمْ فرأوا
١٨ ب ما حَدَثَ بآلهتهم، فـ ﴿قالوا: مَنْ / فَعَلَ هذا بآلهتنا﴾؟ و﴿قالوا﴾ الثاني: الضميرُ فيه للقوم الضَّعَفَةِ الذين سَمِعُوا قولَ إبراهيمَ: ﴿تاللّهِ لأكيدَنَّ أصنامكم﴾.

وقوله: ﴿على أعين الناس﴾ يريدُ في الحَفْلِ، وبِمَحْضَرِ الجمهور، وقوله: ﴿يشهدون﴾: يحتَملُ أَنْ يريدَ: الشهادَةَ عليه بفعله، أو بقوله: ﴿لأكيدن﴾، ويحتمل أَنْ يريدَ به: المُشَاهَدَةَ، أي: يشاهدون عُقُوبَتَهُ أو غلبته المُؤَدِّيَةَ إِلَى عُقُوبَتِهِ، وقوله عليه السلام: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ على معنى الاحتجاجِ عليهم، أي: إِنَّهُ غَارَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ هو وَتُعْبَدَ الصِّغَارُ معه، ففعل هذا بها لذلك؛ وفي الحديث الصحيح عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام إِلاَّ ثَلاَثَ كَذِبَاتٍ: قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾، وقوله لِلْمَلِكِ: هِيَ أُخْتِي. وكانت مقالاتُه هذه في ذات اللّه، وذهبت فرقة إِلى أَنَّ معنى الحديث: لم يكذب إبراهيم، أي: لم يقل كلاماً ظاهره الكذب أو يشبه الكذبُ، وذهب الفَرَّاءُ إِلى جهة أخرى في التأويل بأَنْ قال: قوله: ﴿فعله﴾ ليس من الفعل، وإِنما هو فعله على جهة التوقع، حُذِفَ اللامُ على قولهم: عَلَّه بمعنى: لَعَلَّهُ، ثم خُفِّفَتِ اللام.

قال *ع[(١)]*: وهذا تكلف.

قلت: قال عياض: واعلم، (أكرمك اللّه) أَنَّ هذه الكلماتِ كلها خارجة عن الكذب، لا في القصد ولا في غيره، وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب، فأَمَّا قوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ فإنه عَلَّقَ خبره بشرط النطق، كأنه قال: إِنْ كان ينطق فهو فعله؛ على طريق التبكيت لقومه. انتهى.

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٨٧).

ثم ذكر بقية التوجيه وهو واضح لا نطيل بسرده.

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون﴾، أي: في توقيف هذا الرجل على هذا الفعلِ وأَنتم معكم من تسألون ثم رأوا ببديهة العقل أنَّ الأصنام لا تنطق، فقالوا لإِبراهيمَ حين نكسوا في حيرتهم: ﴿لقد علمتَ ما هؤلاءِ ينطقون﴾، فوجد إبراهيمُ عليه السلام عند هذه المقالة موضعَ الحُجَّةِ ووقفهم مُوَبِّخاً لهم بقوله: ﴿أفتعبدون من دون اللَّه ما لا ينفعكم شيئاً. . .﴾ الآية. ثم حَقَّرَ شأنهم وشأنها بقوله: ﴿أف لكم ولما تعبدون من دون اللَّه. . .﴾ الآية.

ص[1]: وقولهم: ﴿لقد علمت﴾: جواب قَسَمٍ محذوف معمول لقول محذوف في موضع الحال، أي: قائلين، لقد علمت. انتهى.

وقال الثعلبي: ﴿فرجعوا إلى أنفسهم﴾ أي: تفكروا بعقولهم فقالوا: ما نراه إلاَّ كما قال، إِنكُم أنتم الظالمون في عبادتكم الأَصنامَ الصغارَ مع هذا الكبير. اهـ.

وما قدمناه عن *ع*[2] هو الأَوْجَهُ و﴿أف﴾ لفظة تُقال عند المُسْتَقْذَرَاتِ من الأَشياءِ، ويُسْتَعَارُ ذلك للمُسْتَقْبَحِ من المعاني، ثم أخذتهم العِزَّةُ بالإِثم وانصرفوا إلى طريق الغلبة والغشم، فقالوا: ﴿حَرِّقوه﴾؛ رُوِيَ: أَنَّ قائل هذه المقالة هو رجل من الأَكْرَادِ من أعرابِ فارس، أي: من باديتها، فَخَسَفَ اللَّه به الأَرض، فهو يتجلجلُ فيها إلى يوم القيامة، وروي: أنه لما أجمع رأيهم على تحريقه حَبَسَهُ نمرودُ الملكُ (لعنه اللَّه) وأمر بجمع

(١) [هذه الجملة جواب قسم محذوف والقسم وجوابه معمولان لقول مضمر وذلك القول المضمر حال من مرفوع نكسوا أي نكسوا قائلين واللَّه لقد علمت قوله: «مَا هَؤُلاَءِ يَنطِقُونَ» يجوز أن تكون ما هذه مجازية فتكون هؤلاء اسمها وينطقون في محل نصب خبرها أو تميمية فلا علم لها والجملة المنفية بأسرها سادة مسد المفعولين إنْ كانتْ «عَلِمَتْ» على بابها ومسد واحد إنْ كانت عرفانية].
ينظر: «الدر المصون» (٥/٩٨).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/٨٨).

الحَطَبِ حتى اجتمع منه ما شاءَ اللَّه، ثم أضرم ناراً فلما أرادوا طرحَ إبراهيمَ فيها لم يقدروا على القرب منها، فجاءهم إبليسُ في صورة شيخ فقال لهم: أنا أصنع لكم آلةً يُلْقَى بها، فَعَلَّمَهُمْ صنعة المِنْجَنِيقِ، ثم أُخْرِجَ إبراهيمُ عليه السلام فشد رباطاً، ووُضِعَ في كفَّةِ المنجنيق، ورُمِيَ به، فتلقَّاهُ جبريلُ ـ عليه السلام ـ في الهواءِ فقال له: ألك حاجة؟ فقال: أمَّا إليك فلا، وأمَّا إلى اللَّه فبلى.

قلت: قال ابنُ عطاء اللَّه في «**التنوير**»: وكنْ أَيُّها الأَخْ إبراهيميًّا؛ إذْ زُجَّ به في المنجنيق، فتعرَّض له جبريل فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، وأما إلى ربي، فبلى، قال: فَاسْأَلْهُ. قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي، فانظرْ كيف رفع هِمَّتَهُ عن الخلق، ووجَّهَهَا إلى الملك الحقِّ، فلم يستغث بجبريل، ولا احتال على السؤال، بل رأى رَبَّهُ تعالى أقربَ إليه من جبريل ومن سؤاله؛ فلذلك سَلَّمَهُ من نمرودَ ونكَالِهِ، وأنعم عليه بنواله وأفضاله. انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً﴾ قال بعض العلماء فيما روي: إنَّ اللَّه تعالى لو لم يقلْ: ﴿وسلاماً﴾ لهلك إبراهيمُ من برد النارِ، ورُوِيَ أنَّه لما وقع في النار سَلَّمَهُ اللَّه، واحترق الحبل الذي رُبِطَ به، وقد أكثر الناس في قصصه فاختصرناه؛ لعدم صِحَّة أكثره، وروي: أنَّ إبراهيمَ عليه السلام كان له بسط وطعام في تلك النارِ كُلُّ ذلك من الجنة، وروي: أنَّ العيدانَ أينعت وأثمرت له هناك ثمارَها، ورُوِيَ: أنهم قالوا: إنَّ هذه نار مسحورة، لا تحرق، فرموا فيها شيخاً منهم فاحترق، واللَّه أعلم بما كان من ذلك.

قلت: قال صاحب «**غاية المغنم في اسم الله الأعظم**» وهو من الأئمة المحدثين، وعن الإمام أَحمدَ بنِ حَنبلَ رحمه اللَّه: إنه يُكْتَبُ للمَحْمُوم ويُعَلَّقُ عليه: بسم اللَّه الرحمٰن الرحيم، يا اللَّه يا اللَّه محمد رسول اللَّه ﷺ ﴿يا نارُ كوني برداً وسلاماً على إبراهيمَ * وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين﴾، اللهم ربَّ جبريل وميكائيل اشْفِ حاملها بحولك وقوتك وجبروتك يا أرحمَ الراحمين. انتهى.

وقوله: ﴿وسلاماً﴾ معناه: وسلامةً، و«الكَيْدُ»: هو ما أرادوه من حرقه.

﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ

مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ونجيناه ولوطاً. . .﴾ الآية. رُوِيَ أَنَّ إبراهيمَ عليه السلام لما خرج من النار أحضره نمرودُ، وقال له في بعض قوله: يا إبراهيمُ، أين جنودُ ربِّك الذي تَزْعُمُ؟ فقال له عليه السلام: سيريك فِعْلَ أضعفِ جنوده، فبعث اللَّه تعالى على نمرودَ وأصحابه سحابةً من بعوضٍ فأكلتهم عن آخرهم ودوابَّهُم حتى كانتِ العظام تلوح بيضاءَ، ودخلت منها بعوضةٌ في رأس نمرودَ، فكان رأسه يُضْرَبُ بالعيدانِ وغيرِها، ثم هلك منها، وخرج إبراهيمُ وابن أخيه لوط ـ عليهما السلام ـ من تلك الأرضِ مهاجرين، وهي «كُوثى» من العراق، ومع إبراهيمَ بنتُ عَمِّهِ، سارَةُ زوجتُه، وفي تلك السفرة لَقِيَ الجبارَ الذي رام أخذها منه، واخْتُلِفَ في الأرض التي بُورِكَ فيها ونحا إليها إبراهيم ولوط ـ عليهما السلام ـ، فقالت فرقة: هي مَكَّةُ، وقال الجمهور: هي الشام، فنزل إبراهيم بالسبع من أرض فلسطين، وهي برية الشام، ونزل لوط بالموتكفة، «والنافلة»: العطيَّةُ، وباقي الآية بَيِّنٌ، وخبائِثُ قرية لوط هي إتيانُ الذكور، وتَضَارُطُهُمْ في مجالسهم، إلى غير ذلك من قبيح أفعالهم.

﴿وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَـٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

وقوله سبحانه في نوح ـ عليه السلام ـ: ﴿ونصرناه من القوم. . .﴾ الآية، لما كان جُلُّ نُصْرَتِهِ النجاةَ، وكانت غلبة قومه بأمر أجنبيٍّ منه ـ حَسُنَ أَنْ يقول: «نصرناه من»، ولا تتمكن هنا «على».

قال *ص*: عُدِّيَ «نصرناه» بـ «مِنْ»؛ لتضمنه معنى: نجينا، وعصمنا، ومنعنا. وقال أبو عبيدة: «مِنْ» بمعنى «على».

قلت: وهذا أولى، وأَمَّا الأول ففيه نظر؛ لأَنَّ تلك الأَلفاظَ المُقَدَّمَةَ كلها غير مرادفة لـ «نصرنا»، انتهى.

قلت: وكذا يظهر من كلام ابن هشام: ترجيحُ الثاني، وذِكْرُ هؤلاء الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ضَرْبُ مَثَلٍ لقصة نبيِّنا محمد ﷺ مع قومه، ونجاةُ الأنبياء، وهلاكُ مكذبيهم ضمنها تَوَعُّدٌ لِكُفَّارِ قريش.

وقوله تعالى: ﴿وداود وسليمان﴾ المعنى: واذكر داود وسليمان، هكذا قَدَّرَهُ جماعة من المفسرين، ويُحْتَمَلُ أَنْ يكونَ المعنى: وآتينا داود، و«النفش»: هو الرعي ليلاً، ومضى الحكم في الإِسلام بتضمين أربابِ النعم ما أفسدت بالليل؛ لأَنَّ على أهلها أَنْ يثقفوها، وعلى أهل الزروع حفظها بالنهار، هذا هو مُقْتَضَى الحديث في ناقة ابن عازب، وهو مذهب مالك وجمهور الأُمَّةِ، وفي كتاب ابن سحنون: إِن الحديث إِنَّما جاء في أمثالِ المدينة التي هي حيطان محدقة، وأَمَّا البلاد التي هي زروع متصلة غير محظرة فيضمن أربابُ النَّعَمِ ما أفسدتْ بالليل والنهار.

قال *ص*: والضمير في قوله: ﴿لحكمهم﴾ يعودُ على الحاكمين والمحكوم له؛ وعليه أبو البقاء.

وقيل: الضمير لداودَ وسليمانَ ـ عليهما السلام ـ فقط، وجُمِعَ؛ لأَنَّ الاثنين جمع. انتهى.

قال ابن العربيِّ في «أحكامه»[(١)]: المواشي على قسمين: ضوار[(٢)]، وغير ضوار، وهكذا قَسَّمَهَا مالك، فالضواري: هي المعتادة بأكل الزرع والثمار، فقال مالك: تُغَرَّبُ وتُبَاعُ في بلد لا زرعَ فيه، ورواه ابن القاسم في الكتاب وغيره.

قال ابن حبيب: وإِنْ كَرِهَ ذلك أربابُها، وكان قول مالك في الدَّابَّةِ التي ضريت بفساد الزرع أَنْ تُغَرَّبَ وتُبَاعَ، وأَمَّا ما يُسْتَطَاعُ الاحتراز منه فلا يُؤْمَرُ صاحبه بإخراجه عن ملكه، وهذا بَيِّنٌ. انتهى.

وقوله: ﴿يسبحن﴾، أي: يقلن: سبحان اللَّه؛ هذا قول الأكثر، وذهبت فرقة منهم

---

(١) ينظر: «أحكام القرآن» (٣/ ١٢٧٠).

(٢) الضِّرْو من السباع: ما ضَري بالصيد ولهج بالفرائس.
ينظر: «لسان العرب» (٢٥٨٣).

منذرُ بن سعيد إلى أنه بمعنى: يُصَلِّينَ معه بصلاته، واللبوس في اللغة: هو السلاح، فمنه الدرع وغيره.

قال «ص»: و﴿لَبُوس﴾ معناه: مَلْبُوسٌ؛ كالرُّكُوب بمعنى المَرْكُوب؛ قال الشاعر [الطويل].

عَلَيْهَا أَسُودٌ ضَارِيَاتٌ لَبُوسُهُمْ سَوَابِغُ بِيضٌ لاَ تُخَرِّقُهَا النَّبْلُ

﴿ولسليمان الريح﴾، أي: وسخرنا لسليمانَ الريحَ، هذا على قراءة [النصب][1] وقرأت[2] فرقة «الريحُ» بالرفع، ويروى أَنَّ الريح العاصفة كانت تهبُّ على سرير سليمانَ الذي فيه بساطه، وقد مد حول البساط بالخشب والألواح حتى صَنَعَ سريراً يَحْمِلُ جميع عسكره وأقواته، فتقله من الأرض في الهواء، ثم تتولاه الريح الرُّخَاءُ بعد ذلك فتحمله إلى حيث أراد سليمان.

قال «ص»: والعَصْفُ: الشِّدَّةُ، والرُّخَاءُ: اللين. انتهى.

وقوله تعالى: ﴿إلى الأرض التي باركنا فيها﴾ اخْتُلِفَ فيها، فقالت فرقة: هي الشام، وكانت مسكنَه وموضعَ ملكه، وقد قال بعضهم: إنَّ العاصفة هي في القفول على عادة البشر والدَّوابِّ في الإسراع إلى الوطن، وإنَّ الرُّخَاء كانت في البدأة حيث أصاب، أي: حيث يقصد؛ لأَنَّ ذلك وقت تأنٍ / وتدبير وتقلُّبِ رأي، ويحتمل: أنْ يريد الأَرض التي يسير ١٩ أ
إليها سليمان كائنةً ما كانت، وذلك أَنَّهُ لم يكن يسير إلى أَرض إلاَّ أصلحها اللّه تعالى به ﷺ، ولا بركةَ أَعظَمُ من هذا، والغوصُ: الدخول في الماء والأرض، والعمل دون ذلك البنيان وغيره من الصنائع والخدمة ونحوها، ﴿وكنا لهم حافظين﴾ قيل: معناه: مِنْ إفسادهم ما صنعوه، وقيل: غير هذا.

قلت: وقوله سبحانه: ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ هذا الاسم المُبَارَكُ مناسب لحال أَيُّوبَ عليه السلام، وقد روى أسامة بن زيد (رضي اللّه عنه) أَنَّ رسول اللّه ﷺ قال: «إنَّ لِلَّهِ تَعَالَىٰ مَلَكاً مُوَكَّلاً بِمَنْ يَقُولُ: يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين، فَمَنْ قَالَهَا ثَلاَثاً، قَالَ لَهُ المَلَكُ: إنَّ

(١) سقط في جـ.
(٢) وقد قرأ بها الأعرج، وأبو بكر عن عاصم.
ينظر: «مختصر الشواذ» (٩٥)، و«الكشاف» (٣/ ١٣٠)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٩٣)، و«البحر المحيط» (٦/ ٣٠٨)، و«الدر المصون» (٥/ ١٠٣).

أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكَ؛ فَاسْأَلْ»[١] رواه الحاكم في «**المُسْتَدْرَكِ**»، وعن أنس بن مالك (رضي اللَّه عنه) قال: «مَرَّ رسول اللَّه ﷺ بِرَجُلٍ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه ﷺ: سَلْ؛ فَقَدْ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْكَ»[٢] رواه الحاكم، انتهى من «**السلاح**».
وفي قصص أيوبَ عليه السلام طُولٌ واختلاف، وتلخيصُ بعض ذلك: أَنَّ أيوبَ عليه السلام أصابه اللَّه تعالى بأكلة في بدنه، فلما عَظُمَتْ، وتقطَّع بدنه، أخرجه الناس من بينهم، ولم يبقَ معه غيرُ زوجته، ويقال: كانت بنتَ يوسفَ الصديق عليه السلام قيل: اسمها رحمة، وقيل في أيوب: إنَّه من بني إسرائيل وقيل: إنه من «الروم» من قرية «عيصو»، فكانت زوجته تسعى عليه، وتأتيه بما يأكل، وتقوم عليه، ودامَ عليه ضُرُّهُ مدَّة طويلة، وروي أنَّ أيوب (عليه السلام) لم يزل صابراً شاكراً، لا يدعو في كشف ما به، حتى إنَّ الدودة تسقط منه فيردها، فمرَّ به قوم كانوا يعادونه فشمتوا به؛ فحينئذٍ دعا رَبَّهُ سبحانه فاستجاب له، وكانت امرأته غائبةً عنه في بعض شأنها، فأنبع اللَّه تعالى له عيناً، وأُمِرَ بالشرب منها فبرىء باطنه، وأُمِرَ بالاغتسال فبرىء ظاهره، ورُدَّ إلى أفضل جماله، وأوتي بأحسن ثياب، وهبَّ عليه رجل من جراد من ذهب فجعل يحتفن منه في ثوبه، فناداه ربه سبحانه وتعالى: «يا أيوب ألَمْ أكنْ أغنيتك عن هذا؟ فقال: بلى يا رب، ولكن لا غنى بي عن بركتك» فبينما هو كذلك إذ جاءت امرأته، فلم تره في الموضع، فجزعت وَظَنَّتْ أَنَّهُ أزيل عنه، فجعلت تتولَّهُ رضي اللَّه عنها، فقال لها: ما شَأْنُكِ أيتها المرأة؟ فهابته؛ لحسن هيئته، وقالت: إنِّي فقدت مريضاً[٣] لي في هذا الموضع، ومعالم المكانِ قد تغيرت، وتأملته في أثناءِ المقاولة[٤] فرأت أيوبَ، فقالت له: أنت أيوبُ؟ فقال لها: نعم، واعتنقها، وبكى، فَرُوِيَ أنه لم يُفَارِقْهَا حَتَّى أراه اللَّه جميعَ مالِهِ حاضراً بين يديه.
واختلف الناس في أهله وولده الذين آتاه اللَّه، فقيل: كان ذلك كله في الدنيا فَرَدَّ اللَّه عليه ولده بأعيانهم، وجعل مثلهم له عدة في الآخرة، وقيل: بل أُوتي جميع ذلك في الدنيا من أهل ومال.

ت: وقد قَدَّمَ *ع*[٥]* في صدر القصة: إن اللَّه سبحانه أَذِنَ لإبليسَ (لعنه اللَّه)

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٥٤٤) من طريق كامل بن طلحة عن فضال بن جبير عن أبي أمامة مرفوعاً، وسكت عنه الحاكم، وقال الذهبي: فضال ليس بشيء.
(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٥٤٤) من حديث أنس بن مالك، وقال الذهبي: لم يصح هذا.
(٣) في جـ: كان لي.
(٤) في جـ: المقالة.
(٥) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٩٤).

في إهلاك مال أيوبَ، وفي إهلاك بنيه وقرابته، ففعل ذلك أجمع، واللَّه أعلم بصحة ذلك، ولو صَحَّ لوجب تأويله.

وقوله سبحانه: ﴿وذكرى للعابدين﴾، أي: وتذكرة وموعظة للمؤمنين، ولا يعبد اللَّه إلاَّ مؤمن.

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وإسماعيل وإدريس﴾ المعنى: واذكر إسماعيلَ، وقوله سبحانه: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً﴾ التقدير واذكر ذا النون، قال السُّهَيْلِيُّ: لما ذكر اللَّه تعالى يُونُسَ هنا في معرض الثناء، قال: ﴿وذا النون﴾، وقال في الآية الأخرى: ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ [القلم: ٤٨] / والمعنى واحدٌ، ولكن بين اللفظين تفاوتٌ كثير في حسن ١٩ ب
الإشارة إلى الحالتين، وتنزيلُ الكلام في الموضعين والإضافة بذي أشرف من الإضافة بصاحب؛ لأنَّ قولك[1]: ذو يضاف بها إلى التابع، وصاحبُ يُضَافُ بها إلى المتبوع. انتهى.

والنون: الحوتُ، والصاحب: يونس بن متى ـ عليه السلام ـ وهو نبيٌّ من أهل نَيْنَوَى.

وقوله: ﴿مغاضباً﴾ قيل: إنَّهُ غاضب قومه حين طال عليه أمرهم وَتَعَنُّتُهُمْ، فذهب فارًّا بنفسه، وقد كان اللَّه تعالى أمره بملازمتهم والصبرِ على دعائهم، فكان ذلك ذَنْبَه، أي: في خروجه عن قومه بغير إذن ربه.

قال عِيَاض: والصحيح في قوله تعالى: ﴿إذ ذهب مغاضباً﴾ أَنَّهُ مُغَاضِبٌ لقومه؛ لكفرهم، وهو قول ابن عباس، والضَّحَّاكِ[2] وغيرهما، لا لربه؛ إِذْ مغاضبة اللَّه تعالى معاداة له، ومعاداةُ اللَّه كفر لا يليق بالمؤمنين، فكيف بالأنبياء ـ عليهم السلام ـ؟! وفرارُ

---

(١) في جـ: قوله وذا.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٧٣) برقم (٢٤٧٤٩) عن ابن عباس، (٢٤٧٥٠) عن الضحاك، وذكره السيوطي (٤/ ٥٩٧) وعزاه للبيهقي في «**الأسماء والصفات**» عن ابن عباس، وعزاه أيضاً لابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن الضحاك.

يونس عليه السلام خشيةَ تكذيب قومه بما وعدهم به من العذاب.

وقوله سبحانه: ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ معناه: أَنْ لن نضيق عليه، وقيل: معناه: نقدر عليه ما أصابه، وقد قُرِيء «نقَدِّرَ» عليه بالتشديد[(١)]، وذلك، كما قيل لحسن ظَنِّهِ بربه: أنه لا يقضي عليه بعقوبة، وقال عياض في موضع آخر: وليس في قصة يونس عليه السلام نَصٌّ على ذنب، وإنما فيها أَبَقَ وذهب مغاضباً، وقد تكلمنا عليه، وقيل: إنما نقم اللّه ـ تعالى ـ عليه خروجه عن قومه، فارًّا من نزول العذاب. وقيل: بل لَمَّا وعدهم العذابَ، ثم عفا اللّه عنهم، قال: واللّهِ لا ألقاهم بوجه كذَّابٍ أبداً، وهذا كله ليس فيه نَصٌّ على معصية. انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾. قالت فرقة: معناه: أنْ لن نضيق عليه في مذهبه؛ من قوله تعالى: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦]، وقرأ الزُّهْرِيُّ: «نُقَدِّرُ»[(٢)] بضم النون، وفتح القاف، وشَدِّ الدال، ونحوه عن الحسن.

وروي: أَنَّ يونس عليه السلام سجد في جوفِ الحوت حين سمع تسبيح الحيتان في قعر البحر.

وقوله: ﴿إني كنت من الظالمين﴾: يريد فيما خالف فيه من تركِ ملازمة قومه والصبرِ عليهم، هذا أحسن الوجوه، فاستجاب اللّه له.

ت وليس في هذه الكلمة ما يَدُلُّ أَنَّهُ اعترف بذنب، كما أشار إليه بعضهم، وفي الحديث الصحيح: «دَعْوَةُ أَخِي ذِي النُّونِ، في بَطْنِ الْحُوتِ: ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ، إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، مَا دَعَا بِهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ ـ أَوْ قَالَ: مُسْلِمٌ ـ، إِلاَّ اسْتُجِيبَ لَهُ»[(٣)]

---

(١) وهي قراءة الزهري والحسن كما ذكرهما المصنف بَعْدُ.
وقرأ بها ابن أبي ليلى، وأبو شرق، والكلبي، ويعقوب.
كما في «مختصر الشواذ» ص (٩٥)، وينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٩٧)، و«البحر المحيط» (٦/ ٣١١)، ونسبها للزهري حسب. وهي في «الدر المصون» (٥/ ١٠٥).
وحكاها القرطبي (١١/ ٢١٩) عن عمر بن عبد العزيز والزهري.

(٢) ينظر القراءة السابقة.

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٢٩) كتاب الدعوات: باب (٨٢) حديث (٣٥٠٥)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ١٦٨) كتاب عمل اليوم والليلة: باب ذكر دعوة ذي النون، حديث (١٠٤٩٢)، وأحمد (١/ ١٧٠)، والحاكم (١/ ٥٠٥)، والطبري (٩/ ٧٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٤٣٢) رقم (٦٢٠) كلهم من حديث سعد بن أبي وقاص.
والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٥٩٩)، وزاد نسبته إلى الحكيم في «نوادر الأصول»، وابن أبي حاتم، والبزار، وابن مردويه.

الحديث، انتهى. وعن سعد بن مالك أنَّ رسول اللّه ﷺ قال في قوله تعالى: ﴿لا إلٰه إلاَّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ أيما مُسْلِم دَعَا بِهَا فِي مَرَضِهِ أَرْبَعِينَ مَرَّةً فَمَاتَ فِي مَرَضِهِ ذَلِكَ ـ أُعْطِيَ أَجْرَ شَهِيدٍ، وإِنْ بَرِىءَ بَرِىءَ وَقَدْ غَفَرَ اللّهُ لَهُ جَمِيعَ ذُنُوبِهِ»[1] أخرجه الحاكم في «المستدرك»، انتهى من «السلاح».

وذكر صاحب «السلاح» أيضاً عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول اللّه ﷺ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ، إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ، سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ في شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ اسْتَجَابَ اللّهُ تعالى لَهُ» رواه الترمذي، واللفظ له، والنسائي والحاكم في «المستدرك»، وقال: صحيح الإسناد، وزاد فيه من طريق آخر: «فَقَالَ رَجُلٌ: يا رَسُولَ اللّهِ، هَلْ كَانَتْ لِيُونُسَ خَاصَّةً، أَمْ لِلْمُؤْمِنِينَ عَامَّةً؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «أَلاَ تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِ اللّهِ عز وجل: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]». انتهى.

والغم: ما كان ناله حين التقمه الحوت.

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾.

١٢٠ وقوله سبحانه: / ﴿وزكريا إذ نادى ربه...﴾ الآية تقدم أمر زكرياء.

وقوله سبحانه: ﴿وأصلحنا له زوجه﴾ قيل: بأنْ جُعِلَتْ مِمَّنْ تَحْمِلُ وهي عاقر قاعد، وعموم اللفظ يتناول جميع الإصلاح.

وقوله تعالى: ﴿ويدعوننا رغباً ورهباً﴾ المعنى: أنهم يدعون في وقت تعبداتهم، وهم بحال رغبة ورجاء، ورهبة وخوف في حال واحدة؛ لأنَّ الرغبة والرهبة متلازمان، والخشوعُ: التذلُّل بالبدن المتركب على التذلل بالقلب.

قال القشيريُّ في «رسالته»: سُئِلَ الجنيد عن الخشوع فقال: تَذَلُّلُ القلوب لعلاَّمِ الغيوب، قال سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللّه: مَنْ خشع قلبُه لم يقرب منه الشيطان. انتهى.

---

(١) أخرجه الحاكم (١/٥٠٦)، وسكت عنه هو والذهبي.
(٢) تقدم تخريجه.

وقوله سبحانه: ﴿والتي أحصنت فرجها﴾ المعنى: واذكر التي أحصنت فرجها، وهي الجارحة المعروفة، هذا قول الجمهور، وفي إحصانها هو المدح، وقالت فرقة: الفرج هنا هو فرج ثوبها [الذي منه نفخ الملك][١]. وهذا قول ضعيف، وقد تقدم أمرها.

﴿ت﴾: وعكس (رحمه الله) في سورة التحريم النقل، فقال: قال الجمهور: هو فرج الدرع.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ يُحْتَمَلُ أن يكون منقطعاً خطاباً لمعاصري النبي ﷺ ثم أخبر عن الناس أَنَّهُمْ تقطعوا، ثم وعد وأوعد، ويحتمل أنْ يكون مُتَّصِلاً بقصة مريمَ وابنها ـ عليهما السلام ـ.

﴿ص﴾: أبو البقاء: ﴿وتقطعوا أمرهم﴾ أي، في أمرهم، يريد أنه منصوب على إسقاط حرف الجر.

وقيل: عُدِّيَ بنفسه؛ لأنَّه بمعنى قطعوا، أي فرقوا، انتهى.

وقال البخاري: ﴿أمتكم أمة واحدة﴾، أي: دينكم دينٌ واحد[٢]. انتهى.

وقرأ جمهور السبعة: «وحرام»، وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم[٣]: «وحِرْم» ـ بكسر الحاء وسكون الراء ـ وهما مصدران بمعنى، فأمَّا معنى الآية، فقالت فرقة: حَرَامٌ وحِرْمٌ معناه: جزم وحتم، فالمعنى: وحتم على قرية أهلكناها، أنَّهم لا يرجعون إلى الدنيا فيتوبون ويستعتبون، بل هم صائرون إلى العقاب.

وقالت طائفة: حرام وحرم، أي: ممتنع.

---

(١) سقط في ج.

(٢) ينظر: «صحيح البخاري» (٨/ ٢٨٩) كتاب «التفسير»: باب سورة الأنبياء.

(٣) إنما قرأ عاصم هذه القراءة في رواية أبي بكر، لاحفص كما ذكر المصنف، وأما قراءة حفص فهي كقراءة الجمهور.

ينظر: «السبعة» (٤٣١)، و«الحجة» (٥/ ٢٦١)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٦٨)، و«معاني القراءات» (٢/ ١٧٠)، و«شرح الطيبة» (٥/ ٦٠)، و«العنوان» (١٣٢)، و«شرح شعلة» (٥٠٠)، و«إتحاف» (٢/ ٢٦٧).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾.

وقوله سبحانه: ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون...﴾ الآية، تحتمل «حتى» في هذه الآية أنْ تتعلَّقَ بـ ﴿يرجعون﴾، وتحتمل أنْ تكون حرفَ ابتداء، وهو الأظهر بسبب «إذا»؛ لأنها تقتضي جواباً، واختلف هنا في الجواب، والذي أقول به: أَنَّ الجواب [في قوله][1] ﴿فإذا هي شاخصة﴾ وهذا هو المعنى الذي قُصِدَ ذكرُه.

قال *ص*: قال أبو البقاء: ﴿حتى إذا﴾ مُتَعَلِّقَةٌ في المعنى بـ ﴿حرام﴾ أي: يستمر الامتناع إلى هذا الوقت، ولا عملَ لها في «إذا». انتهى.

وقرأ الجمهور: «فُتِحَتْ» بتخفيف التاء، وقرأ ابن عامر[2] وحده «فُتِّحَتْ» بالتشديد، ورُوِيَ أنَّ يأجوجَ ومأجوجَ يشرفون في كلِّ يوم على الفتح، فيقولون: غداً نفتح، ولا يردون المشيئة إلى الله تعالى، فإذا كان غد وجدوا الرَّدم كأَوَّلِهِ حتى إذا أذن اللّه تعالى في فتحه، قال قائلهم: غداً نفتحه إن شاء اللّه تعالى، فيجدونه كما تركوه قريبَ الانفتاح فيفتحونه حينئذٍ.

ت وقد تقدم في «سورة الكهف» كثير من أخبار يأجوج ومأجوج فأغنانا عن إعادته، وهذه عادتنا في هذا المُخْتَصَرِ أسأل اللّه تعالى أن ينفعنا وإيَّاكم به، ويجعلَه لنا نوراً بين أيدينا، يومَ لا ينفعُ مال ولا بنون إلاَّ مَنْ أتى اللّه بقلب سليم، والحَدَبُ: كل مُسَنَّمٍ من الأرض، كالجبل والظرِب[3] والكدية[4]، والقبر ونحوه.

وقالت فرقة: المراد بقوله: ﴿وهم﴾ يأجوجُ ومأجوجُ، يعني أنهم يطلعون من كل ثنية ومرتفع ويملؤون الأرضَ من كثرتهم.

وقالت فرقة: المراد بقوله: «وهم» جميعُ العالم، وإنَّما هو تعريف بالبعث من القبور.

---

(١) سقط في جـ.

(٢) ينظر: «**السبعة**» (٤٣١)، و«**الحجة**» (٥/ ٢٦٢)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٦٧)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ١٧٢)، و«**العنوان**» (١٣٢)، و«**حجة القراءات**» (٤٧٠)، و«**إتحاف**» (٢/ ٢٦٧).

(٣) الظَّرِبُ: كل ما نتأ من الحجارة، وَحُدَّ طرفه، وقيل: هو الجبل المنبسط، وقيل: هو الجبل الصغير، وقيل: الروابي الصغار، والجمع: ظِرَابٌ.
ينظر: «**لسان العرب**» (٢٧٤٥).

(٤) الكدية: الأرض المرتفعة، وقيل: هو شيء صلب من الحجارة والطين، وهي أيضاً الأرض الغليظة، وقيل: الأرض الصُّلْبة.
ينظر: «**لسان العرب**» (٣٨٣٨).

وقرأ ابن مسعود[١]: «وَهُمْ مِنْ كُلِّ جَدَثٍ» بالجيم والثاء المثلثة، وهذه القراءةُ تُؤَيِّدُ
٢٠ ب / هذا التأويلَ، و﴿ينسلون﴾: معناه: يسرعون في تطامن، وأسند الطبريُّ عن أبي سعيد قال: «يخرج يأجوج ومأجوج فلا يتركون أحداً إلاَّ قتلوه، إلاَّ أَهْلَ الحصون، فيمرُّون على بحيرة طبرية فيمر آخرهم فيقول: كان هنا مرة ماء، قال فيبعث اللّه عليهم النَّغَف حتى تكسر أعناقهم، فيقول أهل الحصون: لقد هلك أعداءُ اللّه، فيدلون رجلاً ينظر، فيجدهم قد هلكوا، قال: فينزل اللّه من السماء ماءً فيقذف بهم في البحر، فيطهر اللّه الأَرض منهم»[٢] وفي حديث حذيفة نحوُ هذا، وفي آخره قال: وعند ذلك طلوعُ الشمس مِن مغربها.

﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (٩٧) إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١)﴾.

وقوله سبحانه: ﴿واقترب الوعد الحق﴾ يريد يومَ القيامة.

وقوله: ﴿[فإذا][٣] هي﴾: مذهب سيبويه أنها ضمير القِصَّةِ، وجَوَّز الفرَّاء أن تكون ضمير الإبصار تقدمت؛ لدَلالة الكلام، ومجيء ما يفسرها، والشخوص بالبصر إحداد النظر دون أن يطرف، وذلك يعتري من الخوف المُفْرِطِ ونحوه، وباقي الآية بيِّن.

وقوله سبحانه: ﴿إنكم وما تعبدون من دون اللّه حصب جهنم...﴾ الآية: هذه الآية مُخَاطَبَةٌ لكُفَّارِ مَكَّةَ، أي: إنكم وأصنامكم حصب جهنم، والحصب: ما توقد به النَّار؛ إمَّا

---

(١) وقرأ بها ابن عباس، والكلبي، والضحاك.
قال أبو الفتح: هو القبر بلغة أهل الحجاز.
ينظر: «**المحتسب**» (٢/ ٦٦)، و«**مختصر الشواذ**» (٩٥)، و«**الكشاف**» (٣/ ١٣٥)، و«**المحرر الوجيز**» (٤/ ١٠٠)، و«**البحر المحيط**» (٦/ ٣١٤)، و«**الدر المصون**» (٥/ ١١١).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٦٣ـ ١٣٦٤) كتاب الفتن: باب فتنة الدجال، حديث (٤٠٧٩)، وأحمد (٣/ ٧٧)، وأبو يعلى (٢/ ٣٧٧ـ ٣٧٨) رقم (١١٤٤)، وابن حبان (١٩٠٩ـ موارد)، والحاكم (٤/ ٤٨٩)، والطبري في «**تفسيره**» (٩/ ٨٦) كلهم من حديث أبي سعيد الخدري.
وصححه ابن حبان، والحاكم، ووافقه الذهبي.
وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٤/ ٦٠٣)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر، وابن مردويه.

(٣) سقط في جـ.

لأنها تحصب به، أي: تُرْمَى، وإمَّا أنْ يكون لغة في الحطب إذا رُمِيَ، وأمَّا قبل أنْ يرمى فلا يُسَمَّى حصباً إلاَّ بتجوز، وحرق الأصنام بالنار على جهة التوبيخ لعابديها، ومن حيث تقع «ما» لمن يعقل في بعض المواضع، اعترَضَ في هذه الآية عبدُ اللّه بنُ الزِّبعرى على رسول اللّه ﷺ فقال: إنَّ عِيسَى وعُزَيراً وَنَحْوَهُمَا قَدْ عُبِدَا مِنْ دُونِ اللّهِ، فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونُوا حَصَباً لجهنم؛ فنزلت: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ الآية. والورود في هذه الآية: ورودُ الدخولِ، والزفيرُ: صوت المُعَذَّبِ، وهو كنهيق الحمير وشبهه إلاَّ أنه من الصدر.

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ هذه صفة الذين سبقت لهم الحسنى، وذلك بعد دخولهم الجنة؛ لأَنَّ الحديث يقتضي أَنَّ في الموقف تزفر جهنم زفرةً لا يبقى نبيٌّ ولا مَلَكٌ إلاَّ جثا على ركبتيه، قال البخاريُّ[1]: الحسيس والحس: واحد، وهو الصوتُ الخفيُّ، انتهى. والفزع الأكبر عامٌّ في كلِّ هول يكون يوم القيامة، فكأَنَّ يوم القيامة بجملته هو الفَزَعُ الأكبر.

وقوله سبحانه: ﴿وتتلقاهم الملائكة﴾ يريد: بالسلام عليهم والتبشير لهم، أي: هذا يومكم الذي وُعِدْتُمْ فيه الثوابَ والنعيمَ، و﴿السجل﴾ في قول فرقة: هو الصحيفة التي يُكْتَبُ فيها، والمعنى: كما يطوى السِّجِلُّ من أجل الكتاب الذي فيه، فالمصدر مضاف إلى المفعول؛ وهكذا قال البخاري[2]: السجل: الصحيفة، انتهى، وما خَرَّجه أبو داودَ في «مراسيله» من أَنَّ السجل: اسم رجل من كُتَّابِ النبي ﷺ[3]. قال السهيليُّ فيه: هذا غير معروف. انتهى.

---

(١) ينظر: «صحيح البخاري» (٨/ ٢٨٩) كتاب التفسير: باب سورة الأنبياء.

(٢) ينظر المصدر السابق.

(٣) أخرجه أبو داود (٢/ ١٤٧) كتاب الخراج والفيء والإمارة: باب في اتخاذ الكاتب، حديث (٢٩٣٥)، والنسائي في التفسير (٢/ ٧٤) رقم (٣٥٥)، والطبري (٩/ ٩٤) رقم (٢٤٨٤٩)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٦٦٢)، والبيهقي (١٠/ ١٢٦)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٧٠) رقم (١٢٧٩٠) من حديث ابن عباس. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٦١١)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن منده في «المعرفة»، وابن مردويه، وابن عساكر.

وقوله سبحانه: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ يحتمل معنيين: أحدهما: أن يكون خبراً عن البعث، أي كما اخترعنا الخلق أوَّلاً على غير مثال كذلك ننشئهم تارة أخرى، فنبعثهم من القبور.

والثاني أنْ يكونَ خبراً عن أَنَّ كل شخص يُبْعَثُ يوم القيامة على هيئته التي خرج بها
٢١ أ إلى الدنيا، ويؤيد هذا قولُه ﷺ: «يُحْشَرُ / النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾»[1].

وقوله: ﴿كما بدأنا﴾ الكاف مُتَعَلِّقَةٌ بقوله: ﴿نعيده﴾، وقالت فرقة: ﴿الزبور﴾ هنا يعم جميعَ الكتب المُنَزَّلَة؛ لأنه مأخوذ من: زبرت الكتابَ إذا كتبته، و﴿الذكر﴾ أراد به اللَّوحَ المحفوظ، وقالت فرقة: ﴿الزبور﴾ هو زبورُ داودَ عليه السلام، و﴿الذكر﴾: التوراة.

وقالت فرقة: ﴿الزبور﴾: ما بعد التوراةِ من الكتب، و﴿الذكر﴾: التوراة.

وقالت فرقة: ﴿الأرض﴾ هنا: أرضُ الدنيا، أي: كل ما يناله المؤمنون من الأرض، وقالت فرقة: أراد أرض الجنة، واستشهدوا بقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الزمر: ٧٤].

﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿إن في هذا لبلاغاً﴾: الإشارة بـ «هذا» إلى هذ الآيات المتقدمة في قولِ فرقة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٤٤٥) كتاب أحاديث الأنبياء: باب قول الله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ حديث (٣٣٤٩)، وأطرافه في (٣٤٤٧، ٤٦٢٥، ٤٦٢٦، ٤٧٤٠، ٦٥٢٤، ٦٥٢٥، ٦٥٢٦)، ومسلم (٤/ ٢١٩٤ـ ٢١٩٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها: باب فناء الدنيا، حديث (٥٠٨/ ٢٨٦٠)، والترمذي (٤/ ٦١٥ـ ٦١٦) كتاب صفة القيامة: باب ما جاء في شأن الحشر، حديث (٢٤٢٣)، والنسائي (٤/ ١١٤) كتاب الجنائز: باب البعث، حديث (٢٠٨٢) من حديث ابن عباس وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقالت فرقة: الإِشارة إلى القرآن بجملته، والعبادة تتضمن الإِيمان.

وقوله سبحانه: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾: قالت فرقة: هو ﷺ رحمةٌ للعالمين عموماً، أمَّا للمؤمنين فواضح، وأمَّا للكافرين فلأنَّ اللّه تعالى رفع عنهم ما كان يصيب الأُمَمَ والقرونَ السابقة قبلهم من التعجيل بأنواع العذاب المستأصلة؛ كالطوفان وغيره.

وقوله ﴿آذنتكم﴾ معناه: عَرَّفْتُكُمْ بنذارتي، وأردتُ أن تشاركوني في معرفة ما عندي من الخوف عليكم من اللّه تعالى، وقال البخاري: ﴿آذنتكم﴾: أعلمتكم، فإِذا أعلمتهم فأنت وهم على سواء، انتهى، ثم أخبر أنه لا يعرف تعيينَ وقتٍ لعقابهم، هل هو قريب أم بعيد؟ وهذا أهول وأخوف.

قال *ص*: ﴿وإن أدري﴾ بمعنى: ما أدري، انتهى. والضمير في قوله: ﴿لعله﴾ عائد على الإِملاء لهم، و﴿فتنة﴾ معناه: إمتحان وابتلاء، والـ ﴿متاع﴾: ما يُسْتَمْتَعُ به مُدَّةَ الحياة الدنيا، ثم أمره تعالى أن يقول على جهة الدعاء: ﴿رب احكم بالحق﴾ وهذا دعاء فيه توعُّدٌ، ثم توكل في آخر الآية واستعانَ باللّه تعالى؛ قال الداوودي: وعن قتادةَ: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان إذا شَهِدَ قِتَالاً قَالَ: ﴿رَبِّ احْكُمْ بِالحَقِّ﴾[1]. انتهى.

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٠٢) رقم (٢٤٨٩٧) عن قتادة مرسلاً.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٦١٥)، وزاد نسبته إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سُورَةِ ٱلحَجِّ

[وَهِيَ](١) مَكِّيَّةٌ

سوى ثلاثِ آياتٍ وهي(٢): ﴿هذان خصمان﴾ إلى تمام ثلاث آيات، هذا قول ابن عباس، ومجاهد(٣).

وقال الجمهور: السورة مختلطة، منها مَكِّيٌّ ومنها مَدَنِيٌّ، وهذا هو الأَصَحُّ؛ لأنَّ الآياتِ تقتضي ذلك.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾.

قوله عزَّ وجَلَّ: ﴿يأَيُّها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ الزلزلة: التحريكُ العنيف، وذلك مع نفخة الفزع، ومع نفخة الصعق؛ حسبما تضمنه حديثُ أبي هريرة من ثلاث نفخات، والجمهور على أَنَّ «زلزلة الساعة» هي كالمعهودة في الدنيا إلاَّ أَنَّهَا في غاية الشِّدَّةِ، واخْتَلَفَ المفسرون في الزلزلة المذكورة، هل هي في الدنيا على القوم الذين تقوم عليهم القيامة، أم هي في يوم القيامة على جميع العالم؟ فقال الجمهور: [هي في الدنيا، والضميرُ في ﴿ترونها﴾ عائِدٌ عندهم على الزلزلة، وقوى قولهم أَنَّ الرضاع](٤) والحملَ إنما هو في الدنيا، وقالت فرقة: الزلزلة في يوم القيامة، والضميرُ عندهم عائد على الساعة، والذهول: الغفلة عن الشيءِ بطريانِ ما يشغل عنه من هَمٍّ أو وَجَعٍ أو غيره؛ قال

(١) سقط في جـ.
(٢) في جـ: قوله.
(٣) ذكره ابن عطية (٤/١٠٥).
(٤) سقط في جـ.

ابن زيد: المعنى: تترك وَلَدَهَا للكرب الذي نزل بها[١].

/ قلت: وخَرَّجَ البخاريُّ وغيرُه عن أبي سعيد الخدريِّ عن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللّهُ ٢١ ب
عز وجل يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يا آدمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وتِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِلَى النَّارِ، وَوَاحِداً إِلى الجَنَّةِ، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الحَامِلُ حَمْلَهَا، وَيَشِيبُ الوَلِيدُ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ، وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللّهِ شَدِيدٌ»[٢] الحديث. انتهى.

وهذا الحديث نَصٌّ صريح في أنه يوم القيامة، وانظر قوله: ﴿يوماً يجعل الولدان شيباً﴾ [المزمل: ١٧]، وقوله: ﴿وإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤] تجدْهُ موافقاً للحديث، وجاء في حديث أبي هريرة فيما ذكره علي بن معبد: «أَنَّ نَفْخَةَ الْفَزَعِ تَمْتَدُّ، وَأَنَّ ذَلِكَ يَوْمَ الجُمُعَةِ فِي النِّصْفِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَيُسَيِّرُ اللّهُ الجِبَالَ، فَتَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، ثُمَّ تَكُونُ سَرَاباً، ثُمَّ تَرْتَجُّ الأَرْضُ بِأَهْلِهَا رَجًّا، وَتَضَعُ الحَوَامِلُ مَا فِي بُطُونِهَا، وَيَشِيبُ الْوِلْدَانُ، ويُوَلِّي النَّاسُ مُدْبِرِينَ، ثُمَّ يَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا هِيَ كَالْمُهْلِ، ثَمَّ انْشَقَّتْ»، ثُمَّ قَالَ النَّبي ﷺ: «وَالْمَوْتَى لاَ يَعْلَمُونَ شَيئاً مِنْ ذَلِكَ، قُلْتُ: يَا رَسُولِ اللّهِ، فَمَنِ اسْتَثْنَى اللّهُ عز وجل حِينَ يَقُولُ: ﴿فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللّهُ﴾؟ قال: أولئك هم الشهداء»[٣]. انتهى مختصراً، وهذا الحديث ذكره[٤] الطبريُّ، والثعلبي، وصححه ابن العربي في «سراج المريدين».

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ١٠٨) رقم (٢٤٩١٣)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٤٤٠) كتاب أحاديث الأنبياء: باب قصة يأجوج ومأجوج، حديث (٣٣٤٨)، وفي (٨/ ٢٩٥) كتاب التفسير: باب ﴿وترى الناس سكارى﴾ حديث (٤٧٤١) وفي (١١/ ٣٩٦) كتاب الرقاق: باب قوله عز وجل: ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾، حديث (٦٥٣٠)، وفي (١٣/ ٤٦٢) كتاب التوحيد، حديث (٧٤٨٣)، ومسلم كتاب الإيمان: باب قوله: يقول الله لآدم: «أخرج بعث النار»، حديث (٢٢٢/ ٣٧٩)، وأحمد (٣/ ٣٢ ـ ٣٣)، وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» رقم (٩١٧) والطبري (٩/ ١٠٦) رقم (٢٤٩٠٧)، والنسائي في «التفسير» (٣٥٩) من حديث أبي سعيد، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٦١٨)، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات».

(٣) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٣٤) مطولاً، وعزاه إلى عبد بن حميد، وعلي بن سعيد في كتاب «الطاعة والعصيان»، وأبي يعلى، وأبي الحسن القطان في «المطولات»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبي موسى المديني كلاهما في «المطولات»، وأبي الشيخ في «العظمة»، والبيهقي في «البعث والنشور».

(٤) ينظر: «الطبري» (٩/ ١٠٥).

وقال عبد الحق: بل هو حديث منقطع، لاَ يَصِحُّ، والذي عليه المحققون أنَّ هذه الأهوال هي بعد البعث، قاله صاحب «**التذكرة**» وغيره، انتهى.

والحَمْلُ: ـ بفتح الحاء ـ ما كان في بطن أو على رأس شجرة.

وقوله سبحانه: ﴿وترى الناس سكارى﴾ تشبيهاً لهم، أي: من الهم، ثم نفى عنهم السُّكَر الحقيقيَّ الذي هو من الخمر، قاله الحسن[1] وغيره، وقرأ حمزة والكسائيُّ: «سكرى» في الموضعين[2].

قال سيبويه[3]: وقوم يقولون: سَكْرَىٰ جعلوه مثل مرضى، ثم جعلوا: روبى مثل سكرى، وهم المستثقلون نوماً من شرب الرائب.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ومن الناس من يجادل في اللّه بغير علم ويتبع كل شيطان مريد﴾.

قال ابن جريج: هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث وأبَيِّ بنِ خَلَفٍ، وقيل في أبي جهل بن هشام[4]، ثم هي بعدُ تتناول كل مَن اتصف بهَذِهِ الصفة، ومجادلتهم في أنَّ اللّه تعالى لا يبعث مَنْ يموتُ، والشيطان هنا هو مغويهم من الجن، ويحتمل من الأنس، والمريد: المُتَجَرِّدُ من الخير للشَّرِّ، ومنه الأمرد، وشجرة مرداء، أي: عارية من الورق، وصَرْحٌ مُمَرَّدٌ، أي: مملس، والضمير في ﴿عليه﴾ عائد على الشيطان؛ قاله قتادة[5]، ويحتمل أَنْ يعودَ على المجادِل، وأنه في موضع رفع على المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعِلُه، و«أَنَّه» الثانية عطف على الأُولَى مؤكدة مثلها، وقيل: هي مُكَرَّرَةٌ للتأكيد فقط، وهذا مُعْتَرَضٌ بأَنَّ الشيء لا يؤَكَّد إلاَّ بعد تمامه، وتمام «أَنَّ» الأولى إنما هو بصلتها في قوله:

---

(١) ذكره ابن عطية (٤/١٠٦).

(٢) ينظر: «**السبعة**» (٤٣٤)، و«**الحجة**» (٥/٢٦٦)، و«**إعراب القراءات**» (٢/٧٢)، و«**معاني القراءات**» (٢/١٧٥)، و«**شرح الطيبة**» (٥/٦٣)، و«**العنوان**»(١٣٤)، و«**حجة القراءات**» (٤٧٢)، و«**شرح شعلة**» (٥٠٢)، و«**إتحاف**» (٢/٢٧٠).

(٣) ينظر: «**الكتاب**» (٢/ ٢١٢ـ ٢١٤).

(٤) أخرجه الطبري (٩/١٠٩) برقم (٢٤٩١٨)، وذكره ابن عطية (٤/١٠٧)، وابن كثير (٣/٢٠٦)، والسيوطي (٤/٦١٩)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر عن ابن جريج.

(٥) ذكره ابن عطية (٤/١٠٧)، والسيوطي (٤/ ٦٢٠)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

﴿السعير﴾ وكذلك لا يُعْطَفُ عليه، ولسيبويه في مثل هذا: أنه بدل، وقيل: «أنه» الثانية خبر مبتدإٍ محذوف تقديره: فشأنه أنه يضلّهُ.

قال *ع[١]*: ويظهر لي أَنَّ الضميرَ في ﴿أنه﴾ الأولى للشيطان، وفي الثانية لمن الذي هو المتولي، وقرأ أبو عمرو[٢]: «فإنَّه» بالكسر فيهما.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧﴾.

وقوله عز وجل: ﴿يأَيُّها الناس إن كنتم في ريب من البعث...﴾ الآية: هذا احتجاج على العالم بالبدأة الأُولى، وضَرَبَ سبحانه وتعالى في هذه الآية مَثَلَيْنِ، إذا اعتبرهما الناظر جَوَّزَ في العقل البعثة / من القبور، ثم وَرَدَ الشرعُ بوقوع ذلك. ٢٢أ

وقوله: ﴿فإنا خلقناكم من تراب﴾ يريدُ آدم عليه السلام.

﴿ثم من نطفة﴾ يريد: المنيَّ، والنطفة: تقع على قليلِ الماءِ وكثيره.

﴿ثم من علقة﴾ يريدُ: من الدم الذي تعودُ النطفةُ إليه في الرحم أو المقارن للنطفة، والعَلَقُ الدمُ الغليظ، وقيل: العلق الشديد الحُمْرَة.

﴿ثم من مضغة﴾ يريد مضغة لحم على قدر ما يمضغ.

وقوله: ﴿مخلقة﴾ معناه: مُتَمَّمَةٌ، ﴿وغير مخلقة﴾ غير متممة، أي: التي تسقط، قاله مجاهد[٣] وغيره، فاللفظة بناءُ مبالغة من خلق، ولما كان الإنسانُ فيه أعضاء متباينة، وكل واحد منها مختصّ بخلق ـ حَسُنَ في جملته تضعيفُ الفعل؛ لأَن فيه خلقاً كثيراً.

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٠٧).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٠٧)، و«البحر المحيط» (٦/ ٣٢٦)، وزاد نسبتها إلى الأعمش. وينظر: «الشواذ» ص ٩٦، و«الدر المصون» (٥/ ١٢٤).

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ١١١) برقم (٢٤٩٢٦) و (٢٤٩٢٧) بنحوه، وذكره البغوي (٣/ ٢٧٥)، وابن عطية (٤/ ١٠٨)، وابن كثير (٣/ ٢٠٦) بنحوه، والسيوطي (٤/ ٦٢١)، وعزاه لسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

وقوله سبحانه: ﴿لنبين لكم﴾ قالت فرقة: معناه أمر البعث، ﴿ونقر﴾ أي: ونحن نُقِرُّ في الأرحام، والأجل المُسَمَّى مختلف بحسب حين حين، فَثَمَّ مَنْ يسقط، وثم مَنْ يكمل أمره ويخرج حَيًّا.

وقوله سبحانه: ﴿ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً﴾ قد تقدَّمَ بيانُ هذه المعاني، والرَّدُّ إلى أَرذل العمر هو حصول الإنسان في زمانة، واختلال العقل والقوة، فهذا مثال واحد يقتضي للمُعْتَبِرِ به أن القادِرَ على هذه المناقل، المُتْقِنَ لها ـ قادرٌ على إِعادة تلك الأجساد التي أوجدها بهذه المناقل، إلى حالها الأولى.

وقوله عز وجل: ﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾ هذا هو المثال الثَّاني الذي يُعْطِي للمعتبر فيه جوازَ بعث الأجساد؛ وذلك أَنَّ إِحياءَ الأرض بعد موتها بَيِّنٌ؛ فكذلك الأجساد، و﴿هامدة﴾: معناه: ساكنة دارسة بالية، واهتزاز الأرض: هو حركتها بالنبات وغيرِ ذلك مِمَّا يعتريها بالماء، ﴿وربت﴾: معناه: نشزت وارتفعت؛ ومنه الرَّبْوَةُ وهي المكان المرتفع، والزوج: النوع، والبهيج: من البهجة، وهي الحسن؛ قاله قتادة(١) وغيره.

وقوله: ﴿ذٰلك﴾ إشارة إلى كل ما تقدم ذكره، وباقي الآية بين.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ومن الناس من يجادل في اللّه بغير علم...﴾ الآية، الإشارة بقوله: ﴿ومن الناس﴾ إلى القوم الذين تقدَّمَ ذكرُهم، وكَرَّرَ هذه الآية؛ على جهة التوبيخ فكأنه يقول: فهذه الأمثال في غاية الوضوح، ومِنَ الناس مع ذلك مَنْ يجادل، و﴿ثاني﴾: حال من الضمير في ﴿يجادل﴾.

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ١١٣) برقم (٢٤٩٣٧، ٢٤٩٣٨)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٠٩)، والسيوطي (٤/ ٦٢٢)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

وقوله: ﴿ثاني عطفه﴾: عبارة عن المُتَكَبِّرِ المُعْرِضِ؛ قاله ابنُ عباس[١] وغيرُه؛ وذلك أَنَّ صاحب الكبر يردُّ وجهه عَمَّنْ يتكبر عنه، فهو يَرُدُّ وجههُ يصَعِّرُ خَدَّهُ، ويولي صَفْحَتَهُ، ويَلْوي عُنُقَهُ، ويَثْنِي عِطْفَه، وهذه هي عبارات المفسرين، والعطف: الجانب.

وقوله تعالى: ﴿ذلك بما قدمت يداك﴾ أي: يقال له ذلك، واخْتُلِفَ في الوقف على: ﴿يداك﴾ فقيل: لا يجوزُ: لأنَّ التقدير: وبأَنَّ اللّه، أي: أنَّ هذا هو العدل فيك بجَرَائِمِكَ.

وقيل: يجوز بمعنى: والأمر أَنَّ اللّه ليس بظلاَّم للعبيد.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ومن الناس من يعبد اللّه على حرف...﴾ الآية نزلت في أعراب، وقوم لا يَقِينَ لهم؛ كان أحدُهم إذا أسلم فاتفق له اتفاقاتٌ حِسَانٌ: من نموِّ مال، وولد يُرْزَقُهُ، وغير ذلك ـ قال: هذا دِينٌ جَيِّدٌ، وتمسك به لهذه المعاني، وإنْ كان الأمر بخلاف ذلك، تشاءَم به، وارتد؛ كما فعل العُرَنِيون، قال هذا المعنى ابن عباس[٢] وغيره.

وقوله: ﴿على حرف﴾ معناه: على انحرافٍ منه عن العقيدة البيضاء، وقال البخاريُّ[٣]: ﴿على حرف﴾: على شَكٍّ، ثم أسند عن ابن عباس ما تقدم من حال الأعراب، / انتهى. ٢٢ ب

وقوله: ﴿يدعوا من دون اللّه ما لا يضره﴾ يريد الأوثانَ، ومعنى ﴿يدعوا﴾: يعبد، ويدعو أيضاً في مُلِمَّاتِهِ، واللام في قوله: ﴿لمن ضره﴾: لام مُؤْذِنَةٌ بمجيء القسم، والثانية في ﴿لَبِئْسَ﴾: لام القسم، و﴿العشير﴾: القريب المُعَاشِرُ في الأمور.

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ١١٤) برقم (٢٤٩٤٤) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ١٠٩)، والسيوطي (٤/ ٦٢٣)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ١١٥) رقم (٢٤٩٤٨) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ١١٠)، وابن كثير (٣/ ٢٠٩) بنحوه، والسيوطي (٤/ ٦٢٣)، وعزاه لابن أبي حاتم، وابن مردويه بسند صحيح عن ابن عباس.

(٣) ينظر: «صحيح البخاري» (٨/ ٢٩٦) كتاب التفسير باب ﴿ومن الناس من يعبد اللّه على حرف﴾.

﴿ت﴾ وفي الحديث في شأن النساء: «وَيَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ» يعني الزوج.

قال أبو عمر بن عبد البر[١]: قال أهل اللغة: العشير: الخليط من المعاشرة والمخالطة، ومنه قوله عز وجل: ﴿لبئسَ المولى ولَبِئسَ العشير﴾ انتهى من «التمهيد»، والذي يظهر: أَنَّ المراد بالمولى والعشير هو الوثن الذي ضَرُّهُ أقرب من نفعه، وهو قول مجاهد[٢]، ثم عَقَّبَ سبحانه بذكر حالة أهل الإيمان وذكر ما وعدهم به فقال: ﴿إن اللّه يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار...﴾ الآية، ثم أَخذتِ الآية في توبيخ أولئك الأولين كأنه يقول: هؤلاء العابدون على حرف صحبهم القلق، وظَنُّوا أَنَّ اللّه تعالى لن ينصرَ محمداً وأتباعه، ونحن إِنَّما أمرناهم بالصبر وانتظارِ وعدنا، فَمَنْ ظَنَّ غير ذلك فليمدد بسبب، وهو الحبل وليختنق هل يذهب بذلك غيظه؟ قال هذا المعنى قتادة[٣]، وهذا على جهة المَثَلِ السائر في قولهم: «دُونَكَ الحَبْلُ فَاخْتَنِقْ»، و﴿السماء﴾ على هذا القول: الهواء عُلُوًّا، فكأنه أراد سقفاً أو شجرة، ولفظ البخاري: وقال ابن عباس: «بسبب إلى سَقْفِ البيتِ»[٤]، انتهى، والجمهورُ على أَنَّ القطع هنا هو الاختناق.

قال الخليل: وقطع الرجل: إذا اختنق بحبل ونحوه، ثم ذكر الآية، ويحتمل المعنى مَنْ ظَنَّ أَنَّ محمداً لا ينصر فليمت كمداً؛ هو منصور لا محالَة، فليختنق هذا الظانُّ غيظاً وكمداً، ويؤيد هذا: أَنَّ الطبري والنقاش قالا: ويُقال: نزلت في نفر من بني أَسَدٍ وغَطَفَانَ، قالوا: نخاف أَلاَّ يُنصرَ محمد؛ فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من يهود من المنافع[٥]، والمعنى الأَوَّلُ الذي قيل للعابدين على حرف ـ ليس بهذا؛ ولكنه بمعنى: مَنْ قلق واستبطأ النصر، وظَنَّ أن محمداً لا يُنْصَرُ فليختنق سفاهةً؛ إذ تعدَّى الأمر الذي حد له في الصبر وانتظار صنع اللّه، وقال مجاهد: الضمير في ﴿ينصره﴾ عائدٌ على ﴿مَنْ﴾ والمعنى: مَنْ كان من المتقلّقين من المؤمنين[٦]، وما في قوله: ﴿ما يغيظ﴾ بمعنى الذي، ويحتمل أَنْ تكونَ مصدرية حرفاً؛ فلا عائد عليها، وأبينُ الوجوه في الآية: التأويل الأَوَّلُ وباقي الآية بيّن.

وقوله: ﴿وكثير من الناس﴾، أي: ساجدون مرحومون بسجودهم، وقوله: ﴿وكثير

---

(١) ينظر «التمهيد» (٣/ ٣٢٤).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ١١٨) برقم (٢٤٩٥٨)، وذكره ابن عطية (٤/ ١١١)، وذكره ابن كثير (٣/ ٢١٠).

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ١١٨) برقم (٢٤٩٥٩، ٢٤٩٦٠) نحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ١١١)، وابن كثير (٣/ ٢١٠) نحوه، والسيوطي (٤/ ٦٢٣)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ١١٩) برقم (٢٤٩٦٦)، وذكره ابن كثير (٣/ ٢١٠) نحوه، وذكره السيوطي (٤/ ٦٢٥)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٥) ذكره ابن عطية (٤/ ١١١).

(٦) ذكره البغوي (٣/ ٢٧٨)، وابن عطية (٤/ ١١١، ١١٢).

حق عليه العذاب﴾ مُعَادِلٌ له، ويؤيد هذا قوله تعالى بعد هذا: ﴿ومن يهن اللّه فما له من مكرم﴾ الآية.

﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم...﴾ الآية، نزلت هذه الآيةُ في المتبارزين يوم بدر، وهم سِتَّةُ نفر: حَمْزَةُ، وعَلِيٌّ، وعبيدة بنُ الحارث (رضي اللّه عنهم) بَرَزُوا لعتبةَ بنِ ربيعة، والوليد بن عتبة، وشيبة بن ربيعة، قال علي بن أبي طالب: أنا أَوَّلُ مَنْ يجثو يوم القيامة للخصومة بين يدي اللّه تعالى، وأقسم أبو ذَرٍّ[١] على هذا القولِ ووقع في «صحيح البخاريِّ» (رحمه اللّه تعالى): أَنَّ الآيَةَ فِيهم، وقال ابن عباس: الإشارة إلى المؤمنين وأَهْلِ الكتاب[٢]؛ وذلك أَنَّهُ وقع بينهم تخاصم، فقالتِ اليهودُ: نحن أقدمُ دِيناً منكُم، ونحو هذا؛ فنزلت الآية، وقال مجاهد وجماعة[٣]: الإشارة إلى المؤمنين والكُفَّارِ على العموم.

قال *ع[٤]*: وهذا قول تَعْضُدُهُ الآية؛ وذلك أنه تَقَدَّمَ قولُه: ﴿وكثير من الناس﴾ المعنى: هم مؤمنون ساجدون، ثم قال تعالى: ﴿وكثير حق عليه العذاب﴾ /، ثم أشار ٢٣ أ
إلى هذين الصنفين بقوله: ﴿هذان خصمان﴾ والمعنى: أَن الإيمانَ وأهله، والكفرَ وأهله ـ خصمان مذ كانا إلى يوم القيامة بالعداوة والجدال والحرب، وخصم مصدر يُوصَفُ به الواحد والجمع، ويَدُلُّ على أنه أراد الجمع قوله: ﴿اختصموا﴾؛ فإنه قراءة الجمهور[٥] وقرأ ابن أبي[٦] عبلة: «اخْتَصَمَا».

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٢٩٧) كتاب «التفسير»: باب ﴿هذان خصمان﴾ حديث (٤٧٤٣) و«مسلم» (٤/ ٢٣٢٣) كتاب «التفسير»: باب قوله تعالى: ﴿هذان خصمان﴾ حديث (٣٤/ ٣٠٣٣).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ١٢٤) برقم (٢٤٩٨٤)، وذكره البغوي (٣/ ٢٨٠)، وابن عطية (٤/ ١١٣، ١١٤)، وابن كثير (٣/ ٢١٢)، والسيوطي (٤/ ٦٢٨)، وعزاه لابن جرير، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ١٢٤) برقم (٢٤٩٨٥)، وذكره البغوي (٣/ ٢٨٠)، وابن عطية (٤/ ١١٤)، وابن كثير (٣/ ٢١٢)، والسيوطي (٤/ ٦٢٨)، وعزاه لابن جرير عن مجاهد، وعطاء بن أبي رباح والحسن.

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١١٤).

(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١١٤).

(٦) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١١٤)، و«البحر المحيط» (٦/ ٣٣٤)، و«والدر المصون» (٥/ ١٣٤).

ت: وهذه التأويلاتُ مُتَّفِقَاتٌ في المعنى، وقد ورد أَنَّ أَوَّلَ ما يُقضى به بين الناس يوم القيامة في الدماء، ومن المعلوم أَنَّ أَوَّلَ مبارزة وقعت في الإِسلام مبارزة عَليٍّ وأصحابه، فَلاَ جَرَمَ كانت أَوَّلَ خصومة وحكومة يوم القيامة؛ وفي «**صحيح مسلم**» عنه ﷺ: «نَحْنُ الآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ المَقْضِيّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلاَئِقِ» وفي رواية: «المَقْضِيّ بَيْنَهُمْ»[١].

وقوله: ﴿في ربهم﴾ أي: في شأن ربهم وصفاته وتوحيده، ويحتمل في رِضَى ربهم وفي ذاته.

وقال *ص*: ﴿في ربهم﴾ أي: في دين ربهم، انتهى، ثم بَيَّنَ سبحانه حكم الفريقين، فتوعَّدَ تعالى الكُفَّارَ بعذابه الأليم، و﴿قطعت﴾ معناه جُعِلَتْ لهم بتقدير كما يُفَصَّلُ الثوبُ، وروي: أَنَّها من نُحَاسٍ، و﴿يصهر﴾ معناه: يُذَابُ، وقيل: معناه: ينضج؛ قيل: إن الحميم بحرارته يُهْبِطُ كلَّ ما في الجوف ويكشطه، ويسلته، وقد روى أبو هريرةَ نحوَهُ عن النَّبيِّ ﷺ: «أَنَّهُ يُسْلِتُهُ، وَيَبْلُغُ بِهِ قَدَمَيْهِ، وَيُذِيبُهُ ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ»[٢].

وقوله سبحانه: ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها﴾ رُوِيَ فيه: أَنَّ لهب النار إذا ارتفع رفعهم؛ فيصلون إلى أبواب النار، فيريدون الخروج، فتردهم الزَّبَانِيَةُ بمقامع الحديد، وهي المقارع[٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿إن الله يدخل الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جنات...﴾ الآية معادلة لقوله: ﴿فالذين كفروا﴾ [الحج: ١٩] واللؤلؤ: الجوهر، وأخبر سبحانه: بأَنَّ لباسهم فيها حرير؛ لأَنَّهُ من أكمل حالات الدنيا؛ قال ابن عباس[٤]: لا تُشْبِهُ أمور الآخرة أمورَ الدنيا إِلاَّ في الأسماء فقط، وأَمَّا الصفات فمتباينة، والطَّيِّبُ من القول: لا إله إلاَّ الله وما

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تقدم في سورة الكهف.
(٣) المقرَعَةُ: خشبة تضرب بها البغال والحمير. وقيل: كل ما قرع به فهو مقرعة.
ينظر: «**لسان العرب**» (٣٥٩٥).
(٤) ذكره ابن عطية (٤/١١٥).

جرى معها من ذكر اللّه وتسبيحه، وتقديسه، وسائر كلام أهل الجنة من محاورة وحديث طيب؛ فإنَّها لا تُسْمَعُ فيها لاغية، و﴿صراط الحميد﴾ هو طريقُ اللّه الذي دعا عبادَه إليه، ويحتمل أَنْ يريد بالحميد نفس الطريق، فأضاف إليهِ على حد إضافته في قوله: ﴿دار الآخرة﴾، وقال البخاريُّ[1]: ﴿وهدوا إلى الطيب﴾: أي: أُلْهِمُوا إلى قراءة القرآن، ﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾: أي: إلى الإسلام، انتهى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله﴾ هذه الآية نزلت عام الحُدَيْبِيَة حِينَ صُدَّ النبي ﷺ وجاء ﴿يصدون﴾ مستقبلاً؛ اذ هو فعل يُدِيمونه، وخبر ﴿إن﴾ محذوف مُقَدَّرٌ عند قوله: و﴿الباد﴾: تقديره: خسروا أو هلكوا. و﴿العاكف﴾: المقيم في البلد، و«البادي»: القادم عليه من غيره.

وقوله: ﴿بإلحاد﴾ قال أبو عبيدة[2]: الباء فيه زائدة.

ت قال ابن العربيّ[3] في «**أحكامه**»: وجَعْلُ الباء زائدةً لا يُحْتَاجُ إليه في سبيل العربية؛ لأَنَّ حَمْلَ المعنى على القول أولى من حمله على الحروف، فيقال: المعنى ومن يَهُمَّ فيه بميل، لأنَّ الإلحادَ هو الميل في اللغة، إلاَّ أَنَّهُ قد صار في عُرْفِ الشرع ميلاً مذموماً، فرفع اللّه الإشكال، وبَيَّنَ سبحانه أَنَّ الميلَ بالظلم هو المراد هنا، انتهى.

٢٣ ب / قال *ع*[4]: والإلحاد الميلُ وهو يشمل جميع المعاصي من الكفر إلى الصغائر، فلعظم حرمة المكان توعد اللّه تعالى على نية السيئة فيه، ومَنْ نوى سيئة ولم يعملها ـ لم

(١) ينظر: «**صحيح البخاري**» (٨/ ٢٩٢) كتاب «التفسير»: باب سورة الحج.
(٢) ينظر: «**مجاز القرآن**» (٢/ ٤٨).
(٣) ينظر: «**أحكام القرآن**» (٣/ ١٢٧٦).
(٤) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ١١٦).

يُحَاسَبْ بذلك إلاَّ في مَكَّةَ. هذا قولُ ابنِ مسعود وجماعة من الصحابة[١] وغيرهم.

قال *ص*: وقوله: ﴿أن لا تشرك﴾: أَنْ: مفسِّرةٌ لقولِ مُقَدَّرٍ، أي: قائلين له، أو موحين له: لا تشرك، وفي التقدير الأول نَظَرٌ فانظره، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿وطهر بيتي للطائفين والقائمين...﴾ الآية: تطهيرُ البيت عامٌّ في الكُفْرِ، والبِدَعِ، وجميعِ الأَنْجَاسِ، والدماءِ، وغير ذلك، ﴿والقائمين﴾: هم المصلون، وخَصَّ سبحانه بالذكر من أركان الصلاة أعظَمَها، وهو القيامُ والركوعُ والسجودُ، ورُوِيَ: «أَنَّ إبراهيم ـ عليه [الصلاة][٢] والسلام ـ لَمَّا أُمِرَ بالأذان بالحج ـ قال: يا رب، وإذا أَذَّنْتُ، فَمَنْ يَسْمَعُنِي؟ فقيل له: نادِ يا إبراهيمُ، فعليك النداءُ وعلينا البلاغ؛ فصعد على أبي قُبَيْس[٣]، وقيل: على حجر المَقَام، ونادى: أَيُّها الناس، إنَّ الله تعالى قد أَمركم بحجِّ هذا البيتِ؛ فَحِجُّوا، فَرُوِيَ أَنَّ يومَ نادى أسمع كُلَّ مَنْ يحج إلى يوم القيامة في أصلابِ الرجال، وأجابه كُل شَيءٍ في ذلك الوقتِ: من جمادٍ، وغيرهِ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لبيك؛ فجرت التلبيةُ على ذلك». قاله ابن عباس، وابن جبير[٤]، و﴿رجالاً﴾: جمع رَاجِلٍ، وَالـ ﴿ضامِرٍ﴾: قالت فرقة: أراد بها الناقةَ؛ وذلك أنه يقال: ناقة ضامرٌ، وقالت فرقة: لفظ «ضامر» يشمل كلَّ مَنِ اتصف بذلك من جمل، أو ناقة، وغيرِ ذلك.

قال *ع[٥]*: وهذا هو الأظهر، وفي تقديم ﴿رجالا﴾ تفضيلٌ للمُشَاةِ في الحج؛ وإليه نحا ابن عباس[٦].

قال ابن العربي في «أحكامه»[٧]: قوله تعالى: ﴿يأتين﴾ رَدَّ الضمير إلى الإبل؛ تكرمةً لها لقصدها الحج مع أربابها؛ كما قال تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً﴾ [العاديات: ١]. في خيل الجهاد؛ تكرمةً لها حين سَعَتْ في سبيل اللّه، انتهى. والفَجُّ: الطريق الواسعة، والعميق:

(١) ذكره ابن عطية (٤/ ١١٦) والسيوطي (٤/ ٦٣٣)، وعزاه لسعيد بن منصور، والطبراني عن ابن مسعود.
(٢) سقط في جـ.
(٣) جبل مشرف على مكة ينظر: «المراصد» (٣/ ١٠٦٦).
(٤) أخرجه الطبري (٩/ ١٣٤) برقم (٢٥٠٣٩، ٢٥٠٤٠، ٢٥٠٤١) عن ابن عباس، وبرقم (٢٥٠٤٣) عن سعيد بن جبير، وذكره ابن عطية (٤/ ١١٨)، والسيوطي (٤/ ٦٣٨)، وعزاه لابن جرير عن ابن عباس، وعزاه أيضاً لابن جرير عن سعيد بن جبير.
(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١١٨).
(٦) أخرجه الطبري (٩/ ١٣٥، ١٣٦) برقم (٢٥٠٥٢)، وذكره ابن عطية (٤/ ١١٨)، وابن كثير (٣/ ٢١٦)، والسيوطي (٤/ ٦٣٩)، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن سعد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي عن ابن عباس.
(٧) ينظر: «أحكام القرآن» (٣/ ١٢٧٩).

معناه: البعيد؛ قال الشاعر [الطويل]:

إِذَا الْخَيْلُ جَاءَتْ مِنْ فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ ... يَمُدُّ بِهَا فِي السَّيْرِ أَشْعَثُ شَاحِبُ[١]

والـ ﴿منافع﴾ في هذه الآية التجارةُ في قول أكثر المتأولين، ابنِ عباس[٢] وغيرِه، وقال أبو جعفر محمد بن علي: أراد الأَجْرَ ومنافع الآخرة[٣]، وقال مجاهد بعموم الوجهين[٤].

ت: وأظهرها عندي قول أبي جعفر؛ يظهر ذلك من مقصد الآية، والله أعلم.

وقال ابن العربيِّ: الصحيح: القولُ بالعموم، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ ذهب قوم إلى: أَنَّ المراد ذكر اسم الله على النَّحْرِ والذبح، وقالوا: إِنَّ في ذكر الأيام دليلاً على أنَّ الذبح في الليل لا يجوزُ، وهو مذهب مالكٍ وأصحابِ الرأي.

وقالت فرقة فيها مالك وأصحابُه: الأيام المعلوماتُ: يومُ النحر ويومانِ بعده.

وقوله: ﴿فكلوا﴾ ندبٌ، واستحب أهل العلم أن يأكلَ الإنسانُ مِنْ هَدْيِهِ وأُضْحِيَّتِهِ، وأنْ يتصدَّقَ بالأكثر، والبائس: الذي قد مَسَّهُ ضُرُّ الفاقة وبؤسها، والمراد أهل الحاجة، والتفث: ما يصنعه المُحْرِمُ عند حِلِّهِ من تقصيرِ شعر وحلقه، وإِزالة شعث ونحوه، ﴿وليوفوا نذورهم﴾: وهو ما معهم من هدي وغيره، ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾: يعني: طوافَ الإِفاضة الذي هو من واجبات[٥] الحج.

---

(١) لم أقف على قائله، والفجاج جمع فج، وهو الطريق الواسع في الجبل، والعميق البعيد سفلاً، وهو محل الشاهد، والأشعث المتلبد شعره المتغير، والشاحب المتغير من هزال.
ينظر: «البحر المحيط» (٦/ ٢)، و«الدر المصون» (٥/ ١٤٤).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ١٣٦) برقم (٢٥٠٦٣)، وذكره البغوي (٣/ ٢٨٤)، وابن عطية (٤/ ١١٨)، وابن كثير (٣/ ٢١٦)، والسيوطي (٤/ ٦٤٠)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ١٣٧) برقم (٢٥٠٧٤) بلفظ العفو، وذكره ابن عطية (٤/ ١١٨).

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ١٣٧) برقم (٢٥٠٧٢)، وذكره البغوي (٣/ ٢٨٤)، وابن عطية (٤/ ١١٨)، وابن كثير (٣/ ٢١٦)، والسيوطي (٤/ ٦٤٠)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير عن مجاهد.

(٥) من أركان الحج الطواف بالبيت، لقوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾، والمراد به: طواف الإفاضة، لانعقاد الإجماع على ذلك، ولهذا الطواف أسماء غير ذلك منها طواف الزيارة، وطواف الفرض، وقد يسمى طواف الصَّدَر بفتح الدال: والأشهر أن طواف الصدر هو طواف الوداع. =

١٢٤أ قال الطبري / : ولا خلاف بين المتأوِّلين في ذلك.

قال مالك: هو واجب، ويرجع تاركه من وطنه إلاَّ أَنْ يطوف طوافَ الوداع؛ فإِنَّهُ يجزيه عنه، ويحتمل أَنْ تكونَ الإِشارة بالآية إلى طواف الوداع، وقد أَسْنَدَ[١] الطبريُّ عن عمرو بن أبي سلمة قال: سألت زهيراً عن قوله تعالى: ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ فقال: هو طواف الوداع؛ وقاله مالك في «**الموطإ**»، واخْتُلِفَ في وجهِ وصف البيتِ بالعتيق، فقال مجاهد[٢] وغيره: عتيق، أي: قديم.

وقال ابن الزبير[٣]: لأَنَّ اللّه تعالى أعتقه من الجبابرة.

وقيل: أعتقه من غرق الطُّوفانِ، وقيل غير هذا.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱجْتَنِبُوا ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا قَوْلَ ٱلزُّورِ (٣٠) حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١)﴾.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ يحتمل أَنْ يكونَ في موضع رفع بتقدير: فرضكم ذلك، أو الواجب ذلك، ويحتمل أن يكون في محلِّ نصب بتقدير: امتثلوا ذلك ونحو هذا الإضمار، وأَحْسَنُ الأشياءِ مضمَراً أحسنُهَا مظهراً؛ ونحو هذه الإشارةِ البليغةِ قَوْلُ زُهَيْرٍ: [البسيط]

هَـذَا، وَلَـيْـسَ كَـمَـنْ يَـعْـيَـا بِـخُـطْـبَـتِـهِ وَسْـطَ الـنَّـدِيِّ إِذَا مَـا نَـاطِـقٌ نَـطَـقَـا[٤]

والحُرُمَاتُ المقصودة هنا هي أفعال الحج.

= ومحل طواف الإفاضة بعد الخروج من عرفة ولهذا سمي طواف الإفاضة. ويدخل وقته بنصف ليلة النحر لمن وقف قبله قياساً على رمي جمرة العقبة. ولا آخر لوقته إذ الأصل عدم التأقيت إلا إذا دلّ دليل على ذلك ولا دليل ثمّة. ويسن تأخيره إلى بعد طلوع الشمس للاتباع، ويكره تأخيره عن يوم النحر وفي تأخيره عن أيام التشريق كراهة شديدة وعن خروجه من مكة كراهة أشد.

(١) أخرجه الطبري (٩/ ١٤٢) برقم (٢٥١٢٣)، وذكره ابن عطية (٤/ ١١٩).

(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ١١٩).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٢٤) كتاب «التفسير» باب ومن سورة الحج حديث (٣١٧٠)، والحاكم (٢/ ٣٨٩) من حديث عبد اللّه بن الزبير وقال الترمذي: حسن صحيح وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. وقال الذهبي: على شرط مسلم.

(٤) البيت في ديوانه (٤٢)، و «**البحر**» (٦/ ٣٣٩)، و «**الدر المصون**» (٥/ ١٤٥).
والندي: القوم المجتمعون ومنه النادي، والشاهد في قوله «هذا» حيث أشير باسم الإشارة إلى ما سبق من وصف الهرم.

وقال ابن العربي[١] في «أحكامه»: الحرمات: امتثال ما أَمَرَ اللّه تعالى به، واجتنابُ ما نهى عنه؛ فإنَّ للقسم الأَوَّلِ حرمةَ المبادرة إلى الامتثال، وللثاني حرمةَ الانكفاف والانزجار[٢]. انتهى.

وقوله: ﴿فهو خير﴾ ظاهر أنها ليست للتفضيل، وإنما هي عِدَةٌ بخير، ويحتمل أن يجعل ﴿خير﴾ للتفضيل على تجوز في هذا الموضع.

ص: ﴿فهو خير له﴾ أي: فالتعظيم خير له، [انتهى][٣].

وقوله تعالى: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ يحتمل معنيين.

أحدهما: أَنْ تكون «من» لبيان الجنس أي: الرجس الذي هو الأوثان؛ فيقع النهي عن رِجْسِ الأوثان فقط، وتبقى سائر الأرجاس نَهْيُهَا في غير هذا الموضع.

والمعنى الثاني: أَنْ تكون «من» لابتداء الغاية فكأنه نهاهم سبحانه عن الرجس عموماً، ثم عَيَّنَ لهم مبدأه الذي منه يلحقهم؛ إذ عبادة الوثن جامعةٌ لكل فساد ورجس، ويظهر أن الإشارة إلى الذبائح التي كانت للأوثان فيكون هذا مِمَّا يُتْلَى عليهم، والمَرْوِيُّ عن ابن عباس وابن جُرَيج: أَنَّ الآية نَهْيٌ عن عبادة الأوثان[٤]، و﴿الزور﴾ عامٌّ في الكَذِبِ والكفر؛ وذلك أَنَّ كُلَّ ما عدا الحق فهو كذب وباطل.

وقال ابن مسعود وغيرُه: إِنَّ رسول اللّه ﷺ قال: «عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ بِالشِّرْكِ[٥]،

---

(١) ينظر: «أحكام القرآن» (٣/ ١٢٨٤).
(٢) في جـ: الازتجار.
(٣) سقط في جـ.
(٤) أخرجه الطبري (٩/ ١٤٤) برقم (٢٥١٢٩) عن ابن عباس، وبرقم (٢٥١٣٠) عن ابن جريج، وذكره ابن عطية (٤/ ١٢٠)، والسيوطي (٤/ ٦٤٦)، وعزاه لابن جرير عن ابن عباس.
(٥) أخرجه أبو داود (٢/ ٣٢٩) كتاب الأقضية: باب في شهادة الزور حديث (٣٥٩٩) والترمذي (٤/ ٥٤٧) كتاب الشهادات: باب ما جاء في شهادة الزور حديث (٢٣٠٠) وابن ماجه (٢/ ٧٩٤) كتاب الأحكام: باب شهادة الزور حديث (٢٣٧٢) وأحمد (٤/ ٣٢١، ٣٢٢) والطبراني (٤/ ٢٠٩) رقم (٤١٦٢) والبيهقي (١/ ١٢١) كلهم من طريق حبيب بن النعمان عن خريم بن فاتك الأسدي به وقال الترمذي: خريم بن فاتك له صحبة وقد روى عن النبي ﷺ أحاديث وهو مشهور ا.هـ.
والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٦٤٦) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في «شعب الإيمان».
وأخرجه الترمذي (٤/ ٥٤٧) كتاب الشهادات: باب ما جاء في شهادة الزور حديث (٢٢٩٩) من طريق سفيان بن زياد الأسدي عن فاتك بن فضالة عن أيمن بن خريم مرفوعاً وقال الترمذي: هذا حديث =

وَتَلاَ هَـٰذِهِ الآيَةَ» والزُّورُ: مُشْتَقٌّ من الزَّورِ، وهو الميل[١]، ومنه في جانب فلان زور،

= غريب إنما نعرفه من حديث سفيان بن زياد واختلفوا في رواية هذا الحديث عن سفيان بن زياد ولا يعرف لأيمن بن خريم سماعاً من النبي ﷺ وقد اختلفوا في رواية هذا الحديث عن سفيان بن زياد.
وأخرجه الطبري في «**تفسيره**» (٩/ ١٤٤) رقم (٢٥١٣٤) عن عبد اللّه بن مسعود موقوفاً. وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٤/ ٦٤٦) وزاد نسبته إلى عبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر والطبراني والخرائطي في «**مكارم الأخلاق**».

(١) الزور: الكذب، والتزوير: تزيين الكذب، وزوّر الشيء حَسَّنه، وقومه، والزور مأخوذ من زوِر يزوَر، بمعنى مال، وانحرف، فالشاهد الذي يشهد بخبر كاذب يسمى شاهد زور، لأنه مائل عن الحق، منحرف عن الصدق.
وشهادة الزور من أكبر الكبائر، وقد قرن اللّه (تعالى) بينها وبين الشرك، فقال تعالى: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾.
وعن أبي بكرة قال: قال رسول اللّه ﷺ «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر»؟! قلنا: بلى يا رسول اللّه، قال «الإشراك باللّه، وعقوق الوالدين»، وكان متكئاً، فجلس وقال: «ألا وقول الزور، وشهادة الزور» حتى قلنا: ليته سكت.
واختلف أهل العلم في كيفية ثبوت شهادة الزور، فقال الحنفية إن شاهد الزور لا يثبت كونه شاهد زور، إلا إذا أقر على نفسه، ولم يدع سهواً، أو غلطاً.
واعترض على هذا صدر الشريعة، بأنه قد يعلم بدونه، كما إذا شهد بموت زيد، أو بأن فلاناً قتله، ثم ظهر زيد حياً، أو برؤية الهلال، فمضى ثلاثون يوماً، وليس في السماء علة، ولم ير الهلال.
وإنما لا تثبت شهادة الزور بالبينة، لأنها ستكون بينة على النفي، والبينة حجة للإثبات دون النفي.
وفي «**المهذب**» للشافعية: ويثبت أنه شاهد زور من ثلاثة أوجه: أحدها: أن يقر أنه شاهد زور.
الثاني: أن تقوم البينة على أنه شاهد زور.
الثالث: أن يشهد بما يقطع بكذبه، بأن شهد على رجل أنه قتل، أو زنى في وقت معين في موضع معين، والمشهود عليه في ذلك الوقت كان في بلد آخر.
وأما إذا شهد بشيء أخطأ فيه، لم يكن شاهد زور، لأنه لم يقصد الكذب.
وإن شهد لرجل بشيء، وشهد به آخر أنه لغيره، لم يكن شاهد زور، لأنه ليس تكذيب أحدهما بأولى من تكذيب الآخر، فلم يقدح ذلك في عدالته.
وكذلك اختلفوا في عقوبة شاهد الزور، فقال أبو حنيفة (رضي اللّه تعالى عنه): شاهد الزور يعزر بتشهيره على الملأ في الأسواق ليس غير.
وقال الصاحبان: نوجعه ضرباً ونحبسه، وذكر شمس الأئمة السرخسي (رحمه اللّه تعالى) أنه يشهر عندهما أيضاً، والتعزير والحبس على قدر ما يراه القاضي.
وقال بهذه الرواية مالك، والشافعي، والأوزاعي، وابن أبي ليلى.
لهما ما روي عن عمر (رضي اللّه تعالى عنه) أنه ضرب شاهد الزور أربعين سوطاً وسخم وجهه، ولا يقال: الاستدلال بهذا غير مستقيم على مذهبهما، لأنهما لا يريان التسخيم، لأنه يحمل التسخيم على أنه كان سياسة. =

ويظهر أنَّ الإشارة إلى زور أقوالهم في تحريم وتحليلِ ما كانوا قد شرعوا في الأنعام، و﴿حنفاء﴾ معناه مستقيمين أو مائلين إلى الحق، بحسب أن لفظة الحنف من الأضداد، تَقَعُ على الاستقامة، وتقع على المَيْلِ، والسحيق: البعيد.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ذٰلك ومن يعظم شعائر اللّه﴾ التقدير في هذا الموضع: الأمر ذلك، و﴿الشعائر﴾ جمع شعيرة وهي كُلُّ شيء للّه عز وجل فيه أمر أشعر به وأعلم.

قال الشيخ ابن أبي جمرة: ﴿ومن يُعظم شعائر اللّه فإنها من تقوى القلوب﴾ قال:

= واستدل أبو حنيفة. بأن شريحاً كان يشهر، ولا يضرب، وما روي عن عمر من أنه ضرب شاهد الزور أربعين سوطاً وسخم وجهه، فمحمول على السياسة، بدلالة التبليغ إلى الأربعين، والتسخيم.
والتشهير منقول عن شريح (رحمه اللّه تعالى)، فإنه كان يبعثه إلى سوقه إن كان سوقياً، وإلى قومه إن كان غير سوقي بعد العصر أجمع ما كانوا، ويقول إن شريحاً يقرئكم السلام، ويقول: إنا وجدنا هذا شاهد زور، فاحذروه، وحذروا الناس منه.
واختلف القائلون بجواز الضرب، والحبس: فقال ابن أبي ليلى: يجلد خمسة وسبعين سوطاً، وهذه رواية عن أبي يوسف، وفي رواية أخرى عنه: يجلد تسعة وسبعين سوطاً.
وقال الشافعي: لا يزيد على تسعة وثلاثين.
وقال أحمد: لا يزاد على عشر جلدات.
وقال الأوزاعي في شاهدي الطلاق: يجلدان مائة مائة، ويغرمان الصداق.
وقال صاحب «الفتح»: اعلم أنه قد قيل: إن المسألة على ثلاثة أوجه: أن يرجع على سبيل الإصرار، مثل أن يقول لهم: شهدت في هذه بالزور، ولا أرجع عن مثل ذلك، فإنه يعزر بالضرب بالاتفاق، وإن رجع على سبيل التوبة لا يعزر اتفاقاً، وإن كان لا يعرف حاله، فعلى الإختلاف المذكور.
واختلفوا في قبول شهادته بعد توبته، فذهب الحنفية إلى أنه إذا تاب شاهد الزور، وأتت على ذلك مدة، قيل سنة، وقيل ستة أشهر، والصحيح أنها مفوضة لرأي القاضي.
فإن كان فاسقاً تقبل شهادته، لإن الحامل له على الزور فسقه، وقد زال بالتوبة.
وإن كان مستوراً لا يقبل أصلاً، وكذا إذا كان عدلاً، على رواية بشر عن أبي يوسف، لأن الحامل له على ذلك غير معلوم، فكان الحال قبل التوبة وبعدها سواء، وروى أبو جعفر أنها تقبل، قالوا: وعليه الفتوى.
وقال الشافعي، وأبو ثور، وأحمد: تقبل شهادته إذا أتت على ذلك مدة تظهر فيها توبته، ويتبين فيها صدقه، وعدالته..
وقال مالك: لا تقبل شهادته أبداً، لأنه لا يؤمن على قول الصدق.

تعظيمُ شعائرِ اللّهِ، ـ كان من البقع أو من البشر أو مِمَّنْ شاء اللّه تعالى ـ زيادةٌ في الإِيمان وقوة في اليقين. انتهى.

وقال العراقي في أرجوزته: [الرجز]

أَعْــلاَمُ طَــاعَــةٍ هِــيَ الــشَّــعَــائِــرُ ....

٢٤ ب / البيت.

وقالت فرقة: قصد بالشعائر في هذه الآية الهَدْيُ والأنعام المشعرة، ومعنى تعظيمها التسمين والاهتبال بأمرها، قاله ابن عباس[١] وغيرُه، ثم اخْتَلَفَ المتأوِّلُون في قوله سبحانه: ﴿لكم فيها منافع...﴾ الآية: فقال مجاهد وقتادة: أراد أنَّ للناس في أنعامهم منافِعَ من الصُّوف، واللَّبَن، والذبح للأكل، وغيرِ ذلك ما لم يبعثها رَبُّها هدياً، فَإذا بعثها فهو الأجل المُسَمَّى[٢]، وقال عطاء: أراد لكم في الهدي المبعوثِ منافِعُ، من الركوب، والاحتلاب لمن اضطر، والأجل نحرها[٣]، وتكون «ثم» من قوله: ﴿ثم محلها إلى البيت العتيق﴾ لترتيب الجمل؛ لأنَّ المَحِلَّ قبل الأجل، ومعنى الكلامِ عند هذين الفريقين: ثم مَحِلُّها إلى موضع النحر، وذكر البيت؛ لأنَّه أشرفُ الحرم، وهو المقصود بالهدي وغيره.

وقال ابن زيد، والحسن، وابن عمر، ومالك: الشعائر في هذه الآية: مواضِعُ الحج كُلُّها، ومعالمه بمنى، وَعَرَفَةَ، والمزدلفة، والصَّفَا والمروة، والبيت وغير ذلك[٤]، وفي الآية التي تأتي أَنَّ البُدنَ من الشعائر، والمنافِعُ: التجارة وطلب الرزق أوِ الأجر والمغفرة، والأجل المُسَمَّى: الرجوعُ إلى مكة لطواف الإفاضة، ومَحِلُّها مأخوذٌ من إحلال المحرم، والمعنى: ثم أَخِّروا هذا كله إلى طواف الإِفاضة بالبيت العتيق، فالبيتُ على هذا التأويل مُرَادٌ بنفسه، قاله مالك في «الموطإ».

---

(١) أخرجه الطبري (٩/١٤٦) برقم (٢٥١٤٢)، وذكره البغوي (٣/٢٨٦)، وابن عطية (٤/١٢١)، وابن كثير (٣/٢١٩)، والسيوطي (٤/٦٤٧)، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (٩/١٤٨) برقم (٢٥١٥٦) عن مجاهد، وعن قتادة برقم (٢٥١٦٠)، وذكره البغوي (٣/٢٨٧)، وابن عطية (٤/١٢١)، والسيوطي (٤/٦٤٧)، وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري (٩/١٤٨) برقم (٢٥١٦٢)، وذكره البغوي (٣/٢٨٧)، وابن عطية (٤/١٢١)، والسيوطي (٤/٦٤٧)، وعزاه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن الضحاك وعطاء.

(٤) أخرجه الطبري (٩/١٤٦) برقم (٢٥١٤٨) عن ابن زيد، وذكره ابن عطية (٤/١٢١).

ت وأظهرُ هذه التأويلات عندي تأويلُ عطاءٍ، وفي الثالث بعضُ تكلُّفٍ، ثم أخبر تعالى أنه جعل لكل أُمَّةٍ من الأُمم المؤمنة منسكاً، أي: موضعَ نُسُكٍ وعبادة، هذا على أَنَّ المنسك ظرف، ويحتملُ أَنْ يريد به المصدر كأنه قال: عبادة، والناسِكُ العابد.

وقال مجاهد[١]: سُنَّةٌ في هراقة دماء الذبائح.

وقوله: ﴿ليذكروا اسم اللّه﴾ معناه أمرناهم عند ذبائحهم بذكر اللّه، وأن يكون الذبح له؛ لأَنَّهُ رازق ذلك، وقوله: ﴿فله أسلموا﴾ أي: آمنوا، ويحتمل أَنْ يريد استسلموا، ثم أمر سبحانه نَبِيَّه ﷺ أَنْ يُبَشِّرَ بشارةً على الإطلاق، وهي أبلغ من المفسرة؛ لأنها مُرْسَلَةٌ مع نهاية التخيل للمخبتين المتواضعين الخاشعين المؤمنين، والخبت ما انخفض من الأَرض، والمُخْبِتُ المتواضع الذي مَشْيُهُ متطامن كأنه في حدورٍ من الأرض، وقال عمرو بن أوس[٢]: المخبتون الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا.

قال *ع*[٣]: وهذا مثال شريف من خُلُقِ المؤمن الهَيِّنِ اللَّيِّنِ، وقال مجاهد: هم المطمئنون بأمر اللّهِ تعالى، ووصفهم سبحانه بالخوفِ والوَجَلِ عند ذكر اللّه تعالى، وذلك لِقُوَّةِ يقينهم ومراقبتهم لربهم، وكأنهم بين يديه جلَّ وعلا، ووَصَفَهُم بالصبر وبإقامة الصلاة وإدامتها، ورُوِيَ: أَنَّ هذه الآية قوله: ﴿وبشر المخبتين﴾ نزلت في أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليٍّ (رضي اللّه عنهم أجمعين).

﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر اللّه﴾ البُدْنُ: جمع بدنة، وهي ما أشعر من ناقة أو بقرة؛ قاله عطاء وغيره[٤]، وسُمِّيَتْ بذلك؛ لأنها تبدن، أي: تسمن.

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ١٥٠) برقم (٢٥١٧١)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٢١)والسيوطي (٤/ ٦٤٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ١٥١) برقم (٢٥١٧٧)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٢٢)، وابن كثير (٣/ ٢٢١)، والسيوطي (٤/ ٦٤٩)، وعزاه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا في «ذم الغضب»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن عمرو بن أوس.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٢٣).

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ١٥٢) برقم (٢٥١٨٠)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٢٢)، وابن كثير (٣/ ٢٢١).

وقيل: بل هذا الاسم خاصٌّ بالإبل، والخير هنا قيل فيه ما قيل في المنافع التي تَقَدَّم ذكرُها، والصوابُ عُمُومُه في خير الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿عليها﴾ يريد عند نَحرِها، و﴿صوافَّ﴾، أي: مُصْطَفَّةً، وقرأ ابن مسعود[1]، وابن عمر، وابن عباس، وغيرهم: «صَوَافِنَ» جمع صَافِنَة، وهي التي رُفِعَتْ إِحدى يديها بالعقل؛ لِئَلاَّ تضطرب، ومنه في الخيل ﴿الصافنات الجياد﴾ [صَ: ٣١]، و«وجبت» معناه: سقطت.

٢٦ أ وقوله: ﴿فكلوا منها﴾: / نَدْبٌ، وكل العلماء يستحب أن يأكل الإنسان من هديه، وفيه أَجْرٌ وامتثالٌ؛ إذْ كان أهل الجاهليَّةِ لا يأكلون من هديهم، وتحرير القول في ﴿القانع﴾: أَنَّهُ السائل و﴿المعترّ﴾ الـمُتَعَرِّضُ من غير سؤال؛ قاله الحسن ومجاهد وغيرهما[2]، وعكست فرقة هذا القول، فحكى الطبريُّ[3] عن ابن عباس أَنَّهُ قال: القَانِعُ: المُسْتَغني[4] بما أعطيته، والمعترُّ: هو المتعرض[5]، وحكي عنه أَنَّهُ قال: القَانِعُ: المُتَعَفِّفُ، والمُعترُّ: السائل[6].

قال *ع[7]*: يُقَالُ: قَنَعَ الرجلُ ـ بفتح النون ـ يَقْنَعُ قُنُوعاً فهو قَانِعٌ إذا سأل؛ فالقانع: هو السائل بفتح النون في الماضي، وقَنِعَ ـ بكسر النون ـ يَقْنَعُ قَنَاعَةً فهو قَنِعٌ إذا تَعَفَّفَ واستغنى ببلغته؛ قاله الخليل بن أحمد.

---

(١) وقرأ بها النخعي، وأبو جعفر محمد بن علي، والأعمش.
ينظر: «**الشواذ**» (٩٧، ٩٨)، و«**المحتسب**» (٢/ ٨١)، و«**المحرر الوجيز**» (٤/ ١٢٢)، و«**البحر المحيط**» (٦/ ٣٤٢)، و«**الدر المصون**» (٥/ ١٥٠).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ١٥٧، ١٥٨) برقم (٢٥٢٣١، ٢٥٢٣٢، ٢٥٢٣٣، ٢٥٢٣٦، ٢٥٢٣٧) عن الحسن، وذكره البغوي (٣/ ٢٨٨)، وابن عطية (٤/ ١٢٣)، والسيوطي (٤/ ٦٥٤)، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد عن الحسن، وعزاه أيضاً للبيهقي في «**سننه**» عن مجاهد، وعزاه لابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في جـ: المستغنى والمستغني.

(٥) أخرجه الطبري (٩/ ١٥٦) برقم (٢٥٢١٩)، وذكره البغوي (٣/ ٢٨٨) بنحوه، وابن عطية (٤/ ١٢٣)، وابن كثير (٣/ ٢٢٢)، والسيوطي (٤/ ٦٥٣)، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٦) أخرجه الطبري (٩/ ١٥٦) برقم (٢٥٢٢٢)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٢٣)، وذكره ابن كثير (٣/ ٢٢٢)، والسيوطي (٤/ ٦٥٣)، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٧) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ١٢٣).

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿لن ينال الله لحومها...﴾ الآية: عبارة مبالغة، وهي بمعنى: لن تُرْفَعَ عنده سبحانه، وتتحصل سبب ثواب، والمعنى: ولكن تُنَالُ الرِّفْعَةُ عنده، وتحصلُ الحسنة لديه بالتقوى.

وقوله تعالى: ﴿لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين﴾ رُوِيَ: أن قوله: «وبشر المحسنين» نزلت في الخلفاء الأربعة حسبما تَقَدَّمَ في التي قبلها، وظاهِر اللفظ العمومُ في كل مُحْسِنٍ.

وقوله سبحانه: ﴿إن الله يدافع عن الذين ءامنوا...﴾ الآية، وقرأ أبو عمرو، وابن كثير: «يَدْفَعُ»[1] ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ﴾ [الحج: ٤٠].

قال أبو علي: أجريت «دافع» مُجْرى «دفع» كعاقبت اللِّصَّ وطارقت النعلَ، قال أبو الحسن الأَخْفَشُ: يقولون: دافع الله عنك، ودفع عنك، إلاَّ أَنَّ «دفع» أكثر في الكلام.

قال *ع[2]*: ويحسن «يدافع»؛ لأَنَّهُ قد عَنَّ للمؤمنين مَنْ يدفعهم ويُؤْذيهم، فيجيء دفعه سبحانه مدافعةً عنهم، وروي أَنَّ هذه الآية نزلت بسبب المؤمنين لَمَّا كَثُروا بمكة وآذاهم الكُفَّارُ؛ هَمَّ بعضهم أَنْ يقتل مَنْ أمكنه من الكُفَّارَ، ويغتالَ، وَيَغْدُرَ، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿كفور﴾، ثم أَذِنَ الله سبحانه في قتال المؤمنين لِمَنْ قاتلهم من الكفار بقوله: ﴿أذن للذين يقاتلون﴾.

وقوله: ﴿بأنهم ظلموا﴾ معناه: كان الإذن بسبب أنهم[3] ظُلِمُوا، قال ابن جريج[4]: وهذه الآية أول ما نقضت المُوادَعَةَ.

---

(١) وحجتهما أن الله ـ جل وعز ـ لا يدافعه شيء، وهو يدفع عن الناس، فالفعل له وحده لا لغيره.
وحجة الباقين أنه يدافع مرة بعد مرة.
ينظر: «**السبعة**» (٤٣٧)، و«**الحجة**» (٥/ ٢٧٨)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٧٩)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ١٨١)، و«**شرح الطيبة**» (٥/ ٦٩)، و«**العنوان**» (١٣٤)، و«**حجة القراءات**» (٤٧٧)، و«**شرح شعلة**» (٥٠٤)، و«**إتحاف**» (٢/ ٢٧٧).

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ١٢٣).

(٣) في جـ: أنهم عند هجرة النبي ﷺ.

(٤) ذكره ابن عطية (٤/ ١٢٤).

قال ابن عباس[١]، وابن جُرَيْج[٢]: نزلتْ عند هجرة النبي ﷺ إلى المدينة.

وقال أبو بكر الصديق: لَمَّا سمعتُهَا، علمتُ أنَّه سيكون قتال[٣].

قلت: وهذا الحديث خَرَّجَهُ الترمذيُّ، قال ابن العربيِّ: ومعنى ﴿أُذِنَ﴾: أُبِيحَ، وقرئ «يُقَاتِلُونَ» بكسر التاء وفتحها[٤]، فعلى قراءة الكسر: تكونُ الآية خبراً عن فعل المأذونِ لهم، وعلى قراءة الفتح: فالآية خبرٌ عن فعل غيرهم، وأَنَّ الإِذْنَ وقع من أجل ذلك لهم، ففي فتح التاء بيانُ سبب القتال، وقد كان الكفار يتعمدون النبي ﷺ والمؤمنين بالإذاية ويعاملونهم بالنكاية، وقد قتل أبو جهل سُمَيَّةَ أمَّ عمار بن ياسر، وعُذِّبَ بلال، وبعد ذلك جاء الانتصار بالقتال، انتهى، ثم وعد سبحانه بالنصر في قوله: ﴿وإن الله على نصرهم لقدير﴾.

﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿الذين أخرجوا من ديارهم﴾ يريد كُلَّ مَنْ خرج من مكة وآذاه أهلها حتى أخرجوه بإذايتهم، ـ طائفة إلى الحبشة وطائفة إلى المدينة ـ، ونسب الإخراج إلى الكفار؛ لأَنَّ الكلام في معرض تقرير الذنب، وإلزامه لهم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٢٥) كتاب «التفسير»: باب ومن سورة الحج حديث (٣١٧١)، وأحمد (١/ ٢١٦)، والطبري (٩/ ١٦١) رقم (٢٥٢٥٥) وابن حبان (١٦٨٧ـ موارد) والحاكم (٣/ ٧) والطبراني (١٢/ ١٦) رقم (١٢٣٣٦) والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢٩٤) وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٦٥٥) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد والبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) في جـ: حي.

(٣) ينظر الأثر السابق.

(٤) قرأ بفتح التاء كل من نافع، وأبي عمارة، واين اليتيم، وهبيرة عن حفص عن عاصم، مع ضم همزة «أذن».

وقرأ بكسر التاء مع ضم الهمزة ـ عاصم في رواية أبي بكر، وأبو عمرو.

وقرأها مكسورة مع فتح همزة «أَذِنَ» كل من ابن كثير، وحمزة، والكسائي. وقرأها ابن عامر مفتوحة الهمزة والتاء.

ينظر: «السبعة» (٤٣٧)، و«الحجة» (٥/ ٢٨٠)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٧٩)، و«معاني القراءات» (٢/ ١٨٢)، و«شرح الطيبة» (٥/ ٦٩ـ ٧٠)، و«العنوان» (١٣٥)، و«حجة القراءات» (٤٧٨)، و«شرح شعلة» (٥٠٤)، و«إتحاف» (٢/ ٢٧٦).

وقوله: ﴿إلاّ أن يقولوا / ربنا اللّه﴾ استثناءٌ مُنقَطِعٌ. ٢٦ ب

قال «ص»: وأجاز أبو إسحاق وغيرُه أنْ يكون في موضع جَرٌ بدلاً من حَقّ، أي: بغير مُوجِبٍ سوى التوحيدِ الذي ينبغي أن يكون مُوجِبَ الإقرار، لا مُوجِبَ الإخراج، ومثله: ﴿هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ [المائدة: ٥٩] انتهى، وهو حَسَنٌ من حيث المعنى، والانتقاد عليه مُزَيَّفٌ.

وقوله: ﴿ولولا دفع اللّه الناس﴾ الآية تقوية للأمر بالقتال، وذكر أَنَّهُ مُتَقَدِّمٌ في الأمم، وبه صَلُحَتِ الشرائع، فكأنه قال: أُذِنَ في القتال، فليقاتِلِ المؤمنون، ولولا القتالُ والجهادُ لَتُغُلِّبَ على الحَقّ في كُلِّ أُمَّةٍ، هذا أصوب تأويلات الآية، والصومعة: موضع العبادة، وهي بِنَاءٌ مرتفع، منفرد، حديد الأعلى، والأصمع من الرجال: الحديد القول، وكانت قبل الإسلام مُخْتَصَّةً برهبان النصارى، وعُبَّادِ الصابئين[(١)]؛ قاله قتادة[(٢)]، ثم اسْتُعْمِلَتْ[(٣)] في مئذنة المسلمين، والبِيَعُ: كنائس النصارى، واحدتها: بِيعَةٌ.

وقال الطبري[(٤)]: قيل: هي كنائس اليهود، ثم أدخل عن مجاهد ما لا يقتضي ذلك، والصلوات مشتركة لكل مِلَّةٍ؛ واستعير الهدم للصلوات من حيث تعطيلها، أو أرادَ موضع صلواتٍ، وقال أبو العالية[(٥)]: الصلوات مساجد الصابئين، وقيل: غير هذا.

وقوله: ﴿يذكر فيها﴾ الضمير عائد على جميع ما تَقَدَّمَ، ثم وعد سبحانه بِنُصْرَةِ دينه وشرعه، وفي ذلك حَضٌّ على القتال والجدِّ فيه، ثم الآية تَعُمُّ كل مَنْ نصر حقًّا إلى يوم القيامة.

وقوله سبحانه: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة...﴾ الآية: قالت فرقة: هذه الآية في الخلفاءِ الأربعة، والعمومُ في هذا كله أبينُ، وبه يَتَّجِهُ الأمر في جميع الناس، وإنَّما الآية آخذة عهداً على كُلِّ مَنْ مُكِّنَ [في الأرض][(٦)] على قَدْرِ ما مُكِّنَ، والآية

---

(١) في جـ: الصابئين.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ١٦٤) برقم (٢٥٢٧٢)، وذكره البغوي (٣/ ٢٩٠)، وابن عطية (٤/ ١٢٥)، وابن كثير (٣/ ٢٢٦)، والسيوطي (٤/ ٦٥٧)، وعزاه لعبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٣) في جـ: استعمل.

(٤) ينظر: «الطبري» (٩/ ١٦٤).

(٥) أخرجه الطبري (٩/ ١٦٥) برقم (٢٥٢٨٥)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٢٥)، وابن كثير (٣/ ٢٢٦)، والسيوطي (٤/ ٦٥٧) وعزاه لابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن أبي العالية.

(٦) سقط في جـ.

أمكن ما هي في الملوك.

وقوله سبحانه: ﴿ولله عاقبة الأمور﴾: تَوَعُّدٌ للمخالف عن هذه الأمور التي تقتضيها الآية لمن مكن.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وإن يكذبوك﴾: يعني: قريشاً، ﴿فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود * وقوم إبراهيم وقوم لوط * وأصحاب مدين وكذب موسى...﴾ الآية: فيها وعيد لقريشٍ، و﴿أمليت﴾ معناه: أمهلتُ، والنكير مصدر بمعنى الإنكار.

[وقوله](١): «وبير معطلة» قيل: هو معطوف على العروش، وقيل: على القرية؛ وهو أصوب.

ثم وَبَّخَهُمْ تعالى على الغفلة وترك الاعتبار بقوله: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ وهذه الآية تقتضي أنَّ العقل في القلب، وذلك هو الحق، ولا يُنْكَرُ أَنَّ للدماغ اتصالاً بالقلب يوجب فساد العقل متى اختل الدماغ.

وقوله: ﴿فتكون﴾: نصب بالفاء في جواب الاستفهام؛ صُرِفَ الفعلُ من الجزم إلى النصب.

وقوله سبحانه: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار﴾ لفظ مبالغة كأنه قال: ليس العمى عَمَى العين، وإنما العمى كُلَّ العمى عَمَى القلب، ومعلوم أن الأبصار تعمى، ولكن المقصود ما

---

(١) سقط في جـ.

ذكرنا؛ وهذا كقوله ﷺ: «لَيسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ»[(١)]، وَ«لَيسَ المِسْكِينُ بِهَذَا الطَّوَافِ»[(٢)]، والضمير في ﴿إِنَّها﴾ للقصة ونحوها من التقدير، والضميرُ في ﴿يستعجلونك﴾ لقريش.

وقوله: ﴿ولن يخلف اللّه وعدَهُ﴾ وعيد وإخبار بأنَّ كل شيءٍ إلى وقت محدود، والوعد هنا مُقَيَّدٌ بالعذاب.

١٢٧أ وقوله سبحانه: ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ / قالت فرقة: معناه وإنَّ يوماً من أيَّام عذاب اللّه كألف سنة من هذه؛ لطول العذاب وبؤسه، فكان المعنى أي من هذه السنين فما أَجْهَلَ مَنْ يَسْتَعْجِلَ هذا، وكُرِّرَ قوله: ﴿وكأين﴾؛ لأَنَّهُ جلب معنى آخر؛ ذكر أَوَّلاً القرى المُهْلَكَةَ دون إملاء، بل بعقب التكذيب، ثم ثَنَّى سبحانه بالممهلة؛ لئلاً يفرحَ هؤلاء بتأخير العذاب عنهم، وباقي الآية بَيِّنٌ، والرزق الكريم: الجنة، و﴿معاجزين﴾ معناه: مغالبين، كأنهم طلبوا عَجْزَ صاحب الآياتِ، والآياتُ تقتضي تعجيزهم؛ فصارت مُفَاعَلَةً.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيء إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته...﴾ الآية.

قلت: قال [القاضي أبو الفضل][(٣)] عياض: وقد توجهت ها هنا لبعض الطاعنين سُؤَالاتٍ منها ما رُوِيَ مِنْ: «أَنَّ النبي ﷺ لما قرأ سورة «والنجم» وقال: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾ [النجم: ١٩، ٢٠] قال: تِلْكَ الْغَرَانِيقُ العُلَىٰ، وإِنَّ شَفَاعَتَهَا لَتُرْتَجَىٰ»[(٤)].

---

(١) أخرجه مالك (٢/ ٩٠٦) كتاب «حسن الخلق»: باب ما جاء في الغضب، حديث (١٢)، والبخاري (١٠/ ٥٣٥) كتاب «الأدب»: باب الحذر من الغضب، حديث (٦١١٤)، ومسلم (٤/ ٢٠١٤) كتاب «البر والصلة»: باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، حديث (١٠٧/ ٢٦٠٩)، وأحمد (٢/ ٢٣٦)، والبغوي في «**شرح السنة**» (٦/ ٥٣١ـ بتحقيقنا)، والقضاعي في «**مسند الشهاب**» (١١٢١٢) من حديث أبي هريرة.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) سقط في جـ.

(٤) أخرجه الطبراني في «**الكبير**» (١٢/ ٥٣) رقم (١٢٤٥٠)، والبزار في «**مسنده**» كما في «**تخريج الكشاف**» (٢/ ٣٩١)، وابن مردويه كما في المصدر السابق، كلهم من طريق يوسف بن حماد ثنا أمية بن خالد، ثنا =

....

= شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، فذكرالقصة.
وقال البزار: هذا حديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل يجوز ذكره إلا بهذا الإسناد، ولا نعلم أحداً أسند هذا الحديث عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد عن ابن عباس إلا أمية، ولم نسمعه نحن إلا من يوسف بن حماد، وكان ثقة، وغير أمية يحدث به عن أبي بشر عن سعيد بن جبير مرسلاً، وانما يعرف هذا الحديث عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وأمية ثقة مشهور ا.هـ.
وقد مشى الهيثمي على ظاهر السند، فقال في «**المجمع**» (٧/ ١١٨): رواه البزار والطبراني، ورجالهما رجال الصحيحين.
وهذا الطريق فيه اضطراب، فقد رواه بعضهم عن أبي بشر عن سعيد مرسلاً وقد أشار إلى ذلك البزار رحمه الله.
وهذا الطريق أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (٩/ ١٧٦) رقم (٢٥٣٣١) من طريق محمد بن جعفر: ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير مرسلاً.
وقد رويت هذه القصة عن محمد بن كعب القرظي، وعن قتادة، وعن أبي العالية مرسلة: أما مرسل محمد بن كعب، فأخرجه الطبري (٩/ ١٧٥ـ ١٧٦) رقم (٢٥٣٢٨) وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٤/ ٦٦٢)، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور.
مرسل قتادة: أخرجه الطبري، وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٤/ ٦٦٣)، وعزاه لابن أبي حاتم.
أما مرسل أبي العالية، فأخرجه الطبري (٩/ ١٧٦) رقم (٢٥٣٣٠)، وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٤/ ٦٦٣)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم.
وللحديث طريق موصول عن ابن عباس: أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (٩/ ١٧٦) رقم (٢٥٣٣٣): حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس به.
قال الزيلعي في «**تخريج الكشاف**» (٢/ ٣٩٢): ولكن فيه عدة مجاهيل عينا وحالاً ا.هـ.
وقد طعن فيها كثير من المحققين والمحدثين، قال البيهقي وهو من كبار رجال السنة: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، وقال القاضي عياض في: «**الشفاء**»: إن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أُولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون، والمولعون بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم، ومن حكيت عنه هذه المقالة من المفسرين والتابعين، لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية، والمرفوع منها حديث شعبة، عن أبي البشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب (الشك في وصل الحديث): «أن النبي ﷺ كان بمكة وذكر القصة»: قال أبو بكر البزار: هذا الحديث لا نعرفه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل، إلا هذا، ولم يسنده عن شعبة إلا أُمية بن خالد، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير، وإنما يعرف عن الكلبي عن أَبي خالد عن ابن عباس، فقد بين أَبو بكر أَنه لا يعرف عن طريق يجوز ذكره سوى هذا، وفيه من الضعف ما نبه عليه، مع وقوع الشك فيه، الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه، وأما حديث الكلبي: فمما لا يجوز الرواية منه، ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه ا.هـ وكذا أَنكر القصة القاضي أَبو بكر بن العربي وطعن فيها من جهة النقل، وسئل محمد بن إسحاق بن خزيمة، عن هذه القصة، فقال: هذا من وضع الزنادقة، وصنف في ذلك كتاباً، وذهب إلى وضعها الإمام: أَبو منصور الماتريدي، في كتاب «**حصص الأَتقياءِ**» حيث قال: الصواب أن قوله: «تلك الغرانيق العلى» من جملة =

....

= إيحاءِ الشياطين إلى أَوليائه من الزنادقة، حتى يلقوا بين الضعفاءِ وأَرقاءِ الدين، ليرتابوا في صحة الدين، والرسالة بريئة من مثل هذه الرواية.

فها نحن نرى: أَن من أَنكرها وقضى بوضعها أَكثر ممن صححها اعتماداً على روايات مرسلة.

ومما يقلل الثقة بالحديث: اضطراب الروايات اضطراباً فاحشاً.

فقائل يقول: إِنه كان في الصلاة، وقائل يقول: قالها في نادي قومه، وثالث يقول: قالها وقد أَصابته سِنَة. ورابع يقول: بل حدّث نفسه فيها. ومن قائل: إِن الشيطان قالها على لسانه، وإِن النبي لما عرضها على جبريل قال: ما هكذا أَقرأتك؟ وآخر يقول: بل أَعلمهم الشيطان: أَن النبي قرأَها كما رويت: تلك الغرانيق العلى على أَنحاءٍ مختلفة، وكل هذا الاضطراب ممَّا يوهن الرواية، ويقلل الثقة بها. والحق أَبلج والباطل لجلج.

وقد حكمت الصنعة والقواعد الاصطلاحية على الحافظ ابن حجر، فصحح القصة، وجعل لها أَصلاً، قال في **«الفتح»**، في تفسير سورة الحج، بعد ما ساق الطرق الكثيرة: وكلها سوى طريق سعيد بن جبير إِما ضعيف، وإِما منقطع، لكن كثرة الطرق تدل على أَن لها أَصلاً، مع أَن لها طريقين مرسلين آخرين، رجالهما على شرط الصحيح: أَحدهما: ما أَخرجه الطبري من طريق يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، حدثني أَبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فذكر نحوه. والثاني: ما أَخرجه أَيضاً من طريق المعتمد بن سليمان، وحماد بن سلمة، فرقهما عن داود بن أَبي هند، عن أَبي العالية، وبعد أَن ذكر كلام القاضي أَبي بكر بن العربي، وعياض قال: وجميع ذلك لا يتمشى مع القواعد، فإِن الطرق إِذا كثرت وتبينت مخارجها، دل ذلك على أَن لها أَصلاً، وقد ذكرت أَن ثلاثة أَسانيد منها على شرط الصحيح، وهي مراسيل، يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل، وكذا من لا يحتج، لاعتضاد بعضها ببعض، وإِذا تقرر ذلك: تعين تأْويل ما فيها مما يستنكر، وهو قوله: «أَلقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلا»، فإِنه لا يجوز حمله على ظاهره، لأَنه يستحيل عليه ﷺ أَن يزيد في القرآن عمداً ما ليس منه، وكذا سهواً إِن كان مغايراً لما جاءَ به من التوحيد، لمكان عصمته، وقد سلك العلماءُ في ذلك مسالك. . .، وبعد أَن ذكر الكثير منها، ولم يرتضه، ارتضى لتصحيح القصة هذا التأْويل: وهو أَن النبي ﷺ كان يرتل القرآن ترتيلاً، فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمة محاكياً نغمته، بحيث سمعها من دنا، فظنه من قوله، وأَشاعها بين الناس، قال: وهو الذي ارتضاه عياض وأَبو بكر بن العربي ا.هـ، والقاضيان: عياض وأَبو بكر رأْيهما البطلان نقلاً وعقلاً، ولكنهما ارتضيا ذلك تنزلاً على تسليم الصحة.

والذي أُجيب به على ما ذكره الحافظ:

١ـ أَن جمهور المحدثين لم يحتجوا بالمرسل، وجعلوه من قسم الضعيف؛ لاحتمال أَن يكون المحذوف غير صحابي، وحينئذ: يحتمل أَن يكون ثقة أَو غير ثقة. وعلى الثاني: فلا يؤمن أَن يكون كذاباً، والإِمام مسلم قال في مقدمة كتابه: والمرسل في أَصل قولنا وقول أَهل العلم بالإِخبار: ليس بحجة. وقال ابن الصلاح في مقدمته: «وذكرنا من سقوط الاحتجاج بالمرسل والحكم بضعفه: هو الذي استقر عليه آراء جماهير حفاظ الحديث، وتداولوه في تصانيفهم»، والاحتجاج به مذهب مالك، وأَبي حنيفة والشافعي، بشروط ذكرها في رسالته، ونقلها العراقي في شرح أَلفيته، وقد قالوا في مراسيل أَبي العالية: **إِنها كالريح، كما في: «التدريب»** وإِني لأَذكر الحافظ بما ذكره من البلاءِ في الاحتجاج بالمراسيل =

قال عياض: اعلم (أكرمك اللّه) أَنَّ لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين: أحدهما: في توهين أصله.

والثاني: على تقدير تسليمه.

أما المأخذ الأَوَّلُ: فيكفيك أنَّ هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولاَ رَوَاهُ ثقة بسند مُتَّصِلٍ سليم؛ وإنما أولع به وبمثله المُفَسِّرُون والمؤرِّخُونَ المُولَعُونَ بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقِيم، وصدق القاضي أبو بكر ابن العلاء المالكيُّ (رحمه اللّه تعالى) حيث يقول: لقد بُلِيَ الناسُ ببعض أهل الأهواء والتفسير، ثم قال عياض: قال أبو بكر البَزَّارُ: هذا الحديث لا نعلمه يُرْوَى عن النبي ﷺ بإسناد مُتَّصل يجوزُ ذكرُه؛ وإِنَّما يُعْرَفُ عن الكلبيِّ. قال عياض: والكلبيُّ مِمَّنْ لا تجوز الرواية عنه ولا ذِكْرُهُ؛ لقوَّةِ ضعفه وكذبه، كما أشار إليه البَزَّارُ، وقد أجمعت الأمة على عصمته ﷺ ونزاهته عن مثل هذا، انتهى، ونحو هذا لابن عطية[1] قال: وهذا الحديث الذي فيه: هن الغرانقة وقع في كتب التفسير ونحوها، ولم يُدْخِلْهُ البخاريُّ ولا مسلم، ولا ذكره - في علمي - مُصَنِّفٌ مشهور؛ بل يقتضي مذهبُ أهل الحديث أَنَّ الشيطان ألقى، ولا يعينون هذا السَّبَبَ ولا غيره.

= في مقدمة كتابه **«لسان الميزان»**.

٢- الاحتجاج بالمرسل إنما هو في الفرعيات التي يكفي فيها الظن، أما الاحتجاج به على إثبات شيءٍ يصادم العقيدة وينافي دليل العصمة فغير مسلم، وقد قال علماءُ التوحيد: إن خبر الواحد لو كان صحيحاً لا يؤخذ به في العقائد؛ لأنه لا يكتفي فيها إلا باليقين، فما بالك بالضعيف؟!!

٣- هذا التأويل الذي ارتضاه ما أضعفه عند النظر والتأمل، فهو يوقع متأوله فيما فر منه، وهو تسلط الشيطان على النبي، فالتسلط عليه بالمحاكاة، كالتسلط عليه بالإجراءِ على لسانه، كلاهما لا يجوز، وفتح هذا الباب خطر على الرسالات، وإذا سلمنا أن الشيطان هو الذي نطق في أثناء سكوت الرسول، فكيف لا يسمع ما حكاه الشيطان؟ وإذا سمعنا، فكيف لا يبادر إلى إنكارها؟ والبيان في مثل هذا وجب على الفور، وإذا لم يسمع النبي، ألم يسمع أصحابه؟ وإذا سمعوا، فكيف يسكتون؟ وإذا لم يسمعوا فهل بلغ من تسلط الشيطان أن يحول بينهم وبين السماع؟

ومثل هذا: ما ذكره موسى بن عقبة في **«مغازيه»**: من أن المسلمين ما سمعوها، وإنما ألقى الشيطان ذلك في أسماع المشركين، فهل كان الشيطان يسر في آذان المشركين دون المؤمنين؟ ثم كيف يتفق هذا وما روي: من أن النبي حزن حزناً شديداً، وأن جبريل قال له: ما جئتك بهذا الحق!!

الحق: أن نسج القصة مهما تأوّل فيه المتأولون فهو مهلهل متداع لا يثبت أمام البحث.

ينظر: **«الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير»** ص ٢٤٥ وما بعدها بتصرف.

(١) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٤/١٢٩).

قال *ع[(١)]*: وحدثني أبي (رحمه اللّه تعالى) أَنَّهُ لَقِيَ بالمشرق من شيوخ العلماء والمتكلمين مَنْ قال: هذا لا يجوز على النبي ﷺ وهو المعصوم في التبليغ؛ وإنَّما الأمرُ يعني على تقدير صحَّته ـ أنَّ الشيطان نَطَقَ بلفظ أُسْمِعَهُ الكُفَّارُ عند قول النبي ﷺ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾ [النجم: ١٩، ٢٠]. وقرَّبَ صوته من صوتِ النبي ﷺ حتى التبس الأمر على المشركين، وقالوا: محمد قرأها، هذا على تقدير صحته، وقد رُوِيَ نحوُ هذا التأويل عن الإمام أبي المعالي.

قلت: قال عياض: وقد أعاذنا اللّه من صِحَّتِهِ، وقد حكى موسى[(٢)] بن عقبة في «**مغازيه**» نحوَ هذا، وقال: إنَّ المسلمين لم يسمعوها، وإنما ألقى الشيطانُ ذلك في أسماع المشركين، ومعنى قوله تعالى: ﴿تمنى﴾ أي: تلا؛ ومنه قوله تعالى: ﴿لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨]. أي: تلاوة، ﴿فينسخ اللّه ما يلقي الشيطان﴾ أي: يُذْهِبُهُ، ويزيل اللبس به ويُحكِمُ آياته، وعبارة البخاريِّ[(٣)]: وقال ابن عباس: ﴿إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾، أي: إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه، فيبطل اللّه ما يلقى الشيطان / ويحكم ٢٧ ب
آياته، ويقال: ﴿أمنيته﴾: قراءته. انتهى.

قال عياض: وقيل: معنى الآية هو ما يقع للنبي ﷺ من السهو إذا قرأ فيتنبه لذلك، ويرجعُ عنه، انتهى.

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة﴾ الفتنة: الامتحانُ والاختبار، والذين في قلوبهم مرض: عامَّةُ الكُفَّارِ، ﴿والقاسيةِ قلوبُهم﴾ خواصُّ منهم عتاة: كأبي جهل وغيره، والشقاق: البعْدُ عن الخير والكونُ في شقٍّ غيرِ شقِّ الصلاح، و﴿الذين أوتوا العلم﴾: هم أصحاب نَبِيِّنا محمد ﷺ، والضمير في ﴿أنه﴾: عائد على القرآن، ﴿فتخبت

(١) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ١٢٩).
(٢) في المطبوعة (محمد) والمثبت من «**السير**» للذهبي (٦/ ١١٤) ترجمة (٣١).
(٣) انظر: «**صحيح البخاري**» (٨/ ٢٩٢) كتاب التفسير: باب سورة الحج.

له قلوبهم﴾: معناه: تتطامن وتَخْضَعُ، وهو مأخوذ من الخبت وهو المطمئن من الأرض كما تقدم.

﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية منه﴾ أي: من القرآن، والمريةُ: الشَّكُّ، ﴿حتى تأتيهم الساعة﴾ يعني يوم القيامة، ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ قيل: يوم بدر، وقيل: الساعةُ سَاعَةُ موتهم، واليوم [العقيم][1] يومُ القيامة.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿والذين هاجروا في سبيل اللّه ثم قتلوا أو ماتوا...﴾ الآية، ابتداءُ معنى آخرَ؛ وذلك أنَّهُ لما مات عثمانُ بن مظعون، وأبو سلمة بن عبد الأسد قال بعض الناس: مَنْ قُتِلَ من المهاجرين أَفْضَلُ مِمَّنْ ماتَ حَتْفَ أنفه. فنزلت هذه الآية مُسَوِّيَةً بينهم في أنَّ اللّه تعالى يرزقُ جميعهم رِزْقاً حسناً، وليس هذا بقاضٍ بتساويهم في الفضل، وظاهِرُ الشريعة أَنَّ المقتول أفضل، وقد قال بعض الناس: المقتول والميت في سبيل اللّه شهيدَانِ، ولكن للمقتول مَزِيَّةُ ما أصابه في ذات اللّه، والرزق الحسن يحتمل: أن يريد به رزق الشهداءِ عند ربهم في البرزخ، ويحتمل أن يريد بعد يوم القيامة في الجنة[2]، **وقرأت**[3] فرقة: «مُدْخَلاً» ـ بضم الميم ـ؛ من أدخل؛ فهو محمولٌ على الفعل [المذكور، **وقرأت** فرقة: «مَدْخَلاً» ـ بفتح الميم ـ؛ من دخل؛ فهو محمول على فعل][4] مُقَدَّرٍ تقديره: فَيَدْخُلُونَ مَدْخَلاً، ثم أخبر سبحانه عَمَّنْ عاقب من المؤمنين مَنْ ظلمه من الكفرة، وَوَعَدَ المَبْغِيَّ عليه بأنه ينصره، وذلك أن هذه الآية نزلت في قوم من المؤمنين لقيهم كُفَّارٌ في

---

(١) سقط في جـ.
(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ١٣٠).
(٣) بفتح الميم قرأ نافع، وبضمها قرأ الباقون.
ينظر: **«السبعة»** (٤٣٩، ٤٤٠)، و**«الحجة»** (٥/ ٢٨٤)، و**«إعراب القراءات»** (٢/ ٨٣)، و**«العنوان»** (١٣٥)، و**«حجة القراءات»** (٤٨١)، و**«إتحاف فضلاء البشر»** (٢/ ٢٧٨).
(٤) سقط في جـ.

الأشهر الحُرْم؛ فأبى المؤمنون من قتالهم، وأبى المشركون إلاَّ القتال، فلمَّا اقتتلوا، جَدَّ المؤمنون ونصرهم اللّه تعالى؛ فنزلت الآية فيهم[١]، وجَعَلَ تقصيرَ الليلِ وزيادَةَ النهار وعكسهما إيلاجاً؛ تجوُّزاً وتشبيهاً، وباقي الآية بيّن.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ألم تر أن اللّه أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن اللّه لطيف خبير * له ما في السمٰوات وما في الأرض وإن اللّه لهو الغني الحميد﴾ قوله: ﴿فتصبح﴾ عبارة عن استعجالها إثر نزول الماء؛ وروي عن عكرمة أنه قال: هذا لا يكونُ إلاَّ بـ «مكَّة»[٢] و«تهامة».

[قال *ع[٣]*: ومعنى هذا أنه أخذ قوله: ﴿فتصبح﴾ مقصوداً به صباحُ ليلة المطر، وذهب إلى أنَّ ذلك الاخضرار في سائر البلاد يتأخر][٤].

قال *ع[٥]*: وقد شاهدتُ هذا في السُّوسِ الأقصى، نزل المطرُ ليلاً بعد قَحْطٍ، وأصبحت تلك الأرض الرملة التي تسفيها الرياح قد اخضَرَّت بنبات ضعيف دقيق.

قلت: وقد شاهدتُ أنا ذلك بصحراء سواكن بالمشرق، وهي في حكم مكةَ إلاَّ أنَّ البحر قد حال بينهما؛ وذلك أنَّ التعدية من جدة إلى «سواكنَ» مقدار يومين في البحر أو أقلّ بالريح المعتدلة، وكان ذلك في أوَّلِ الخريف، وأجرى اللّه العادة أنَّ أمطارَ تلك البلاد تكونُ بالخريف فقط، هذا هو الغالب، ولَمَّا شاهدتُ ذلك تذكرتُ هذه الآية / الكريمة، ٢٨ أ
فسبحان اللّه ما أعظم قدرته! واللطيف: المُحَكِّمُ للأمور برفق.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾.

(١) ذكره ابن عطية (٤/ ١٣١).
(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ١٣١).
(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٣١).
(٤) سقط في جـ.
(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٣١).

وقوله سبحانه: ﴿ألم تر أن اللّه سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره﴾ أي: سَخَّرَ لنا سبحانه ما في الأرض من الحيوان والمعادِنِ وسائر المرافق، وباقي الآية بيّن مِمَّا ذُكِرَ في غير هذا الموضع.

وقوله سبحانه: ﴿لكل أمة جعلنا منسكاً﴾ الآية، المنسك: المصدر، فهو بمعنى: العبادة والشِّرْعَةُ، وهو أيضاً موضع النسك، وقوله: ﴿هم ناسكوه﴾ يعطي أَنَّ المنسكَ: المصدر، ولو كان الموضعَ لقال: هم ناسكون فيه.

﴿وَإِن جَـٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وإن جادلوك...﴾ الآية مُوَادَعَةٌ مَحْضَةٌ نسختها آية السيف[١]، وباقي الآية وعيد.

وقوله سبحانه: ﴿إن ذلك في كتاب﴾ يعني: اللوح المحفوظ.

وقوله سبحانه: ﴿إن ذلك على اللّه يسير﴾ يحتمل أنْ تكونَ الإشارة إلى الحكم في الاختلاف.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر﴾ يعني: أَنَّ كُفَّارَ قريش كانوا إذا تُلِيَ عليهم القرآنُ، وسمعوا ما فيه من رفض[٢] آلهتهم والدعاءِ إلى التوحيد ـ عُرِفَتِ المساءَةُ في وجوههم والمنكرُ من معتقدهم وعداوتهم، وأنهم يريدون ويتسرعون إلى السطوة بالتَّالِينَ، والسطو إيقاع ببطش، ثم أمر تعالى نَبِيَّه عليه السلام

(١) قوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون باللّه ولا باليوم الآخر﴾ الآية [التوبة ٢٩]. وقيل غير ذلك.
(٢) في جـ: بغض.

أن يقول لهم على جهة الوعيد والتقريع: ﴿أفأنبئكم﴾ أي: أخبركم. ﴿بشرٌ من ذٰلكم﴾: والإشارة بذلكم إلى السطو، ثم ابتدأ بخبر؛ كأن قائلاً قال له: وما هو؟ قال: ﴿النار﴾[1] أي: نار جهنم.

وقوله: ﴿وعدها اللّه الذين كفروا﴾ يحتمل أَنْ يكون أراد: أَنَّ اللّه تعالى وعدهم بالنار، فيكونُ الوعد في الشر، ويحتمل أَنَّهُ أراد: أَنَّ اللّه سبحانه وعد النارَ[2] بأن يُطْعِمَهَا الكُفَّارَ، فيكون الوعد على بابه، إذ الذي يقتضي قولها: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [قٓ: ٣٠] ونحو ذلك، أَنَّ ذلك من مَسَارِّها.

قلت: والظاهر الأَوَّل.

وقوله سبحانه: ﴿وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه...﴾ الآية: ذكر تعالى أمر سالب الذباب، وذلك أنهم كانوا يضمخون[3] أوثانهم بأنواع الطِّيبِ فكان الذبابُ يتسلط ويذهب بذلك الطيب، وكانوا يتألّمون من ذلك، فَجُعِلَتْ مثلاً، واخْتَلَفَ المتأَوِّلُون في قوله تعالى: ﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾ فقالت فرقة: أراد بالطالب: الأصنامَ، وبالمطلوب الذبابَ، أي: أنهم ينبغي أن يكونوا طالبين لما يسلب من طيبهم على معهود الأنفة في الحيوان، وقيل: معناه: ضَعُفَ الكُفَّارُ في طلبهم الصوابَ والفضيلةَ من جهة الأصنام، وضَعُفَ الأصنامُ في إعطاء ذلك وإنالته.

قال *ع[4]*: ويحتمل أنْ يريد: ضعف الطالب وهو الذبابُ في استلابه ما على الأصنام، وضعف الأصنام في أنْ لا منعة لهم، وبالجملة فدلتهم الآيةُ على أَنَّ الأصنام في أَحَطِّ رُتْبَةٍ، وأَخَسِّ منزلة لو كانوا يعقلون. و﴿ما قدروا اللّه حق قدره﴾ المعنى: ما وَفَّوْهُ حَقَّه سبحانه من التعظيم والتوحيد.

﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٧٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾.

(١) في جـ: النار، فيكون الوعد في الشر.
(٢) في جـ: الناس.
(٣) الضَّمْخ: لطخ الجسد بالطِّيب حتى كأنما يقطر.
ينظر: «لسان العرب» (٢٦٠٥).
(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٣٤).

وقوله سبحانه: ﴿اللّه يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس...﴾ الآية: نزلت بسبب قول الوليد بن المُغِيرَةِ: ﴿أَأُنزل[١] عليه الذكرُ من بيننا﴾ [صَ: ٨].

ص: أبو البقاء: ﴿ومن الناس﴾ أي: رسلاً، انتهى، ثم أمر سبحانه بعبادته
٢٨ ب وخَصَّ الركوعَ والسجودَ بالذكر؛ تشريفاً / للصلاة، واختلف الناسُ: هل [في][٢] هذه الآية سجدةٌ أم[٣] لا؟.

قال ابنُ العربيّ[٤] في «**أحكامه**»: قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾ تَقَبَّلَهَا قوم على أَنَّها سجدةُ تلاوة؛ فسجدوها.

وقال آخرون: هو سجود الصلاة فقصروه عليه، ورأى عمرُ وابنُه عبدُ اللّه رضي اللّه عنهما: أنها سجدةُ تلاوة، وإِنِّي لأَسجُدُها وأراها كذلك[٥]؛ لما رَوَى ابنُ وهب، وغيره عن مالك، وغيره[٦]، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿وافعلوا الخير﴾ نَدْبٌ فيما عدا الواجبات.

قلت: وهذه الآية الكريمة عَامَّةٌ في أنواع الخيرات، ومن أعظمها الرأفةُ والشفقة على خَلْقِ اللّه، ومُوَاساةُ الفقراء وأهلِ الحاجة، وقد رَوَى أبو داود والترمذيُّ عن النبي ﷺ [أنه قال: «أَيُّمَا مُسْلِم][٧] كَسَا مُسْلِماً ثَوْباً عَلَى عُرْيٍ، كَسَاهُ اللّهُ مِنْ خُضْرِ الجَنَّةِ، وأَيُّما مُسْلِم أَطْعَمَ مُسْلِماً عَلَى جُوعٍ، أَطْعَمَهُ اللّهُ مِنْ ثِمَارِ الجَنَّةِ، وأَيُّمَا مُسْلِم سَقَى مُسْلِماً عَلَى ظَمَإٍ، سَقَاهُ اللّهُ مِنَ الرَّحِيقِ المَخْتُوم»[٨]. انتهى. وروى علي بن عبد العزيز البغوي في «**المسند المُنْتَخَب**» عن النبي ﷺ أنه قال: «أَيُّمَا مُسْلِم كَسَا مُسْلِماً ثَوْباً، كَانَ فِي حِفْظِ اللّهِ مَا بَقِيَتْ عَلَيْهِ مِنْهُ رُقْعَةٌ»[٩]. وروى ابن أبي شيبة في «**مسنده**» عن النبي ﷺ أَنَّهُ قال: «أَيُّمَا أَهْل

(١) في جـ: نزل.
(٢) سقط في جـ.
(٣) في جـ: أو.
(٤) ينظر: «**أحكام القرآن**» (٣/ ١٣٠٤).
(٥) ذكره البغوي (٣/ ٢٩٩).
(٦) ذكره البغوي (٣/ ٢٩٩).
(٧) سقط في جـ.
(٨) تقدم تخريجه.
(٩) تقدم تخريجه.

عَرْصَةٍ ظَلَّ فِيهِمُ امْرُؤٌ جَائِعاً، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ»[١]. انتهى من «**الكوكب الدري**».

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وجاهدوا في اللّه حق جهاده﴾ قالت فرقة: الآية في قتال الكُفَّارِ.

وقالت فرقة: بل هي أَعَمُّ من هذا، وهو جهاد النفس، وجهادُ الكفار والظَّلَمَةِ، وغير ذلك، أمر اللَّه عباده بأَنْ يفعلوا ذلك في ذات اللّه حَقَّ فعله.

قال *ع[٢]*: والعموم أحسن، وبَيِّنٌ أَنَّ عُرْفَ اللفظة يقتضي القتال في سبيل اللّه.

وقوله: ﴿هو اجتباكم﴾ [أي: تخيَّركم][٣]، ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ أي: من تضييق، وذلك أَنَّ المِلَّةَ حنيفية سَمْحَةٌ، ليست كشدائد بني إسرائيل وغيرهم، بل فيها التوبة والكَفَّارَاتُ، والرُّخَصُ، ونحو هذا مِمَّا يكثر عَدُّهُ، ورفع الحرج عن هذه الأمة لمن استقام منهم على منهاج الشرع، وأَمَّا السُّلابة[٤] والسُّرَّاقُ وأصحابُ الحدود فهم أَدخلوا الحَرَجَ على أنفسهم بمفارقتهم الدِّين، وليس في الدِّين أَشَدُّ من إلزام رجل لاثنين في سبيل اللّه، ومع صحة اليقين، وجودة العزم ليس بِحَرَجٍ و﴿ملة﴾ نُصِبَ بفعل مُضْمَرٍ من أفعال الإغراء.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٣)، والحاكم (٢/ ١١ـ ١٢)، وأبو يعلى (١٠/ ١١٧) رقم (٥٧٤٦)، والبزار (١٣١١ـ كشف) كلهم من طريق أبي بشر الأملوكي، عن أبي الزاهرية، عن عمرو بن دينار، عن ابن عمر به.
وقال البزار: لا نعلمه عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه.
وقال ابن أبي حاتم في «**العلل**» (١/ ٣٩٢) رقم (١١٧٤) عن أبيه: هذا حديث منكر.
وقال الهيثمي في «**المجمع**» (٤/ ١٠٣): رواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار، والطبراني في «**الأوسط**»، وفيه أبو بشر الأملوكي، ضعفه ابن معين ا.هـ.
ومن طريق أبي بشر ذكره ابن الجوزي في «**الموضوعات**» (٢/ ٢٤٢ـ ٢٤٣).

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٣/ ١٣٥).

(٣) سقط في جـ.

(٤) السُّلاَّب: جمع سالب، وهم أهل الاختلاس.
ينظر: «**لسان العرب**» (٢٠٥٧).

وقوله: ﴿هو سماكم المسلمين[١]﴾ قال ابن زيد[٢]: الضمير لـ ﴿إبراهيم﴾ ـ عليه السلام ـ والإشارة إلى قوله: ﴿ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ [البقرة: ١٢٨]، وقال ابن عباس، وقتادة، ومجاهد: الضمير للَّه عز وجل[٣]. ﴿ومن قبل﴾ معناه: في الكتب القديمة، ﴿وفي هذا﴾ أي: في القرآن، وهذه اللفظة تُضْعِفُ قولَ مَنْ قال: الضمير لإِبراهيم عليه السلام، ولا يتوجه إِلاَّ على تقدير محذوف من الكلام مستأنف.

قال *ص*: ﴿هو﴾ قيل: يعود على اللّه تعالى، وقيل: على إِبراهيم، وعلى هذا فيكون: ﴿وفي هذا﴾: القرآن، [أي][٤]: وسميتم بسببه فيه، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿ليكون الرسول شهيداً عليكم﴾ أي: بالتبليغ.

وقوله: ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾ أي: بتبليغ رسلهم إِليهم على ما أخبركم نَبِيُّكم، ثم أمر سبحانه بالصلاة المفروضة أَنْ تُقَامَ ويُدَامَ عليها بجميع حدودها، وبالزكاة أَنْ تُؤَدَّى، ثم أمر سبحانه بالاعتصام به، أي: بالتعلُّق به والخلوص له وطَلَبِ النجاة منه، ورَفْضِ التَوَكُّلِ على سواه.

٢٩أ وقوله سبحانه: / ﴿هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾ المولى: في هذه الآية معناه: الذي يليكم نصره وحفظه، [وباقي الآية بيّن][٥].

---

(١) في جـ: سمّاكم المسلمين.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ١٩٤) برقم (٢٥٤٠٥)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٣٥)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٣٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٦٧٢)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس رضي اللّه عنهما.

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ١٩٣، ١٩٤) برقم (٢٥٣٩٩، ٢٥٤٠٠) عن ابن عباس، وبرقم (٢٥٤٠١) عن قتادة، وبرقم (٢٥٤٠٢، ٢٥٤٠٣) عن مجاهد، وذكره ابن عطية (٤/ ١٣٥)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٣٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٦٧٢)، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن زيد.

(٤) سقط في جـ.

(٥) سقط في جـ.

تفسير سورة المؤمنين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤﴾.

قوله سبحانه: ﴿قد أفلح المؤمنون * الذي هم في صلاتهم خاشعون﴾ أخبر اللّه سبحانه عن فلاح المؤمنين، وأنهم نالوا البُغْيَةَ، وأحرزوا البقاءَ الدائم.

قلت: وعن عُمرَ بن الخطاب رضي اللّه عنه قال: «كان رَسُول اللّه ﷺ إذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ، يُسْمَعُ عِنْدَ وَجْهِهِ ﷺ دويٌّ كَدَوِيِّ النحْلِ، فَأُنْزِلَ عَلَيْهِ يَوْماً، فَمَكَثْنَا سَاعَةً، وَسُرِّيَ عَنْهُ، فَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، زِدْنَا وَلاَ تَنْقُصْنَا، وَأَكْرِمْنَا وَلاَ تُهِنَّا، وَأَعْطِنَا وَلاَ تَحرِمْنَا، وَآثِرْنَا وَلاَ تُؤْثِرْ عَلَيْنَا، وأرْضِنَا وَارْضَ عَنَّا»، ثُمَّ قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الجَنَّةَ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ حتى ختم عشر آيات[1]؛ رواه الترمذي واللفظ له والنسائيُّ والحاكم في «**المستدرك**»، وقال: صحيح الإسناد، انتهى من «**سلاح المؤمن**».

قلت: وقد نَصَّ بعض أئمتنا على وجوب الخشوع في الصلاة، قال الغزاليُّ

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٢٦) كتاب التفسير: باب ومن سورة المؤمنين، حديث (٣١٧٣)، والنسائي في «**الكبرى**» (١/ ٤٥٠) كتاب الوتر: باب رفع اليدين في الدعاء، حديث (١٤٣٩)، وأحمد (١/ ٣٤)، والحاكم (٢/ ٣٩٢)، وعبد الرزاق (٦٠٣٨)، والعقيلي في «**الضعفاء**» (٤/ ٤٦٠) كلهم من طريق يونس بن سليم قال: أملى علي يونس بن يزيد عن الزهري عن عروة عن عبد الرحمن بن عبد القارىء عن عمر بن الخطاب به.
وقال النسائي: هذا حديث منكر، لا نعلم أحداً رواه غير يونس بن سليم، ويونس بن سليم لا نعرفه.
وقال العقيلي في ترجمة يونس: لا يتابع على حديثه هذا ولا يعرف إلا به.
والحديث ذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٤)، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في «**الدلائل**»، والضياء في «**المختارة**».

ـ رحمه اللّه ـ: ومِنْ مكائد الشيطان أن يَشْغَلَكَ [في الصلاة بفكر الآخرة وتدبيرِ فِعْلِ الخيرات؛ لتمتنعَ عن فَهْمِ ما تقرأه، واعلم أَنَّ كلَّ ما أشغلك][١] عن معاني قراءتك فهو وسواس؛ فإِنَّ حركة اللسانَ غيرُ مقصودة؛ بل المقصود معانيها، انتهى من «**الإِحياء**».

وروي عن مجاهد[٢]: أَنَّ اللّه تعالى لما خلق الجَنَّةَ، وأتقن حُسْنَها قال: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ ثم وصف تعالى هؤلاء المفلحين: فقال: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ والخشوع التطامُنُ، وسكونُ الأعضاءِ، والوقارُ، وهذا إِنَّما يظهر في الأعضاء مِمَّنْ في قلبه خوف واستكانة؛ لأَنَّه إذا خشع قلبُه خشعت جوارِحُه، ورُوِيَ أَنَّ سبب الآية أَنَّ المسلمين كانوا يلتفتون في صلاتهم يُمْنَةً ويُسْرَةً؛ فنزلت هذه الآيةُ، وأُمِرُوا أن يكون [بصر][٣] المُصَلِّي حِذَاءَ قِبْلَتِهِ أو بين يديه، وفي الحرم إلى الكعبة، و﴿اللغو﴾: سقط القول، وهذا يَعُمُّ جميع ما لا خيرَ فيه، ويجمع آداب الشرع، وكذلك كان النبي ﷺ وأصحابه، أي: يُعْرِضُونَ عن اللغو، وكأَنَّ الآية فيها موادعة.

﴿واللذين هم للزكاة فاعلون﴾ ذهب الطبريُّ[٤] وغيره إلى: أَنَّها الزكاة المفروضة في الأموال، وهذا بَيِّنٌ، ويحتمل اللفظُ أن يريد بالزكاة: الفضائلَ، كأنه أراد الأزكى من كل فعل؛ كما قال تعالى: ﴿خَيْراً مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً﴾ [الكهف: ٨١].

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ إلى قوله: ﴿هم العادون﴾ يقتضي تحريمَ الزِّنا والاستمناءِ ومواقعةِ البهائم، وكُلُّ ذلك داخل في قوله: ﴿وراء ذلك﴾ ويريد: وراءَ هذا الحَدِّ الذي حُدَّ، والعادي: الظالم، والأمانة والعهد يَجْمَعُ كُلَّ ما تحمَّله الإنسان من أمر دينه ودُنياه قولاً وفعلاً. وهذا يعمُّ معاشرة الناس والمواعيد وغير ذلك، ورعاية ذلك حِفْظُهُ والقيام به، والأمانة أعمُّ من العهد؛ إِذ كل عهد فهو أمانة، **وقرأ** الجمهور:

---

(١) سقط في جـ.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ١٩٦) (٢٥٤١١)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٣٦)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٣/ ٢٣٧)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٤)، وعزاه لابن جرير عن مجاهد.

(٣) سقط في جـ.

(٤) ينظر الطبري (٩/ ١٩٩).

«صَلَوَاتِهِمْ» وقرأ حمزة والكسائي: «صلاتهم» بالإفراد[١]، و﴿الوارثون﴾ يريد الجنة، وفي حديث أبي هريرةَ عن النبي ﷺ: «إِنَّ اللّهَ تعالى جَعَلَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَسْكَناً فِي الجَنَّةِ، وَمَسْكَناً فِي النَّارِ، فَأَمَّا المُؤْمِنُونَ فَيَأْخُذُونَ مَنَازِلَهُمْ، وَيَرِثُونَ مَنَازِلَ الكُفَّارِ، وَيَحْصُلُ الكُفَّارُ فِي مَنَازِلِهِمْ / فِي النَّارِ». ٢٩ ب

قلت: وَخَرَّجَهُ ابن ماجه أيضاً بمعناه عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: «مَا مِنكُمْ إلاّ [مَنْ][٢] لَهُ مَنْزِلاَنِ: مَنْزِلٌ فِي الجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ في النَّارِ، فَإِذَا مَاتَ ـ يعني الإنسان ـ وَدَخَلَ النَّارَ، وَرِثَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنْزِلَهُ؛ فَذَلِكَ قوله تعالى: ﴿أولئك هم الوارثون﴾»[٣] قال القرطبي في «التذكرة»[٤]: إسناده صحيح، انتهى من «التذكرة».

قال *ع[٥]*: ويحتمل أَنْ يُسَمِّيَ اللّه تعالى حصولَهم في الجنة وراثةً من حيثُ حصَّلُوهَا دون غيرهم، وفي الحديث عنه ﷺ أَنَّهُ قال: «إِنَّ اللّه أَحَاطَ حائِطَ الجَنَّةِ: لَبِنَةً مِنْ ذَهَبٍ، وَلَبِنَةً مِنْ فِضَّةٍ، وَغَرَسَ غِرَاسَهَا بِيَدِهِ، وَقَالَ لَهَا: تَكَلَّمِي، فقالت: «قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ» فقال: طُوبَى لَكِ! مَنْزِلُ المُلُوكِ»[٦] خرجه البَغوِيُّ في «المسند المنتخب» له، انتهى من «الكوكب الدُّرِّيِّ».

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا

---

(١) ينظر: «السبعة» (٤٤٤)، و«الحجة» (٥/ ٢٨٧)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٨٥)، و«معاني القراءات» (٢/ ١٨٧)، و«شرح الطيبة» (٥/ ٧٥)، و«العنوان» (١٣٦)، و«حجة القراءات» (٤٨٣)، و«شرح شعلة» (٥٠٧)، و«إتحاف» (٢/ ٢٨٢).

(٢) سقط في جـ.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٥٣) كتاب الزهد: باب صفة الجنة، حديث (٤٣٤١)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٠٠) رقم (٢٥٤٤١) من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً.
قال البوصيري في «الزوائد» (٣/ ٣٢٧): هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.
والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٩)، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث».

(٤) ينظر: «التذكرة» للقرطبي (١/ ١٦٦)، (٢/ ٥٦٩).

(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٣٧).

(٦) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (١/ ١٣٧) رقم (١٤٠)، وفي «الحلية» (٦/ ٢٠٤)، والبيهقي في «البعث» (٢٣٦) من حديث أبي سعيد الخدري.
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٠٠) وقال: رواه البزار مرفوعاً وموقوفاً، والطبراني في «الأوسط»، ورجال الموقوف رجال الصحيح.

ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين...﴾ الآية: اخْتُلِفَ في قوله: «الإنسان» فقال قتادة وغيره [أراد آدم ـ عليه السلام ـ؛ لأنه استُلَّ من الطين[1].

وقال ابن عباس وغيره][2]: المراد ابنُ آدم[3]، والقرارُ المكينِ من المرأة: هو مَوْضِعُ الولد، والمكين: المُتَمَكِّنُ، والعَلَقَةُ: الدَّمُ الغليظ، والمُضْغَةُ: بضعة اللحم قدرَ ما يُمْضَغُ، واختلف النَّاسُ في الخلق الآخر، فقال ابنُ عباس[4] وغيره: هو نفخ الرُّوح فيه.

وقال ابن عباس[5] أيضاً: هو خروجه إلى الدنيا.

وقال أيضاً[6]: تَصَرُّفُهُ في أمور الدنيا، وقيل: هو نباتُ شعره.

قال *ع[7]*: وهذا التخصيص كُلُّهُ لا وجهَ له، وإنما هو عامٌّ في هذا وغيرِه: من وجوه النطق، والإدراك، وحُسْنِ المحاولة، و﴿تبارك﴾ مطاوع بارك، فكأنها بمنزلة تعالى وَتَقَدَّسَ من معنى البركة.

وقوله: ﴿أحسن الخالقين﴾ معناه: الصانعين: يقال لمن صنع شيئاً: خَلَقَهُ، وذهب بعضُ الناس إلى نفي هذه اللفظة عن الناس؛ فقال ابن جريج[8]: إنَّما قال: ﴿الخالقين﴾؛ لأَنَّهُ تعالى أَذِنَ لعيسى في أَنْ يخلق، واضطرب بعضُهم في ذلك.

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٢٠٢) (٢٥٤٥٢)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٣٧)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٤٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ١٠)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) سقط في جـ.

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٢٠٢) (٢٥٤٥٤) بمعناه كما ذكره الطبري، والبغوي (٣/ ٣٠٤)، وابن عطية (٤/ ١٣٧)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٤٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ١٠)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٢٠٤) (٢٥٤٥٧)، وذكره البغوي (٣/ ٣٠٤)، وابن عطية (٤/ ١٣٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٤١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ١١)، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٥) أخرجه الطبري (٩/ ٢٠٤) (٢٥٤٦٦)، وذكره البغوي (٣/ ٣٠٤) بنحوه، وابن عطية (٤/ ١٣٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٤١).

(٦) أخرجه الطبري (٩/ ٢٠٤) (٢٥٤٦٦)، وذكره البغوي (٣/ ٣٠٤)، وابن عطية (٤/ ١٣٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٤١).

(٧) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٣٨).

(٨) أخرجه الطبري (٩/ ٢٠٥) (٢٥٤٧٣)، وذكره البغوي (٣/ ٣٠٤)، وابن عطية (٤/ ١٣٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ١٢)، وعزاه لابن جرير عن ابن جريج.

قال *ع[١]*: ولا تُنفَى اللفظةُ عن البشر في معنى الصنع؛ وإنما هي منفيَّةٌ بمعنى الاختراع والإِيجاد من العدم.

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ثم إنكم بعد ذلك [لميتون][٢]﴾ أي: بعد هذه الأحوال المذكورة، ويريد بالسبع الطرائق: السمٰواتِ، والطرائق: كُلُّ [ما كان][٣] طبقاتٍ بعضه فوق بعض؛ ومنه طارقت نعلي. ويجوزُ أَنْ تكونَ الطرائق بمعنى المَبْسُوطاتِ؛ من طرقت الشيء.

قلت: وقوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر...﴾ الآية: ظاهر الآية أَنَّهُ ماءُ المطر، وأسند أبو بكر ابن الخطيب في أول «تاريخ[٤] بغداد» عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «أَنْزَلَ اللّهُ مِنَ الجَنَّةِ إِلَى الأَرْضِ خَمْسَةَ أَنْهَارٍ: سَيْحُونَ: وَهُو نَهْرُ الهِنْدِ، وجَيْحُونَ: وَهُوَ نَهْرُ بَلْخ، ودِجْلَةَ والفُرَاتَ: وَهُمَا نَهَرَا العِرَاقِ، والنِّيلَ: وَهُوَ نَهْرُ مِصْرَ، أَنْزَلَهَا اللّهُ تعالى مِنْ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ مِنْ عُيُونِ الجَنَّةِ مِنْ أَسْفَلِ دَرَجَةٍ مِنْ دَرَجَاتِهَا عَلَى جَنَاحَيْ جِبْرِيلَ، فَاسْتَوْدَعَهَا الجِبَالَ، وَأَجْرَاهَا فِي الأَرْضِ، وَجَعَلَ فِيهَا مَنَافِعَ لِلنَّاسِ فِي أَصْنَافِ مَعَايِشِهِمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ﴾ فَإِذَا كَانَ عِنْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، أَرْسَلَ اللّهُ تعالى جِبْرِيلَ فَرَفَعَ مِنَ الأَرْضِ القُرْآنَ، وَالعِلْمَ كُلَّهُ، وَالحَجَرَ مِنْ رُكْنِ البَيْتِ، وَمَقَامَ إِبْرَاهِيمَ، وَتَابُوتَ مُوسَىٰ عليه السلام بما فِيهِ، وَهَذِهِ الأَنْهَارَ الخَمْسَةَ، فَيَرْفَعُ ذَلِكَ / كُلَّهُ إِلَى السَّمَاءِ؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وإنا على ذهاب به ٣٠أ
لقادرون﴾، فَإِذَا رُفِعَتْ هَذِهِ الأَشْيَاءُ مِنَ الأَرْضِ، فَقَدَ أَهْلُهَا خَيْرَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا». وفي رواية: «خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»[٥]. انتهى، فَإِنْ صَحَّ هذا الحديث، فلا نظرَ لأحد معه، ونقل ابن العربي في «أحكامه» هذا الحديثَ أيضاً عن ابن عباس وغيره، ثم قال في آخره: وهذا جائز في القدرة إِنْ صَحَّتْ به الرواية، انتهى.

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/١٣٨).
(٢) سقط في جـ.
(٣) سقط في جـ.
(٤) ينظر: «تاريخ بغداد» (١/ ٥٧ ـ ٥٨).
(٥) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١/ ٥٧ ـ ٥٨) من طريق مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس.

قال ❊ع[١]❊: قوله تعالى: ﴿ماء بقدر﴾ قال بعض العلماء: أَراد المطر.

وقال بعضهم: إِنَّما أراد الأنهار الأربعة سيحان[٢] وجَيْحَانَ والفرات[٣] والنيل[٤].

قال ❊ع[٥]❊: والصواب أَنَّ هذا كُلَّهُ داخل تحت الماء الذي أنزله الله تعالى.

وقوله تعالىٰ: ﴿لكم فيها فواكه كثيرة﴾ يحتمل: أنْ يعود الضمير على الجنات؛ فيشمل أنواعِ الفواكه، ويحتمل أَنْ يعود علىْ النخيل والأعناب خاصَّةً؛ إِذ فيهما مراتبُ وأنواع، والأَوَّلُ أعمُّ لسائر الثمرات.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وشجرة﴾ عطف على قوله: ﴿جنات﴾ ويريد بها الزيتونة، وهي كثيرة في طور سيناء من أرض الشام، وهو الجَبَلُ الذي كُلِّمَ فيه موسى عليه السلام؛ قاله ابن عباس، وغيره[٦]، والـ ﴿طور﴾: الجبلُ في كلام العرب، واخْتُلِفَ في ﴿سيناء﴾ فقال قتادة: معناه الحُسْنُ[٧]، وقال الجمهور: هو اسم الجبل، كما تقول جبل أُحُدٍ، وقرأ الجمهور: «تَنْبُتُ» بفتح التاء وضم الباء، فالتقدير تنبت ومعها الدُّهْنُ؛ كما تقول خرج زيد

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٣٩).
(٢) (سَيْحان) نهرٌ كبير بالثغر، من نواحي المصّيصة، وهو نهر أَذَنَة بين أنطاكية والروم، يمرّ بأذنة ثم ينفصلُ عنها نحو ستة أميال؛ فيصبُّ في بحر الروم.
(٣) الفُرَات: وهو النهر المعروف.
(٤) نيل مصر: قيل هو تعريب نيلوس، فليس في الدنيا نهر يصبُّ من الجنوب إلى الشمال إلاّ هو، ولا أطول منه.
(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٣٩).
(٦) أخرجه الطبري (٩/ ٢٠٨) رقم (٢٥٤٨١)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٣٩).
(٧) أخرجه الطبري (٩/ ٢٠٧) (٢٥٤٧٩) وذكره البغوي (٣/ ٣٠٦)، وابن عطية (٤/ ١٣٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ١٤)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة رضي الله عنه.

بسلاحه، وقرأ ابن كثير[١] وأبو عمرو: «تُنبِتُ» بضم التاء [وكسر الباء][٢] واخْتُلِفَ في التقدير على هذه القراءة، فقالت [فرقة: الباءُ زائدة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقالت][٣] فرقة: التقدير تُنبِتُ جناها ومعه الدُّهْنُ، فالمفعول محذوف، وقيل: نبت وأَنْبَتَ بمعنى؛ فيكونُ المعنى كما مضى في قراءة الجمهور، والمراد بالآية تعديدُ النعم على الإنسان، وباقي الآية بَيِّنٌ.

وقوله سبحانه: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا اللّه مالكم من إلٰه غيره أفلا تتقون * فقال الملأُ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم...﴾ الآية: هذا ابتداءُ تمثيلٍ لكُفَّارِ قريش بأُمم كفرت بأنبيائها فأُهْلِكُوا، وفي ضمن ذلك الوعيدُ بأَنْ يَحُلَّ بهؤلاء نحوُ ما حَلَّ بأولٰئك، والملأ: الأشراف، والجِنَّةُ، الجنون، و﴿حتى حين﴾ معناه إلى وقت يريحكم القَدَرُ منه، ثم إن نوحاً عليه السلام دعا على قومه حين يَئِسَ منهم، وإِنْ كان دعاؤُهُ في هذه الآية ليس بِنَصٍّ؛ وإنَّما هو ظاهر من قوله: ﴿بما كذبون﴾ فهذا يقتضي طلبَ العقوبة، وأَمَّا النصرة بمجردها فكانت تكون بردِّهم إلى الإيمان.

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

وقوله عزَّ وجل: ﴿فأوحينا إليه أن أصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون * فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد للّه﴾ قوله: ﴿بأعيننا﴾: عبارة عن الإدراك هذا مذهبُ الحُذَّاقِ، ووقفتِ الشريعةُ على أعين وعين، ولا يجوزُ أَنْ يُقال: عينان من حيثُ لم توقف الشريعة على التثنية، و﴿وحينا﴾ معناه في كيفية العمل، ووجهُ البيان لجميع حكم السفينة وما يحتاج إليه، و﴿أمرنا﴾ يحتمل أنْ

---

(١) ينظر: «السبعة» (٤٤٥)، و«الحجة» (٥/ ٢٩١)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٨٧)، و«معاني القراءات» (٢/ ١٨٨)، و«شرح الطيبة» (٥/ ٧٥)، و«العنوان» (١٣٦)، و«حجة القراءات» (٤٨٤)، و«شرح شعلة» (٥٠٧)، و«إتحاف» (٢/ ٢٨٢).
(٢) سقط في جـ.
(٣) سقط في جـ.

يكونَ واحد الأوامر، ويحتمل أن يريد واحد الأمور، والصحيح من الأقوال في ﴿التنور﴾ أنه تَنُّورُ الخبز، وأنَّها أمارة كانت بين الله تعالى وبين نوح ـ عليه السلام ـ.

٣٠ ب وقوله: ﴿فاسلك﴾: معناه: فادخل؛ يقال سلك وأسلك بمعنى، وقرأ حفص / عن عاصم[(١)]: «مِنْ كُلٍّ» بالتنوين، والباقون بغير تنوين، والزوجان: كُلُّ ما شأنه الاصطحابُ من كل شيءٍ؛ نحو: الذكر والأنثى من الحيوان، ونحو: النعال وغيرها، هذا موقع اللفظة في اللغة.

وقوله: ﴿وأَهْلَكَ﴾ يريد: قرابته، ثم استثنى من سبق عليه القولُ بأَنَّهُ كافر، وهو ابنه وإمرأته، ثم أُمِرَ نوحٌ ألاَّ يراجعَ رَبَّه، ولا يخاطبَه شافعاً في أحد من الظالمين، ثم أُمِرَ بالدعاء في بركة المنزل.

وقوله سبحانه: ﴿إن في ذلك لآيات﴾ خطاب لِنَبِيِّنا محمد ﷺ ثم أخبر سبحانه أنه يبتلي عباده الزمنَ بعد الزمنِ على جهة الوعيد لِكُفَّارِ قريشٍ بهذا الإخبار، واللام في ﴿لمبتلين﴾ لامُ تأكيدٍ، و«مبتلين»: معناهُ: مُصِيبِينَ ببلاء، ومختبرين اختباراً يؤدي إلى ذلك.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين﴾.

قال الطبريُّ[(٢)] ـ رحمه الله ـ: إنَّ هذا القرنَ هم ثمودُ، قومُ صالح.

قال *ع[(٣)]*: وفي جُلِّ الروايات ما يقتضي أن قوم عاد أقدمُ، إلاَّ أنَّهم لم يُهْلَكُوا بصيحة.

---

(١) والمعنى على هذه القراءة: من كل شيء.
ينظر: «السبعة» (٤٤٥)، و«الحجة» (٥/ ٢٩٤)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٨٩)، و«العنوان» (١٣٦)، و«حجة القراءات» (٤٨٦)، و«إتحاف» (٢/ ٢٨٣).

(٢) ينظر: «الطبري» (٩/ ٢١٢).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٤٢).

قلت: وهو ظاهر ترتيب قَصَصِ القرآن أَنَّ عاداً أقدم، ﴿وأترفناهم﴾ معناه نَعَّمْنَاهم، ويسطنا لهم الأموالَ والأَرْزَاقَ وقولهم: ﴿أيعدكم﴾ استفهام على جهة الاستبعادِ و﴿أنكم﴾: الثانية بَدَلٌ من الأُولَى عند سيبويه، وقولهم: ﴿هيهات هيهات﴾ استبعادٌ، وهيهات أحياناً تلي الفاعل دونَ لام، تقول هيهاتَ مجيءُ زيد، أي: بعد ذلك، ومنه قول جرير: [الطويل]:

فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِهِ وَهَيْهَاتَ خِلٌّ بِالْعَقِيقِ نُوَاصِلُهْ[1]

وأحياناً يكون الفاعل محذوفاً، وذلك عند وجود اللام كهذه الآية، التقدير: بعد الوجود؛ لما توعدون.

قال *ص*: ورُدَّ بأَنَّ فيه حذفَ الفاعل، وحذفَ المصدر وهو الوجود وذلك غير جائز عند البصريين، وذكر أبو البقاء: أَنَّ اللام زائدة و«ما» فاعل، أي: بعد ما توعدون.

قال أبو حيان[2]: وهذا تفسير معنى لا إعراب؛ لأَنَّهُ لم تَثْبُتْ مصدريَّةُ «هيهات»، انتهى. وقولهم: ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا﴾ أرادوا: أَنَّهُ لا وجودَ لنا غيرَ هذا الوجودِ؛ وإِنَّمَا تموتُ مِنَّا طائفة فتذهب، وتجيء طائفة جديدة، وهذا هو كُفْرُ الدَّهْرِيَّةِ.

﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

وقوله: ﴿قال عما قليل لَيُصْبِحُنَّ نادمين﴾ المعنى: قال الله لهذا النَّبِيِّ الدَّاعي: عَمَّا قليل يندمُ قومُك على كفرهم حين لا ينفعهم الندم، ومن ذكر الصَّيْحَة ذهب الطبريُّ[3] إلى

(١) البيت لجرير في «ديوانه» ص ٩٦٥؛ و«الأشباه والنظائر» (٨/ ١٣٣)، و«الخصائص» (٣/ ٤٢)، و«الدرر» (٥/ ٣٢٤)، «وشرح التصريح» (١/ ٣١٨)، (٢/ ١٩٩)، و«شرح شواهد الإيضاح» ص ١٤٣، و«شرح المفصل» (٤/ ٣٥)، و«لسان العرب» (١٣/ ٥٥٣) (هيه)، و«المقاصد النحوية» (٣/ ٧)، (٤/ ٣١١)، وبلا نسبة في «أوضح المسالك» (٢/ ١٩٣)، (٤/ ٨٧)، و«سمط اللآلي» ص ٣٦٩، و«شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ص ١٠٠١.

(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٦/ ٣٧٤).

(٣) ينظر: «الطبري» (٩/ ٢١٢).

أَنَّهم قوم ثمود.

وقوله: ﴿بالحق﴾ أي: بما استحقوا بأفعالهم وبما حَقَّ مِنَّا في عقوبتهم، والغثاء: ما يحمله السَّيْلُ من زبَدِهِ الذي لا يُنْتَفَعُ به، فَيُشَبَّهُ كُلُّ هامد وتالف بذلك.

قال أبو حيان[1]: «وبعداً» منصوبٌ بفعل محذوف، أي: بَعُدُوا بُعْداً، أي: هلكوا، انتهى، ثم أخبر سبحانه: إِنَّه أنشأ بعد هؤلاء أمماً كثيرةً، كلَّ أُمَّةٍ بأجل، وفي كتاب لا تتعداه في وجودها وعند موتها، وتترى: مصدر من تَوَاتُرِ الشيءُ.

وقوله سبحانه: ﴿فأتبعنا بعضهم بعضاً﴾ أي: في الإهلاك.

وقوله تعالى: ﴿وجعلناهم أحاديث﴾ يريد أحاديث مَثَلٍ، وقَلَّمَا يُسْتَعْمَلُ الجَعْلُ حديثاً
١٣١ إِلاَّ في الشر، و﴿عالين﴾ / معناه: قاصدين لِلْعُلُوِّ بالظلم، وقولهم: ﴿وقومهما لنا عابدون﴾ معناه: خادمون متذللون، والطريق المُعَبَّدُ المُذَلَّلُ، و﴿من المهلكين﴾: يريد بالغرق.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ يعني: التوراة، و﴿لَعَلَّهُمْ﴾ يريد: بني إسرائيل؛ لأَنَّ التوراة إِنَّما نزلت بعد هلاكِ فرعونَ والقِبْطِ، والربوة: المُرْتَفِعُ من الأرض، والقرار: التَّمَكُّنُ، وَبَيَّنَ أَنَّ ماء هذه الربوة يرى معيناً جارياً على وجه الأرض؛ قاله ابن عباس[2]، والمعين: الظاهِرُ الجري للعينِ، فالميم زائدة، وهو الذي يُعَايَنُ جريُه، لا كالبئرِ ونحوِهِ، ويحتمل أن يكون من قولهم: معن الماء إِذَا كَثُرَ، وهذه الربوة هي الموضع الذي فَرَّتْ إِليه مريمُ وقتَ وضع عيسى عليه السلام هذا قولُ بعضِ المفسرين، واختلف الناسُ في موضع الربوة، فقال ابن المُسَيِّبِ[3]: هي الغُوطَةُ بدمشق وهذا أشهر الأقوال؛ لأَنَّ صفة الغُوطَةِ أَنَّها ذات قرار ومعين على الكمال.

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٦/ ٣٧٥).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٢١٩) (٢٥٥٢٣)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٤٥)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٤٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ١٧)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٢١٨) (٢٥٥١٤)، وذكره البغوي (٣/ ٣١٠)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٤٥)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٤٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ١٨). وعزاه لعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني عن سعيد بن المسيب.

وقال كَعْبُ الأَحْبَارِ[١]: الربوة بيت المَقْدِسِ، وزعم أَنَّ في التوراة أَنَّ بيتَ المقدس أَقْرَبُ الأرض إلى السماء وأَنَّهُ يزيد على الأرض ثمانية عشر ميلاً.

قال ع[٢]: ويترجَّحُ: أَنَّ الربوة في بَيْتِ لَحْمٍ من بيت المقدس؛ لأَنَّ ولادة عيسى هنالك كانت، وحينئذٍ كان الإيواء، وقال ابن العربيِّ في «أحكامه»: اختلف الناس في تعيين هذه الربوة على أقوال منها: ما تُفسَّرُ لغةً ومنها: ما تُفَسَّرُ نقلاً، فيفتقر إلى صحة سندهِ إلى النبي ﷺ، إلاَّ أَنَّ ها هنا نُكْتَةً، وذلك أَنَّه إذا نُقِلَ لِلنَّاسِ نَقْلَ تواتر أَنَّ هذا موضِعُ كذا، وأَنَّ هذا الأَمرَ جرى كذا ـ وقع العلم به، ولَزِمَ قبولُه، لأَنَّ الخبر المتواتر ليس من شرطه الإيمانُ، وخبرَ الآحاد لا بدَّ من كون المُخْبِرِ به بصفة الإيمان؛ لأَنَّهُ بمنزلة الشاهد، والخَبَرَ المتواتر بمنزلة العيانِ، وقد بَيَّنَّا ذلك في «أصول الفقه[٣]»، والذي شاهدتُ عليه الناسَ ورأيتهم يعينونه تعيينَ تواترٍ ـ مَوْضِعٌ في سفح الجبل في غربيِّ دمشق، انتهى، وما ذكره: من أَنَّ التواتُرَ ليس من شرطه الإيمانُ هذا هو الصحيح، وفيه خلاف إلاَّ أَنَّا لا نُسَلِّم أَنَّ هذا متواتر؛ لاختلال شرطه، انظر «المنتهى» لابن الحاجب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرٗا كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٢١٩) (٢٥٥١٨)، وذكره البغوي (٣/ ٣١٠)، وابن عطية (٤/ ١٤٥).
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٤٥).
(٣) ينظر: الكلام عن المتواتر في «البحر المحيط» للزركشي (٤/ ٢٣١)، «البرهان» لإمام الحرمين (١/ ٥٦٦)، «الإحكام في أصول الأحكام» للآمدي (٢/ ١٤)، «نهاية السول» للإسنوي (٣/ ٥٤)، «منهاج العقول» للبدخشي (٢/ ٢٩٦)، «غاية الوصول» للشيخ زكريا الأنصاري (٩٥)، «التحصيل من المحصول» للأرموي (٢/ ٩٥)، «المنخول» للغزالي (٢٣١)، «المستصفى» له (١/ ١٣٢)، «حاشية البناني» (٢/ ١١٩)، «الإبهاج» لابن السبكي (٢/ ٢٦٣)، «الآيات البينات» لابن قاسم العبادي (٣/ ٢٠٦)، «حاشية العطار على جمع الجوامع» (٢/ ١٤٧)، «المعتمد» لأبي الحسين (٢/ ٨٦)، «الإحكام في أصول الأحكام» لابن حزم (١/ ١٠١)، «تيسير التحرير» لأمير بادشاه (٣/ ٢٣٢)، «كشف الأسرار» للنسفي (٢/ ٤)، «شرح التلويح على التوضيح» لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (٢/ ٣)، «شرح المنار» لابن ملك (٧٨)، «ميزان الأصول» للسمرقندي (٢/ ٦٢٧)، «تقريب الوصول» لابن جزي (١١٩)، «إرشاد الفحول» للشوكاني (٤٦).

وقوله سبحانه: ﴿يٰأَيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم﴾ يحتمل أنْ يكون معناه: وقلنا يا أيها الرسلُ، وقالت فرقة: الخطاب بقوله: ﴿يٰأَيها الرسل﴾ للنَّبيِّ ﷺ.

قال *ع[١]*: والوجه في هذا أنْ يكون الخطاب للنبي ﷺ، وخرج بهذه الصيغة، لِيُفْهَمَ وجيزاً أَنَّ المقالة قد خُوطِبَ بها كُلُّ نبيٍّ، أو هي طريقتُهم التي ينبغي لهم الكونُ عليها؛ كما تقول لعالم: يا علماءُ إِنَّكم أئمَّةٌ يُقْتَدَى بكم؛ فتمسكوا بعلمكم، وقال الطبريُّ[٢]: الخطاب لعيسَى ـ عليه السلام ـ.

قلت: والصحيح في تأويل الآية: أَنَّه أمر للمُرْسَلِينَ كما هو نَصٌّ صريح في الحديث الصحيح؛ فلا معنى للتردد في ذلك، وقد روى مسلم والترمذيُّ عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إنَّ اللّهَ طَيِّبٌ وَلاَ يَقْبَلُ إلاَّ طَيِّباً، وَإِنَّ اللّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يٰأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ / [المؤمنون: الآية ٥١]. وقال: ﴿يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ٣١ ب [البقرة: ١٧٢]. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَر، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ [حرامٌ][٣] وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وغُذِّيَ بِالْحَرَامِ؛ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!»[٤] اهـ.

وقوله تعالى: ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون * فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون﴾، وهذه الآية تُقَوِّي أَنَّ قوله تعالى: ﴿يٰأيها الرسل﴾ إنَّما هو مخاطبة لجميعهم، وأَنَّه بتقدير حضورهم، وإذا قُدِّرَتْ: ﴿يٰأيها الرسل﴾ مخاطبةَ للنبي ﷺ ـ قَلِقَ اتصالُ هذه واتصال قولِهِ: ﴿فتقطعوا﴾، ومعنى الأُمَّةِ هنا: المِلَّةُ والشريعة، والإشارة بهذه إلى الحنيفية السمحة مِلَّةِ إبراهيم عليه السلام، وهو دين الإِسلام.

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٤٦).
(٢) ينظر: «الطبري» (٩/ ٢٢٠).
(٣) سقط في جـ.
(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٧٠٣) كتاب الزكاة: باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، حديث (٦٥/ ١٠١٥)، والترمذي (٥/ ٢٢٠) كتاب التفسير: باب ومن سورة البقرة، حديث (٢٩٨٩)، والدارمي (٢/ ٣٠٠)، وأحمد (٢/ ٣٢٨) كلهم من طريق الفضيل بن مرزوق عن عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وإنما نعرفه من حديث فضيل بن مرزوق.

وقوله سبحانه: ﴿فتقطعوا﴾ يريد الأمم، أي: افترقوا، وليس بفعل مُطَاوِعٍ؛ كما تقول: تقطع الثوبُ؛ بل هو فعل مُتَعَدٍّ بمعنى قطعوا، **وقرأ** نافع[١]: «زُبُراً» جمع زبور، وهذه القراءة تحتمل معنيين:

أحدهما: أَنَّ الأممَ تنازعت كتباً مُنَزَّلَةً فَاتَّبَعَتْ فرقة الصُّحُفَ، وفرقة التوراة، وفرقة الإِنجِيلَ، ثم حَرَّفَ الكُلُّ وَبَدَّلَ، وهذا قول قتادة[٢] ـ والثاني: أَنَّهم تنازعوا أمرهم كتباً وضعوها وضلالةً أَلَّفُوها؛ قاله ابن زيد[٣]، **وقرأ** أبو عمرو[٤] بخلاف: «زُبَراً» بضم الزاي وفتح الباء، ومعناها: فرقاً كزبر الحديد، ومن حيث كان ذكرُ الأمم في هذه الآية مثالاً لقريش ـ خاطب اللّه سبحانه نَبِيَّه محمداً ﷺ في شأنهم مُتَّصلاً بقوله: ﴿فذرهم﴾ أي: فذِرْ هؤلاء الذين هم بمنزلة مَنْ تقدم، والغمرة: ما عَمَّهُمْ من ضلالهم وفُعِلَ بهم فعلَ الماء الغمر بما حصل فيه، والخيراتُ هنا نَعِمُ الدنيا.

وقوله سبحانه: ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة...﴾ الآية: أسند الطبريُّ[٥] عن عائشة أنها قالت: قلتُ: يا رسولَ اللّه، قوله تعالى: ﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوا﴾ أَهي في الذي يَزْنِي وَيَسْرِقُ؟ قال: «لا، يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، بَلْ هِيَ فِي الرَّجُلِ يَصُومُ وَيَتَصَدَّقُ وَقَلْبُهُ وَجِلٌ، يَخَافُ أَلاَّ يُتَقَبَّلَ مِنْهُ»[٦].

---

(١) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٤/ ١٤٧).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٢٢١) برقم (٢٥٥٣٣) وذكره البغوي (٣/ ٣١١)، وابن عطية (٤/ ١٤٧)، والسيوطي (٥/ ٢٠)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة بنحوه.

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٢٢٢) برقم (٢٥٥٣٧)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٤٧)، والسيوطي (٥/ ٢٠)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن زيد نحوه.

(٤) ينظر: مصادر القراءة السابقة.

(٥) ينظر: **«الطبري» (٩/ ٢٢٥) رقم (٢٥٥٦٢)**.

(٦) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٢٧ـ ٣٢٨) كتاب التفسير: باب ومن سورة المؤمنين، حديث (٣١٧٥)، وابن ماجه (٢/ ١٤٠٤) كتاب الزهد: باب التوقي على العمل، حديث (٤١٩٨)، وأحمد (٦/ ١٥٩، ٢٠٥)، والطبري في **«تفسيره»** (٩/ ٢٢٥) رقم (٢٥٥٦٠)، والحاكم (٢/ ٣٩٣ـ ٣٩٤) كلهم من طريق مالك بن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب الهمداني عن عائشة به.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. والحديث ذكره السيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٢١)، وزاد نسبته إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في **«نعت الخائفين»**، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في **«شعب الإيمان»**.

قال ‏«ع»[١]: ولا نظرَ مع الحديث، والوَجَلُ: نحو الإشفاق والخوف، وصورة هذا الوَجِلِ إمَّا المُخَلِّطُ؛ فينبغي أنْ يكونَ أبداً تحت خوف من أنْ يكونَ ينفذ عليه الوعيد بتخليطه، وإمَّا التَّقِيُّ أوِ التائب، فخوفه أمرَ الخاتمة وما يطلع عليه بعد الموتِ، وفي قوله تعالى: ﴿أنهم إلى ربهم راجعون﴾: تنبيهٌ على الخاتمة، وقال الحسن: معناه الذين يفعلون ما يفعلون من البِرِّ، ويخافون ألاَّ يُنْجِيَهُم ذلك من عذاب رَبِّهِم[٢]، وهذه عبارة حسنة، ورُوِيَ عن الحَسَنِ أيضاً أنَّهُ قال: المؤمن يجمع إحساناً وشفقةً، والمنافِقُ يجمع إساءةً وأمناً[٣].

قلت: ولهذا الخَطْبِ العظيم أطال الأولياءُ في هذه الدار حُزْنَهُمْ وأجروا على الوجنات[٤] مدامعهم.

قال ابن المبارك في «رقائقه»: أخبرنا سفيان قال: إنما الحُزْنُ على قَدْرِ البصيرة[٥].

قال ابن المبارك: وأخبرنا مالك بن مغول عن رجل عن الحسن قال: ما عُبِدَ اللّهُ بمثل طُولِ الحُزْنِ[٦]، وقال ابن المبارك أيضاً: أخبرنا مسعر عن عبد الأعلى التَّيْمِيِّ قال: إنَّ مَنْ أُوتي من العلم ما لا يُبْكِيهِ لَخَلِيقٌ ألاَّ يكونَ أُوتِيَ علماً ينفعه؛ لأنَّ اللّه تعالى نَعَتَ العلماءَ فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ / إلى قوله: ﴿وَيَخِرُّونَ ١٣٢أ
لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾[٧] [الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩]. انتهى.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ (٦١) وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ (٦٢) بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ (٦٣) حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ (٦٤) لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ (٦٥)﴾.

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/١٤٨).
(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٢٢٤) برقم (٢٥٥٤٧)، وذكره البغوي (٣/ ٣١١)، وابن عطية (٤/ ١٤٨)، والسيوطي (٥/ ٢٢)، وعزاه لابن المبارك في «الزهد»، وعبد بن حميد، وابن جرير عن الحسن.
(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٢٢٤) برقم (٢٥٥٤٩)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٤٨)، والسيوطي (٥/ ٢١)، وعزاه لابن أبي حاتم عن الحسن.
(٤) الوَجْنَةُ: ما ارتفع من الخدين بين الصُّدغين وكنفي الأنف.
ينظر: «لسان العرب» (٤٧٧٤).
(٥) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص ٤٢) رقم (١٢٨).
(٦) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص ٤١) رقم (١٢٦).
(٧) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص ٤١) رقم (١٢٥).

وقوله سبحانه: ﴿أولٰئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾ أي: إِليها سابقون، وهذا قول بعضهم في قوله: ﴿لها﴾، وقالت فرقةٌ: معناه وهم من أَجْلِها سابقون، وقال الطبريُّ عنِ ابن عباس: المعنى: سبقتْ لهم السعادَةُ في الأَزَلِ؛ فهم لها[(١)]، وَرَجَّحَهُ الطبريُّ[(٢)] بأنَّ اللام متمكنة في المعنى.

وقوله سبحانه: ﴿ولدينا كتاب ينطق بالحق﴾ أظهر ما قيل فيه أنَّه أراد كتابَ إِحصاءِ الأعمال الذي ترفعه الملائكة، وقيل: الإِشارة إِلى القرآن، والأول أظهر.

وقوله سبحانه: ﴿بل قلوبهم في غمرة من هذا﴾ اخْتُلِفَ في الإِشارة بقوله: ﴿من هذا﴾ هل هي: إِلى القرآن، أو إِلى كتاب الإِحصاءِ، أو إِلى الدِّينِ بجملته، أو إِلى النبي ﷺ؟ ﴿ولهم أعمال﴾ أي: من الفساد ﴿هم لها عاملون﴾: في الحال والاستقبالِ، والمُتْرَفُ: المُنَعَّمُ في الدُّنيا، الذي هو منها في سَرَفٍ، ﴿ويجأَرُون﴾ معناه: يستغيثون بصياح كصياح البقر، وكَثُرَ استعمال الجُؤَار في البَشَرِ؛ ومنه قول الأعشى: [المتقارب]

يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ المَلِيكِ طَوْراً سُجُوداً وَطَوْراً جُؤَارَا[(٣)]

وقال «ص»: جأر الرجل إِلى اللّه تعالى، أي: تَضَرَّعَ؛ قاله الحُوفِيُّ، انتهى، وذهب مجاهد وغيره إِلى أَنَّ هذا العذابَ المذكورَ هو الوعيدُ بيوم بَدْرٍ[(٤)]، وقيل: غيرُ هذا.

وقوله سبحانه: ﴿لا تجئروا اليوم﴾ أي: يقال لهم يوم العذاب: لا تجأروا اليوم.

﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَـٰمِرًا

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٢٢٦) برقم (٢٥٥٦٥)، وذكره البغوي (٣/ ٣١٢)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٤٨)، والسيوطي (٥/ ٢٢)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) ينظر: الطبري (٩/ ٢٢٦).

(٣) في «ديوانه» (٧٦) وينظر البيت في «تفسير الطبري» (٢/ ١٠٥)، والصاحبي (٨٤)، و«البحر المحيط» (٥/ ٥٠٠)، و«روح المعاني» (١٤/ ١٦٥)، و«الدر المصون» (٤/ ٣٣٦).

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٢٢٨، ٢٢٩) برقم (٢٥٥٨١) عن مجاهد، وبرقم (٢٥٥٨٣) عن ابن جريج، وبرقم (٢٥٥٨٤) عن الضحاك، وذكره ابن عطية (٤/ ١٤٩)، والسيوطي (٥/ ٢٣)، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد، وعزاه أيضاً للنسائي عن ابن عباس.
وعزاه أيضاً لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة، وعزاه أيضاً لعبد بن حميد عن سعيد بن جبير.

تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ
لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ
ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم
مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَـٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَـٰهُمْ وَكَشَفْنَا
مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا
يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

وقوله: ﴿قد كانت آياتي تتلى عليكم﴾ يعني القرآن و﴿تنكصون﴾ معناه: ترجعون وراءَكُم، وهذه استعارة للإعراض والإدبار عن الحَقِّ و﴿مستكبرين﴾ حال والضمير في ﴿به﴾: عائد على الحَرَم والمسجد وإنْ لم يَتَقَدَّمْ له ذكر؛ لشهرته، والمعنى: إنكم تعتقدون في نفوسكم أَنَّ لكم بالمسجد الحرام أعظَم الحقوق على الناسِ والمنزلةَ عند اللَّه، فأنتم تستكبرون لذلك، وليس الاستكبار من الحق.

وقالت فرقة: الضمير عائد على القرآن والمعنى: يُحْدِثُ لكم سماعُ آياتي كبراً وطغياناً، وهذا قولٌ جَيِّدٌ، وذكر منذر بن سعيد: أن الضمير للنبي ﷺ وهو مُتَعَلِّقٌ بما بعده، كأن الكلام تَمَّ في قوله: ﴿مستكبرين﴾ ثم قال: بمحمد عليه السلام سامراً تهجرون، و﴿سامراً﴾ حال، وهو مفرد بمعنى الجمع؛ يقال: قوم سُمَّرٌ وسَمَرةٌ وسَامِرٌ، ومعناهُ: سُهَّرُ الليل مأخوذ من السَّمَرِ وهو ما يقع على الأشخاص من ضوء القمر، وكانت العرب تجلس للسمر تتحدث وهذا أَوْجَبَ معرفَتها بالنجوم؛ لأَنَّها تجلس في الصحراء فترى الطوالِعَ من الغوارب، **وقرأ** أبو[1] رجاء: «سُمَّاراً» **وقرأ** ابن عباس[2] وغيره: «سمرا» وكانت قريش تَسْمُرَ حول الكعبة في أباطيلها وكفرها، **وقرأ** السبعة[3] غيرَ نافع: «تَهْجُرُونَ» بفتح التاء

---

(١) وقرأ بها ابن عباس، وأبو رجاء، وأبو نهيك، وزيد بن علي. قال أبو الفتح: فهذا كـ: كاتب وكتّاب، وشارب وشرّاب.
ينظر: «**الشواذ**» (١٠٠)، و«**المحتسب**» (٢/ ٩٦)، و«**المحرر الوجيز**» (٤/ ١٥٠)، و«**البحر المحيط**» (٦/ ٣٨١)، و«**الدر المصون**» (٥/ ١٩٦).

(٢) وقرأ بها ابن مسعود، وأبو حيوة، وعكرمة، وابن محيصن، والزعفراني، ومحبوب عن أبي عمرو.
ينظر مصادر القراءة السابقة.

(٣) ينظر: «**الحجة**» (٥/ ٢٩٨)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٩٢)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ١٩٢)، و«**العنوان**» (١٣٧)، و«**شرح الطيبة**» (٥/ ٧٧)، و«**حجة القراءات**» (٤٨٩)، و«**شرح شعلة**» (٥٠٨)، و«**إتحاف**» (٢/ ٢٨٦).

وضم الجيم؛ قال ابن عباس[١] معناه: تهجرون الحَقَّ وذِكْرَ اللَّه، وتقطعونه؛ من الهجران المعروف، وقال ابن زيد[٢]: هو من هجر المريض: إذا هذى، أي: تقولون اللغوَ من القول؛ وقاله أبو حاتم، **وقرأ** نافع وحده: «تُهْجِرونَ» بضم التاء وكسر الجيم وهي قراءة أهل المدينة، ومعناه: تقولون الفُحْشَ والهجر من القول، وهذه إشارة إلى سَبِّهِمُ النَّبِيَّ ﷺ وأصحابه؛ قال ابن عباس[٣] أيضاً وغيره، ثم وبخهم سبحانه بقوله: ﴿أفلم يدبروا القول﴾ لأنهم بعد التدبر والنظر الفاسد / قال بعضهم: شِعْرٌ، وبعضهم: سِحْرٌ وغير ذلك، أم ٣٢ ب
جاءهم ما لم يأت آباءهم الأوَّلين أي: ليس بِبِدْعٍ بل قد جاء آباءهم الأَوَّلِينَ، وهم سالف الأمم الرُّسُلُ؛ كنوح، وإبراهيم، وإسماعيلَ وغيرهم، وفي هذا التأويل من التَّجَوُّزِ أَنَّ جَعْلَ سالف الأمم، آباء؛ إِذِ الناس في الجملة آخِرُهم من أَوَّلِهِم.

﴿أم لم يعرفوا رسولهم﴾ المعنى: ألم يعرفوا صدقه وأمانته مدَّةَ عمره ﷺ.

وقوله سبحانه: ﴿ولو أتبع الحق أهواءهم﴾.

قال ابن جريج[٤]، وأبو صالح: الحقُّ: اللَّه تعالى.

قال *ع[٥]*: وهذا ليس من نَمَطِ الآية، وقال غيرهما: الحق هنا: الصواب والمستقيم.

قال *ع[٦]*: وهذا هو الأحرى، ويستقيمُ على هذا فسادُ السمواتِ والأرض ومَنْ فيهن لو كان بحكم هوى هؤلاءِ؛ وذلك أَنَّهُم جعلوا للَّه شركاءَ وأولاداً، ولو كان هذا حَقًّا لم تكن للَّه عز وجل الصفاتُ العِلْيَّةُ، ولو لم تكن له سبحانه ـ لم تكن الصَّنْعَةُ، ولا القُدْرَةُ كما هي، وكان ذلك فساد السمواتِ والأرض ومَنْ فيهن: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٢٣١) برقم (٢٥٦٠٨)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٥٠)، والسيوطي (٥/ ٢٤)، وعزاه للطستي عن ابن عباس بنحوه.
(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٢٣٢) برقم (٢٥٦١٤)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٥٠).
(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٢٣٢) برقم (٢٥٦١٥)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٥٠)، والسيوطي (٥/ ٢٤)، وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والحاكم وصححه عن ابن عباس.
(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٢٣٤) برقم (٢٥٦٢٣) عن أبي صالح، وبرقم (٢٥٦٢٥) عن ابن جريج، وذكره البغوي (٣/ ٣١٣)، وابن عطية (٤/ ١٥١)، وابن كثير (٣/ ٢٥٠) والسيوطي (٥/ ٢٥)، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن أبي صالح.
(٥) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ١٥١).
(٦) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ١٥١).

وقوله سبحانه: ﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ قال ابن عباس[١]: بوعظهم، ويحتمل: بشرفهم، وهو مَرْوِيٌّ.

﴿أم تسألهم خرجا﴾ الخَرْجُ والخراج بمعنًى، وهو: المال الذي يُجْبَى وَيُؤْتَىٰ به لأوقات محدودة.

وقوله سبحانه: ﴿فخراج ربك خير﴾ يريد ثوابَهُ، ويحتمل أن يريد بخراج ربك: رِزْقَه، ويُؤَيِّدُهُ قوله: ﴿وهو خير الرازقين﴾.

و«الصراط المستقيم» دين الإسلام، «وناكبون»: أَي: مجادلون ومُعْرِضُون، وقال البخاريُّ: ﴿لناكبون﴾: لعادلون، انتهى.

قال أبو حيان[٢]: يقال: نكب عن الطريقِ ونَكَّبَ بالتشديد، أي: عَدَلَ عنه، انتهى، ثم أخبر تعالى عنهم أنهم لو زال عنهم القَحْطُ، ومَنَّ اللَّه عليهم بالخصب، ورَحِمَهُم بذلك ـ لبقوا على كفرهم ولَجُّوا في طغيانهم، وهذه الآية نزلت في المُدَّةِ التي أصاب فيها قريشاً السِّنُونَ الجَدْبَةُ والجُوعُ الذي دعا به النبيُّ ﷺ في قوله: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ»[٣] الحديث.

﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾، قال ابن عباس وغيره[٤]: هو الجوعُ والجَدْبُ حَتَّى أكلوا الجلود وما جرى مجراها، ورُوِيَ أَنَّهم لما بلغهم الجَهْدُ رَكِبَ أبو سفيان، وجاءَ إلى النبيِّ ﷺ بالمدينة فقال: يا محمد، ألستَ تزعمُ أَنَّك بُعِثْتَ رحمةً للعالمين؟ قال: بلى، قَالَ: قَدْ قَتَلْتَ الآباءَ بِالسَّيْفِ، والأَبْنَاءَ بِالْجُوعِ، وَقَدْ أكلنا العِلْهِزَ[٥]؛ فنزلت[٦] الآية،

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٢٣٤) برقم (٢٥٦٢٦)، وذكره البغوي (٣/ ٣١٤)، وابن عطية (٤/ ١٥١)، والسيوطي (٥/ ٢٥)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.
(٢) ينظر: **«البحر المحيط»** (٦/ ٣٨٣).
(٣) تقدم.
(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٢٣٥) برقم (٢٥٦٣٢)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٥٢).
(٥) العِلْهِزُ: وَبَرٌ يُخْلَطُ بدماء الحَلَم، كانت العرب تأكله في الجاهلية؛ تأكله في الجدب.
(٦) أخرجه النسائي في «التفسير» (٢/ ٩٨ـ ٩٩) رقم (٣٧٢)، والطبري في **«تفسيره»** (٩/ ٢٣٥ـ ٢٣٦) رقم (٢٥٦٣٢)، وابن حبان (١٧٥٣ـ موارد)، والطبراني (١١/ ٣٧٠) رقم (١٢٠٣٨)، والحاكم (٢/ ٣٩٤)، والبيهقي في **«الدلائل»** (٢/ ٩٠ـ ٩١) من طريق عكرمة عن ابن عباس.
وصححه ابن حبان، والحاكم، ووافقه الذهبي.
وذكره السيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٢٦)، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم، وابن مردويه.

و﴿استكانوا﴾ معناه: تواضعوا وانخفضوا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ۝٧٧ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٧٨ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٧٩ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٨٠ بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ۝٨١ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ۝٨٢ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٨٣﴾.

وقوله سبحانه: ﴿حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد...﴾ الآية تَوَعُّدٌ بعذاب غير مُعَيَّنٍ، وهذا هو الصواب، وهذه المَجَاعَةُ إنَّما كانت بعد وقعة بدر، والمُبْلِسُ الذي قد نزل به شَرٌّ وَيئِسَ من زواله ونَسْخِهِ بخير، ثم ابتدأ تعالى بتعديد نِعَمٍ في نفس تعديدها استدلالٌ بها على عِظَمِ قدرته سبحانه، فقال: ﴿وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار...﴾ الآية، أنشأ بمعنى: اخترع، والأفئدة: القلوبُ، وذرأ: بَثَّ وخلق.

وقوله: ﴿بل﴾ إضرابٌ، والجَحْدُ قبله مُقَدَّر / كأنه قال: ليس لهم نظر في هذه ٣٣أ الآيات أو نحو هذا، و﴿الأولون﴾: يشير به إلى الأُمَمِ الكافرة: كعاد وثمود.

وقوله تعالى: ﴿لقد وعدنا نحن وءاباؤنا هذا من قبل...﴾ الآية، قولهم: ﴿وءاباؤنا﴾ إنْ حُكِيَ المقالة عن العرب فمرادُهم مَنْ سَلَفَ من العالم، جعلوهم آباءَ من حيث النوعُ واحدٌ، وكونهم سلفاً، وفيه تَجوزٌ، وإنْ حُكِيَ ذلك عن الأَوَّلِينَ فالأمر مستقيم فيهم.

﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٨٧ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ۝٨٩ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝٩٠ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١﴾.

وقوله سبحانه: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنّى تسحرون﴾ أَمَر اللَّه تعالى نَبِيَّهُ عليه السلام بتوقيفهم على هذه الأشياء التي لا

يمكنهم إلاَّ الإقرارُ بها، ويلزم من الإقرار [بها][(١)] توحيدُ اللَّه وإذعانهم لشرعه ورسالة رسله، **وقرأ** الجميع[(٢)] في الأوَّل: «للَّه» بلا خلاف، واخْتُلِفَ في الثاني والثالث، **فقرأ** أبو عمرو وحدَه: «اللَّه» جواباً على اللفظ، **وقرأ** باقي السبعة: «للَّه» جواباً على المعنى، كأنه قال في السؤال: لمن ملك السموات السبع؟

وقوله سبحانه: ﴿فأنى تسحرون﴾ استعارة وتشبيه لما وقع منهم من التخليط وَوَضعِ الأفعالِ والأَقوالِ غيرِ مواضعها ما يقع من المسحور؛ عَبَّرَ عنهم بذلك.

وقالتَ فرقة: ﴿تسحرون﴾ معناه: تمنعون، وحكى بعضهم ذلك لُغَةً، والإجارة: المنع، والمعنى: أَنَّ اللَّه تعالى إذا أراد منع أحد فلا يقدر عليه، وإذا أراد أخذَه فلا مانِعَ له.

وقوله سبحانه: ﴿وإنهم لكاذبون﴾ أي: فيما ذكروه من الصاحبة، والولد، والشريك، تعالى اللَّه عن قولهم عُلُوّاً كبيراً، وفي قوله سبحانه: ﴿وما كان معه من إله﴾ [الآية][(٣)]. دليلُ [التمانع][(٤)] وهذا هو الفسادُ الذي تَضَمَّنَهُ قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾. [الأنبياء: الآية ٢٢]. والجزءُ المُخْتَرَعُ مُحَالٌ أَنْ تَتَعَلَّقَ به قدرتان فصاعداً، وقد تقدم الكلامُ على هذا الدليل؛ فَأَغنى عن إعادته.

وقوله: ﴿إذاً﴾ جوابٌ لمحذوف تقديره: لو كان معه [إله][(٥)] إذاً لذهب.

﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾.

---

(١) سقط في جـ.
(٢) ينظر اتفاق الجميع على هذا الحرف، واختلافهم في الثاني والثالث، يعني في قوله تعالى «للَّه» من الآيتين (٨٧)، (٨٩) - في: «**السبعة**» (٤٤٧)، و«**الحجة**» (٥/ ٣٠٠)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٩٣)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ١٩٤)، و«**شرح الطيبة**» (٥/ ٧٨)، و«**العنوان**» (١٣٧)، و«**حجة القراءات**» (٤٩٠)، و«**شرح شعلة**» (٥٠٩)، و«**إتحاف**» (٢/ ٢٨٧).
(٣) سقط في جـ.
(٤) سقط في جـ.
(٥) سقط في جـ.

وقوله: ﴿عالم الغيب﴾ المعنى: هو عالم الغيب، وقرأ أبو عمرو[١] وغيره: «عَالِمِ» بالجر؛ اتباعاً للمكتوبة.

وقوله سبحانه: ﴿قل رب إما تريني ما يوعدون * رب فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾ أمَرَ اللّه تعالى نَبِيَّه ـ عليه السلام ـ أنْ يدعوَ لنفسه بالنجاة من عذاب الظلمة إنْ كان قُضِيَ أنْ يَرَى ذلك، «وإن» شرطية و«ما» زائدة و«تريني» جزم بالشرط لزمته النونُ الثقيلة وهي لا تُفَارِقُ، «إمَّا» عند المُبَرِّدِ، ويجوزُ عند سيبويه أنْ تفارقَ، ولكن استعمالَ القرآن لزومها، فمن هنالك ألزمه المبرد، وهذا الدعاء فيه استصحاب الخشية والتحذير من الأمر المعذب من أجله، ثم نظيره لسائر الأُمَّةِ دُعَاءٌ في حسن الخاتمة، وقوله ثانياً: «رب» اعتراض بين الشرط وجوابه.

وقوله سبحانه: ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾ أمْرٌ بالصفح ومكارِمِ الأخلاق، وما كان منها لهذا فهو مُحْكَمٌ باقٍ في الأُمَّةِ أبداً، وما كان بمعنى الموادعة فمنسوخ بآية القتال.

وقوله: ﴿نحن أعلم بما يصفون﴾ يقتضي أَنَّها آية مُوَادَعَةٍ.

وقال مجاهد[٢]: الدفع بالتي هي أحسن: هو السلامُ، تُسَلِّمُ عليه إذا لَقِيتَه.

وقال الحسن[٣]: واللّه لا يُصِيبُهَا / أَحَدٌ حَتَّى يَكْظِمَ غيظه، وَيَصْفَحَ عَمَّا يكره، وفي ٣٣ ب
الآية عِدَةٌ للنبي ﷺ، أي: اشتغل أنت بهذا وكل أمرهم إلينا، ثم أمره سبحانه بالتَّعَوُّذِ من همزات الشياطين، وهي سورات الغضب التي لا يملك الإنسانُ فيها نفسه؛ وكأنها هي التي كانت تصيب المؤمنين مع الكُفَّارِ فتقع المجادلة، ولذلك اتَّصَلَتْ بهذه الآية، وقال ابن زيد: هَمْزُ الشيطان: الجنونُ[٤]، وفي «مُصَنَّفِ أَبِي داودَ»: أَنَّ رسول اللّه ﷺ قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ: هَمْزِهِ، وَنَفْخِهِ، ونَفْثِهِ»[٥]. قال أبو داودَ: همزه: المُوتة، ونفخه:

---

(١) وقرأ بها ابن كثير، وابن عامر، وحفص عن عاصم.
ينظر: «السبعة» (٤٤٧)، و«الحجة» (٥/ ٣٠١)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٩٤)، و«معاني القراءات» (٢/ ١٩٥)، و«شرح الطيبة» (٥/ ٧٩)، و«شرح شعلة» (٥٠٩) و«حجة القراءات» (٤٩١)، و«إتحاف» (٢/ ٢٨٧).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٢٤١) رقم (٢٥٦٤٥)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٥٥).

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٢٤١) رقم (٢٥٦٤٧)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٥٥).

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٢٤٢) برقم (٢٥٦٤٨)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٥٥)، والسيوطي (٥/ ٢٨)، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن زيد.

(٥) أخرجه أبو داود (١/ ٢٦٢ـ ٢٦٣) كتاب الصلاة: باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، حديث (٧٦٤)، وابن ماجه (١/ ٢٦٥) كتاب الصلاة: باب الاستعاذة في الصلاة، حديث (٨٠٧)، وأحمد (٤/ ٨٥) من حديث جبير بن مطعم.

الكِبْرُ، ونَفْثُهُ: السحر.

قال ع[(١)]: والنَّزَغَاتِ وسورات الغضبِ من الشيطان، وهي المُتَعَوَّذُ منها في الآية، وأصل الهمز: الدَّفْعُ والوَكزُ بيدٍ أو غيرها.

قلت: قال صاحب «**سلاح المؤمن**»: وهَمَزَاتُ الشياطين: خَطَرَاتُها التي تَخْطِرهَا بقلب الإنسان، انتهى.

وقال الوَاحِدِيُّ: همزات الشياطين: نَزَغَاتُهَا وَوَسَاوِسُهَا، انتهى.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون * لعلي أعمل صالحاً فيما تركت﴾ ﴿حتَّى﴾ في هذا الموضع حَرْفُ ابتداءٍ، والضمير في قوله: ﴿أحدهم﴾ للكفار، وقوله: ﴿ارجعون﴾ أي: إلى الحياة الدنيا، والنون في: ﴿ارجعون﴾: نونُ العَظَمَةِ؛ وقال النبي ﷺ لعائشة: «إِذَا عَايَنَ المُؤْمِنُ المَوْتَ، قَالَتْ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ: نُرْجِعُكَ؟ فيقول: إِلَى دَارِ الهُمُومِ وَالأَحْزَانِ؟ بل قُدُماً إِلَى اللَّهِ، وأَمَّا الكَافِرُ، فَيَقُولُ: ﴿ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً﴾»[(٢)].

وقوله: ﴿كلا﴾: رَدٌّ وزجر.

وقوله: ﴿إنها كلمة هو قائلها﴾ تحتمل ثلاثة معانٍ:

أحدها: الإخبار المُؤكّدُ بأنَّ هذا الشيء يقع، ويقولُ هذه الكلمة.

الثاني: أنْ يكون المعنى: إنها كلمة لا تغني أكثر من أنَّه يقولها، ولا نفعَ له فيها ولا غَوْثَ ـ الثالث: أنْ يكون إشارةً إلى أنَّهُ لو رُدَّ لعاد، والضمير في: ﴿ورائهم﴾ للكفار، والبرزخ في كلام العرب: الحاجز بين المسافتين، ثم يُسْتَعَارُ لما عدا ذلك، وهو هنا: للمُدَّةِ التي بين موت الإنسان وبين بعثه؛ هذا إجماعٌ من المفسرين.

---

(١) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/١٥٥).

(٢) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (٩/٢٤٢) رقم (٢٥٦٥٢) عن ابن جريج قال: زعموا أن النبي ﷺ قال لعائشة، فذكره.

وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/٢٩)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

وقوله عز وجل: ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم...﴾ الآية: قال ابن مسعود[١] وغيرُه: هذا عند النفخة الثانية وقيام الناس من القُبُورِ؛ فهم حينئذٍ لهول المَطْلَعِ واشتغال كل امرىء بنفسه قد انقطعت بينهم الوسائلُ، وزال انتفاعُ الأنساب؛ فلذلك نفاها سبحانه، والمعنى: فلا أنسابَ نافعةٌ، ورُوِيَ عن قتادة أَنَّهُ: ليس أَحد أبغض إلى الإنسان في ذلك اليوم مِمَّن يَعْرِفُ، لأَنَّهُ يخاف أَنْ يكونَ له عنده مَظْلِمَةٌ[٢]، وفي ذلك اليوم يَفِرُّ المرء من أخيه؛ وأُمِّهِ وأبيه؛ وصاحبتِهِ وبَنِيْهِ، ويفرحُ كلُّ أحد يومئذٍ أَنْ يكون له حَقّ على ابنه وأبيه، وقد وَرَدَ بهذا حديثٌ، وكأنّ ارتفاع التساؤل لهذه الوجوه، ثم تأتي في القيامة مواطنُ يكون فيها السؤال والتعارف.

قال ع[٣]: وهذا التأويل حَسَنٌ، وهو مرويُّ المعنى عن ابن عباس[٤]، وذكر البزَّارُ من حديث أنس عن النبي ﷺ قال: «مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِالْمِيزَانِ، فَيُؤْتَى بِابْنِ آدَمَ، فَيُوقَفُ بَيْنَ كَفَّتَيِ الْمِيزَانِ، فَإِنْ ثَقُلَ مِيزانُهُ، نَادَى / المَلَكُ بِصَوْتٍ يُسْمِعُ الخَلاَئِقَ: سَعِدَ فُلاَنٌ ١٣٤أ
سَعَادَةً لاَ يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَداً، وَإِنْ خَفَّ مِيزَانُهُ، نَادَى المَلَكُ بِصَوْتٍ يُسْمِعُ الخَلاَئِقَ: شَقِيَ فُلاَنٌ شَقَاوَةً لاَ يَسْعَدُ بَعْدَهَا أبداً[٥]»، انتهى من «العاقبة». وروى أبو داودَ في «سننه» عن عائشة رضي الله عنها أَنَّها ذَكَرَتِ النَّارَ فَبَكَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يُبْكِيكِ؟ قَالَتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ، فَهَلْ تَذكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فقال رسول الله ﷺ: أَمَّا في ثَلاَثَةِ مَوَاطِنَ، فَلاَ يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَداً، عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّى يَعْلَم: أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ أَمْ يَثْقُلُ، وَعِنْدَ الكِتَابِ حَتَّى يَقُولَ: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]، حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يُعْطَى كِتَابَهُ: أَفِي يَمِينِهِ أَمْ فِي شِمَالِهِ، أَمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ، إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَي جَهَنَّمَ»[٦]، انتهى. ولفح النار: إِصابتها بالوهج والإِحراق، والكلوح انكشافُ الشفتين عن الأسنان، وقد شبه ابنُ

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٢٤٤) برقم (٢٥٦٦٩) نحوه، وذكره البغوي (٣/ ٣١٧)، وابن عطية (٣/ ١٥٦)، والسيوطي (٥/ ٣٠)، وعزاه لابن المبارك في «الزهد»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي نعيم في «الحلية»، وابن عساكر عن ابن مسعود بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٢٤٥) برقم (٢٥٦٧١)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٥٦)، والسيوطي (٥/ ٣٠)، وعزاه لعبد بن حميد عن قتادة.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٥٦).

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٢٤٤) برقم (٢٥٦٦٧) نحوه، وذكره البغوي (٣/ ٣١٧)، وابن عطية (٤/ ١٥٦).

(٥) أخرجه البزار (٣٤٤٥ ـ كشف) من حديث أنس بن مالك، وذكره الهيثمي (١٠/ ٣٥٣) وقال: رواه البزار، وفيه صالح المري، وهو مجمع على ضعفه.

(٦) أخرجه أبو داود (٢/ ٦٥٤) كتاب السنة: باب في ذكر الميزان، حديث (٤٧٥٥).

مسعود ما في الآية بما يعتري رؤوس الكِبَاشِ إذا شيطت بالنار؛ فإنَّها تكلح، ومنه كلوح الكلب والأسد[١].

قلت: وفي «الترمذيِّ» عن أبي سعيد الخدريِّ عن النبي ﷺ قال: ﴿وهم فيها كالحون﴾ قال: تَشْوِيهِ النَّارُ، فَتَقْلُصُ شَفَتُهُ العُلْيَا حَتَّى تَبْلُغَ وَسَطَ رَأْسِهِ، وَتَسْتَرْخِي شَفَتُهُ السُّفْلَى حَتَّى تَضْرِبَ سُرَّتَهُ...»[٢] الحديث قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب، انتهى.

وهذا هو المُعَوَّلُ عليه في فهم الآية، وأمَّا قول البخاريِّ: ﴿كالحون﴾[٣] معناه: عابسون ـ فغيرُ ظاهرٍ، ولَعَلَّهُ لم يقف على الحديث.

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ألم تكن آياتي﴾ أي: يقال لهم، والآياتُ هنا القرآن، وقرأ حمزة: «شَقَاوَتُنَا» ثم وقع جواب رغبتهم بحسب ما حتمه اللّه من عذابهم بقوله: ﴿اخسئوا فيها ولا تكلّمون﴾ ويقال: إنَّ هذه الكلمة إذا سمعُوها يئسوا من كل خير، فتنطبق عليهم جَهَنَّمُ، ويقع اليأسُ ـ عافانا اللّه من عذابه بمنّه وكرمه ـ!

وقوله: ﴿اخسئوا﴾ زجر، وهو مستعمل في زجر الكلاب.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٢٤٦)برقم (٢٥٦٧٥)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٥٧)، والسيوطي (٥/ ٣١) وعزاه لعبد الرزاق، والفريابي، وابن أبي شيبة، وهناد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه عن ابن مسعود.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٧٠٨) كتاب صفة جهنم: باب ما جاء في صفة طعام أهل النار، حديث (٢٥٨٧)، وفي (٥/ ٣٢٨) كتاب التفسير: باب ومن سورة المؤمنين، حديث (٣١٧٦)، وأحمد (٣/ ٨)، والحاكم (٢/ ٣٩٥)، وأبو يعلى (٢/ ٥١٦) رقم (١٣٦٧) كلهم من طريق ابن المبارك عن سعيد بن يزيد عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب. وصححه الحاكم.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣١)، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في «صفة النار»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الحلية».

(٣) ينظر: «صحيح البخاري» (٨/ ٢٩٩) كتاب التفسير: باب سورة المؤمنين.

فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ
هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ
ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا
وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾
وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾
وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾.

وقوله عز وجل: ﴿إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا ءامنا. . .﴾ الآية الهاء في ﴿إنه﴾: مُبْهَمَةٌ: وهي ضمير الأمر والشأن، والفريقُ المُشَارُ إليه: كُلُّ مُسْتَضْعَفٍ من المؤمنين يَتَّفِقُ أَنْ تكون حالُه مع كُفَّارٍ مِثْلَ هذه الحال، ونزلت الآية في كُفَّارِ قريشٍ مع صُهَيْبٍ، وعَمَّار، وبلال، ونظرائهم، ثم هي عامة فيمَنْ جرى مجراهم قديماً وبقيةَ الدهر، وقرأ نافع وحمزة والكسائي: «سُخْرِيًّا» بضم السين[(١)]، والباقون بكسرها؛ فقيل هما بمعنى واحد؛ ذكر ذلك الطبريُّ[(٢)].

وقال ذلك أبو زيد الأنصاريُّ: إنهما بمعنى الهُزْءِ[(٣)]، وقال أبو عبيدَة وغيره: إنَّ ضم السين من السخرة والاستخدام، وكسرها من السخر وهو الاستهزاء[(٤)]، ومعنى الاستهزاء هنا أليق؛ أَلاَ ترى إلى قوله: ﴿وكنتم منهم تضحكون﴾.

وقوله سبحانه: ﴿كم لبثتم في الأرض عدد سنين. . .﴾ الآية قوله: ﴿في الأرض﴾

قال الطبريُّ[(٥)] معناه: في الدنيا أحياءً، وعن هذا وقع السؤال، ونَسُوا لفرط هول العذاب حَتَّى قالوا: ﴿يوماً أو بعض يوم﴾، والغرضُ توقيفهم على أَنَّ أعمارهم قصيرة أَدَّاهُمُ الكُفْرُ فيها إلى عذاب طويل، عافانا اللّه من ذلك بِمَنِّهِ وكرمه!.

وقال الجمهور: معناه: كم لَبِثْتُمْ في جوف التراب أمواتاً؟ قال ع[(٦)]: وهذا هو

---

(١) وحجتهم: إجماع الجميع على الرفع في سورة الزخرف، فرد ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه. ينظر: «السبعة» (٤٤٨)، و«الحجة» (٥/ ٣٠٢)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٩٥)، و«شرح الطيبة» (٥/ ٨٠)، و«العنوان» (١٣٧)، و«حجة القراءات» (٤٩١)، و«شرح شعلة» (٥١٠)، و«إتحاف» (٢/ ٢٨٨).

(٢) ينظر: الطبري (٩/ ٢٥٠).

(٣) ذكره ابن عطية (٤/ ١٥٨).

(٤) ذكره ابن عطية (٤/ ١٥٨).

(٥) ينظر «الطبري» (٩/ ٢٥٣).

(٦) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٥٨).

٣٤ ب الأصوب من حيث أنكروا البعث / . وكان قولهم: إنهم لا يقومون من التراب، وقوله آخراً: ﴿وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ يقتضي ما قلناه.

قلت: الآيات محتملة للمعنيين، واللّه أعلم بما أراد سبحانه؛ قال البخاريُّ[(١)]: قال ابن عباس: ﴿فاسأل العادين﴾ أي: الملائكة[(٢)]، انتهى.

ص: قرأ الجمهور: «العَادِّينَ»[(٣)] ـ بتشديد الدال ـ اسم فاعل من «عَدَّ»، وقرأ الحسن والكسائي في رواية: «العَادِينَ»[(٤)] بتخفيف الدال، أي: الظَّلَمَةَ، و«إِنْ» من قوله: ﴿إن لبثتم﴾ نافيةٌ، أي: ما لبثتم إلاَّ قليلاً، اهـ. و﴿عبثاً﴾: معناه: باطلاً، لغير غَايَةٍ مُرَادَةٍ، وخَرَّجَ أبو نُعَيْم الحافظُ عن حنش الصنعانيِّ عن ابن مسعود «أنه قرأ في أذن مبتلى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً...﴾ إلى آخر السورة، فأفاق، فقال رسول اللّه ﷺ: ما قرأتَ في أذنه؟ قال: قرأت: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ...﴾ إلى آخر السورة، فقال النَّبيُّ ﷺ: لَوْ أَنَّ رَجُلاً مُوقِناً قَرَأَهَا عَلَى جَبَلٍ لَزَال»، انتهى[(٥)]، وخَرَّجَهُ ابن السُّنِّيُّ أيضاً، ذكره النووي.

وقوله سبحانه: ﴿فتعالى اللّه الملك الحق﴾: المعنى: فتعالى اللّه عن مقالتهم في دعوى الشريك والصاحبة والولد، ثم تَوَعَّدَ سبحانه عَبَدَةَ الأوثان بقوله: ﴿فإنما حسابه عند ربه﴾، وفي حرف عبد اللّه: «عند ربك»، وفي حرف[(٦)] أُبَيّ: «عند اللّه» ثم أمر تعالى نَبِيَّهُ ﷺ بالدعاء والذكر له فقال: ﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾.

---

(١) ينظر: «صحيح البخاري» (٨/ ٢٩٩) كتاب التفسير: باب سورة المؤمنين.
(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٢٥٢) برقم (٢٥٦٩٥) عن مجاهد، وذكره ابن عطية (٤/ ١٥٩) عن مجاهد، والسيوطي (٥/ ٣٤)، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.
(٣) ينظر: «البحر المحيط» (٦/ ٣٩٠).
(٤) ينظر: «البحر المحيط» (٦/ ٣٩٠)، و«الدر المصون» (٥/ ٢٠٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» (٢/ ٢٨٩).
(٥) أخرجه أبو يعلى (٨/ ٤٥٨) رقم (٥٠٤٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٣١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٧).
كلهم من طريق الوليد بن مسلم عن ابن لهيعة عن عبد اللّه بن هبيرة، عن حنش الصنعاني عن ابن مسعود به.
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٥)، وقال: رواه أبو يعلى، وفيه ابن لهيعة، وفيه ضعف، وحديثه حسن ا.هـ. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٤)، وزاد نسبته إلى الحكيم الترمذي، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.
(٦) في قراءة عبد اللّه، وقراءة أبي: ينظر «المحرر الوجيز» (٤/ ١٥٩).
ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٥٩).

تَفسِيرُ سُورَةِ النُّورِ

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾.

قوله تعالى: ﴿سورة أنزلناها وفرضناها...﴾ الآية معنى «فرضنا»: أوجبنا وأثبتنا، وقال الثَّعْلَبِيُّ والواحِدِيُّ: ﴿فرضناها﴾ أي: أوجبنا ما فيها من الأحكام، انتهى، وقال البخاريُّ[(١)]: قال ابن عباس[(٢)]: ﴿سورة أنزلناها﴾: بَيَّنَّاها، انتهى. وما تقدم أَبْيَنُ.

ص: ﴿فَرَضناها﴾ الجمهور: بتخفيف الراء أي: فرضنا أحكامها، وأبو عمرو وابن كثير: بتشدِيْدِ الراء: إما للمبَالَغَةِ في الإيجاب، وإما لأَنَّ فيها فرائضَ شَتَّى، انتهى، والآيات البَيِّنَاتُ: أمثالُها ومواعِظُهَا وأحكامُها.

وقوله تعالى: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة...﴾ الآية، هذه الآية ناسخة لآية الحَبْسِ باتِّفاق، وحكم المُحْصَنِينَ منسوخٌ بآية الرجم والسُّنَّةِ المتواترة على ما تقدّم في سورة النساء، **وقرأ الجمهور**[(٣)]: «رَأْفَةٌ» بهمزة ساكنة؛ من رَأَفَ إذا رَقَّ وَرَحِمَ، والرأفة المَنْهِيُّ عنها هي [في][(٤)] إسقاط الحَدِّ، أي: أقيموه ولا بُدَّ، وهذا تأويل ابنِ عمر[(٥)] وغيره.

---

(١) ينظر: البخاري (٨/ ٣٠١) كتاب التفسير: باب سورة النور.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٢٥٦) برقم (٢٥٧٠٦)، وذكره السيوطي (٥/ ٣٦)، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حارثة عن ابن عباس.

(٣) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٤/ ١٦١)، و**«البحر المحيط»** (٦/ ٣٩٤)، و**«الدر المصون»** (٥/ ٢٠٨).

(٤) سقط في جـ.

(٥) أخرجه الطبري (٩/ ٢٥٦) برقم (٢٥٧٠٩، ٢٥٧١٠)، وذكره البغوي (٣/ ٣٢١)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٦١)، وابن كثير (٣/ ٢٦١، ٢٦٢)، والسيوطي (٥/ ٣٧)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

وقال قتادة وغيره: هي في تخفيف الضَّرْبِ عنِ الزُّناةِ[١]، ومِنْ رأيهم أَنْ يُخَفَّفَ ضربُ الخمر، والفِرْيَةِ دون ضرب الزنا.

وقوله تعالى: ﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ أي: إغلاظاً على الزناة، وتوبيخاً لهم، ولا خلافَ أَنَّ الطائفة كُلَّمَا كَثُرَتْ فهو أليق بامتثال الأمر، واختلف في أَقَلِّ ما يجزِىءُ فقال الزُّهْرِيُّ: الطائفة: ثلاثةٌ فصاعداً[٢]، وقال عطاء: لا بُدَّ من اثنين[٣]، وهذا هو مشهورُ قول مالك فرآها موضع شهادة.

وقوله تعالى: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة﴾ مَقْصِدُ الآية تشنيعُ الزنا وتشنيع أمره، وأَنَّهُ مُحَرَّمٌ على المؤمنين / ويريد بقوله: ﴿لا ينكح﴾ أي: لا يَطَأُ، فالنكاح هنا ١٣٥ أ
بمعنى: الجماع؛ كقوله تعالى: ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٠]. وقد بَيَّنَهُ ﷺ في الصحيح أَنَّه بمعنى الوطء، حيث قال: «لاَ حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ...»[٤] الحديث، وتحتمل الآية وجوهاً هذا أحسنها.

---

(١) أخرجه الطبري (٩/٢٥٨) برقم (٢٥٧٢٢، ٢٥٧٢٤)، وذكره البغوي (٣/٣٢١)، وابن عطية (٤/١٦١)، والسيوطي (٥/٣٧)، وعزاه لعبد بن حميد عن الحسن، وابراهيم، وعامر، ولابن أبي شيبة، وعبد بن حميد عن شعبة.

(٢) أخرجه الطبري (٩/٢٥٩) برقم (٢٥٧٣٦)، وذكره البغوي (٣/٣٢١)، وابن كثير (٣/٢٦٢)، والسيوطي (٥/٣٨) وعزاه لابن جرير عن الزهري.

(٣) أخرجه الطبري (٩/٢٥٩) برقم (٢٥٧٣٤)، وذكره البغوي (٣/٣٢١)، وابن كثير (٣/٢٦٢).

(٤) أخرجه مالك (٢/٥٣١) كتاب النكاح: باب نكاح المحلل وما أشبهه، حديث (١٧) من طريق المسور بن رفاعة القرظي عن الزبير بن عبد الرحمن بن الزبير، أن رفاعة بن سموأل طلق امرأته.... ومن طريق مالك أخرجه الشافعي في **«الأم»** (٥/٢٤٨) باب نكاح المطلقة ثلاثاً، وابن حبان (١٣٢٣ـ موارد)، والبيهقي (٧/٣٧٥) كتاب الرجعة: باب نكاح المطلقة ثلاثاً.

قال السيوطي في **«تنوير الحوالك»** (٢/٦) قال ابن عبد البر: كذا لأكثر الرواة مرسل، ووصله ابن وهب عن مالك، فقال: عن أبيه، وابن وهب من أجل من روى عن مالك هذا الشأن، وأثبتهم فيه. وتابعه أيضاً ابن القاسم وعلي بن زياد وإبراهيم بن طهمان وعبيد اللّه بن عبد المجيد الحنفي، كلهم عن مالك، وقالوا فيه: عن أبيه، وهو صاحب القصة ا.هـ.

ومن طريق ابن وهب أخرجه ابن الجارود (٦٨٢)، والبيهقي (٧/٣٧٥) كتاب **«الرجعة»**: باب نكاح المطلقة ثلاثاً.

وأخرجه البزار (٢/ ١٩٤ـ كشف) رقم (١٥٠٤) من طريق عبيد اللّه بن عبد المجيد الحنفي ثنا مالك بن أنس عن المسور بن رفاعة، عن الزبير بن عبد الرحمن بن الزبير عن أبيه.

قال الهيثمي في **«مجمع الزوائد»** (٤/٣٤٣): رواه البزار والطبراني، ورجالهما ثقات، وقد رواه مالك في **«الموطأ»** مرسلاً، وهو هنا متصل ا.هـ.

....

= وقد ورد هذا الحديث موصولاً من حديث عائشة:
أخرجه أحمد (٦/ ٢٢٦)، والبخاري (٥/ ٢٤٩) كتاب «الشهادات»: باب شهادة المختبىء، حديث (٢٦٣٩)، ومسلم (٢/ ١٠٥٥ـ ١٠٥٦) كتاب النكاح: باب لا تحل المطلقة ثلاثاً لمطلقها حتى تنكح زوجاً غيره، حديث (١١١/ ١٤٣٣)، والترمذي (٢/ ٢٩٣) كتاب النكاح: باب ما جاء فيمن يطلق امرأته ثلاثاً حديث (١١١٨)، والنسائي (٦/ ١٤٨) كتاب الطلاق: باب إحلال المطلقة ثلاثاً، وابن ماجه (١/ ٦٢١ـ ٦٢٢) كتاب النكاح: باب الرجل يطلق امرأته ثلاثاً، حديث (١٩٣٢) والدارمي (٢/ ١٦١) كتاب الطلاق: باب ما يحل المرأة لزوجها الذي طلقها، والشافعي (٢/ ٣٤ـ ٣٥) كتاب الطلاق، حديث (١١٠)، والحميدي (١/ ١١١) رقم (٢٢٦)، وعبد الرزاق (٦/ ٣٤٦ـ ٣٤٧) رقم (١١١٣١)، والطيالسي (١/ ٣١٤ـ ٣١٥) رقم (١٦١٢، ١٦١٣)، وسعيد بن منصور (٢/ ٧٣ـ ٧٤)، رقم (١٩٨٥)، وأبو يعلى (٣٩٧)، رقم (٤٤٢٣)، وابن حبان (٤١٩٩ـ الإحسان)، والبيهقي (٧/ ٣٧٣ـ ٣٧٤)، والبغوي في **«شرح السنة»** (٥/ ١٦٩ـ بتحقيقنا) من طريق الزهري عن عروة عن عائشة قالت: جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى النبي ﷺ فقالت: كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي، فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير، وإنما معه مثل هدبة الثوب، فقال: أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك.
وقال الترمذي: حسن صحيح.
وللحديث طرق أخرى عن عائشة:
فأخرجه البخاري (٩/ ٢٨٤) كتاب الطلاق: باب من قال لامرأته: أنت عليَّ حرام، حديث (٥٢٦٥)، ومسلم (٢/ ١٠٥٧) كتاب النكاح: باب لا تحل المطلقة ثلاثاً لمطلقها حتى تنكح زوجاً غيره، حديث (١١٤/ ١٤٣٣)، وأحمد (٦/ ٢٢٩)، والدرامي (٢/ ١٦٢) من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة به.
وأخرجه مسلم (٢/ ١٠٥٧) كتاب النكاح: باب لا تحل المطلقة ثلاثاً لمطلقها حتى تنكح زوجاً غيره، حديث (١١٥/ ١٤٣٣)، وأحمد (٦/ ١٩٣)، وأبو يعلى (٨/ ٣٧٣ـ ٣٧٤) رقم (٤٩٦٤) من طريق القاسم بن محمد عن عائشة.
وأخرجه أبو داود (١/ ٧٠٥) كتاب الطلاق: باب في المبتوتة لا يرجع إليها زوجها حتى تنكح زوجاً غيره، حديث (٢٣٠٩)، وأحمد (٦/ ٤٢) من طريق الأسود عن عائشة.
وأخرجه البخاري (١٠/ ٢٩٣) من طريق عبد الوهاب عن أيوب عن عِكرمةَ [«أنَّ رفاعة طلَّقَ امرأتَه، فتزوجها عبدُ الرحمن بن الزُّبير القُرَظيّ، قالت عائشة: وعليها خِمارٌ أخضر، فشكَتْ إليها، وأرَتها خُضرة بجلدها فلما جاء رسولُ اللّه ﷺ ـ والنساء يَنصرُ بعضهن بعضاً ـ قالت عائشة: ما رأيتُ مثلَ ما يلقى المؤمِنات لَجِلدُها أشدُّ خُضرةً من ثَوبها. قال وسمعَ أنها قد أتَتْ رسولَ اللّه ﷺ، فجاء ومعهُ ابنانِ له من غيرها، قالت: واللّه ما لي إليه من ذَنب، إلا أنَّ ما معهُ ليسَ بأغنىٰ عني من هذه ـ وأخذَت هدبةً من ثوبها ـ فقال: كذَبَت واللّه يا رسول اللّه، إني لأنفضُها نفضَ الأديم، ولكنها ناشزٌ تريد رِفاعة، فقال رسولُ اللّه ﷺ: فإن كان ذلك لم تَحلِّي له أو تصلحي له حتى يَذوقَ من عُسَيلتِك. قال وأبصرَ معهُ ابنين له فقال: بَنوكَ هؤلاء؟ قال: نعم. قال: هذا الذي تزعُمين ما تزعمين؟ فو اللّه لهم أَشبهَ به من الغُراب بالغراب»]. =

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء...﴾ الآية نزلت بسبب القاذفين، وذكر تعالى في الآية: قَذْفَ النساءِ من حيث هو أَهَمُّ وأبشعُ، وقذفُ الرجال داخلٌ في حكم الآية بالمعنى والإجماع على ذلك، و﴿المحصنات﴾ هنا: العفائف، وشَدَّدَ تعالى على القاذف بأربعة شهداء؛ رحمةً بعباده، وستراً لهم، وحكم شهادة الأربعة أنْ تكونَ على معاينة مبالغة كالمِرْوَدِ في المَكْحَلَةِ في موطنٍ واحد، فإنِ اضطرب منهم واحد

= وفي الباب عن ابن عمر، وعبيد الله بن عباس، وأنس بن مالك، والفضل بن عباس.
حديث ابن عمر:
أخرجه أحمد (٢/ ٨٥)، والنسائي (٦/ ١٤٨ـ ١٤٩) كتاب النكاح: باب إحلال المطلقة ثلاثاً، وابن ماجه (١/ ٦٢٢) كتاب النكاح: باب الرجل يطلق امرأته ثلاثاً: فتتزوج فيطلقها (١٩٣٣) من طريق محمد بن جعفر: حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد: سمعت سالم بن رزين يحدث عن سالم بن عبد الله بن عمر عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر به.
وأخرجه أحمد (٢/ ٦٢)، والنسائي (٦/ ١٤٩)، والبيهقي (٧/ ٣٧٥) من طريق سفيان عن علقمة بن مرثد عن رزين بن سليمان عن ابن عمر.
قال النسائي: هذا أولى بالصواب.
وأخرجه أبو يعلى (٨/ ٣٧٤) رقم (٤٠٦٦) من طريق يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر.
قال الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٣٤٣): رواه الطبراني وأبو يعلى، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح.
حديث عبيد الله بن عباس:
أخرجه أحمد (١/ ٢١٤)، والنسائي (٦/ ١٤٨) كتاب الطلاق: باب إحلال المطلقة ثلاثاً، عنه أن «الغُمَيصَاء أو الرميصاء أتت النبي ﷺ تشتكي زوجها أنه لا يصل إليها، فلم يلبث أن جاء زوجها، فقال: يا رسول الله هي كاذبة، وهو يصل إليها، ولكنها تريد أن ترجع إلى زوجها الأول، فقال رسول الله ﷺ: «ليس ذلك حتى تذوقي عسيلته».
وأخرجه أبو يعلى (١٢/ ٨٥ ـ ٨٦) رقم (٦٧١٨) عن عبيد الله بن عباس والفضل بن عباس به.
وقال الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٣٤٣)، رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح.
حديث أنس بن مالك:
أخرجه أحمد (٣/ ٢٨٤)، والبزار (٢/ ١٩٥ـ كشف) برقم (١٥٠٥)، وأبو يعلى (٧/ ٢٠٧) رقم (٤١٩٩) عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن رجل طلق امرأته ثلاثاً، فتزوجت زوجاً، فمات عنها قبل أن يدخل بها هل يتزوجها الأول؟ قال: «لا حتى يذوق عسيلتها».
قال الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٣٤٣): رواه أحمد، والبزار، وأبو يعلى، والطبراني في «الأوسط»، ورجاله رجال الصحيح خلا محمد بن دينار الطاحي، وقد وثقه أبو حاتم، وأبو زرعة، وابن حبان، وفيه كلام لا يضر.
حديث الفضل بن عباس: انظر حديث عبيد الله بن العباس.

جُلِدَ الثلاثة، والجلد: الضرب، ثم أمر تعالى: أَلاَّ تُقْبَلَ للقَذَفَةِ المحدودين شهادةٌ أبداً(١)،

(١) القاذف هو مَنْ يرمي مُحْصَناً أو مُحصَنَةً بالزنى ولم يأت بأربعة شهداء يشهدون على صدق قوله، ولا خلاف بين العلماء في شهادة القاذف إِذَا شهد قبل إِقَامَةِ ٱلْحدِّ وبعد التوبة، أو بعد إِقامة الحدِّ وقبل التوبة؛ فإنه في الصورة الأولى، تقبل شهادته إجماعاً، وفي الثانية لا تقبل إجماعاً إِنَّمَا الخلاف في شهادته بعد الحد وبعد التوبة.

فذهب ٱلْإِمامُ ٱلشَّافِعِيُّ، وَمَالِك، وَأَحْمَدُ، وٱلْبَتِيُّ وإِسْحَاقُ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَٱبْنُ ٱلْمُنْذِرِ إلى قبول شهادة المحدود في القذف إِذا تاب، وَرُوِيَ هذا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذهب ٱلْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ وأصحابه وَشُرَيْح وٱلْحَسَنُ وٱلنَّخَعِيُّ وسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَٱلثَّوْرِيُّ إلى رَدِّ شهادة المحدود في القذف وإنْ تاب. وَرُوِيَ هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ومنشأ هذا الاختلاف هو: اختلافهم في فهم الآية الكريمة: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَٱجلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ * إِلاَّ ٱلَّذِينَ تَابُوا﴾. اختلفوا في الاستثناء: هل هو راجع إلى الكل أو إلى الأخيرة فقط؟ وهذه مسألة أصولية، وسنذكر فيما يلي خلاصة القول فيها: إنَّ الاستثناء إذا وقع بعد جمل متعاطفة بالواو، ونحوها أمكن رده للجميع، وإلى الأخيرة خاصة بلا خلاف، وإنما الخلاف فيما هو ظاهر فيه، فالشافعية يقولون ظاهر في الكل، ولا يرجع للأخيرة فقط إلاَّ بقرينة. والحنفية يقولون: ظاهر في الأخيرة، ولا يرجع للكل إلا بدليل.

وَأَبُو الحُسَيْنِ كالشافعية إلاَّ أنه فصل في القرينة فقال: إنْ قامت قرينة على الإضراب عن الأول فهو للأخير. وظهور ٱلإِضْرَاب يكون باختلاف الجملتين نوعاً: بأن تكون إِحْدَاهُمَا خبراً والأخرى إنشاءاً؛ نحو العلماء مكرمون ولا تكرم الجهال إلاَّ خالداً.

أو تكون إِحَدِاهُمَا أمراً والأخرى نهياً نحو: أَكْرِمِ ٱلْعُلَمَاءَ ولا تكرم الجهال إلاَّ من دخل الدار فالاستثناء من الأخير.

أو باختلافهما حكماً: بأن يكون مضمون إِحْدَاهما غير مضمون الأخرى نحو: الرجال قائمون، والعلماء جالسون إلاَّ محمداً. أو باختلافهما ٱسْماً بأن يكون الاسم في الأولى غير صالح لتعلق الاستثناء به نحو: أَكْرِمِ الرجال وٱعْطِفْ على النساء إلاَّ هنداً. ففي هذا كُلِّهِ يرجع الاستثناء إلى الأخير، ظهور الإِضْرَابِ. لكنَ محل هذا ما لم يكن الاسم في الجملة الثانية ضمير الاسم في الأولى أو اتفقا في الغرض وإلاَّ كان الاستثناء راجعاً للكل مطلقاً وإنْ اختلفا نوعاً أو حكماً.

وأما الاختلاف في الاسم فلا يمكن معه رجوع الاستثناء للكل، لعدم صلاحيته للتعلق بالكل. مثال الأول: أَكْرِمْ بني تَميم وهم مُكْرَمُون إلاَّ بَكْراً، فهما مختلفان نوعاً لكنِ الاسم في الثانية ضمير الأول فيرجع للكل. ومثال ٱلثاني قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ * إِلاَّ ٱلَّذِينَ تَابُوا﴾ فقد ٱتحدا في الغرض وهو الإهانة والانتقام وإن اختلفا نوعاً فيرجع للكل.

وقال ٱلْقاضي وَٱلْغَزَالِيُّ: «بالوقف». وقال الْمُرتَضِي: مُشْتَرَكٌ بين الكل والأخير، ويرجع مذهب الوقف والاشتراك إلى قول الحنفية، لأنَّ مذهب الوقف معناه أنَّ الاستثناء لا يعلم أَهُوَ موضوع للإخراج من الكل أو من الأخير؟ ومذهب ٱلْمُرتَضِي أنَّه مشترك بين الإخراج من الكل ومن الأخير. فيلزم الرجوع للأخير عليهما؛ لأنه إنْ كان موضوعاً للأخير فظاهر، وإن كان للكل ففي ضمنه الأخير.

قال الشافعي: توبة القاذف إكذابه نفسه. وفسره الإصطخري (من أصحاب الشافعي): بأن يقول: كذبت

وهذا يقتضي مُدَّةَ أعمارهم، ثم حكم بفسقهم، ثم استثنى تعالى مَنْ تاب وأصلح من بعد القذف، فالاستثناء غيرُ عامل في جلده بإجماع، وعامل في فسقه بإجماع، واخْتُلِفَ في عمله في رَدِّ الشهادة، والجمهور أنَّه عاملٌ في رَدِّ الشهادة، فإذا تاب القاذف قُبِلَتْ شَهَادَتُهُ، ثم اختلفوا في صورة توبته، فقيل بأن يُكَذِّبَ نَفْسَه، وإلاَّ لم تُقْبَلُ، وقالت فرقةٌ منها مالك: توبته أن يَصْلُحَ وتَحْسُنَ حالُه[1]. وإنْ لم يرجع عن قوله بتكذيب واختلف فقهاءُ المالكيَّةِ متى تسقط شهادة القاذفِ فقال ابن الماجشون: بنفس قَذْفِهِ، وقال ابن القاسم وغيره: لا تَسْقُطُ حتى يُجْلَدَ، فإن مَنَعَ من جلده مانع عفو أو غيره لم تُرَدَّ شهادتُه، قال اللَّخْمِيُّ: شهادته في مدة الأجل للإثبات موقوفة، و﴿تابوا﴾ معناه: رجعوا، وقد رَجَّحَ الطبريُّ[2] وغيرُهُ قولَ مالك، واخْتُلِفَ أيضاً على القول بجواز شهادته، فقال مالك: تجوزُ في كل شيء بإطلاق، وكذلك كُلُّ مَنْ حُدَّ في شيء.

وقال سحنون: مَنْ حُدَّ في شيء فلا تجوز شهادته في مثل ما حُدَّ فيه، واتفقوا فيما أحفظ على ولد الزنا أنَّ شهادته لا تجوزُ في الزنا.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٧ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٨ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٩ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾.

وقوله سبحانه: ﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم...﴾ الآيَةَ: لما رَمَى هلالُ بن أُمَيَّةَ الوَاقِفِيُّ زوجته بِشَرِيكِ بنِ سَحْمَاءَ ـ عزم النبي ﷺ على ضَرْبِهِ حَدَّ القَذْفِ؛ فَنَزَلَتْ هذه الآية حسبما هو مشروح في الصِّحَاحِ، فَجَمَعَهُمَا ﷺ في الْمَسْجِدِ،

= فيما قلت، فلا أعود الى مثله. وقال أبو إسحاق المروزي (من أصحاب الشافعي) لا يقول كذبت، لأنه ربما يكون صادقاً، فيكون قوله: «كذبت» كذباً، والكذب معصية. والإتيان بالمعصية لا يكون توبة عن معصية أخرى، بل يقول: القذف باطل، وندمت على ما فعلت، ورجعت عنه، ولا أعود إليه.
وظاهر كلام أحمد والخرقي أن توبة القاذف (كما قال الشافعي) إكذاب نفسه، فيقول: كذبت فيما قلت.
وقال بعض العلماء: توبة القاذف كتوبة غيره، أمر بينه وبين ربه، ومرجعها إلى الندم على ما قال، والعزم على ألا يعود. والسر في أن الشافعية ومن وافقهم أدخلوا في معنى التوبة التلفظ باللسان مع أن التوبة من عمل القلب أن يترتب عليها حكم شرعي، وهو قبول شهادة المحدود في القذف إذا تاب، فلا بد أن يعلم الحاكم توبته حتى تقبل شهادته.

(١) في جـ: وتحسن حالته.
(٢) ينظر: «الطبري» (٩/ ٢٦٥).

وَتَلاَعَنَا، وجاء أيضاً عُوَيْمِرُ العَجْلاَنِيُّ فرمى امرأته ولاعن[1]، والمشهورُ: أَنَّ نازلةَ هلالٍ قبلُ، وأَنَّها سَبَبُ الآية، والأزواج في هذه الآية: يَعُمُّ المسلماتِ والكافرات والإماء؛ فكُلُّهن يُلاعِنُهُنَّ الزوجُ؛ للانتفاء من الحمل، وتختصُّ الحُرَّةُ بدفع حَدِّ القذف عن نفسها، **وقرأ** السبعة غيرَ نافع[2]: ﴿أَنَّ لَعْنَتَ﴾، و﴿أَنَّ غَضَبَ﴾ بتشديد «أَنَّ» فيهما ونَصْبِ اللعنة والغضب، والعذاب المُدْرَأ في قول الجمهور: هو الحَدُّ، وجُعِلَتْ اللعنة للرجل الكاذب؛ لأَنَّهُ مفترٍ مُبَاهِتٌ، فَأُبْعِدَ باللعنة، وجُعِلَ الغَضَبُ، الذي هو أَشَدُّ على المرأة التي باشرت المعصية بالفعل ثم كذبت وباهتت ـ بالقول، والله أعلم، وأجمع مالك وأصحابه على وجوب اللعان بادِّعاء الرؤية زناً لا وطء من / الزوج بعده، وذلك مشهور المذهب. ٣٥ ب

وقال مالك: إِنَّ اللعان يجب بنفي حمل يُدَّعَى قبله استبراءٌ والمُسْتَحَبُّ من ألفاظ اللعان أنْ يمشي مع ترتيب القرآن ولفظه، فيقول الزوج: أشهد بالله لرأيتُ هذه المرأة تزني،

---

(١) تقدم.
حديث ابن عباس في الملاعنة.
أخرجه أبو داود (٢/ ٦٨٨) كتاب الطلاق: باب في اللعان، حديث (٢٢٥٦)، وأحمد (١/ ٢٣٨ـ ٢٣٩)، والطيالسي (١/ ٣١٩ـ منحة) رقم (١٦٢٠)، والطبري في **«تفسيره»** (١٨/ ٦٥ـ ٦٦)، والبيهقي (٧/ ٣٩٤) كتاب «اللعان»: باب الزوج يقذف أمرأته، كلهم من طريق عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس، وفيه: فقال: يا رسول الله، إني جئت أهلي عشاءً، فوجدت عندها رجلاً فرأيت بعيني وسمعت بأذني، فكره رسول الله ﷺ ما جاء به، واشتد عليه، فنزلت: ﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله﴾.
والحديث ذكره السيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٤٣)، وعزاه إلى أحمد، وعبد الرزاق، والطيالسي، وعبد بن حميد، وأبي داود، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس.
أما حديث عويمر: فرواه سهل بن سعد.
وأخرجه مالك (٢/ ٥٦٦ـ ٥٦٧) كتاب الطلاق: باب ماجاء في اللعان، حديث (٣٤)، والبخاري (٩/ ٣٦١) كتاب الطلاق: باب من جوز الطلاق الثلاث، حديث (٥٢٥٩)، ومسلم (٢/ ١١٢٩ـ ١١٣٠) كتاب «اللعان»، حديث (١/ ١٤٩٢)، وأبو داود (٢/ ٦٧٩ـ ٦٨٢) كتاب الطلاق: باب في اللعان، حديث (٢٢٤٥)، والنسائي (٦/ ١٧٠ـ ١٧١) كتاب الطلاق: باب بدء اللعان، وابن ماجه(١/ ٦٦٧) كتاب الطلاق: باب اللعان، حديث (٢٠٦٦)، وأحمد (٥/ ٣٣٦ـ ٣٣٧)، والدرامي (٢/ ١٥٠)كتاب النكاح: باب في اللعان، وابن الجارود في **«المنتقى»** برقم (٧٥٦)، وابن حبان (٤٢٧١ـ الإحسان)، والطحاوي في **«شرح معاني الآثار»** (٣/ ١٠٢)، والبيهقي (٧/ ٣٩٨ـ ٣٩٩) كتاب «اللعان»: باب سنة اللعان، والبغوي في **«شرح السنة»** (٥/ ١٨١ـ بتحقيقنا) من طريق الزهري عن سهل بن سعد به.

(٢) ينظر: **«السبعة»** (٤٥٣)، و**«الحجة»** (٥/ ٣١٤)، و**«إعراب القراءات»** (٢/ ١٠١)، و**«معاني القراءات»** (٢/ ٢٠٢)، و**«شرح الطيبة»** (٥/ ٨٤)، و**«العنوان»** (١٣٨)، و**«حجة القراءات»** (٤٩٤)، و**«شرح شعلة»** (٥١٢)، و**«إتحاف»** (٢/ ٢٩٢)، و**«المحتسب»** (٢/ ١٠٢).

وإنِّي في ذلك لمن الصادقين، ثم يقول في الخامسة: وأَنَّ لعنة الله علي إنْ كنتُ من الكاذبين، وأمَّا في لعان نفي الحمل فيقول: ما هذا الولدُ مِنِّي، وتقول المرأة: أشهدُ بالله ما زنيتُ، وأَنَّهُ في ذلك لمن الكاذبين، ثم تقول: غَضِبَ الله عَلَيَّ إنْ كان من الصادقين، فإنْ مَنَعَ جَهْلُهُمَا من ترتيب هذه الألفاظ، وأتيا بما في معناها أجزأ ذلك، ومشهور المذهب: أَنَّ نفسَ تمام اللعان بينهما فُرْقَةٌ، ولا يحتاج معها إلى تفريق حاكم، وتحريم اللعان أَبَدِيٌّ باتفاق فيما أحفظ من مذهب مالك، وجواب ﴿لولا﴾ محذوف تقديره: لكشف الزناةَ بأيسر من هذا، أو لأخذهم بعقابه ونحو هذا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٌ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿إن الذين جاءو بالإفك...﴾ الآية: نزلت في شأن أُمِّ المؤمنين عائشة رضي اللّه عنها ففي «البخاريِّ» في غزوة بَنِي المُصْطَلِقِ عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: وأَنْزَلَ اللّهُ العَشْرَ الآياتِ في بَرَاءَتِي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالإِفْكِ...﴾ الآيات: والإِفك: الزُّورُ والكذب، وحديث الإِفك في «البخاريِّ» و«مسلم» وغيرهما مُسْتَوْعَبٌ، والعُصْبَةُ: الجماعة من العشرة إلى الأربعين.

وقوله سبحانه: ﴿لا تحسبوه﴾ خطاب لِكُلِّ مَنْ ساءه ذلك من المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿بل هو خير لكم﴾ معناه: أَنَّه تَبْرِئَةٌ في الدنيا، وترفيعٌ من اللّه تعالى في أنْ نَزَّلَ وَحْيَهُ بالبراءة من ذلك، وأجرٌ جزيلٌ في الآخرة، وموعظةٌ للمؤمنين في غابر الدهر، و﴿اكتسب﴾: مستعملة في المآثم، والإشارة بقوله تعالى: ﴿والذي تولى كبره﴾ هي إلى: عبد اللّه بن أُبَيٍّ ابن سلولَ وغيره من المنافقين، وكِبْرَهُ: مصدر كَبُرَ الشيء وعَظُمَ ولكنِ استعملتِ العربُ ضَمَّ الكاف في السِّنِّ.

وقوله تعالى: ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنين والمؤمنات بأنفسهم خيراً...﴾ الآية: الخطاب للمؤمنين حاشا مَنْ تولى كِبْرَهُ، وفي هذا عتابٌ للمؤمنين، أي: كان الإنكارُ واجباً عليهم، ويقيس فُضَلاَءُ المؤمنين الأمر على أنفسهم، فإذا كان ذلك يَبْعُدُ فيهم فَأُمُّ المُؤمنين أَبْعَدُ، لِفَضْلِهَا، وَوَقَعَ هذا النَّظَرُ السديد من أبي أَيُّوبَ وامرأته؛ وذلك أَنَّهُ دَخَلَ عليها فقالت له: «يا أبا أيوبَ، أَسَمِعْتَ ما قيل؟ فقال: نعم، وذلك الكذبُ؛ أكنتِ أنت يا أُمَّ أَيُّوبَ

تفعلين ذلك؟ قالت: لا، والله، قال: فعائشة ـ واللّه ـ أفضلُ منك، قالتْ أُمُّ أيوب: نعم»[١] فهذا الفعل ونحوه هو الذي عاتب اللّه فيه المؤمنين؛ إذ لم يفعله جميعهم، والضمير في قوله: ﴿لولا جاءو﴾ للذين تولوا كبره.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿ولولا فضل اللّه عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم﴾ هذا عتاب من اللّه تعالى، بليغ في تعاطيهم هذا الحديثَ وإنْ لم يكن المُخْبِرُ والمُخْبَرُ مُصَدِّقِينَ، ولكنَّ نفس التعاطي والتلقي من لسان إلى لسان والإفاضة في الحديث ـ هو الذي وقع العتابُ فيه، وقرأ ابن يعمر[٢] وعائشة (رضي اللّه عنها) وهي أعلم الناس بهذا الأمر: «إِذْ تَلِقُونَهُ» / ـ بفتح التاء، وكسر اللام، وضم القاف ـ، ومعنى ١٣٦أ
هذه القراءة من قول العرب: وَلَقَ الرجل وَلْقاً إذا كَذِبَ، وحكى[٣] الطبريُّ: أن هذه اللفظة مأخوذةٌ من: الوَلْقِ الذي هو إسراعك بالشيء بعد الشيء؛ يقال: وَلَقَ في سيره إذا أسرع، والضمير في: ﴿تحسبونه﴾ للحديث والخوضِ فيه والإذاعةِ له.

وقوله تعالى: ﴿سبحانك﴾ أي: تنزيهاً للّه أَنْ يقع هذا من زوج نَبِيِّه ﷺ وحقيقة البُهْتَانِ: أَنْ يقال في الإنسان ما ليس فيه، والغيبة: أَنْ يقال في الإنسان ما فيه، ثم وعظهم تعالى في العودة إلى مثل هذه الحالة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٢٨٤) برقم (٢٥٨٥٩)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٧٠)، وابن كثير (٣/ ٢٧٣)، والسيوطي (٥/ ٦٠)، وعزاه لابن إسحاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر.

(٢) وقرأ بها ابن عباس، وعثمان الثقفي.
ينظر: «**مختصر الشواذ**» ص ١٠٢، و«**المحتسب**» (٢/ ١٠٤)، و«**الكشاف**» (٣/ ٢١٩)، و«**المحرر الوجيز**» (٤/ ١٧١)، و«**البحر المحيط**» (٦/ ٤٠٢)، و«**الدر المصون**» (٥/ ٢١٣).

(٣) ينظر: «**الطبري**» (٩/ ٢٨٥).

وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين ءامنوا...﴾ الآية: قال مجاهد وغيره: الإشارة بهذه الآية إلى المنافقين، وعذابهم الأليم في الدنيا: الحدودُ، وفي الآخرة: النار[١]، وقالت فرقة: الآية عامَّةٌ في كُلِّ قاذف، و[هذا][٢] هو الأظهر.

وقوله تعالى: ﴿والله يعلم﴾ معناه: يعلم البريءَ من المُذْنِب، ويعلم سائر الأمور، وجواب ﴿لولا﴾ أيضاً محذوف تقديره: لَفَضَحَكُم بذنوبكم، أو لَعَذَّبَكُم ونحوه.

وقوله تعالى: ﴿يٰأيها الذين ءامنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان...﴾ الآية: خطوات جمع خُطْوَة، وهي ما بين القدمين في المشي، فكأنَّ المعنى: لا تمشوا في سُبُلِهِ وطُرُقِهِ.

قلت: وفي قوله سبحانه: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً﴾: ما يردع العاقلَ عن الاشتغال بغيره، ويُوجِبُ له الاهتمامَ بإصلاح نفسه قبل هجوم مَنِيَّتِهِ وحُلُولِ رَمْسِهِ، وحَدَّثَ أبو عمر في «**التمهيد**» بسنده عن إسماعيل بن كثير قال: سمعت مجاهداً يقول: «إنَّ الملائكة مع ابن آدم، فإذا ذكر أخاه المسلم بخير، قالت الملائكة: ولك مِثْلُهُ، وإذا ذكره بشرٍّ، قالتِ الملائكةُ: ابنَ آدمَ المستور عورته، أَرْبِعْ على نفسك، واحْمَدِ اللّه الذي يستر عورتك» انتهى، ورُوِّينَا في «**سنن أبي داودَ**» عن سهل بن مُعَاذِ بن أنس الجُهَنِيِّ عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ حَمَى مُؤْمِناً مِنْ مُنَافِقٍ - أَرَاهُ قَالَ: بَعَثَ اللَّهُ مَلَكاً يَحْمِي لَحْمَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَمَنْ رَمَىٰ مُسْلِماً بِشَيْءٍ يُرِيدُ بِهِ شَيْنَهُ، حَبَسَهُ اللَّهُ - عز وجل - عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ»[٣]، وروينا أيضاً عن أبي داودَ بسنده عن جابرِ بن عبد اللّه وأبي طلحةَ بن سهل الأنصاريَّين أنّهما قالا: قال رسول اللّه ﷺ: «مَا مِنْ امرىءٍ يَخْذُلُ أمرأً مُسْلِماً في مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ، وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ - إلاَّ خَذَلَهُ اللّهُ في مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنِ امْرِىءٍ يَنْصُرُ مُسْلِماً في مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ - إلاَّ نَصَرَهُ اللّهُ في مَوْضِعٍ يُحِبُّ فِيهِ

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٢٨٧) برقم (٣٥٨٧٠) نحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ١٧١)، والسيوطي (٥/ ٦١)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والطبراني عن مجاهد بلفظ: «تظهر».
(٢) سقط في جـ.
(٣) أخرجه أبو داود (٢/ ٦٨٧) كتاب الأدب: باب من رد على مسلم غيبة، حديث (٤٨٨٣)، وابن المبارك في «**الزهد**» (٢٣٩).

نُصْرَتَهُ»، انتهى[١]، ثم ذكر تعالى أنَّه يزكي مَنْ شاء مِمَّنْ سبقت له السعادة، وكان عمله الصالح أمارة على سبق السعادة له.

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم...﴾ الآية: المشهورُ من الروايات أَنَّ هذه الآية نزلت في قصة أبي بكر رضي اللّه عنه ومِسْطَح بْنِ أُثَاثَةَ، وكان من قرابة أبي بكر، وكان أبو بكر ينفق عليه، لمسكَنَتِهِ، فلما وقع أمر الإِفك بلغ أبا بكر أَنَّه: وقع مِسْطَحٌ مع مَنْ وقع؛ فحلف أبو بكر: لا ينفق عليه، ولا ينفعه بنافعة أبداً، فجاء مِسْطَحٌ مُعْتَذِراً / ٣٦ ب
وقال: إِنَّما كُنْتُ أسمع ولا أقول، فنزلتِ الآية، والفضل: الزيادة في الدِّينِ، والسعة هنا: هي المال، ثم قال تعالى: ﴿ألا تحبون أن يغفر اللّه لكم...﴾ الآية، أي: كما تحبون عفوَ اللّه لكم عن ذنوبكم فكذلك اغفروا لمن دونكم، فيروى أَنَّ أبا بكر قال: بلى، إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يغفر اللّه لي، ورَجَّعَ إِلى مِسْطَحِ ما كان يُجْرِي عليه من النفقة والإِحسان[٢].

قال ابن العربيِّ في «أحكامه»: وفي هذه الآيةِ دليلٌ على أَنَّ الحنث إذا رآه الإِنسان خيراً هو أولى من البر، ولقول النَّبِيِّ ﷺ: «فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْراً مِنْها، فَلْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ» انتهى[٣]. وقال بعض الناس: هذه أرجى آية في كتاب اللّه عز وجل من

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٦٨٧) كتاب الأدب: باب من رد على مسلم غيبة، حديث (٤٨٨٤)، وأحمد (٣/ ٤٤١)، والبغوي في «شرح السنة» (٦/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦ ـ بتحقيقنا).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٢٨٩) برقم (٢٥٨٧٥)، وذكره البغوي (٣/ ٣٣٤)، وابن عطية (٤/ ١٧٢، ١٧٣)، وابن كثير (٣/ ٢٧٦)، والسيوطي (٥/ ٦٣)، وعزاه لابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان.

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٢٧١ ـ ١٢٧٢) كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يميناً، فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير، ويكفر عن يمينه، حديث (١١/ ١٦٥٠)، والبيهقي (١٠/ ٣٢) كتاب الأيمان، باب من حلف على يمين فرأى خيراً منها، فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه.
وأخرجه مسلم (٣/ ١٢٧٢) كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها، حديث (١٣/ ١٦٥٠). ومن حديث عدي بن حاتم أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف»، وأبو داود الطيالسي (١/ ٢٤٧) كتاب «الأيمان والنذور»، باب من حلف على يمين فرأى خيراً منها، فليأت الذي هو خير، وليكفر عن يمينه، حديث (١٢١٨)، وأحمد (٤/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧ ـ ٢٥٨)، والدارمي (٢/ ١٨٦) كتاب «الأيمان والنذور»، باب من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها، ومسلم (٣/ ١٢٧٢ ـ ١٢٧٣)، كتاب: الأيمان، باب: ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير، ويكفر عن يمينه، حديث (١٦، ١٨/ ١٦٥١)، والنسائي (٧/ ١٠ ـ ١١) كتاب «الأيمان والنذور»، باب الكفارة بعد الحنث، وابن ماجه (١/ ٦٨١) كتاب «الكفارات»، باب من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها،=

حيث لطفه سبحانه بالقَذَفَةِ العُصَاةِ بهذا اللفظ.

قال ع[(١)]: وإنَّما تعطي الآية تفضلاً من اللّه تعالى في الدنيا، وإنَّما الرجاءُ في الآخرة، أما أنَّ الرجاءَ في هذه الآية بقياسٍ، أي: إذا أُمِرَ أُولِي الفضل والسعة بالعفو، فطرد هذا التفضل بسعة رحمته سبحانه لا رَبَّ غيره، وإنَّما آيات الرجاء: قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ [الزمر: ٥٣]. وقوله تعالى: ﴿اللّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾

= حديث (٢١٠٨)، والحاكم (٤/ ٣٠٠ـ ٣٠١) كتاب «الأيمان والنذور»، باب لا نذر في معصية الرب ولا في قطيعة الرحم، والبيهقي (١٠/ ٣٢) كتاب «الأيمان»: باب من حلف على يمين فرأى خيراً منها، فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه، بلفظ «فليأت الذي هو خير، وليكفر عن يمينه».
ومن حديث عبد الرحمن بن سمرة بلفظ «إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها، فائت الذي هو خير وكفر عن يمينك».
ومنهم من قال: «فكفر عن يمينك، وائت الذي هو خير».
والحديث أخرجه أحمد (٥/ ٦٢ـ ٦٣)، والدارمي (٢/ ١٨٦) كتاب «الأيمان والنذر»، باب من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها، والبخاري (١١/ ٥١٦ـ ٥١٧) كتاب «الأيمان والنذور»، باب قول اللّه تعالى: ﴿لا يؤاخذكم اللّه باللغو في أيمانكم...﴾ حديث (٦٦٢٢)، ومسلم (٣/ ١٢٧٣ـ ١٢٧٤) كتاب «الأيمان»، باب ندب من حلف يميناً، فرأى غيرها خيراً منها، حديث (٩/ ١٦٥٢)، وأبو داود الطيالسي (١/ ٢٤٧) كتاب «الأيمان والنذور»، باب من حلف على يمين فرأى خيراً منها، فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه، حديث (١٢١٩)، والنسائي (٧/ ١٢) كتاب «الأيمان والنذور»، باب الكفارة بعد الحنث، وأبو داود (٣/ ٥٨٤) كتاب «الأيمان والنذور»، باب الرجل يكفر قبل أن يحنث، حديث (٣٢٧٧)، وابن الجارود في «**المنتقى**» ص (٣١٠): باب ما جاء في الأيمان، حديث (٩٢٩)، والبيهقي (١٠/ ٣١) كتاب «الأيمان»، باب من حلف على يمين فرأى خيراً منها، فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه.
والخطيب في «**تاريخ بغداد**» (٢/ ٤٠٠) من طرق عن الحسن عن عبد الرحمن به.
ومن حديث عبد الرحمن بن أذينة عن أبيه أخرجه الطيالسي (١/ ٢٤٧) كتاب «الأيمان والنذور»، باب من حلف على يمين فرأى خيراً منها، فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه، حديث (١٢٢٠).
ومن حديث عبد اللّه بن عمرو بن العاص رواه أحمد (٢/ ٢٠٤) بلفظ «فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه»، ورواه الطيالسي (١/ ٢٤٧) كتاب «الأيمان والنذور»، باب من حلف على يمين فرأى خيراً منها، حديث (١٢٢١)، وأحمد (٢/ ٢١٢)، وأبو داود (٣/ ٥٨٢) كتاب «الأيمان والنذور»، باب اليمين في قطيعة الرحم، حديث (٣٢٧٤)، وابن ماجه (١/ ٦٨٢) كتاب «الكفارات»، باب من قال: كفارتها تركها، حديث (٢١١١) بلفظ «فليدعها وليأت الذي هو خير، فإن تركها كفارتها».
وقال أبو داود: الأحاديث كلها عن النبي ﷺ «وليكفر عن يمينه» إلا فيما لا يعبأ به.
ومن حديث مالك الجشمي رواه النسائي (٧/ ١١) كتاب «الأيمان والنذور»، باب الكفارة بعد الحنث، وابن ماجه (١/ ٦٨١) كتاب «الكفارات»، باب من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها، حديث (٢١٠٩).

(١) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ١٧٣).

[الشورى: ١٩]. وسمعت أبي رحمه الله يقول: أرجى آية في كتاب الله عندي قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾ [الأحزاب: ٤٧]. وقال بعضهم: أرجى آية قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿إن الذين يرمون المحصنات...﴾ الآيةَ: قال ابن جبير: هذه الآية خاصَّةٌ في رُمَاةِ عائشة[1]، وقال ابن عباس[2] وغيره: بل ولجميع أزواج النبي ﷺ لمكانهن من الدِّين ولم يقرن بآخر الآية توبة.

قال ✽ع[3]✽: وقاذف غَيْرِهِنَّ له اسم الفسق، وذكرت له التوبةُ، ولعن الدنيا: الإبعاد، وضربُ الحَدِّ، والعامل في قوله: ﴿يوم﴾ فعل مُضمَرٌ تقديره: يُعَذَّبُونَ يومَ أو نحو هذا، والدين في هذه الآية: الجزاء، وفي مصحف ابن مسعود[4] وأُبَيٍّ: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ الحَقَّ دِينَهُمْ﴾ بتقديم الصفة على الموصوف.

وقوله: ﴿ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾ يُقَوِّي قولَ مَنْ ذهب: أَنَّ الآية في المنافقين عَبْدِ اللّه بن أُبَيٍّ وغيرِهِ.

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾.

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٢٩٠) برقم (٢٥٨٨١)، وذكره البغوي (٣/ ٣٣٤)، وابن عطية (٤/ ١٧٤)، وابن كثير (٣/ ٢٧٦)، والسيوطي (٥/ ٦٤)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني عن خصيف.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٢٩١) برقم (٢٥٨٨٥)، وذكره البغوي (٣/ ٣٣٤)، وابن عطية (٤/ ١٧٤)، و ابن كثير (٣/ ٢٧٦)،والسيوطي (٥/ ٦٤)، وعزاه لسعيد بن منصور، والطبراني، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٧٤).

(٤) ونسبها ابن خالويه إلى قراءة النبي ﷺ. ولكنه ضبطها برفع كلمة «الحق».
ينظر: «المختصر» ص (١٠٣)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ١٧٤).

وقوله تعالى: ﴿الخبيثات للخبيثين...﴾ الآية: قال ابن عباس[1] وغيره: الموصوف بالخُبْثِ والطيب: الأقوال والأفعال، وقال ابن زيد[2]: الموصوفُ بالخُبْث والطيب، النساءُ والرجال، ومعنى هذا التفريق بَيْنَ حكم ابن أُبَيٍّ وأشباهِهِ وبين حكم النبي ﷺ وفضلاءِ أصحابه وأَمَّتِهِ.

وقوله تعالى: ﴿أولئك مبرءون مِمَّا يَقُولُونَ﴾ إشارة إلى الطيبين المذكورين، وقيل: الإِشارة بـ ﴿أُولئك﴾ إلى عائشة ـ رضي الله عنها ـ ومَنْ في معناها.

وقوله تعالى: ﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا﴾ سبب هذه الآية فيما روى الطبريُّ[3]: أَنَّ امرأة من الأنصار قالت: يا رسولَ اللّه، إِنِّي أكونُ في منزلي على الحال الَّتي لاَ أُحِبُّ أَنْ يراني أحدٌ عليها، لاَ وَالَدٌ ولا وَلَد، وإِنَّهُ لا يزالُ يدخلُ عليَّ رجلٌ مِنْ أهلي، وأنا على تلك الحال؛ فنزلت هذه[4] الآية، ثم هي عامَّةٌ في الأُمَّةِ غَابِرَ الدهر، وبيت الإِنسان: هو الذي لا أحد معه فيه، أوِ البيتَ الذي فيه زوجته أو أَمَتُهُ، وما عدا هذا
١٣٧ أ فهو غير بيته، و﴿تستأنسوا﴾ معناه: تستعملوا / مَنْ في البيت، وتستبصروا، تقول: آنستُ: إذا علمتُ عن حِسٍّ وإِذا أبصرتُ؛ ومنه قوله تعالى: ﴿آنَسْتُم مِنهُمْ رُشْداً﴾ [النساء: ٦].

و«استأنس» وزنه: استفعل، فكأنَّ المعنى في ﴿تستأنسوا﴾: تطلبوا أنْ تعلموا ما يؤنسكم ويؤنس أهل البيت منكم، وإِذا طلب الإِنسان أن يعلم أمر البيت الذي يريد دخوله، فذلك يكون بالاستئذان على من فيه، أو بأنْ يتنحنح ويُشْعِر بنفسه بأي وجه أمكنه، ويَتَأَنَّى قَدْرَ ما يتحفظ منه، ويدخل إثر ذلك.

وذهب الطبريُّ[5] في: ﴿تستأنسوا﴾ إلى أَنَّه بمعنى حتى تؤنسوا أهل البيت بأنفسكم بالتنحنح والاستئذان ونحوه، وتؤنسوا نفوسكم بأن تعلموا أنْ قد شُعِرَ بكم.

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٢٩٣) برقم (٢٥٨٩١)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٧٤)، وابن كثير (٣/ ٢٧٨)، والسيوطي (٥/ ٦٦)، وعزاه لابن جرير، ولابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه عن ابن عباس.
(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٢٩٥) برقم (٢٥٩٠٥)، وذكره البغوي (٣/ ٣٣٥)، وابن عطية (٤/ ١٧٤)، وابن كثير (٣/ ٢٧٨).
(٣) ينظر: «الطبري» (٩/ ٢٩٧).
(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٩٧) رقم (٢٥٩٢١) عن عدي بن ثابت.
(٥) ينظر: «الطبري» (٩/ ٢٩٨).

قال ﷺع[(١)]ﷺ: وتصريف الفعل يأبَى أَنْ يكون من أنس، وقرأ أُبَيّ وابن عباس[(٢)]: «حتى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا» وصورة الاستئذان أَنْ يقول الإنسان: السلام عليكم، أأدخل؟ فإن أُذِنَ له دَخَل، وإِنْ أُمِرَ بالرجوع انصرف، وإِنْ سُكِتَ عنه استأذن ثلاثاً ثم ينصرف، جاءت في هذا كله آثار، والضمير في قوله: ﴿تجدوا فيها﴾: للبيوت التي هي بيوتُ الغير، وأسند الطبريُّ[(٣)] عن قتادة أنه قال: قال رجل من المهاجرين: لقد طلبتُ عمري كُلَّه هذه الآيةَ فما أدركتها أن أستأذنَ على بعض إخواني فيقول لي: ارجع، فأرجع وأنا مُغْتَبِطٌ[(٤)]؛ لقوله تعالى: ﴿هو أزكى لكم﴾.

وقوله تعالى: ﴿والله بما تعملون عليم﴾ تَوَعُّدٌ لأهل التجسُّسِ.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة...﴾ الآية: أباح سبحانه في هذه الآية رفعَ الاستئذان في كُلِّ بيت لا يسكنه أحد؛ لأَنَّ العِلَّةَ في الاستئذان خوفُ الكشفة على المُحَرَّمَاتِ، فإذا زالت العِلَّةُ زال الحكم، وباقي الآية بَيِّنٌ ظاهر التوعد، وعن مالك رحمه الله: أنه بلغه أَنَّهُ كان يُسْتَحَبُّ إذا دخل البيتَ غيرَ المسكون، أَنْ يقول

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٧٥).

(٢) ينظر: «المحتسب» (٢/ ١٠٧)، و«مختصر شواذ ابن خالويه» ص ١٠٣، ولكنه حكاها هكذا: «حتى يسلموا على أهلها ويستأذنوا»، ونسبها إلى ابن مسعود وابن عباس. وأما قراءة أبي عنده ـ فهي: حتى يسلموا ويستأذنوا».
وينظر: «الكشاف» (٣/ ٢٢٧)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ١٧٥).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٢٩٩) برقم (٢٥٩٣٣)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٧٦)، وابن كثير (٣/ ٢٨١)، والسيوطي (٥/ ٧٢)، وعزاه لأبي يعلى، وابن مردويه عن أنس.

الذي يدخله: السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، انتهى، أخرجه[١] في «**المُوَطَّإِ**».

وقوله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ أظهر ما في ﴿من﴾ أَنْ تكون للتبعيض، لأَنَّ أول نظرة لا يملكها الإنسانُ؛ وإنَّما يَغُضُّ فيما بعد ذلك، فقد وقع التبعيض بخلاف الفروج؛ إذ حفظُها عامٌّ لها، والبصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته، ووجب التحذيرُ منه، وحفظُ الفرج هو عن الزنا وعن كشفه حيث لا يحل.

قلت: النواظر[٢] صوارمُ مشهورة فاغمدها في غِمْدِ الغَضِّ والحياء مِنْ نظر المولى وإلاَّ جرحك بها عَدُوُّ الهوى، لا ترسلْ بريد النظر فيجلبَ لقلبك رَدِيءَ الفكر، غُضُّ البصرِ يُورِثُ القلب نوراً، وإطلاقُه يَقْدَحُ في القلب ناراً. انتهى من «**الكلم الفارقية في الحكم الحقيقية**».

قال ابن العربيِّ[٣] في «**أحكامه**»: قوله تعالى: ﴿ذلك أزكى لهم﴾ يريد: أطهر وأنمى، يعني: إذا غَضَّ بصره كان أطهرَ له من الذنوب وأنمى لعمله في الطاعة.

قال ابن العربي[٤]: ومِنْ غَضِّ البصر: كَفُّ التطلع إلى المُبَاحَاتِ من زينة الدنيا وجمالِها؛ كما قال اللّه تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ
٣٧ ب زَهْرَةَ الحَيَاةِ / الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١]. يريد ما عند اللّه تعالى، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن...﴾ الآية: أمر اللّه تعالى النساء في هذه الآية بِغَضِّ البصر عن كل ما يُكْرَهُ ـ من جهة الشرع ـ النظرُ إليه، وفي حديث أُمِّ سلمةَ قالت: كُنْتُ أنا وعائشةُ عند النَّبِيِّ ﷺ فَدَخَلَ ابنُ أُمِّ مَكْتُوم فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «احْتَجِبْنَ، فَقُلْنَ: إِنَّهُ أَعْمَى! فَقَالَ ﷺ: «أَفَعَمْيَاوَانِ أَنْتُمَا»[٥] و﴿من﴾ الكلام فيها كالتي قبلها.

---

(١) أخرجه مالك (٢/ ٩٦٢) كتاب «السلام»: باب جامع السلام حديث (٨).
(٢) في جـ: النظر.
(٣) ينظر: «**أحكام القرآن**» (٣/ ١٣٦٦).
(٤) ينظر: «**أحكام القرآن**» (٣/ ١٣٦٦).
(٥) أخرجه أبو داود (٢/ ٤٦٢) كتاب «اللباس»: باب قول اللّه تعالى: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾ حديث (٤١١٢)، والترمذي (٥/ ٩٤) كتاب «الأدب»: باب ما جاء في احتجاب النساء من الرجال، حديث (٢٧٧٨)، وأحمد (٦/ ٢٩٦)، والنسائي في «**الكبرى**» (٥/ ٣٩٣) كتاب «عشرة النساء»: باب نظر =

قال ابن العربي في «أحكامه»[١]: وكما لا يَحِلُّ للرجل أن ينظر إلى المرأة، لا يحل للمرأة أَنْ تنظر إلى الرجلِ، فإنَّ عَلاَقَتَهُ بها كعلاقتها به، وقصدَه منها كقصدها منه، ثم استدل بحديث أُمِّ سلمة المتقدم، انتهى. وحفظ الفرج يَعُمُّ الفواحش، وسترَ العورة، وما دون ذلك مِمَّا فيه حفظ، ثم أَمر تعالى بأَلاَّ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ ما يظهر من الزينة؛ قال ابن مسعود[٢]: ظاهر الزينة: هو الثياب.

وقال ابن جبير وغيره[٣]: الوجه والكَفَّانِ والثيابُ.

وقيل: غير هذا.

قال زينتها *ع[٤]* ويظهر لي بحكم ألفاظ الآية أَنَّ المرأة مأمورة بأَلاَّ تبديَ، وأَنْ تجتهدَ في الإخفاء لكل ما هو زينة، ووقع الاستثناء في كُلِّ ما غلبها، فظهر بحكم ضرورة حركة فيما لا بُدَّ منه أو إصلاح شأن، فما ظهر على هذا الوجه فهو المَعفُوُّ عنه، وذكر أبو عمر: الخلاف في تفسير الآية كما تقدم؛ قال: ورُوِيَ عن أبي هريرة في قوله تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ قال: القُلْبُ والفتخة.

= النساء إلى الأعمى، حديث (٩٢٤١، ٩٢٤٢)، والطحاوي في «**مشكل الآثار**» (١/ ١١٦)، وأبو يعلى (١٢/ ٣٥٣) رقم (٦٩٢٢)، وابن حبان (١٩٦٨ـ موارد)، والفسوي في «**المعرفة والتاريخ**» (١/ ٤١٦)، والبيهقي (٧/ ٩١ـ ٩٢)، وابن سعد في «**الطبقات**» (٨/ ١٢٦) كلهم من طريق الزهري عن نبهان مولى أم سلمة عن أم سلمة به.
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
وصححه ابن حبان.
قال الحافظ في «**الفتح**» (٩/ ٣٣٧): وهو حديث أخرجه أصحاب السنن من رواية الزهري عن نبهان مولى أم سلمة عنها، وإسناده قوي، وأكثر ما علل به انفراد الزهري بالرواية عن نبهان، وليست بعلة قادحة، فإن من يعرفه الزهري ويصفه بأنه مكاتب أم سلمة ولم يجرحه أحد لا ترد روايته ا.هـ.

(١) ينظر: «**أحكام القرآن**» (٣/ ١٣٦٧).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٣٠٣، ٣٠٤) برقم (٢٥٩٥١، ٢٥٩٥٢، ٢٥٩٥٣، ٢٥٩٥٤، ٢٥٩٥٥)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٧٨)، وابن كثير (٣/ ٢٨٣) والسيوطي (٥/ ٧٤)، وعزاه لعبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحكم وصححه، وابن مردويه عن ابن مسعود.

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٣٠٤) برقم (٢٥٩٦٣)، (٢٥٩٦٤) عن سعيد بن جبير، وبرقم (٢٥٩٦٥) عن عطاء، وذكره ابن عطية (٤/ ١٧٨)، وابن كثير (٣/ ٢٨٣)، والسيوطي (٥/ ٧٥)، وعزاه لابن جرير عن سعيد بن جبير.

(٤) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ١٧٨).

قال جرير بن حازم: القُلْبُ: السِّوَارُ، والفتخة: الخاتم، انتهى من «**التمهيد**».

وقوله تعالى: ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾.

قال ابن العربي[١]: الجيب هو الطَّوْقُ، والخمار: هو المِقْنَعَة، انتهى.

قال *ع[٢]*: سبب الآية أنَّ النساء كُنَّ في ذلك الزمان إذا غَطَّيْنَ رؤوسهنَّ بالأخمرة سَدَلْنَهَا من وراء الظهر؛ فيبقى النَّحْرُ والعُنُقُ والأُذُنَانِ لا سِتْرَ على ذلك، فأمر اللّه تعالى بِلَيِّ الخمار على الجيوب، وهَيْئَةُ ذلك يستر جميعَ ما ذكرناه، وقالت عائشة ـ رضي اللّه عنها ـ رَحِمَ اللّهُ المُهَاجِرَاتِ الأُوَلَ؛ لمَّا نزلت هذه الآية عَمَدْنَ إلى أكثف المروط[٣] فشققنها أخمرةً، وضربن بها على الجيوب[٤].

وقوله سبحانه: ﴿أو نسائهن﴾ يعني جميع المؤمنات، ويخرج منه نساء المشركين، وكتب عمر إلى أبي عبيدةَ بن الجراح أنْ يمنع نساءَ أهل الذِّمَّةِ أَنْ يدخلنَ الحَمَّامَ مع نساء المسلمين فامتثل[٥].

وقوله سبحانه: ﴿أو ما ملكت أيمانهن﴾ يدخل فيه الإماءُ الكتابِيَّاتُ والعبيد.

وقال ابن عباس وجماعة[٦]: لا يدخل العبد على سَيِّدته فيرى شعرها إلاَّ أن يكون وغداً.

وقوله تعالى: ﴿أو التابعين﴾ يريد الأتباع لِيُطْعَمُوا، وهم فُسُولُ الرجال الذين لا إِرْبَةَ لهم في الوَطْءِ، ويدخل في هذه الصنيفة: المَجْبُوبُ، والشيخ الفاني، وبعضُ المَعْتُوهِينَ، والذي لا إِرْبَةَ له من الرجال قليلٌ، والإربَة: الحاجة إلى الوطء، والطفل اســم جنس،

(١) ينظر: «**أحكام القرآن**» (٣/ ١٣٦٩).

(٢) ينظر «**المحرر الوجيز**» (٤/ ١٧٨).

(٣) المِرْطُ: كل ثوب غير مخيط. وبالفتح: كساء من خز أو صوف أو كتان، وقيل: هو الثوب الأخضر، وجمعه مُرُمُطٌ،
ينظر: «**لسان العرب**» (٤١٨٣).

(٤) أخرجه البخاري (٨/ ٣٤٧) كتاب «التفسير»: باب ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ حديث (٤٧٥٨).

(٥) أخرجه الطبري (٩/ ٣٠٧) برقم (٢٥٩٨٦)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٧٩)، وابن كثير (٣/ ٢٨٤)، والسيوطي (٥/ ٧٧)، وعزاه لسعيد بن منصور، والبيهقي في «**سننه**»، وابن المنذر عن عمر بن الخطاب.

(٦) ذكره ابن عطية (٤/ ١٧٩)، والسيوطي (٥/ ٧٧) وعزاه لابن أبي شيبة، وابن المنذر عن ابن عباس نحوه.

/ ويقال: طفل ما لم يُراهِقِ الحُلُم، و﴿يظهروا﴾ معناه: يَطَّلِعُوا بالوطء. ٣٨ أ

وقوله تعالى: ﴿ولا يضربن بأرجلهن...﴾ الآية، قيل: سببها أَنَّ امرأة مَرَّتْ على قوم فضربت برجلها الأرض فَصَوَّتَ الخَلْخَالُ، وسماعُ صوت هذه الزينة أَشَدُّ تحريكاً للشهوة من إبدائها؛ ذكره الزَّجَّاجُ[١]، ثم أمر سبحانه بالتوبة مُطْلَقَةً عَامَّةٍ من كل شيء صغير وكبير.

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾ الأَيِّمُ: مَنْ لا زوجةَ له أو لا زوجَ لها؛ فالأَيِّمُ: يقال للرجل والمرأة.

وقوله: ﴿والصالحين﴾ يريد: للنكاح، وهذا الأمر بالنكاح يختلف بحسب شَخْصٍ شخْصٍ، ففي نازلة: يُتَصَوَّرُ وجوبُه، وفي نازلة: النَّدْبُ وغيرُ ذلك حسبما هو مذكور في كتب الفقه؛ قال ابن العربيِّ في «**أحكامه**»[٢]: قوله تعالى: ﴿والصالحين من عبادكم﴾ الأظهر فيه: أنه أمر بإِنكاح العبيد والإِماء كما أمر بإِنكاح الأيامى، وذلك بيد السادَةِ في العبيد والإِماء؛ كما هو في الأحرار بيد الأولياء، انتهى. ثم وعد تعالى بإِغناء الفقراء المتزوجين؛ طَلَبَ رضا اللّه عنهم، واعتصاماً من معاصيه، ثم أمر تعالى كُلَّ مَنْ يَتَعَذَّرُ عليه النكاحُ أَنْ يستعفف حتى يُغْنِيَهُمُ اللّه من فضله، إِذِ الغالب من موانع النكاح عَدَمُ المال، فوعد سبحانه المُتَعَفِّفَ بالغنى. والمكاتبة: مفاعلة من حيث يَكْتُبُ هذا على نفسه وهذا على نفسه، ومذهب مالك: أَنَّ الأَمرَ بالكتابة هو على الندب.

وقال عطاء: ذلك واجب، وهو ظاهرُ مذهب عمرَ بن الخطاب[٣] رضي اللّه عنه.

(١) ينظر: «**معاني القرآن**» (٤/ ٤٠).
(٢) ينظر: «**أحكام القرآن**» (٣/ ١٣٧٨).
(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٣١٢) رقم (٢٦٠١٨)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٨١).

وقوله: ﴿إن علمتم فيهم خيراً﴾ قالت فرقة: الخير هنا المال.

وقال مالك: إنَّه ليقال: القُوَّةُ والأداء، وقال عبِيْدَةُ السَّلْمانيُّ: الخير هو: الصلاح في الدِّين.

وقوله تعالى: ﴿وآتوهم﴾ قال المفسرون: هو أمر لكل مُكَاتِب أنْ يضع عن العبد من مال كتابته، ورأى مالك هذا الأمر على النَّدْبِ، ولم يَرَ لقدر الوضيعة حَدًّا، واستحسن[١] عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه أن يُوضَعَ عنه الرُّبُعُ، وقيل: الثُّلُثُ، وقيل: العشر، ورأى عمر[٢] أنْ يكون ذلك من أوَّلِ نُجُومِهِ؛ مبادرةً إلى الخير، وخوفَ ألاَّ يدركَ آخرها، ورأى مالك وغيره: أنْ يكونَ الوضعُ من آخر نَجْمٍ؛ وعِلَّةُ ذلك أنَّه: ربما عجز العبدُ فرجع هو وماله إلى السَّيِّدِ، فعادت إليه وضيعته وهي شبهُ الصدقة.

قلت: والظاهر أنَّ هذا لا يُعَدُّ رجوعاً كما لو رجع إليه بالميراث، ورأى الشافعيُّ وغيره: أنَّ الوضيعة واجبة يُحكَمُ بها.

وقال الحسن[٣] وغيره: الخطاب بقوله تعالى: ﴿وآتوهم﴾: للناس أجمعين في أَنْ يتصدَّقُوا على المكاتَبِينَ.

وقال زيد بن أسلم[٤]: إنَّما الخطاب لولاة الأمور.

وقوله سبحانه: ﴿ولا تُكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً﴾ الآية: رُوِيَ أَنَّ سبب الآية هو أن عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سلولَ كانت له أَمَةٌ، فكان يأمرُها بالزنا والكَسْبِ به، فشكَتْ ذلك إلى النبيِّ ﷺ، فنزلت الآية فيهِ، وفيمن فَعَلَ فعلَه من المنافقين[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٣١٥) برقم (٢٦٠٤٦، ٢٦٠٤٧، ٢٦٠٤٨، ٢٦٠٤٩)، وابن عطية (٤/ ١٨١)، والسيوطي (٥/ ٨٣) وعزاه لأبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب، وعزاه أيضاً في رواية أخرى لعبد الرزاق، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والديلمي، وابن المنذر، والبيهقي، وابن مردويه.

(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ١٨١).

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٣١٧) برقم (٢٦٠٦٦)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٨٢)، والسيوطي (٥/ ٨٣)، وعزاه لعبد بن حميد عن الحسن.

(٤) ذكره ابن عطية (٤/ ١٨٢)، والسيوطي (٥/ ٨٣)، وعزاه لابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم.

(٥) أخرجه الطبري (٩/ ٣١٨) برقم (٢٦٠٧٣)، وذكره البغوي (٣/ ٣٤٤)، وابن عطية (٤/ ١٨٢)، والسيوطي (٥/ ٨٤)، وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي.

وقوله: ﴿إن أردن تحصناً﴾ راجع إلى الفتيات؛ وذلك أَنَّ الفتاةَ إذا أرادت التَّحَصُّنَ فحينئذ يمكن ويُتَصَوَّرُ أَنْ يكونَ السيد مُكْرِهاً، ويمكن أن يُنْهىٰ عن الإكراه، وإذا كانت الفتاة لا تريد التحصنَ فلا يُتَصَوَّرُ أَنْ يُقَالَ للسيد: لا تُكْرِهها: لأَنَّ الإكراه لا يُتَصوَّرُ فيها وهي مريدة للفساد، فهذا أمر في سادة وفتياتٍ حالُهم هذه، وذهب هذا النظرُ عن كثير من المفسرين / : فقال بعضُهم: قولُه: ﴿إن أردن﴾ راجعٌ إلى الأيامى في قوله: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾، وقال بعضهم: هذا الشرط في قوله: ﴿إن أردن﴾ مَلْغِيٌّ ونحو هذا مِمَّا هو ضعيف، والله الموفق للصواب برحمته. ٣٨ ب

قلت: وما اختاره ﷺع[1]ﷺ هو الذي عَوَّلَ عليه ابن العرَبيِّ[2] وَنَصَّهُ، وإنما ذكر الله تعالى إرادة التَّحَصُّنِ من المرأة؛ لأَنَّ ذلك هو الذي يصور الإكراه، فأَمَّا إذا كانت هي راغبة في الزنا، لم يتحصل الإكراه فحصلوه إنْ شاء الله، انتهى من «**الأحكام**» وقرأ ابن مسعود[3] وغيره: «فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ [لَهُنَّ][4] غَفُورٌ رَحِيمٌ» ثم عَدَّد سبحانه نِعَمَهُ على المؤمنين في قوله: ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم﴾ ليقع التحفظ مِمَّا وقع أولئك فيه.

﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٣٥) فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ (٣٧)﴾.

---

(١) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (١٨٢/٤).

(٢) ينظر: «**أحكام القرآن**» (١٣٨٦/٣).

(٣) وقرأ بها ابن عباس، وسعيد بن جبير.
قال أبو الفتح: اللام في «لهن» متعلقة بـ «غفور»؛ لأنها أدنى إليها، ولأن فعولا أقعد في التعدي من فعيل، فكأنه قال: فإن الله من بعد إكراههن غفور لهن. ويجوز أن تكون أيضاً متعلقة بـ «رحيم»، وذلك أن ما لا يتعدى قد يتعدى بحرف الجر؛ ألا تراك تقول: هذا مارٌّ بزيد أمس، فتعمل اسم الفاعل، وهو لما مضى؟ فكذلك يجوز تعلق اللام في «لهن» بنفس «رحيم».
ينظر: «**المحتسب**» (١٠٨/٢)، و«**الكشاف**» (٢٤٠/٣)، و«**المحرر الوجيز**» (١٨٢/٤)، وزاد نسبتها إلى جابر بن عبد الله.

(٤) سقط في جـ.

وقوله تعالى: ﴿اللّه نور السموات والأرض...﴾ الآية: النور في كلام العرب الأضواء المُدْرَكَةُ بالبصر، ويُسْتَعْمَلُ مجازاً فيما صَحَّ من المعاني ولاح؛ فيقال: كلام له نور، ومنه الكتاب المنير، واللّه تعالى ليس كمثله شيء فواضح أَنَّهُ ليس من الأضواء المُدْرَكَةِ، ولم يبقَ إلاَّ أَنَّ المعنى مُنَوِّرُ السموات والأرض، أي: به وبقدرته أنارت أضواؤها، واستقامت أمورها، كما تقول: الملك نور الأمة، أي: به قِوام أمورها وصلاحُ جملتها، والأمر في الملك مجاز، وهو في صفة اللّه تعالى حقيقة مَحْضَةٌ، وقرأ[١] أبو عبد الرحمن السلمي وغيره: «اللّه نَوَّرَ» ـ بفتح النون والواو المشددة وفتح الراء ـ والضمير في ﴿نوره﴾ يعود على اللّه تعالى؛ قاله جماعة، وهو إضافة خلق إلى خالق، كما تقول: ناقة اللّه، وبيت اللّه، ثم اختلفوا في المراد بهذا النور، فقيل: هو محمد ﷺ، وقيل: هو المؤمن، وقيل: هو الإيمان والقرآن، وفي قراءة أُبَيِّ بن كعب: «مَثَلُ نُورِ المُؤْمِنِينَ» والمشكاة: هي الكُوَّةُ غير النافذة فيها القنديل ونحوه، وهذه الأقوال الثلاثة يَطَّرِدُ فيها مقابلة جزء من المثال بجزء من المُمَثَّلِ، فعلى قول مَنْ قال: المُمَثَّلُ محمد ﷺ ـ وهو قول كعب الأحبار ـ فرسولُ اللّه ﷺ هو المشكاةُ أو صدره، والمصباح هو النبوة وما يَتَّصِلُ بها من علمه وهداه، والزجاجة: قلبه، والشجرة المباركة: هي الوحي، والزيت: هو الحجج والبراهين. وعلى قول مَنْ قال: إنَّ المُمَثَّلَ به هو المؤمن ـ وهو قول أُبَيِّ بن كعب[٢] ـ، فالمشكاة صدره، والمصباح: الإيمان والعلم، والزجاجة: قلبه، والشجرة القرآن، وزيتها: هو الحجج، والحكمة التي تضمنها قولُ أُبَيٍّ فهو على أحسن الحال يمشي في الناس كالرجل الحي في قبور الأموات، وتحتمل الآية معنى آخر، وهو أَنْ يريدَ: مَثَلُ نورِ اللّه الذي هو هداه في الوضوح كهذه الجملة من النور، الذي تتخذونه أنتم على هذه الصفة؛ التي هي أبلغ صفات النور، الذي هو بين أيديكم أَيُّها البشر؛ وقال أبو موسى: المشكاة: الحديدة أو الرَّصَاصَةُ التي يكون فيها القنديل في جوف الزجاجة، والأَوَّلُ أَصَحُّ.

(١) وقرأ بها عبد اللّه بن أبي ربيعة.
ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٤/ ١٨٣)، و**«البحر المحيط»** (٦/ ٤١٨)، وزاد نسبتها إلى علي بن أبي طالب، وأبي جعفر، وعبد العزيز المكي، وزيد بن علي، وثابت بن أبي حفصة، والقورصي، ومسلمة بن عبد الملك.
وينظر: **«الدر المصون»** (٥/ ٢١٩).

(٢) أخرجه الطبري(٢٦٠٨٨)، وذكره البغوي (٣/ ٣٤٥)، وابن عطية (٤/ ١٨٣)، وابن كثير (٣/ ٢٨٩)، والسيوطي (٥/ ٨٧) وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والحاكم وصححه عن أبيّ بن كعب.

وقوله: ﴿في زجاجة﴾ لأنَّه جسم شَفَّافٌ، المصباحُ فيه أنور منه في غير الزجاجة، والمصباح: الفتيل بناره.

١٣٩أ وقوله: ﴿كأنه كوكب دري﴾ أي / في الإنارة والضوء، وذلك يحتمل معنيين: إمَّا أَنْ يريد أَنَّها بالمصباح كذلك، وإمَّا أنْ يريد أَنَّها في نفسها؛ لصفائها وجودة جوهرها، وهذا التأويل أبلغ في التعاون على النور؛ قال الضَّحَّاكُ: الكوكب الدُّرِّيُّ: الزهرة[١].

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو[٢]: «تَوَقَّدَ» ـ بفتح التاء والدال ـ، والمراد: المصباح، **وقرأ** نافع وغيره: «يُوقَدُ» أي: المصباح.

وقوله: ﴿من شجرة﴾ أي من زيت شجرة، والمباركة: المُنَمَّاةُ.

وقوله تعالى: ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ قال الحسن[٣]: أي: ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا؛ وإنَّما هو مَثَلٌ ضربه اللّه تعالى لنوره، ولو كانت في الدنيا لكانت إمَّا شرقِيَّةً وإمَّا غربِيَّةً، وقيل غيرُ هذا.

وقوله سبحانه: ﴿يكاد زيتها يضيء. . .﴾ الآية مبالغة في صفة صفائه وحُسْنِهِ.

وقوله: ﴿نور على نور﴾ أي: هذه كلها ومعان تكامل بها هذا النورُ المُمَثَّلُ به، وفي هذا الموضع تمَّ المثالُ، وباقي الآية بَيِّنٌ.

وقوله تعالى: ﴿في بيوت أذن اللّه أن ترفع﴾ قال ابن عباس وغيره[٤]: هي المساجد المخصوصةُ بعبادة اللّه التي من عادتها أنْ تَنَوَّرَ بهذا النوع من المصابيح. وقوله: ﴿أذن اللّه﴾: بمعنى: أمر وقضى، و﴿ترفع﴾ قيل: معناه تُبْنَى وتُعَلَّى؛ قاله مجاهد[٥] وغيره؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ. . .﴾ [البقرة: ١٢٧].

---

(١) ذكره ابن عطية (٤/ ١٨٤)، والسيوطي (٥/ ٨٩)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم عن الضحاك.

(٢) ينظر: **«السبعة»** (٤٥٥ ـ ٤٥٦)، و**«الحجة»** (٥/ ٣٢٤)، و**«إعراب القراءات»** (٢/ ١٠٩)، و**«معاني القراءات»** (٢/ ٢٠٧)، و**«شرح الطيبة»** (٥/ ٩٠)، و**«العنوان»** (١٣٩)، و**«حجة القراءات»** (٥٠٠)، و**«شرح شعلة»** (٥١٤) و**«إتحاف»** (٢/ ٢٩٨).

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٣٢٧) برقم (٢٦١٢٤)، وذكره البغوي (٣/ ٣٤٧) وابن عطية (٤/ ١٨٥)، والسيوطي (٥/ ٩٠)، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن الحسن.

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٣٢٩) برقم (٢٦١٢٩، ٢٦١٣٠)، وذكره البغوي (٣/ ٣٤٨)، وابن عطية (٤/ ١٨٥)، والسيوطي (٥/ ٩٠)، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٥) أخرجه الطبري (٩/ ٣٢٩) برقم (٢٦١٣١، ٢٦١٣٢، ٢٦١٣٣)، وذكره البغوي (٣/ ٣٤٨)، وابن عطية (٤/ ١٨٦)، والسيوطي (٥/ ٩١)، وعزاه لعبد بن حميد عن مجاهد.

وقال الحسن[١]: معناه تُعظَّم ويُرْفَعُ شأنها، وذكر اسمه تعالى هو بالصلاة والعبادة قولاً وفعلاً، و﴿يسبح له فيها﴾ أي: في المساجد، ﴿بالغدو والآصال﴾ قال ابن عباس[٢]: أراد ركعتي الضُّحَى. [والعصر، وإِنَّ ركعتي الضحى][٣] لفي كتاب اللّه وما يغوص عليها إلاَّ غوَّاصٌ؛ ثم وصف تعالى المسبحين بأنهم لمراقبتهم أمرَ اللّه تعالى وطلبهم رضاه، لا يشغلهم عن الصلاة وذكرِ اللّه شيءٌ من أمور الدنيا.

قلت: وعن عمر ـ رضي اللّه عنه ـ أنَّ النبي ﷺ قال: «يُجْمَعُ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، ويُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ: سَيَعْلَمُ أَهْلُ الْجَمْعِ لِمَنِ الْكَرَمُ الْيَوْمَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْنَ الَّذِينَ كَانَتْ ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦]، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْنَ الَّذِينَ كَانُوا ﴿لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ إلى آخر الآية، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: سَيَعْلَمُ أَهْلُ الجَمْعِ لِمَنِ الكَرَمُ اليَوْمَ، ثُم يَقُولُ: أَيْنَ الحَمَّادُونَ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ رَبَّهمْ؟» مختصراً[٤] رواه الحاكم في «**المستدرك على الصحيحين**» وله طرق عن أبي إسحاقَ، انتهى من «**السلاح**»، ورواه أيضاً ابن المبارك من طريق ابن عباس قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ نَادَىٰ مُنَادٍ: سَتَعْلَمُونَ اليَوْمَ مَنْ أَصْحَابُ الكَرَمِ، لِيَقُم الحَامِدُونَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَيَقُومُونَ، فَيُسَرَّحُونَ إِلَى الجَنَّةِ، ثُمَّ يُنَادِي ثَانِيَةً: سَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الكَرَمِ؛ لِيَقُم الَّذِينَ كَانَتْ جُنُوبُهُمْ تَتَجَافَىٰ عَنِ المَضَاجِعِ؛ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ؛ قَالَ: فَيَقُومُونَ، فَيُسَرَّحُونَ إِلى الجنَّة، ثُمَّ يُنَادِي ثَالِثَةً: سَتَعْلَمُونَ اليَوْمَ مَنْ أَصْحَابُ الكَرَمِ؛ لِيَقُم الَّذِينَ كَانَتْ: ﴿لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ فيقُومُونَ، فَيُسَرَّحُونَ إِلَى الجَنَّة». انتهى من «**التذكرة**». والزكاة هنا عند ابن عباس: الطاعة للّه[٥].

وقال الحسن[٦]: هي الزكاةُ المفروضة في المال، واليوم المخوف: هو يوم القيامة،

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٣٣٠) برقم (٢٦١٤١)، وذكره البغوي (٣/ ٣٤٨)، وابن عطية (٤/ ١٨٦)، والسيوطي (٥/ ٩١)، وعزاه لعبد الرزاق عن الحسن.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٣٣١) برقم (٢٦١٤٤)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٨٦)، والسيوطي (٥/ ٩٣)، وعزاه لابن أبي شيبة، والبيهقي في «**شعب الإيمان**» عن ابن عباس.

(٣) سقط في جـ.

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٩٩) من حديث عقبة بن عامر الجهني.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح، وله طرق عن أبي إسحاق ووافقه الذهبي.

(٥) أخرجه الطبري (٩/ ٣٣٢) برقم (٢٦١٥٣)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٨٦).

(٦) ذكره ابن عطية (٤/ ١٨٦).

ومعنى الآية: إنَّ ذلك اليوم لِشِدَّةِ هوله القلوبُ والأبصارُ فيه مضطربةٌ قِلِقَةٌ متقلبة.

/قلت: ومن «**الكلم الفارقية**»: سعادة القلبِ إقباله على مُقَلِّبِهِ والعالِم بحال مَآله ٣٩ ب
ومُنْقَلَبِهِ، القلوبُ بحارٌ جواهرُها المعارفُ، وسواحلها الألسنة وغواصها الفكرة النافذة، غَوَّاصُ بحر الصُّوَرِ يغوصُ بصورته في طلب مكسبه، والعارِفُ يغوص بمعنى قلبه في بحار غَيْبِ رَبِّهِ، فيلتقط جواهرَ الحكمة ودُرَرَ الدِّرَايَةِ، قلوبُ العارفين كالبحار، تنعقد في أصداف ضمائرهم جواهِرُ المعارف والأسرار، القلوب كالأراضي إلى من أسلمت إليه قلبك بذر فيه ما عنده، أَمَّا مَنْ بذر نفسه ووسواسه العفن المسوس، أو بذر فيه معرفته بالرب المقدس، انتهى.

قلت: فإنْ أردت سلامتك في ذلك اليوم فليكن قلبك الآن مقبلاً على طاعة مولاك؛ فإنه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلاَّ مَنْ أَتَى اللّه بقلب سليم.

قال الواحِدِيُّ: تتقلب فيه القلوبُ بين الطمع في النجاة والخوفِ من الهلاك، والأبصارُ تتقلَّبُ في أيِّ ناحية يؤخذ بهم أذاتَ اليمين أم ذاتَ الشمال، ومن أيِّ جهة يُؤتون كتبَهم، انتهى.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ليجزيهم﴾ أي فعلوا ذلك ليجزيهم «أحسن ما عملوا» أي: ثواب أحسن ما عملوا، ولمَّا ذكر تعالى حالة المؤمنين وتنويره قلوبَهم عَقَّبَ ذلك بذكر الكَفَرَةِ وأعمالهم، فقال: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة﴾ وهي جمع قاعٍ، والقاع: المنخفض البساط من الأرض، ويريد بـ ﴿جاءه﴾: جاء موضعه الذي تَخَيَّلَهُ فيه، ويحتمل أنْ يعودَ الضمير في: ﴿جاءه﴾ على السراب ثم يكون في الكلام بعد ذلك متروك يَدُلُّ عليه الظاهر تقديره: فكذلك الكافر يومَ القيامة، يَظُنُّ عملَه نافعاً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.

وقوله: ﴿ووجد اللّه عنده﴾ أي بالمجازات والضمير في ﴿عنده﴾ عائد على العَمَلِ، وباقي الآية وعيدٌ بَيِّنٌ.

وقوله تعالى: ﴿أو كظلمات﴾ عطف على قوله: ﴿كسراب﴾ وهذا المثال الأخير تضمن صفة أعمالهم في الدنيا، أي أنَّهم من الضلال في مثل هذه الظلمات المجتمعة من هذه الأشياء، وذهب بَعْضُ الناس إلى أنَّ في هذا المثال أجزاءَ تقابل أجزاءً من المُمَثَّلِ به فقال: الظلمات: الأعمال الفاسدة والمُعْتَقَدَاتُ الباطلة، والبحر اللُّجِّيُّ: صَدْرُ الكافر وقلبه، واللجي معناه: ذو اللجة وهي مُعْظَمُ الماء وغَمْره، واجتماع ما به أَشَدُّ لظلمته، والموج: هو الضلال والجهالة التي قد غمرت قلبه، والسحاب هو شهوتُه في الكفر وإعراضه عن الإيمان.

قال «ع»[1]: وهذا التأويل سائغ وألاَّ يُقَدَّرُ هذا التقابل سائغ.

وقوله: ﴿إذا أخرج يده لم يكد يراها﴾ لفظ يقتضي مبالغةَ الظلمة، واخْتُلِفَ في هذه اللفظة، هل معناها أَنَّهُ لم يريده البتَّة؟ أو المعنى أَنَّه رآها بعد عُسْرٍ وشِدَّةٍ وكاد ألاَّ يراها، ووجه ذلك أَنَّ «كاد» إذا صَحِبَهَا حرف النفي، وَجبَ الفعل الذي بعدها، وإِذا لم يصحبها انتفى الفعل، وكاد معناها: قارب.

وقوله تعالى: ﴿ومن لم يجعل اللّه له نوراً فما له من نور﴾ قالت فرقة: يريد في الدنيا، أي: مَنْ لم يهده اللّه لم يَهْتَدِ، وقالت فرقة: أراد في الآخرة، أي: مَنْ لم يرحمه اللّه ويُنَوِّرُ حاله بالمغفرة والرحمة فلا رحمة له.

٤٠ أ قال «ع»[2]: والأَوَّل أبينُ / وأليق بلفظ الآية، وأيضاً فذلك متلازم، ونور الآخرة إِنَّمَا هو لمن نُوِّرَ قلبه في الدنيا.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن اللّه يسبح له من في السمٰوات والأرض...﴾ الآية: الرؤية هنا قلبية، والتسبيح: التنزيه والتعظيم، والآية عامَّةٌ عند المفسرين لكُلِّ شيء من العقلاء والجمادات.

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/١٨٨).
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/١٨٨).

وقوله تعالى: ﴿كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾ قال الزَّجَّاجُ[١] وغيره: المعنى: كُلٌّ قد علم [الله][٢] صَلاَتَهُ وتَسْبِيحَهُ.

وقال الحسن[٣]: المعنى: كُلٌّ قد علم صلاة نفسه وتسبيح نفسه.

وقالت فرقة: المعنى: كل قد علم صلاةَ اللّهِ وتسبيحَ اللّهِ اللَّذَيْنِ أمر بهما وهدى إِليهما، فهذه إِضافة خَلْقٍ إِلى خالقٍ، وباقي الآية وعيد، و﴿يزجي﴾ معناه: يسوق، والرُّكام، الذي يركب بَعْضُه بعضاً ويتكاثف، والودق: المطر، قال البخارِيُّ: ﴿من خلاله﴾ أي: من بين أضعاف السحاب، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿وينزل من السماء من جبال فيها من برد﴾ قيل: ذلك حقيقةٌ، وقد جعل اللّه في السماء جبالاً من بَرَدٍ، وقالت فرقة: ذلك مجازٌ، وإِنَّما أراد وصف كثرته، وهذا كما تقول: عند فلان جبال من مال وجبال من العلم.

قلت: وحَمْلُ اللفظ على حقيقته أولى إِنْ لم يمنع من ذلك مانع، ومن كتاب «**الفرج بعد الشدة**» للقاضي أبي علي التنوخي، أحد الرواة عن أبي الحسن الدَّارَقُطْنِيِّ والمُخْتَصِّينَ به ـ قال: أخبرنا أبو بكر الصوليُّ عن بعض العلماء قال: رأيتُ امرأةً بالبادية، وقد جاء البَرَدُ فذهب بزرعِها، فجاء الناس يُعَزُّونَها، فرفعت رأسها إِلى السماء، وقالت: اللهم أنتَ المَأْمُولُ لأَحْسَنِ الخَلَفِ وبيدك التعويضُ مِمَّا تَلِفَ، فافعل بنا ما أَنْتَ أهله، فإِنَّ أرزاقنا عليك وآمالنا مصروفة إِليك، قال: فلم أبرحْ حتى مَرَّ رجل من الأَجِلاَّءِ، فحُدِّث بما كان؛ فوَهَبَ لها خَمْسِمائَة دينارٍ، فأجاب اللّه دعوتها وفَرَّجَ في الحين كربتها، انتهى. والـ﴿سنا﴾ مقصوراً: الضوءُ، وبالمد: المَجْدُ، والباء في قوله ﴿بالأبصار﴾ يحتمل أنْ تكون زائدة.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ

(١) ينظر: «**معاني القرآن**» (٤/ ٤٨).
(٢) سقط في جـ.
(٣) ذكره ابن عطية في «**المحرر الوجيز**»(٤/ ١٨٩).

لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾ الآية آية اعتبار، والدابة: كُلُّ ما دَبَّ من جميع الحيوان، وقوله: ﴿من ماء﴾ قال الجمهور: يعني أنَّ خلْقَةَ كُلِّ حيوان فيها ماء؛ كما خُلِقَ آدمُ من الماء والطين، وقال النقاش: أراد منيَّ[1] الذكورِ، والمشي على البطن: للحَيَّاتِ، والحُوتِ، والدُّودِ، وغيره، وعلى رجلين: للإنسان، والطَّيْرِ إذا مشى، وعلى أربع لسائر الحيوان، وفي مصحف أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ: «وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي[2] عَلَى أَكْثَرَ» فعَمَّمَ بهذه الزيادة جميعَ الحيوان.

وقوله تعالى: ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات﴾ يَعُمُّ كل ما نصب الله تعالى من آية.

وقوله تعالى: ﴿ويقولون﴾ يعني المنافقين؛ رُوِيَ أَنَّ رجلاً من المنافقين اسمه بشر دعاه يهوديٌّ إلى التحاكُم عند النَّبِيِّ ﷺ وكان المنافق مُبْطِلاً، فَأبى، ودعا اليهوديَّ إلى كعب بن الأشرف، فنزلت هذه الآية، فيه، والحيف: المَيْلُ.

وقوله سبحانه: ﴿إنما كان قول المؤمنين...﴾ الآية المعنى: إنَّما كان الواجب أنْ يقوله المؤمنون إذا دُعوا إلى حكم الله ورسوله ـ سَمِعْنَا وأطعنا.

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَـٰغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾.

٤٠ ب وقولُهُ سبحانه: ﴿ومن يُطِعِ/ اللّه ورسوله ويخش اللّه ويتقه فأولئك هم الفائزون﴾ قال الغزاليُّ في «**المنهاج**»: التقوى في القرآن تُطْلَقُ على ثلاثة أشياء:

أحدها: بمعنى الخشية والهيبة؛ قال اللّه عز وجل: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١]. وقال سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١].

والثاني: بمعنى الطاعة والعبادة؛ قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. قال ابن عباس: أطيعوا اللّه حَقَّ طاعته، وقال مجاهد: هو أَنْ يُطَاعَ فلا يُعْصَى، وأنْ يُذْكَرَ فلا يُنْسَى، وأنْ يُشْكَرَ فلا يُكْفَرَ.

---

(١) في جـ: أراد منية.

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ١٩١)، و «**البحر المحيط**» (٦/ ٤٢٨).

والثالث: بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب، وهذه هي الحقيقة في التقوى دون الأَوَلَيَيْنِ؛ أَلا ترى أَنَّ اللّه تعالى يقول: ﴿ومن يطع اللّه ورسوله ويخش اللّه ويتقه فأولئك هم الفائزون﴾ ذَكَرَ الطاعة والخشية ثم ذكر التقوى، فعلمتَ أَنَّ حقيقة التقوى معنى سوى الطاعةِ والخشيةِ، وهي تنزيهُ القلب عن الذنوب، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿وأقسموا باللّه جهد أيمانهم...﴾ الآية: جهد اليمين: بلوغُ الغاية في تعقيدها، و﴿ليخرجن﴾ معناه: إلى الغزو، وهذه في المنافقين الذين تولوا حين دُعُوا إلى اللّه ورسوله.

وقوله تعالى: ﴿قل لا تقسموا طاعة معروفة﴾ يحتمل معاني:

أحدها: النهي عن القَسَمِ الكاذب؛ إِذ قد عُرِفَ أَنَّ طاعتهم دغلة فكأنه يقول: لا تغالطوا فقد عُرِفَ ما أَنْتُمْ عليه.

والثاني: أَنَّ المعنى: لا تتكلَّفُوا القَسَمَ؛ فطاعة معروفة على قدر الاستطاعة أَمْثَلُ وأجدر بكم، وفي هذا التأويل إِبقاءٌ عليهم، وقيل غير هذا.

وقوله: ﴿تولوا﴾ معناه: تتولوا، والذي حمل النبي ﷺ هو التبليغُ، والذي حمل الناس هو السمعُ والطاعة واتباع الحق، وباقي الآية بَيِّنٌ.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وعد اللّه الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم...﴾ الآيةُ عامَّةٌ لأُمَّةِ نَبِيِّنا محمد ﷺ في أَنْ يُمَلِّكَهُمُ اللّه البلادَ كما هو الواقع، فسبحانه ما أصدقَ وعده! وقال الضَّحَّاكُ في كتاب **«النقاش»**[1]: هذه الآية تتضمن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي اللّه عنهم، والصحيح في الآية أَنَّها في استخلاف الجمهور، واللام في ﴿ليستخلفنهم﴾ لأم القَسَم.

وقوله: ﴿يعبدونني﴾ فعل مستأنف، أي: هم يعبدونني.

(١) ذكره ابن عطية (٤/١٩٣).

وقوله: ﴿ومن كفر﴾ يحتمل أنْ يريدَ كفر هذه النعم، ويحتمل الكفر المُخْرِجَ عن المِلَّةِ عياذاً باللّه من سخطه! وباقي الآية بَيِّنٌ مِمَّا تقدم في غيرها.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿يأيُّها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت إيمانكم﴾ الآية: قيل: «الذين ملكت أيمانهم»: الرجال والنساء، ورَجَّحَهُ الطبريُّ، وقيل: الرجال خاصة، وقيل: النساء خاصَّةً، ومعنى الآية عند جماعة من العلماء: أَنَّ اللّه تعالى أَدَّبَ عباده بأنْ يكونَ العبيدُ والأطفالُ الذين عقلوا معاني الكَشَفَةِ ونحوها ـ يستأذنون على أهليهم في هذه الأوقات الثلاثِ، وهي الأوقات التي تقتضي عادَةُ الناس الانكشافُ فيها وملازَمَةُ التَّعَرِّي في المضاجع، وهي: عند الصباح، وفي وقت القائلة وهي الظهيرة؛ لأَنَّ النهار يظهر فيها إذا علا واشْتَدَّ حَرُّهُ، وبعدَ العشاء؛ لأَنَّهُ وقتُ التعرِّي للنوم، وأما في غير هذه الأوقات فالعُرْفُ
٤١ أ من الناس التَّحَرُّزُ/ والتَّحَفُّظُ فلا حرجَ في دخول هذه الصنيفة بغير إذن؛ إذ هم طَوَّافون يمضون ويجيئون، لا يجد الناس بُدًّا من ذلك.

وقوله: ﴿بعضكم على بعض﴾ بدل من قوله: ﴿طوافون﴾، و﴿ثلاث مرات﴾ نُصِبَ على الظرف؛ لأَنَّهم لم يُؤْمروا بالاستئذان ثلاثاً؛ وإِنَّما أُمِروا بالاستئذان في ثلاث مواطنَ، فالظرفية في ثلاث بَيِّنَة.

وقوله سبحانه: ﴿كذٰلك يبيِّن اللّه لكم الآيات واللّه عليم حكيم﴾ بَيِّنٌ للمتأمِّل.

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَـٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم...﴾ الآية: أَمَرَ تعالى في هذه الآية أَنْ يكونوا إذا بلغوا الحُلْمَ على حكم الرجال في الاستئذان في كل وقت، وهذا بيان من اللّه عز وجل.

وقوله تعالى: ﴿كذلك يبين اللّه لكم آياته واللّه عليم حكيم﴾ ـ بَيِّنٌ لا يحتاجُ إلى تفسير.

﴿والقواعد من النساء﴾: هن اللواتي قد أسْنَنَّ وقَعَدْنَ عن الوِلْدِ، واحدتهن قَاعِدٌ، وقال ربيعة: هي هنا التي تُسْتَقْذَرُ من كِبَرِهَا، قال غيره: وقد تَقْعُدُ المرأة عن الوِلْدِ وفيها مُسْتَمْتَعٌ، ولما كان الغالب من النساء أَنَّ ذواتَ هذا السِّنِّ لا مذهبَ للرجال فيهنَّ ـ أُبِيحَ لهنَّ ما لم يُبَحْ لغيرهنَّ، **وقرأ**[١] ابن مسعود وأُبَيٌّ: «أَنْ يَضَعْنَ مِنْ ثِيَابِهِنَّ» والعرب تقول: امرأة واضع للتي كَبُرَتْ، فوضعت خمارَها، ثم استثنى عليهن في وضع الثياب ألاَّ يقصدنَ به التَّبَرُّجَ وإبداءَ الزينة؛ فرُبَّ عجوزٍ يبدو منها الحِرْصُ على أَنْ يظهر لها جمال، والتبرج: طلب البُدُوِّ والظهورِ للعين، ومنه: بُرُوجٌ مُشَيَّدة، والذي أبيح وضعه لهن الجِلبابُ الذي فوق الخمار والرداء، قاله ابن مسعود[٢] وغيره، ثم ذكر تعالى أَنَّ تَحَفُّظَ الجميعِ مِنْهُنَّ، واستعفافَهُنَّ عن وضع الثياب، والتزامهنَّ ما يلتزم الشَّوَابُّ من الستر ـ أفضلُ لَهُنَّ وخير.

وقوله تعالى: «واللّه سميع عليم» أي: سميع لما يقول كُلُّ قائل وقائلة، عليم بمقصد كل أحد، وفي هاتين الصفتين توعد وتحذير.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦١)﴾.

وقوله تعالى: ﴿ليس على الأعمى حرج﴾ إلى قوله ﴿كذلك يبين اللّه لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ ظاهر الآية وأَمْرُ الشريعة: أَنَّ الحَرَجَ عنهم مرفوع في كل ما يضطرهم إليه العذر، وتقتضي نيتهم الإتيان به بالأكمل، ويقتضي العذر أَنْ يقعَ منهم الأنقص، فالحرج مرفوع عنهم في هذا، وللناس أقوال في الآية وتخصيصاتٌ يطول ذكرها، وذكر اللّه تعالى

(١) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٤/ ١٩٥).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٣٤٩) برقم (٢٦٢٠٦، ٢٦٢٠٧)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٩٥)، وابن كثير (٣/ ٣٠٤)، والسيوطي (٥/ ١٠٤)، وعزاه لعبد الرزاق، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والبيهقي في **«السنن»** عن ابن مسعود.

بيوتَ القراباتِ، وسقط منها بيوت الأبناء؛ فقال المفسرون: ذلك لأنَّها داخلة في قوله: ﴿من بيوتكم﴾ لأنَّ بيت ابن الرجل بيتُه.

وقوله تعالى: ﴿أو ما ملكتم مفاتحه﴾ يريد ما خزنتم وصار في قبضتكم، فمعظمه ما ملكه الرجلُ في بيته وتحت غلقه، وهو تأويل الضَّحَّاكِ ومجاهد[1]، وعند جمهور المفسرين: يدخل في الآية الوكلاءُ والعبيدُ والأُجراءُ بالمعروف. **وقرأ**[2] ابن جبير: «مَلَكْتُمْ مَفَاتِيحَهُ» مبنياً للمفعول وزيادة ياء بين التاء والحاء، وقَرَنَ تعالى في هذه الآية الصديقَ بالقرابة المَحْضَةِ الوكيدة؛ لأَنَّ قُرْبَ المودة لصيق؛ قال معمر: قلت لقتادَة: أَلاَ أشرب من هذا الجُبِّ؟ قال: أنت لي صديق، فما هذا الاستئذان؟[3] قال ابن عباس[4] في «**كتاب النقاش**»: الصديق أوكد من القرابة؛ ألا ترى استغاثة الجهنميين: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١].

وقوله تعالى: ﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً﴾: رَدٌّ لمذهب جماعة
٤١ ب من العرب كانت / لا تأكل أفذاذاً البتَّةَ، نحت به نحو كرم الخلق، فأفرطت في إلزامه، وأَنَّ إِحضار الأكيل لَحَسَنٌ ولكن بأَلاَّ يحرم الانفرادُ، قال البخاريُّ[5]: أشتاتاً وشتى واحد، انتهى.

وقال بعض أهل العلم: هذه الآية منسوخة بقوله عليه السلام: [«إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ»[6] الحديث، وبقوله تعالى: ﴿لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٣٥٣) برقم (٢٦٢٢٨) عن الضحاك، (٢٦٢٣٠) عن مجاهد، وذكره البغوي (٣/ ٣٥٨) عن الضحاك، وابن عطية (٤/ ١٩٦)، والسيوطي (٥/ ١٠٩)، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) ينظر: «**مختصر الشواذ**» ص (١٠٤)، و«**المحرر الوجيز**» (٤/ ١٩٦)، و«**البحر المحيط**» (٦/ ٤٣٤)، و«**الدر المصون**» (٥/ ٢٣٦).

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٣٥٤) برقم (٢٦٢٣١)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٩٦)، والسيوطي (٥/ ١٠٧)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة بنحوه.

(٤) ذكره ابن عطية (٤/ ١٩٦).

(٥) ينظر البخاري (٨/ ٣٠١) كتاب «التفسير»: باب سورة النور.

(٦) أخرجه البخاري (١/ ١٩٠) كتاب «العلم»: باب قول النبي ﷺ «رُبَّ مبلغ أوعى من سامع»، حديث (٦٧)، (١/ ٢٤٠) كتاب: العلم، باب: «ليبلِّغ العلم الشاهد الغائب»، حديث (١٠٥)، (٤/ ٦٧٠) كتاب «الحج»: باب الخطبة أيام منى، حديث (١٧٤١)، (٦/ ٣٣٨) كتاب «بدء الخلق»: باب ما جاء في سبع أرضين، حديث (٣١٩٧)، (٧/ ٧١١) كتاب «المغازي»: باب حجة الوداع، حديث (٤٤٠٦)، (١٠/ ١٠) كتاب «الأضاحي»: باب الأضحى يوم النحر، حديث (٥٥٥٠)، (١٣/ ٢٩) كتاب «الفتن»: باب =

الآية، وبقوله عليه السلام][١] من حديث ابن عمر: «لاَ يَحْلِبَنَّ أَحَدُكُمْ مَاشِيَةَ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِهِ...»[٢] الحديث.

قلت: والحق أَنْ لا نسخَ في شيءٍ مِمَّا ذُكِرَ، وسيأتي مزيد بيان لهذا المعنى.

وقوله سبحانه: ﴿فإذا دخلتم بيوتاً﴾: قال النَّخَعِيُّ: أراد المساجد[٣]، والمعنى: سَلِّمُوا على مَنْ فيها، فإِنْ لم يكن فيها أحد فالسلام أَنْ يقول: السلامُ على رسول اللّه ﷺ السلامُ علينا وعلى عبادِ اللّه الصالحين.

وقال ابن عباس[٤] وغيره: المراد البيوتُ المسكونة، أي: سلِّموا على مَنْ فيها، [قالوا: ويدخل في ذلك غيرُ المسكونة][٥]، ويُسَلِّم المرءُ فيها على نفسه بأَنْ يقول: السلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين.

قلت: وفي «سلاح المؤمن»، وعن ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿فإذا دخلتم بيوتاً

= قول النبي - ﷺ - «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض...»، حديث (٧٠٧٨)، (١٣/ ٤٣٣ـ ٤٣٤) كتاب «التوحيد»: باب قول اللّه تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾، حديث (٧٤٤٧)، ومسلم (٣/ ١٣٠٥ـ ١٣٠٧) كتاب «القسامة»: باب تغليظ تحريم الدماء، حديث (٢٩، ٣٠، ٣١/ ١٦٧٩)، وأبو داود (١/ ٥٩٩) كتاب «المناسك»: باب الأشهر الحرم، حديث (١٩٤٨)، وابن ماجه مختصراً (١/ ٨٥) المقدمة: باب من بلغ علماً، حديث (٢٣٣)، وأحمد (٥/ ٣٧، ٤٥، ٤٩)، وابن الجارود في «المنتقى» برقم (٨٣٣)، والبيهقي (٥/ ١٤٠) كتاب «الحج»: باب الخطبة يوم النحر، كلهم من طريق محمد بن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه مرفوعاً.

تنبيه: سقط من إسناد ابن الجارود «أبو بكرة» ولعله سهو من طابع أو ناسخ، فوقع محمد بن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال: خطبنا رسول اللّه ﷺ، وعبد الرحمن ليس هو القائل وليست له صحبة.

(١) سقط في جـ.

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٨٨) كتاب «اللقطة»: باب لا تحتلب ماشية أحد بغير إذنه، حديث (٢٤٣٥)، ومسلم (٣/ ١٣٥٢) كتاب «اللقطة»: باب تحريم حلب الماشية بغير إذن مالكها، حديث (١٣/ ١٧٢٦)، وأبو داود (٢/ ٤٦) كتاب «الجهاد»: باب فيمن قال: لا يحلب، حديث (٢٦٢٣) كلهم من طريق مالك، وهو في «الموطأ» (٢/ ٩٧١) كتاب «الاستئذان»: باب ما جاء في أمر الغنم، حديث (١٧) عن نافع عن ابن عمر به. وأخرجه أحمد (٢/ ٦) من طريق أيوب عن نافع عن ابن عمر، وأخرجه أيضاً (٢/ ٥٧) من طريق عبيد اللّه عن نافع عن ابن عمر بلفظ: نهى أن تحتلب المواشي بغير إذن أهلها. وأخرجه الحميدي في «مسنده» (٢/ ٣٠٠) رقم (٦٨٣) من طريق إسماعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر.

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٣٥٧) رقم (٢٦٢٤٧)، وذكره ابن عطية (٤/ ١٩٦).

(٤) ذكره السيوطي (٥/ ١٠٧)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عباس.

(٥) سقط في جـ.

فسلموا على أنفسكم﴾ قال: هو المسجدُ إذا دخلته فقل: السلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين»[١] رواه الحاكم في «المستدرك» وقال: صحيح على شرط الشيخين، يعني البخاريَّ ومسلماً، انتهى، وهذا هو الصحيح عن ابنِ عباس، وفَهِمَ النوويُّ أَنَّ الآية في البيوت المسكونة، قال: ففي الترمذيِّ عن أنس قال: قال لي النبيُّ ﷺ: «يَا بُنَيَّ، إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ، فَسَلِّمْ، يَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ»[٢] قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وفي أبي داودَ عن أبي أُمَامَةَ عن النبي ﷺ قال: «ثَلاَثَةٌ كُلُّهُمْ ضَامِنٌ عَلَى اللّهِ عز وجل: [رَجلٌ خَرَجَ غَازِياً فِي سَبِيلِ اللّهِ عز وجل][٣] فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللّهِ تعالى حَتَّى يَتَوَفَّاهُ فَيُدْخِلَهُ الجَنَّةَ أَوْ يَرُدَّهُ بما نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَرَجُلٌ رَاحَ إِلَى المَسْجِدِ؛ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللّهِ تعالى حَتَّى يَتَوَفَّاهُ فَيُدْخِلَهُ الجَنَّةَ أَوْ يَرُدَّهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ؛ وَرَجُلٌ دَخَلَ بَيْتَهُ بِسَلاَمٍ؛ فَهُو ضَامِنٌ عَلَى اللّهِ تعالى»[٤]، حديث حسن رواه أبو داودَ بإسناد حسن، ورواه آخرون، والضمان: الرعاية للشيء، والمعنى: أَنَّه في رعاية اللّه عز وجل، انتهى.
وقوله تعالى: ﴿تحية من عند اللّه مباركة﴾ وصفها تعالى بالبركة؛ لأَنَّ فيها الدعاءَ واستجلابَ مودَّةِ المسلم عليه.

قلت: وقد ذكرنا في سورة النساءِ: ما ورد في المصافحة من رواية ابن السُّنِّيِّ قال النووي: وَرُوِّينَا في «سنن» أَبي داودَ والترمذيِّ وابن ماجه عن البَرَاءِ بن عازِبٍ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلاَّ غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا»[٥] انتهى.
والكاف من قوله: ﴿كذلك﴾: كافُ تشبيهٍ؛ وذلك: إِشارة إلى هذه السنن.

وقال أيضاً بعضُ الناس في هذه الآية: أَنَّها منسوخة بآية الاستئذان المتقدمة.

قال *ع[٦]*: والنسخ لا يُتَصَوَّرُ في شيءٍ من هذه الآيات، بل هي مُحْكَمَةٌ، أَمَّا

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٣٥٧) برقم (٢٦٢٤٦)، وذكره البغوي (٣/ ٣٥٩)، والسيوطي (٥/ ١٠٨)، وعزاه لعبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي عن ابن عباس.
(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٩) كتاب «الاستئذان»: باب ما جاء في التسليم إذا دخل بيته، حديث (٢٦٩٨) من طريق علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أنس. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.
(٣) سقط في جـ.
(٤) أخرجه أبو داود (٢/ ١٠) كتاب «الجهاد»: باب فضل الغزو في «البحر»، حديث (٢٤٩٤)، والحاكم (٢/ ٧٣)، وابن حبان (٤١٦ـ موارد)، والبيهقي (٩/ ١٦٦) كتاب «السير»: باب فضل من مات في سبيل اللّه، من حديث أبي أمامة وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وصححه أيضاً ابن حبان.
(٥) تقدم تخريجه.
(٦) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٩٧).

قوله: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ [البقرة: ١٨٨] ففي التعدي والخدع ونحوه، وأمَّا هذه الآية ففي إباحة طعام هذه الأصناف التي يسرها ـ استباحَةُ طعامها على هذه الصفة، وأمَّا آية الإذن فعلة إيجاب الاستئذان خوف الكَشَفَةِ، فإذا استأذن المرءُ ودخل المنزل بالوجه المباح صَحَّ له بعد ذلك أكل الطعام بهذه الإباحة، وليس يكونُ في الآية نسخ فتأمله.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾.

وقوله / تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله...﴾ الآية: إنَّما هنا: ١٤٢أ للحصر، والأمر الجامع يُرَادُ به ما للإمام حاجة إلى جمع الناس فيه لمصلحة، فالأدب اللازم في ذلك ألاَّ يذهبَ أحد لعذرٍ إلاَّ بإذنه، والإمام الذي يُتَرَقَّبُ إذنه هو إمام الإمارة، وروي: أنَّ هذه الآية نزلت في وقت حَفْرِ النبي ﷺ خندقَ المدينة، فكان المؤمنون يستأذنون، والمنافقون يذهبون دون إذن، ثم أمر تعالى نَبِيَّهُ عليه السلام بالاستغفار لصنفي المؤمنين: مَنْ أَذِنَ له، ومَنْ لم يُؤْذن [له][(١)]. وفي ذلك تأنيس للمؤمنين ورأفة بهم.

وقوله تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾ أي: لا تخاطبوه كمخاطبة بعضكم لبعض، وأمرهم تعالى في هذه الآية وفي غيرها أنْ يدعوا رسول الله بأشرف أسمائه؛ وذلك هو مُقْتَضَى التوقير، فالأدب في الدعاء أنْ يقول: يا رسولَ اللّه، ويكون ذلك بتوقير وبرٍّ، وخفض صوت، قاله مجاهد[(٢)]، واللواذ: الرَّوَغَانُ، ثم أمرهم تعالى بالحذر من عذاب اللّه ونِقْمَتِهِ إذا خالفوا أمره ومعنى ﴿يخالفون عن أمره﴾ أي: يقع خلافهم بعد أمره، ثم أخبر تعالى أَنَّهُ قد علم ما أهلُ الأرض والسماء عليه، وباقي الآية بَيِّنٌ، والحمد للّه.

---

(١) سقط في جـ.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٣٦٠) برقم (٢٦٢٦٢، ٢٦٢٦٣)، وذكره البغوي (٣/ ٣٥٩)، وابن عطية (٤/ ١٩٨)، وابن كثير (٣/ ٣٠٦)، والسيوطي (٥/ ١١١)، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وسلم

تفسيرُ سُورَةِ الفُرْقَانِ

[وَهِيَ][(١)] مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن
دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿تبارك﴾ هو مطاوع «بارك» من البَرَكَةِ، و«بارك» فاعَل من واحد، ومعناه: زاد، و«تبارك»: فعل مُخْتَصٌّ باللّه تعالى، لم يُسْتَعْمَلْ في غيره، وهو صفة فعل، أي: كَثُرَت بركاته، ومن جملتها: إنزال كتابه الذي هو الفُرْقَانُ بين الحَقِّ والباطل.

والضمير في قوله: ﴿ليكون﴾، قال ابن زيد[(٢)]: هو لمحمد ﷺ وهو عبده المذكور، ويُحْتَمَلُ أن يكون للفرقان.

وقوله: ﴿وخلق كل شيء﴾ عامٌّ في كل مخلوق، ثم عَقَّبَ تعالى بالطعن على قريش في اتخاذهم آلهة ليست لها صفاتُ الألوهِيَّةِ. والنشور: بعث الناس من القبور.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا
﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى
يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾.

﴿وقال الذين كفروا﴾ يعني: قريشاً ﴿إن هذا إلا أفك افتراه﴾: محمد، ﴿وأعانه عليه قوم آخرون﴾ تقدمت الإشارة إلى ذلك في سورة النحل، ثم أكذبهم اللّه تعالى، وأخبر أَنَّهم

---

(١) سقط في جـ.
(٢) أخرجه الطبري (٩/٣٦٣) رقم(٢٦٢٦٩)، وذكره ابن عطية (٤/١٩٩).

ما جاؤوا إلاَّ إثماً وزوراً، أي: ما قالوا إلاَّ باطلاً وبُهْتَاناً؛ قال البخاريُّ[1]: ﴿تملى عليه﴾ تقرأ عليه؛ من أمليت وأمللت، انتهى. ثم أمر تعالى نَبِيَّه ـ عليه السلام ـ أنْ يقول: إنَّ الذي أنزله هو الذي يعلم سِرَّ جميع الأشياء التي في السموات والأرض، وعبارة الشيخ العارف بالله، سيدي عبد الله بن أبي جمرة (رضي الله عنه): ولما كان المرادُ مِنَّا بمُقْتَضَى الحكمة الرَّبَانِيَّةِ العبادَةُ ودوامُها؛ ولذلك خُلِقْنَا كما ذكر مولانا سبحانه في الآية الكريمة، يعني: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ الآية [الذاريات: ٥٦]. وهو عزل وجل غَنِيٌّ عن عبادتنا وعن كل شيء؛ لكن الحكمة اقتضته لأمرٍ لا يعلمه إلاَّ هو؛ كما قال الله عز وجل: ﴿الذي يعلم السر في السموات والأرض﴾ أي: الذي يعلم الحكمةَ في خلقها وكذلك في خَلْقِنَا وخَلْقِ جميعِ المخلوقات، انتهى.

﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾.

/ ﴿وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام. . .﴾ الآية: المعنى عندهم: أَنَّ مَنْ كان ٤٢ ب
رسولاً فهو مُسْتَغْنٍ عن الأكل والمشي في الأسواق، ومُحَاجَّتُهُمْ بهذا مذكورة في السِّيَرِ، ثم أخبر تعالى عن كفَّارِ قريش، وهم الظالمون المشار إليهم، أَنَّهم قالوا: ﴿إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً﴾ أي: قد سُحِرَ، ثُمَّ نَبَّهَ تعالى نَبِيَّهُ مُسَلِّيًا له عن مقالتهم فقال: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال. . .﴾ الآية، والقصور التي في هذه الآية تَأَوَّلَهَا الثعلبيُّ وغيره أَنَّها في الدنيا، والقصور هي البيوتُ المبنيَّةُ بالجدرات، لأَنَّها قصرت عن الداخلين والمستأذنين، وباقي الآية بَيِّنٌ، والضمير في ﴿رأتهم﴾ لجهنم.

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَـٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ مَا كَانَ

(١) ينظر: «صحيح البخاري» (٨/ ٣٤٨) كتاب «التفسير»: باب سورة الفرقان.

يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورٗا ﴿١٨﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿قل أذلك خير أم جنة الخلد﴾ المعنى: قل يا محمدُ لهؤلاء الكفرة الصائرين إلى هذه الأحوال من النار: أذلك خير أم جَنَّةُ الخلد، وهذا استفهام على جِهَةِ التوقيف والتوبيخ؛ لأنَّ الموقِفَ جائز له أنْ يُوقِفَ مُحَاوِرَهُ على ما شاء؛ ليرى هل يجيبه بالصواب أو بالخطإ.

وقوله تعالى: «ويوم نحشرهم» يعني الكفار، ﴿وما يعبدون من دون اللّه﴾ يريد كل شيء عُبِدَ من دون اللّه، **وقرأ** ابن[(١)] عامر: «فَنَقُولُ» بالنون، قال جمهور المفسرين: والموقف المجيب كل من ظلم بأن عُبِدَ مِمَّنْ يعقل كالملائكة وعيسى وعزير وغيرهم، وقال الضَّحَّاكُ وعِكْرِمَةُ: الموقف المجيب: الأصنام التي لا تَعْقِلُ يقدرها اللّه تعالى على هذه المقالة، ويجيء خزي الكفرة لذلك أبلغ[(٢)]، **وقرأ** الجمهور[(٣)]: «نَتَّخِذَ» ـ بفتح النون ـ، وذهبوا بالمعنى إلى أنَّه مِنْ قول مَنْ يَعْقِلُ، وأَنَّ هذه الآية بمعنى التي في سورة سبإ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلاَئِكَةِ﴾ الآية [سبأ: ٤٠]. وكقول عيسى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ [المائدة: ١١٧].

وقولهم: ﴿حتى نسوا الذكر﴾ أي: ما ذكر به الناس على ألسنة الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، **وقرأ** زيد بن ثابت[(٤)] وجماعة: «نُتَّخَذَ» ـ بضم النون ـ.

﴿فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ

---

(١) قال أبو علي الفارسي: وقراءة ابن عامر: «ويوم نحشرهم فنقول» حسن؛ لإجرائه المعطوف مجرى المعطوف عليه في لفظ الجمع، وقد قال: ﴿ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة﴾ [سبأ: ٤٠]، ﴿ويوم نحشرهم ثم نقول للذين أشركوا﴾ [الأنعام: ٢٢]، ﴿وحشرناهم فلم نغادر﴾ [الكهف: ٤٧].
ينظر: «**الحجة للقراء السبعة**» (٥/ ٣٣٨)، و«**السبعة**» (٤٦٣)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ١١٧)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ٢١٤)، و«**شرح الطيبة**» (٥/ ٩٣)، و«**العنوان**» (١٤٠)، و«**حجة القراءات**» (٥٠٩)، و«**شرح شعلة**» (٥١٧)، و«**إتحاف**» (٢/ ٣٠٦).

(٢) ذكره البغوي (٣/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤)، وابن عطية (٤/ ٢٠٤).

(٣) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٢٠٤)، و«**البحر المحيط**» (٦/ ٤٤٦)، و«**الدر المصون**» (٥/ ٢٤٧).

(٤) وقرأ بها أبو جعفر، والحسن، وأبو الدرداء، وأبو رجاء، ونصر بن علقمة، ومكحول، وزيد بن علي، وحفص بن حميد، والسلمي.
ينظر «**الشواذ**» ص (١٠٥)، و«**الكشاف**» (٣/ ٢٧٠)، و«**المحرر الوجيز**» (٤/ ٢٠٤)، و«**البحر المحيط**» (٦/ ٤٤٨)، و«**الدر المصون**» (٥/ ٢٤٧).

عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿فقد كذبوكم...﴾ الآية: خطابٌ من اللّه تعالى للكفرة، أخبرهم أنَّ مَعْبُودَاتِهم كذبتهم، وفي هذا الإخبار خِزيٌ وتَوْبِيخٌ لهم، وقرأ حفص عن عاصم: «فَمَا تَسْتَطِيعُونَ» ـ بالتاء من فوق ـ؛ قال مجاهد[1]: الضمير في «يستطيعون» هو للمشركين، و﴿صرفاً﴾ معناه رَدُّ التكذيب أو العذاب.

وقوله تعالى: ﴿ومن يظلم منكم﴾ قيل: هو خطاب للكُفَّارِ، وقيل: للمؤمنين، والظلم هنا: الشِّرْكُ، قاله الحسن[2] وغيره، وقد يحتمل أنْ يعم غيرَه من المعاصي، وفي حرف أُبَيٍّ: «وَمَنْ يَكْذِبْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً».

وقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين...﴾ الآية: رَدٌّ على قريش في قولهم: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾ ثم أخبر عز وجل أنَّ السبب في ذلك أنَّه جعل بعض عَبِيدَهُ فتنةً لبعض على العموم في جميع الناس مؤمن وكافر، والتوقيف بـ ﴿أَتَصْبِرون﴾ خَاصٌّ بالمُؤمنين المحققين، قال ابن العربي في «الأحكام»[3]: ولما كثر الباطل في الأسواق، وظهرت فيه المناكر ـ كَرِهَ علماؤُنا دخولَها لأرباب الفضل والمُقْتَدَى بهم في الدِّينِ؛ تنزيهاً لهم عن البقاع التي يُعْصَى اللّه تعالى فيها، انتهى. ثم أعرب قوله تعالى: ﴿وكان ربك بصيراً﴾ عن الوعد للصابرين والوعيد للعاصين، وعن عمر بن الخطاب ـ رضي اللّه عنه ـ أنَّ رسول اللّه ﷺ قال: «مَنْ دَخَلَ السُّوقَ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ وَحْدَهُ، لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ،
١٤٣أ بِيَدِهِ الخَيْرُ / وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ـ كَتَبَ اللّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ»[4]، رواه الترمذيُّ وابن ماجه، وهذا لفظ الترمذي، وزاد في رواية أخرى: «وَبَنَى لَهُ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ»، ورواه الحاكم في «المستدرك» من عدة طرق، انتهى من «السلاح».

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٣٧٥) برقم (٢٦٣٠٧، ٢٦٣٠٨)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٠٤)، والسيوطي (٥/ ١١٩)، وعزاه للفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٣٧٦) برقم (٢٦٣١٢) عن الحسن، و(٣٦٣١١) عن ابن جريج. وذكره ابن عطية (٤/ ٢٠٤)، والسيوطي (٥/ ١١٩)، وعزاه لعبد الرزاق عن الحسن.

(٣) ينظر: «أحكام القرآن» (٣/ ١٤١٤).

(٤) تقدم تخريجه في سورة آل عمران.

﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا...﴾ الآية: الرجاء هنا على بابه، وقيل: هو بمعنى الخوف، ولما تَمَنَّتْ كُفَّارُ قريش رؤيةَ رَبِّهِمْ أخبر تعالى عنهم أَنَّهم عَظَّمُوا أنفسهم، وسألوا ما ليسوا له بأهل.

ص ﴿لقد﴾ جواب قَسَم محذوف، انتهى. والضمير في قوله: ﴿ويقولون﴾ قال مجاهد[(١)]، وغيرُه: هو للملائكة، والمعنى: يقول الملائكة للمجرمين: حِجْراً محجوراً عليكم البُشْرَى، أي: حراماً مُحَرَّماً، والحِجْرُ: الحرامُ، وقال [مجاهد أيضاً][(٢)] وابن جريج[(٣)]: الضمير للكافرين المجرمين، قال ابن جريج: كانت العرب إذا كرهوا شيئاً، قالوا: حِجراً، قال مجاهد: حجراً عوذاً يستعيذون من الملائكة[(٤)].

قال *ع[(٥)]*: ويحتمل أنْ يكونَ المعنى: ويقولون حرام مُحَرَّمٌ علينا العَفْوُ، وقد ذكر أبو عبيدة أنَّ هاتين اللفظتين عوذة للعرب يقولها مَنْ خاف آخَرَ في الحَرَمِ، أو في شهرِ حرامٍ إذا لقيه وبينهما تِرَةٌ؛ قال الداوديُّ: وعن مجاهد[(٦)]: ﴿وقدمنا﴾ أي: عمدنا، انتهى.

قال *ع[(٧)]*: ﴿وقدمنا﴾ أي: قصد حكمنا وإنفاذنا ونحو هذا من الألفاظ اللائقة، ومعنى الآية: وقصدنا إلى أعمالهم التي لا تَزِنُ شَيْئاً فصيرناها هباءً، أي: شَيْئاً لا تحصيلَ له، والهباء: ما يتطايرُ في الهواء من الأجزاء الدقيقة ولا يكادُ يُرى إلاَّ في الشمس، قاله ابن

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٣٧٩) برقم (٢٦٣٢٢)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٠٦) عن الحسن، وقتادة، والضحاك ومجاهد، وابن كثير (٣/ ٣١٤)، والسيوطي (٥/ ١٢١) وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) سقط في جـ.

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٣٧٩) برقم (٢٦٣٢٣)، وذكره البغوي (٣/ ٣٦٥)، وابن عطية (٤/ ٢٠٦)، والسيوطي (٥/ ١٢١)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٣٧٩) برقم (٢٦٣٢١)، وذكره البغوي (٣/ ٣٦٥)، وابن عطية (٤/ ٢٠٦).

(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٠٦).

(٦) أخرجه الطبري (٩/ ٣٨٠) رقم (٢٦٣٢٤)، وذكره ابن كثير (٣/ ١٣٤).

(٧) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٠٦).

عباس[(١)] وغيره، ومعنى هذه الآية: جعلنا أَعمالهم لا حُكْمَ لها ولا منزلة، ووصف تعالى الهباء في هذه الآية بمنثور، ووصفه في غيرها بمُنْبَثٍّ، فقالت فرقة: هما سواء، وقالت فرقة: المُنْبَثُّ: أَرَقُّ وأَدَقُّ من المنثورِ؛ لأَنَّ المنثورَ يقتضي أَنَّ غيره نَثَرَهُ، والمُنْبَثَّ كأنه انبثَّ من دِقَّتِهِ.

وقوله تعالى: ﴿وأحسن مقيلاً﴾ ذهب ابن عباس والنَّخَعِيُّ وابن جريج: إلى أَن حساب الخلق يَكْمُلُ في وقت ارتفاع النهار، وَيَقِيلُ أهلُ الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، فالمقيل: القائلة[(٢)].

قال *ع*: ويُحْتَمَلُ أَنَّ اللفظة إِنَّما تضمنت تفضيلَ الجَنَّةِ جُمْلَةً، وحُسْنَ هوائها؛ فالعرب تفضِّل البلادَ بحُسنِ المقيل؛ لأَنَّ وقت القائلة يُبْدِي فسادَ هواء البلاد، فإِذا كان بلد في وقت فساد الهواء حسناً حاز الفضل، وعلى ذلك شواهد.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾.

﴿ويوم تشقق السماء﴾ يريد: يومَ القيامة.

ص: ﴿بالغمام﴾ الباء: للحال، أي: متغيمة، أو للسبب، أو بمعنى «عن»، انتهى. وفي قوله تعالى: ﴿وكان يوماً على الكافرين عسيراً﴾: دليل على أَنَّهُ سهل على المؤمنين، وروي عن النبي ﷺ أَنَّهُ قال: «إِنَّ اللّهَ لَيُهَوِّنُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى المُؤْمِنِ، حَتَّى يَكُونَ عَلَيْهِ أَخَفَّ مِنْ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ صَلاَّهَا فِي الدُّنْيَا». وعضُّ اليدين هو فعل النادم؛ قال ابن عباس وجماعةٌ من المفسرين: الظالم في هذه الآية عُقْبَةُ بْنُ أبي معيطٍ؛ وذلك أَنَّهُ كان أسلم أو جَنَحَ إِلى الإِسلام، وكان أُبَيُّ بنُ خَلَفٍ الذي قتله النبي ﷺ بيده يومَ أُحُدٍ خليلاً

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٣٨١) برقم (٢٦٣٣١)، وذكره البغوي (٣/ ٣٦٦)، وابن عطية (٤/ ٢٠٧)، والسيوطي (٥/ ١٢٢)، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس نحوه.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٣٨٢) برقم (٣٦٣٣٦) عن إبراهيم النخعي، (٣٦٣٣٧) وابن جريج، (٣٦٣٣٥) وابن عباس، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٠٧)، وابن كثير (٣/ ٣١٥) عن ابن عباس، والسيوطي (٥/ ١٢٣)، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس، وعزاه لابن المبارك، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، وأبي نعيم في **«الحلية»** عن إبراهيم النخعي.

لعُقْبَةَ، فنهاه عن الإسلام، فَقَبِلَ نَهْيَهُ؛ فنزلت الآية فيهما[١]، فالظالم: عقبة، و﴿فلاناً﴾ أُبيٌّ. قال السُّهَيْلِيُّ: وَكَنَّى سبحانه عن هذا الظالم ولم يُصَرِّحْ باسمه؛ ليكون هذا الوعيدُ غيرَ مخصوصٍ به ولا مقصور عليه؛ بل يتناول جميعَ مَنْ فعل مثل فعله، انتهى.

٤٣ ب / وقال مجاهد[٢] وغيره: ﴿الظالم﴾ عام، اسم جنس، وهذا هو الظاهر، وأَنَّ مقصد الآية تعظيمُ يوم القيامة وذِكْرُ هوله بأَنَّهُ يوم تندم فيه الظَّلَمَةُ، وتتمنَّى أَنَّها لم تُطِعْ في دنياها أَخِلاَّءَهَا، والسبيل المُتَمَنَّاةُ: هي طريق الآخرة، وفي هذه الآية لكل ذي نُهْيَةٍ تنبيهٌ على تجنب قرين السوء، والأحاديث والحكم في هذا الباب كثيرة مشهورة، و﴿الذكر﴾: ما ذَكَّرَ الإنسانَ أمر آخرته من قرآن، أو موعظة ونحوه.

﴿وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾ يحتمل: أَنْ يكونَ من قول الظالم، ويحتمل: أَنْ يكون ابتداءَ إخبارٍ من اللّه عز وجل على وجه التحذير من الشيطان الذي بَلَّغهم ذلك المبلغ.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وقال الرسول﴾ حكاية عن قول رسول اللّه ﷺ في الدنيا وتشكيهِ ما يَلْقَى من قومه؛ هذا قول الجمهور، وهو الظاهر، وقالت فرقة: هو حكاية عن قوله ذلك في الآخرة، و﴿مهجوراً﴾ يحتمل: أَنْ يريدَ مُبْعَداً مقصيّاً من الهَجْر بفتح الهاء، وهذا قول ابن زيد[٣]، ويُحْتَمَلُ: أَنْ يريدَ مقولاً فيه الهُجْرُ ـ بضم الهاء ـ؛ إشارة إلى قولهم: شعر وكهانة ونحوه؛ قاله مجاهد[٤].

قال *ع[٥]*: وقول ابن زيد مُنَبِّهٌ للمؤمن على مُلازمة المُصْحَفِ، وأَلاَّ يكون الغبارُ

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٣٨٤) برقم (٢٦٣٤٧)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٠٨) والسيوطي (٥/ ١٢٥) وعزاه لأبي نعيم من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٠٨)، والسيوطي (٥/ ١٢٧)، وعزاه للفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد بلفظ: «الشيطان».

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٣٨٦) برقم (٢٦٣٥٧)، وذكره ابن عطية(٤/ ٢٠٩).

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٣٨٦) برقم (٢٦٣٥٥)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٠٩)، والسيوطي (٥/ ١٢٧)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٥) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٤/ ٢٠٩).

يعلوه في البيوت، ويشتغلَ بغيره، وروى أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ عَلَّقَ مُصْحَفاً، ولَمْ يَتَعَاهَدْهُ ـ جاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ مُتَعَلِّقاً بِهِ يَقُولُ: يَا ربِّ، هَذَا اتَّخَذَنِي مَهْجُوراً؛ اقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ» وفي حلية النووي قال: وروينا في «سنن أبي داود» و«مُسْنَدِ الدَّارِمِيِّ» عن سعد بن عُبَادَةَ عن النبي ﷺ أنَّه قال: لِمَنْ قَرَأَ القُرْآنَ ثُمَّ نَسِيَهُ، لَقِيَ اللَّه تعالى يَوْمَ القِيَامَةِ أَجْذَمَ»[(١)]، وروينا في كتاب أبي دَاودَ والترمذيِّ عن أنس عن النبي ﷺ قال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أُجُورُ أُمَّتِي حَتَّى القَذَاةِ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ المَسْجِدِ، وعُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُ أُمَّتِي فَلَمْ أَرَ ذَنْباً أَعْظَمَ مِنْ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ أو آيَةٍ أُوتِيها رَجُلٌ ثم نَسِيَهَا»[(٢)] تكلم الترمذي فيه، انتهى، ثم سَلاَّه تعالى عن فعل قومه بقوله: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبيء عدواً من المجرمين﴾ أي: فاصبر كما صبروا؛ قاله ابن عباس[(٣)]، ثم وعد تعالى بقوله: ﴿وكفى بربك هادياً ونصيراً﴾ والباء في ﴿بربك﴾: للتأكيد دَالَّةٌ على الأمر؛ إِذ المعنى: اكتفِ بربك.

﴿وقال الذين كفروا[(٤)] لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ قال ابن عباس[(٥)] وغيره: قالوا في بعض معارضاتهم: لو كان من عند اللّه لنزل جُمْلَةً كالتوراة والإِنجيل.

وقوله: ﴿كذلك﴾ يحتمل أَنْ يكونَ من قول الكُفَّارِ؛ إِشارةً إِلى التوراة والإِنجيل، ويحتمل أَنْ يكون من الكلام المستأنف وهو أولى، ومعناه: كما نُزِّل أردناه، فالإِشارة إِلى نزوله مُتَفَرِّقاً، والترتيل: التفريق بين الشيء المتتابع، ومنه تَرْتِيلُ القرآن، وجعل اللّه تعالى السبب في نزوله متفرقاً: تثبيتَ قلب نَبِيِّهِ محمد ﷺ وأَنْ ينزله في النوازل والحوادث التي

---

(١) أخرجه أبو داود (١/ ٤٦٥) كتاب الصلاة: باب التشديد فيمن حفظ القرآن ثم نسيه، حديث (١٤٧٤)، والدرامي (٢/ ٤٣٧) كتاب «فضائل القرآن»: باب من تعلم القرآن ثم نسيه، وأحمد (٥/ ٣٢٣) من حديث سعد بن عبادة.

(٢) أخرجه أبو داود (١/ ١٧٩) كتاب «الصلاة»: باب في كنس المساجد، حديث (٤٦١)، والترمذي (٥/ ١٧٨ـ ١٧٩) كتاب «فضائل القرآن»: باب (١٩) حديث (٢٩١٦)، وكلاهما من طريق المطلب بن حنطب عن أنس بن مالك مرفوعاً.

وقال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وذاكرت به محمد بن إسماعيل فلم يعرفه، واستغربه. قال محمد: ولا أعرف للمطلب بن عبد اللّه سماعاً من أحد من أصحاب النبي ﷺ إلا قوله: حدثني من شهد خطبة النبي ﷺ.

قال: وسمعت عبد اللّه بن عبد الرحمن (هو الدارمي) يقول: لا نعرف للمطلب سماعاً من أحد من أصحاب النبي ﷺ قال عبد اللّه: وأنكر علي بن المديني أن يكون المطلب سمع من أنس.

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٣٨٦) برقم (٢٦٣٥٨) بنحوه، والسيوطي (٥/ ١٢٧).

(٤) في جـ «وقالوا الذين كفروا».

(٥) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٠٩)، والسيوطي (٥/ ١٢٧)، وعزاه لابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والضياء في «المختارة» عن ابن عباس.

قد قَدَّرَهَا وَقَدَّرَ نزوله فيها، وأَنَّ هؤلاءِ الكفرة لا يجيئون بمثل يضربونه على جهة المعارضة منهم إلاَّ جاء القرآن بالحَقِّ في ذلك والجلية، ثم هو أحسن تفسيراً، وأفصح بياناً، وباقي الآية بَيِّنٌ تقدم تفسير نظيره، والجمهور: أَنَّ هذا المشي على الوجوه حقيقة، وقد جاء
١٤٤ أ كذلك في الحديث، وقد تقدَّم، ولفظ البخاريِّ عن أنس [رضي الله عنه]: /أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّه، أَيُحْشَرُ الكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قال: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ في الدُّنْيَا قَادِراً عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[١] قال قتادة: بلى وَعِزَّةِ رَبِّنَا، انتهى.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَـٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَدَمَّرْنَـٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَـٰهُمْ وَجَعَلْنَـٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَـٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب...﴾ الآيات تنبيه لكفار قريش، وَتَوعُّدٌ أَنْ يَحِلَّ بِهِم ما حَلَّ بهؤلاء المُعَذَّبين؛ قال قتادة[٢]: أصحاب الرَّسِّ، وأَصحابُ الأَيْكَةِ: قومانِ أُرْسِلَ إليهما شُعَيْبٌ، وقاله وهب[٣] بن منبه، وقيل غير هذا.

وقوله تعالى: ﴿وقروناً بين ذلك كثيراً﴾ إبهام لاَ يَعْلَمُ حقيقتَه إلاَّ اللَّهُ عز وجل، والتَّبَارُ: الهلاك، والقرية التي أُمْطِرَت مَطَرَ السوء هي: «سدُوم» مدينة قوم لوط، وما لم نذكر تفسيره قد تقدم بيانه للفاهم المتيقظ، ثم ذكر سبحانه أَنَّهُم إذا رأوا محمداً عليه السلام قالوا على جهة الاستهزاء: ﴿أهذا الذي بعث اللَّه رسولاً﴾.

قال *ص*: ﴿إن يتخذونك﴾ [إنْ][٤] نافية، جوابُ «إذا»، انتهى، ثم آنس اللَّه تعالى نَبِيَّه بقوله: ﴿أرأيت من اتخذ إلٰهه هواه...﴾ الآية، المعنى: لا تتأسفْ عليهم،

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ٢١٠)، والسيوطي (٥/ ١٢٩)، وعزاه لابن عساكر.
(٣) ذكره ابن عطية (٤/ ٢١١).
(٤) سقط في جـ.

ومعنى ﴿اتخذ إلٰهه هواه﴾ أي: جعل هواه مطاعاً فصار كالإلٰه. ﴿إن هم إلا كالأنعام﴾ أي: بل هم كالأنعام.

قلت: وعبارة الواحدي: ﴿إن هم﴾ أي: ما هم إلاَّ كالأنعام، انتهى.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل...﴾ الآية: مَدُّ الظل بإطلاقٍ: هو ما بين أول الإسفار إلى بُزُوغ الشمس، ومن بعد مغيبها أيضاً وقتاً يسيراً؛ فإنَّ في هذين الوقتين على الأَرض كُلِّها ظِلاًّ ممدوداً.

﴿ولو شاء لجعله ساكناً﴾ أي: ثابتاً غيرَ متحرك ولا منسوخ، لكنه جعل الشمس ونسخها إيَّاه، وطردها له من موضع إلى موضع؛ دليلاً عليه مُبَيِّناً لوجوده ولوجه العبرة فيه، وحكى الطبريّ[١] أنَّه: لولا الشمسُ لم يُعْلَمْ أَنَّ الظل شيء، إِذِ الأشياء إِنَّما تُعْرَفُ بأضدادها.

وقوله تعالى: ﴿قبضاً يسيراً﴾ يحتمل أَنْ يريد، لطيفاً، أي: شيئاً بعدَ شيءٍ، لا في مرة واحدة.

قال الداوُوديُّ: قال الضَّحَّاك: ﴿قبضاً يسيراً﴾ يعني: الظِّلَّ إذا علته الشمسُ[٢]، انتهى. قال الطبريُّ[٣]: ووصف الليل باللباس من حيث يستُر الأَشياء ويغشاها، والسبات: ضرب من الإغماء يعتري اليقظانَ مرضاً، فشُبِّهَ النوم به، والنشور هنا: الإحياء، شبَّهَ اليقظةَ به، ويحتمل أَنْ يريد بالنشور وقتَ انتشار وتفرق، و﴿أناسِيَّ﴾: قيل [هو][٤] جمع إنسان،

---

(١) ينظر: «الطبري» (٩/ ٣٩٥).
(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٣٩٤) رقم (٢٦٣٩٨).
(٣) ينظر «الطبري» (٩/ ٣٩٦).
(٤) سقط في جـ.

والياء المُشَدَّدَةُ بدل من النون في الواحد، قاله سيبويه، وقال المُبَرِّدُ: هو جمع إِنسي، والضمير في ﴿صرفناه﴾ عائد على القرآن وإِن لم يتقدم له ذكر، ويَعْضُدُ ذلك قوله: ﴿وجاهدهم به جهاداً كبيراً﴾.

﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج﴾ مَرَجَ معناه: خَلَطَ.

قال *ع[١]*: والذي أقول به في معنى هذه الآية: أَنَّ المقصود بها التنبيهُ على قدرة اللّه تعالى في أَنَّ بَثَّ في الأرض مياهاً عذبة كثيرة، جعلها خلال الأُجَاجِ، وجعل الأُجَاجَ خلالها، كما هو مَرْئِيٌّ تجدُ البحر قد اكتنفته المياه العذبة في ضَفَّتِهِ، وتجد الماء العذب في الجزائر ونحوها قد اكتنفه الماء الأُجاج، وكُلٌّ باقٍ على حاله ومطعمه؛ فالبحران: يراد بهما جميعُ الماء العذب، وجميع الماء الأجاجُ، والبرزخ والحجر هو ما بين البحرين من الأرض واليبس؛ قاله[٢] الحسن، والفرات: الصافي اللذيذُ المطعم، والأُجَاجُ أبلغ ما يكون من الملوحة.

٤٤ب وقوله تعالى: ﴿وهو الذي خلق من الماء / بشراً...﴾ الآية تعديدُ نِعَم على الناس، والنسب: هو أنْ يجتمع إِنسان مع آخر في أب أوأمٍّ، والصِّهْرُ هوَ تَوَاشُجِ المُنَاكحة، فقرابة الزوجة هم الأختان، وقرابة الزوج هم الأحماء، والأصهار يقع عاماً لذلك كله.

وقوله تعالى: ﴿وكان الكافر على ربه ظهيراً﴾ أي: مُعِيناً؛ يعينون على رَبِّهم غيرهم من الكفرة بطاعتهم للشيطان، وهذا تأويل مجاهد[٣] وغيره، والكافر هنا اسم جنس، وقال

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٢١٤).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٤٠٠) برقم (٢٦٤٣٠)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢١٤)، والسيوطي (٥/ ١٣٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن الحسن.

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٤٠١) برقم (٢٦٤٣٥)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢١٥)، والسيوطي (٥/ ١٣٧)، وعزاه لابن أبي شيبة، وسعيد بن منصور، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

ابن عباس[١]: هو أبو جهل.

قال *ع[٢]*: فيُشْبِهُ أَنَّ أبا جهل هو سبب الآية، ولكنَّ اللفظ عام للجنس كله.

قلت: والمعنى: على دِينِ رَبِّه ظهيراً.

وقوله تعالى: ﴿إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ الظاهر فيه: أَنَّه استثناءٌ مُنْقَطِعٌ، والمعنى: لكن مسؤولي ومطلوبي مَنْ شاء أَنْ يهتدي ويؤمن، ويتخذ إلى رحمة ربه طريقَ نجاة.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾.

قال القشيريُّ في «**التحبير**»: وإذا عَلِمَ العبدُ أَنَّ مولاه حَيٌّ لا يموت، صَحَّ تَوَكُّلُهُ عليه؛ قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ﴾ قيل: إنَّ رجلاً كتب إلى آخر أَنَّ صديقي فلاناً قد مات، فَمِنْ كَثْرَةِ ما بكيت عليه ذَهَبَ بَصَرِي، فكتب إليه: الذَّنْبُ لك حين أحببتَ الحيَّ الذي يموت، فهلا أحببت الحيَّ الذي لا يموت حتى لا تحتاج إلى البكاء عليه، انتهى. وعن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: «ما كَرَبَنِي أَمْرٌ إلاَّ تَمَثَّلَ لِي جِبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ، قُلْ: تَوَكَّلْتُ عَلَى الحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ، وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً» رواه[٣] الحاكم في «**المستدرك**» وقال: صحيح الإسناد، انتهى من «**السلاح**».

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٤٠٢) برقم (٢٦٤٤٠)، وابن عطية (٤/ ٢١٥)، والسيوطي (٥/ ١٣٧)، وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٢١٥).

(٣) أخرجه الحاكم في «**المستدرك**» (١/ ٥٠٩) من حديث أبي هريرة مرفوعاً.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
وذكره الهندي في «**كنز العمال**» (٢/ ١١٩ـ ١٢٠) رقم (٣٤٢٤)، وعزاه لابن أبي الدنيا في «**الفرَج**»، والبيهقي في «**الأسماء**» عن إسماعيل بن أبي فديك مرسلاً.
وعزاه لابن صصرى في «**أماليه**» عن أبي هريرة.

وقوله تعالى: ﴿وسبح بحمده﴾ أي: قل: سبحان اللّه وبحمده أي: تنزيهه واجب وبحمده أقول، وصَحَّ عنه ﷺ أنَّه قال: «مَنْ قَالَ فِي كُلِّ يَوْمٍ سُبْحَانَ اللّهِ وَبِحَمْدِهِ مائَةَ مَرَّةٍ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»[(١)] فهذا معنى قوله: ﴿وسبح بحمده﴾ وهي إحدى الكلمتين الخفيفتين على اللسان الثقيلتين في الميزان، الحديث في البخاري وغيره[(٢)].

ت: وعن جُوَيْرِيَّةَ ـ رضي اللّه عنها ـ أَنَّ النبي ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟ قَالَتْ: نعم، قَال النَّبِيُّ ﷺ: لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمَ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»[(٣)] رواه الجماعة إلاَّ البخاريَّ، زاد النسائي في آخره: «وَالْحَمْدُ لِلّهِ كَذَلِكَ» وفي رواية له: «سُبْحَانَ اللّهِ وَبِحَمْدِهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ، وَاللّهُ أَكْبَرُ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» انتهى من «**السلاح**». وقوله سبحانه: ﴿وكفى به بذنوب عباده خبيراً﴾: وعيدٌ بَيِّنٌ.

وقوله تعالى: «الرحمن»: يحتمل أنْ يكون: رفعه بِإضمار مبتدإٍ، أي: هو الرحمن، ويحتمل أنْ يكونَ: بَدَلاً من الضمير في قوله: ﴿استوى﴾.

وقوله: ﴿فسئل به خبيراً﴾ [فيه تأويلان: أحدهما: فاسأل عنه خبيراً][(٤)] والمعنى: اسأل جبريلَ والعلماء وأهل الكتاب، والثاني: أنْ يكون المعنى كما تقول: لو لقيت فلاناً لقيتَ به البحرَ كرماً، أي: لقيتَ منه، والمعنى: فاسأل اللّهَ عن كل أمر، وقال عِيَاضٌ في «**الشفا**» قال القاضي أبو بكر بن العلاء: المأمور بالسؤال غيرُ النبي ﷺ والمسؤول / الخبير ١٤٥
هو النبي ﷺ انتهى.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٩٠) كتاب الذكر والدعاء: باب التسبيح أول النهار وعند النوم، حديث (٧٩/ ٢٧٢٦)، والترمذي (٥/ ٥٥٦) كتاب الدعوات: باب (١٠٤) حديث (٣٥٥٥)، والنسائي (٣/ ٧٧) كتاب السهو: باب نوع آخر من عدد التسبيح، وابن ماجه (٢/ ١٢٥١ـ ١٢٥٢) كتاب الأدب: باب فضل التسبيح، حديث (٣٨٠٨)، وأحمد (٦/ ٣٢٤)، والبخاري في «**الأدب المفرد**» (٦٤٧)، وابن خزيمة (٧٥٣)، والبغوي في «**شرح السنة**» (٣/ ٨٢ـ بتحقيقنا).
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) سقط في جـ.

قال أبو حيان[١]: والظاهر تعلق به ﴿فاسأل﴾ وبقاء الباء على بابها، و﴿خبيراً﴾ من صفاته تعالى، نحو: لَقِيتُ بِزَيْدٍ أَسَداً، أي: أَنَّهُ الأَسَدُ شجاعةً، والمعنى: فاسألِ اللّهَ الخبيرَ بالأَشياءِ، انتهى.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾.

﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن﴾ يعني أَنَّ كفار قريش قالوا: ما نعرف الرحمن إلاَّ رحمن اليمامة، وهو مُسَيْلَمَةَ الكَذَّاب، وكان مُسَيْلَمَةُ تَسَمَّى بالرحمن.

﴿أنسجد لما تأمرنا وزادهم﴾ هذا اللفظُ ﴿نفوراً﴾ والبروج هي التي عَلِمْتَها العرب، وهي المشهورة عند اللغويين وأهل تعديل الأوقات، وكل برج منها على منزلتين وثلث من منازل القمر التي ذكرها اللّه تعالى في قوله: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مِنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾.

﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة﴾ أي: هذا يَخْلُفُ هذا، وهذا يخلف هذا، قال مجاهد وغيره: ﴿لمن أراد أن يذكر﴾ أي: يعتبر بالمصنوعات ويشكرَ اللّه تعالى على آلائه[٢]، وقال عمر وابن عباس والحسن: معناه: لمن أراد أَنْ يَذْكُرَ ما فاته من الخير والصلاة ونحوه في أحدهما فيستدركه في الذي يليه[٣]، **وقرأ** حمزة[٤] وحده: «يذْكُر» بسكون الذال وضم الكاف، ثم لما قال تعالى: ﴿لمن أرادَ أن يَذَّكَّرِ أو أراد شكوراً﴾ جاء بصفات عباده الذين هم أهل التذكرة والشكور.

وقوله: ﴿الذين يمشون﴾. [خبر مبتدإٍ، والمعنى: وعباده حَقُّ عباده هم الذين يمشون.

---

(١) ينظر: **«البحر المحيط»** (٦/ ٤٦٥).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٤٠٦، ٤٠٧) برقم (٢٦٤٥٨، ٢٦٤٥٩)، وذكره البغوي (٣/ ٣٧٥)، وابن عطية (٤/ ٢١٧)، والسيوطي (٥/ ١٣٩)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٣) ذكره ابن عطية (٣/ ٢١٨)، وابن كثير (٣/ ٣٢٤) عن ابن عباس، والسيوطي (٥/ ١٣٩)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، وعزاه أيضاً لعبد بن حميد عن الحسن.

(٤) ينظر: **«السبعة»** (٤٦٦)، و**«الحجة»** (٥/ ٣٤٨)، و**«العنوان»** (١٤١)، و**«إتحاف»** (٢/ ٣١٠)، و**«حجة القراءات»** (٥١٣).

وقوله: ﴿يمشون][١] على الأرض﴾ عبارة عن عيشهم ومُدَّةِ حياتهم وَتَصَرُّفَاتِهِم، و﴿هوناً﴾ بمعنى أَنَّ أمرهم كله هَيِّنٌ، أي: لَيِّنٌ حسن؛ قال مجاهد[٢]: بالحلم والوقار.

وقال ابن عباس[٣]: بالطاعة والعَفَاف والتواضع، وقال الحسن[٤]: حُلَمَاءُ، إِنْ جُهِلَ عليهم لم يجهلوا.

قال الثعلبيُّ: قال الحسن[٥]: يمشون حلماء علماء مثلَ الأنبياء، لا يؤذون الذَّرَّ في سكونٍ وتواضع وخشوع، وهو ضدُّ المُخْتَال الفخور الذي يختال في مشيه، اهـ.

قال عياض في صفة نَبِيِّنا محمد ﷺ: يخطو تكفُّؤاً[٦]، ويمشي هوناً، كأنَّما ينحطُّ من صبب، انتهى من «الشفا».

قال أبو حيان[٧]: ﴿هوناً﴾: نعت لمصدر محذوف، أي: مشياً هوناً، أو حال، أي: هَيِّنِينَ، انتهى، وروى الترمذيُّ عن ابن مسعود أَنَّ النبي ﷺ قال: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ عَلَىٰ كُلِّ قَرِيبٍ، هَيِّنٍ، سَهْلٍ»[٨]، قال أبو عيسَىٰ: هذا

---

(١) سقط في جـ.
(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٤٠٧) برقم (٢٦٤٦١)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢١٨)، والسيوطي (٥/ ١٤٠)، وعزاه لعبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن مجاهد.
(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٤٠٨) برقم (٢٦٤٦٩)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢١٨) والسيوطي (٥/ ١٤٠)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.
(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٤٠٨) برقم (٢٦٤٧٤)، وذكره البغوي (٣/ ٣٧٥)، وابن عطية (٤/ ٢١٨)، والسيوطي (٥/ ١٤١)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن الحسن.
(٥) أخرجه الطبري (٩/ ٤٠٨) برقم (٢٦٤٧٦)، وذكره البغوي (٣/ ٣٧٥)، وابن عطية (٤/ ٢١٨).
(٦) أي تمايل إلى قدام. ينظر: «النهاية» (٤/ ١٨٣).
(٧) ينظر: «البحر المحيط» (٦/ ٤٦٩).
(٨) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٥٤) كتاب صفة القيامة: باب (٤٥) حديث (٢٤٨٨)، وأحمد (١/ ٤١٥)، وأبو يعلى (٨/ ٤٦٧ـ ٤٦٨) رقم (٥٠٥٣)، وابن حبان (١٠٩٦، ١٠٩٧ـ موارد)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (١١)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٨٥) رقم (١٠٥٦٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٥٣٥ـ ٥٣٦) رقم (١١٢٥١، ١١٢٥٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٦/ ٤٨٠ـ بتحقيقنا) كلهم من طريق هشام بن عروة عن موسى بن عقبة عن عبد الله بن عمرو الأودي عن ابن مسعود مرفوعاً.
وقال الترمذي: حديث حسن غريب.
وصححه ابن حبان.
وللحديث طريق آخر:
فقال ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ١٠٨): سألت أبي وأبا زرعة عن حديث رواه مصعب بن عبد الله =

حديث حسن، انتهى.

﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ العامل في ﴿سلاماً﴾ ﴿قالوا﴾، والمعنى: قالوا هذا اللفظ، وقال مجاهد[١]: معنى ﴿سلاماً﴾: قولاً سداداً، أي: يقول للجاهل كلاماً يدفعه به برفقٍ ولينٍ، وهذه الآية كانت قبل آية السيف فَنُسِخَ منها ما يَخُصُّ الكَفَرَةَ، وَبَقِيَ أدبها في المسلمين إلى يوم القيامة، قال صاحب «الحكم الفارقية»: إذا نازعك إنسان فلا تجبه؛ فإنَّ الكلمة الأولى أُنثى وإجابتُها فحلها، فإنْ أمسكت عنها بترتها وقطعت نسلها، وإنْ أجبتها ألقحتها، فكم من نسل مذموم يتولد بينهما في ساعة واحدة، انتهى.

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾.

﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾ هذه آية فيها تحريض على قيام الليل بالصلاة، قال الحسن: لما [فرغ من][٢] وصف نهارهم، وَصَفَ في هذه ليلهم[٣]، و﴿غراماً﴾: معناه: ملازماً ثقيلاً، و﴿مقاماً﴾: من الإقامة، وعن أنس بن مالك قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللّهَ الْجَنَّةَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، قَالتِ / الجَنَّةُ: اللَّهُمَّ، أَدْخِلْهُ الجَنَّةَ، ٤٥ ب
وَمَن اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلاَث مَرَّاتٍ، قَالتِ النَّارُ: اللَّهُمْ أَجِرهُ مِنَ النَّار»[٤]، رواه أبو داود،

= الزبيري عن أبيه عن هشام بن عروة عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي ﷺ... فذكر الحديث قالا: هذا خطأ، رواه الليث بن سعد وعبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن موسى بن عقبة عن عبد الله بن عمرو الأودي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ... وهذا هو الصحيح.

(١) أخرجه الطبري (٩/٤٠٩)، وذكره ابن عطية (٤/٢١٨)، والسيوطي (٥/١٤٠)، وعزاه لعبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن مجاهد.

(٢) سقط في جـ.

(٣) ذكره ابن عطية (٤/٢١٩)، والسيوطي (٥/١٤١)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن الحسن.

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٩٩ـ ٧٠٠) كتاب صفة الجنة: باب ما جاء في صفة أنهار الجنة، حديث (٢٥٧٢)، وابن ماجه (٢/١٤٥٣) كتاب الزهد: باب صفة الجنة، حديث (٤٣٤٠)، والنسائي (٨/ ٢٧٩) كتاب الاستعاذة: باب الاستعاذة من حر النار، وأحمد (٣/١١٧، ١٤١، ١٥٥، ٢٦٢)، وأبو يعلى (٦/٣٥٦) رقم (٣٦٨٢)، وابن حبان (٢٤٣٣ـ موارد)، وابن أبي شيبة (١٠/٤٢١) رقم (٩٨٥٧)، والحاكم (١/ ٥٣٤ـ ٥٣٥)، وهناد بن السري في «الزهد» (١/ ١٣٣) رقم (١٧٣) كلهم من حديث أنس.

وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وصححه أيضاً ابن حبان.

والنسائي، وابن ماجه، وابن حِبَّانَ في «**صحيحه**» بلفظ واحد، ورواه الحاكم في «**المستدرك**»، وقال: صحيح الإسناد، انتهى من «**السلاح**».

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا...﴾ الآية: عبارة أكثر المفسرين أَنَّ الذي لا يُسْرِفُ هو المُنْفِقُ في الطاعة وإِنْ أفرط، والمُسْرِفَ هو المُنْفِقُ في المعصية وإِنْ قَلَّ إنفاقهُ، وأَنَّ الْمُقتِرَ هو الذي يمنع حَقًّا عليه؛ وهذا قول ابن عباس[١] وغيره، والوجه أَنْ يقال: إِنَّ النفقة في المعصية أمر قد حَظَرَتِ الشريعةُ قليلَه وكثيره، وهؤلاءِ الموصوفون مُنَزَّهُونَ عن ذلك، وإِنَّما التأديب بهذه الآية هو في نفقة الطاعات والمُبَاحَاتِ، فأدب الشريعة فيها أَلاَّ يفرط الإنسانِ حتى يُضَيِّعَ حَقًّا آخر أو عيالاً ونحوَ هذا، وأَلاَّ يُضَيِّقَ أَيضاً ويقتر حتى يجيع العيالَ ويفرط في الشُّحِّ، والحَسَنُ في ذلك هو القوام، أي: المعتدل، والقوام في كل واحد بحسب عياله وحاله، وخير الأمور أوساطها؛ ولهذا ترك النَّبِيُّ ﷺ أبا بكْرِ الصِّدِّيقَ يَتَصَدَّقُ بِجَمِيعِ مَالِهِ؛ لأَنَّ ذلك وَسَطٌ بنسبة جَلَدِهِ وَصَبْرِهِ في الدِّينِ، ومنع غيره من ذلك.

وقال عبد الملك بن مروان لعمرَ بن عبد العزيز حين زَوَّجه ابنته فاطمة: مَا نَفَقَتُكَ؟ فقال له عمر: الحَسَنَةُ بَيْنَ السَّيِّئَتَيْنِ، ثم تلا الآية[٢]، وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: كفى بالمرء سَرَفاً أَلاَّ يشتهيَ شيئاً إِلاَّ ٱشْتَرَاهُ فَأَكَلَهُ[٣]. و﴿قواماً﴾: خبر ﴿كان﴾ واسمها مُقَدَّرٌ، أي: الإنفاق.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾.

﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر﴾ الآية: في نحو هذه الآية قال ٱبْنُ مَسْعُودٍ:

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٤١١) نحوه، وذكره البغوي (٣/ ٣٧٦) نحوه، وابن عطية (٤/ ٢٢٠) والسيوطي (٥/ ١٤٢)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٢٠).

(٣) ذكره البغوي (٣/٣٧٦)، وابن عطية (٤/ ٢٢٠)، والسيوطي (٥/ ١٤٣)، وعزاه لعبد الرزاق عن الحسن.

قَلْتُ يَوْماً: يا رَسُولَ اللّهِ، أيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قال: «أنْ تَجْعَلَ للّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ، قُلتُ: ثُمَّ أَي قال: أنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ، خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ؛ قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ» ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللّهِﷺ هذه[1] الآية والأثام في كلام العرب: العِقَابُ، وبه فَسَّرَ ابن زيد وقتادة هذه الآية.

قال *ع[2]*: ﴿يضاعف﴾: بالجزم بدل من ﴿يلق﴾ قال سيبويه: مضاعفة العذاب هو لقي الأثام.

وقوله تعالى: ﴿إلا من تاب﴾: لا خلاف بين العلماء أَن الاستثناء عام في الكافر والزاني، واختلفوا في القاتل، وقد تقدم بيان ذلك في «سورة النساء».

وقوله سبحانه: ﴿فأولئك يبدل اللّه سيئاتهم حسنات﴾ أي: بأنْ يجعلَ أعمالهم بَدَل معاصيهم الأُولَى طاعةً؛ قاله ابن عباس[3] وغيره، ويحتمل أنْ يكونَ ذلك في يوم القيامة، يجعل بدل السيئات الحسنات تَكَرُّماً منه سبحانه وتعالى؛ كما جاء في «**صحيح مسلم**»[4]، وهو تأويل ابن المُسَيِّب.

ص: والأَوْلَى: ويحتمل أنْ يكون الاستثناءُ هنا مُنْقَطِعاً، أي: لكن مَنْ تاب

---

(١) حديث: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك».
أخرجه البخاري (٨/ ١٣) كتاب التفسير: باب قوله تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ حديث (٤٤٧٧)، وفي (٨/ ٣٥٠ ـ ٣٥١). كتاب التفسير: باب ﴿والذين يدعون مع الله إلهاً آخر﴾، حديث (٤٧٦١)، وفي (١٠/ ٤٤٨) كتاب الأدب: باب قتل الولد خشية أن يأكل معه، حديث (٦٠٠١)، وفي (١٢/ ١١٦) كتاب الحدود: باب إثم الزناة، حديث (٦٨١١)، وفي (١٢/ ١٩٤)، كتاب الديات: باب قوله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً﴾، حديث (٦٨٦١)، وفي (١٣/ ٤٩٩ ـ ٥٠٠) كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾، حديث (٧٥٢٠)، وفي (١٣/ ٥١٢)، حديث (٧٥٣٢).
ومسلم (١/ ٩٠ ـ ٩١) كتاب الإيمان: باب كون الشرك أقبح الذنوب، حديث (١٤١/ ٨٦)، وأبو داود (١/ ٧٠٥)، كتاب الطلاق: باب في تعظيم الزنا، حديث (٢٣١٠)، والترمذي (٥/ ٣٣٦) كتاب التفسير: باب «ومن سورة الفرقان»، حديث (٣١٨٢) والنسائي (٧/ ٨٩) كتاب تحريم الدم: باب ذكر أعظم الذنب، حديث (٤٠١٣). وأحمد (١/ ٣٨٠، ٤٣١، ٤٣٣، ٤٦٢، ٤٦٤)، والطيالسي (٣، ٤ ـ منحة) وأبو عوانة (١/ ٥٦)، وأبو نعيم (٤/ ١٤٥)، والبيهقي (٨/ ١٨) كتاب الجنايات: باب قتل الولدان، من حديث ابن مسعود.
(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٢٢١).
(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٤١٨) برقم (٢٦٥٢٧) بنحوه، وذكره البغوي (٣/ ٣٧٧) وابن عطية (٤/ ٢٢١)، والسيوطي (٥/ ١٤٦)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.
(٤) تقديم تخريجه.

وآمن، وعمل عملاً صالحاً فأولئك يُبَدِّلُ اللّه سيئاتهم حسنات، انتهى. ثم أَكَّدَ سبحانه أمر التوبة، ومدح المتاب فقال: «ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب الى اللّه متاباً» كأنه قال: فإنه يجد باباً للفرج والمغفرة عظيماً، ثم استمرت الآيات في صفة عباد اللّه المؤمنين بأَنْ
١٤٦أ نَفَى / عنهم شهادة الزور، و﴿يشهدون﴾ في هذا الموضع ظاهر، معناها: يُشَاهِدُون وَيَحْضُرُون، والزور: كل باطل زُوِّرَ، وأعظمه الشرك، وبه فسر الضَّحَّاكُ[١]، ومنه الغِنَاءُ، وبه فَسَّرَ مجاهد[٢]، وقال عليٌّ وغيره: معناه لا يشهدون بالزور، فهي من الشهادة لا من المشاهدة، والمعنى الأَوَّلُ أَعَمُّ. واللغو: كل سَقَطٍ من فعل أو قول، وقال الثعلبيُّ: اللغو كل ما ينبغي أنْ يطرح ويُلْغَى، انتهى. و﴿كراماً﴾ معناه: معرضين مستحيين، يتجافون عن ذلك، ويصبرون على الأذى فيه.

قال ع[٣]: وإذا مَرَّ المسلم بمنكر فَكَرَمُهُ أنْ يُغَيِّرَهُ، وحدود التغير معروفة.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم﴾ يريدُ: ذكِّرُوا بالقرآن أمر آخرتهم ومعادهم.

وقوله: ﴿لم يخروا عليها صماً وعمياناً﴾ يحتمل تأويلين: أحدهما: أنْ يكون المعنى: لم يكن خُرُورُهم بهذه الصفة؛ بل يكونوا سُجَّداً وُبكِيًّا، وهذا كما تقول: لم يخرج زيد إِلى الحرب جزعاً، أي: إِنما خرج جريئاً مِقْدَاماً، وكأَنَّ الذي يَخِرُّ أَصَمَّ أعمى هو المنافق أو الشَّاكُّ، والتأويل الثاني: ذهب إِليه الطبريُّ[٤] وهو أَنَّ: يخروا صماً وعمياناً، هي صفة للكفار، وهي عبارة عن إعراضهم.

وقال الفَرَّاءُ: ﴿لم يخروا﴾، أي: لم يقيموا، وهو نحو تأويل الطبري، انتهى. وقال

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٤٢٠) برقم (٢٦٥٣٦)، وذكره البغوي (٣/ ٣٧٨)، وابن عطية (٤/ ٢٢٢).
(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٤٢٠) برقم (٢٦٥٣٨)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٢٢) والسيوطي (٥/ ١٤٨)، وعزاه للفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في **«ذم الغضب»**، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في **«شعب الإيمان»** عن مجاهد.
(٣) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٤/ ٢٢٢).
(٤) ينظر: **«الطبري»** (٩/ ٤٢٣).

ابن العربيِّ في «**أحكامه**»[١]: قوله تعالى: ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً﴾.

قال علماؤنا: يعني الذين إذا قرأوا القرآن قرأوه بقلوبهم قراءةَ فهم وَتَثْبِيتٍ، ولم يَنثِرُوه نَثْرَ الدَّقَلِ، فإنَّ المرور عليه بغير فهم ولا تثبيت صَمَمٌ وعَمًى، انتهى. وقُرَّةُ العين: من القر وهذا هو الأشهر؛ لأنَّ دمعَ السرور بارد، ودَمْعَ الحُزْنِ سُخْنٌ؛ فلهذا يقال: أَقَرَّ اللّه عينك، وأسخن اللّه عين العَدُوِّ، وقرة العين في الأزواج والذُّرِّيَّةِ أَنْ يراهم الإنسان مطيعين للّه تعالى؛ قاله ابن عباس والحسن وغيرهما[٢]، وبَيَّن المقداد بن الأسود الوجه من ذلك بأنَّه كان في أوَّلِ الإسلام يهتدي الأبُ، والابن كافِرٌ، أو الزوجُ والزوجة كافرة، فكانت قرة أعينهم في إيمان أحبابهم.

﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾ أي: اجعلنا يَأْتَمُّ بنا المتقون، وذلك بأن يكون الدَّاعي مُتَّقِياً قدوة، وهذا هو قصد الداعي، قال النَّخَعِيُّ: لم يطلبوا الرياسة، بل أنْ يكونوا قدوة في الدين، وهذا حَسَنٌ أَنْ يُطْلَبَ وَيُسْعَى[٣] له.

قال الثعلبي: قال ابن عباس: المعنى: واجعلنا أئمة هدى[٤]، انتهى، وهو حسن، لأنَّهُم طلبوا أن يجعلهم أهلاً لذلك. والغرفة من منازل الجنة وهي الغرف فوق[٥] الغرف، وهي اسم جنس؛ كما قال: [من الهزج]

وَلَوْلاَ الْحَبَّةُ السَّمْرَا ءُ لَمْ نَحْلُلْ بِوَادِيكُم

ت: وأخرج أبو القاسم، زاهر بن طاهر بن محمد بن الشحامي عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إنَّ فِي الجَنَّةِ لَغُرَفاً لَيْسَ لَهَا مَعَالِيقُ مِنْ فَوْقِهَا وَلاَ عِمَادٌ مِنْ تَحْتِهَا، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللّه، وَكَيْفَ يَدْخُلُهَا أَهْلُهَا؟ قال: يَدْخُلُونَهَا أَشْبَاهَ الطَّيْرِ، قيل: هِيَ يَا رَسُولَ اللّهِ لِمَنْ؟ قال: هِيَ لأَهْلِ / الأَسْقَامِ وَالأَوْجَاعِ وَالْبَلْوَى[٦]». انتهى من ٤٦ ب
«**التذكرة**». **وقرأ** حمزة[٧] وغيره: «يَلْقَوْنَ» بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف.

---

(١) ينظر: «**أحكام القرآن**» (٣/ ١٤٣٣).
(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٢٢).
(٣) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٢٢).
(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٤٢٥) برقم (٢٦٥٦٢)، وذكره السيوطي (٥/ ١٤٩)، وعزاه لابن المنذر عن ابن عباس.
(٥) في جـ: الغرفة فوق فوق الغرف.
(٦) ذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ١٥٠)، وعزاه إلى زاهر بن طاهر الشحامي عن أنس.
(٧) وقرأ بها الكسائي وأبو بكر.

=

﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿قل ما يعبؤا بكم﴾ الآية، ما نافية وتحتمل التقرير، ثم الآية تحتمل أنْ تكون خطاباً لجميع الناس، فكأنه قال لقريش منهم: ما يبالي اللّه بكم، ولا ينظر إليكم لولا عبادتكم إيَّاه، أنْ لو كانت، إذ ذلك الذي يعبأ بالبشر من أجله؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُون﴾ [الذاريات: ٥٦]. وقال النقاش وغيره: المعنى: لولا استغاثتكم إليه في الشدائد، وقرأ ابن الزبير[1] وغيره: «فَقَدْ كَذَّبَ الْكَافِرُونَ» وهذا يؤيِّد أَنَّ الخطاب بما يعبأ هو لجميع الناس، ثم يقول لقريش: فأنتم قد كذبتم، ولم تعبدوه فسوف يكون العذاب أو التكذيب الذي هو سبب العذاب لزاماً، ويحتمل أنْ يكون الخطابُ بالآيتين لقريش [خاصة][2] وقال الداووديُّ: وعن ابن عُيَيْنَةَ: ﴿لولا دعاؤكم﴾ معناه: لولا دعاؤكم إيَّاهُ لتطيعوه، انتهى، قال ابن العربي في «أحكامه»[3]: زعم بعض الأدباء أنَّ «لولا دعاؤكم» معناه: لولا سؤالُكم إياه وطلبُكم منه، ورأى أَنَّه مصدر أُضِيفَ إلى فاعل، وليس كما زعم؛ وإنما هو مصدر أضيف إلى مفعول، والمعنى: قل يا محمد للكفار: لولا دعاؤكم ببعثة الرسول إليكم وتبين الأدلة لكم فقد كذبتم؛ فسوف يكون لزاماً؛ ذكر هذا عند قوله تعالى: ﴿لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً﴾ [النور: ٦٣]. في آخر سورة النور، انتهى.

ت والحق أنَّ الآية محتملة لجميع ما تقدم، ومَنِ ادَّعى التخصيص فعليه بالدليل، واللّه أعلم.

ويعبأ: مشتق من العِبْءِ وهو الثِّقَلُ الذي يُعَبَّأُ ويرتب كما يعبأ الجيش.

= وحجتهم قوله تعالى: ﴿فسوف يَلْقَوْنَ غيًا﴾، [مريم: ٥٩]. وقوله: ﴿ومن يفعل ذلك يلق أثاماً﴾ [الفرقان: ٦٨].

وحجة الباقين قوله: ﴿ولقاهم نضرة وسروراً﴾ [الإنسان: ١١].

ينظر: «**حجة القراءات**» (٥١٥)، و«**السبعة**» (٤٦٨)، و«**الحجة**» (٥/ ٣٥٤)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ١٢٨)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ٢٢١)، و«**شرح الطيبة**» (٥/ ٩٨)، و«**العنوان**» (١٤١)، و«**حجة القراءات**» (٥١٥)، و«**شرح شعلة**» (٥٣٠)، و«**إتحاف**» (٢/ ٣١١).

(١) وقرأ بها ابن عباس.

ينظر: «**مختصر الشواذ**» ص ١٠٧، و«**المحتسب**» (٢/ ١٢٦)، و«**المحرر الوجيز**» (٤/ ٢٢٣)، و«**البحر المحيط**» (٦/ ٤٧٥)، وزاد نسبتها إلى عبد الله بن مسعود.

(٢) سقط في جـ.

(٣) ينظر: «**أحكام القرآن**» (٣/ ١٤١١).

قال الثعلبيُّ: قال أبو عُبَيْدَةَ: يقالُ: ما عَبَأْتُ به شيئاً، أي: لم أَعُدَّه شيئاً فوجوده وعدمه سواء، انتهى.

وقال العراقي: ﴿ما يعبأُ﴾ أي: ما يبالي، انتهى. [وأكثر الناس على أن اللزام المشار إليه هو يوم بدر، وقالت فرقة: هو توعد بعذاب الآخرة][1]، وقال ابن عباس: اللزام الموت[2]، وقال البخاريُّ: ﴿فسوف يكون لزاماً[3]﴾ أي: هلكةً، انتهى.

(١) سقط في جـ.
(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٤٢٨) برقم (٢٦٥٨٤)، وذكره البغوي (٣/ ٣٨٠)، وابن عطية (٤/ ٢٢٣)، والسيوطي (٥/ ١٥٠)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.
(٣) ينظر: «**صحيح البخاري**» (٨/ ٣٥٥) كتاب التفسير: باب ﴿فسوف يكون لزاماً﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد

تفسير سورة الشُّعَرَاءِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا فِي قَوْلِ الجُمْهُورِ

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤﴾.

قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ * تلك آيات الكتاب المبين * لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين﴾ تقدم الكلام على الحروف التي في أوائل السور، والباخع: القاتل والمُهْلِكُ نَفْسَه بالهم، والخضوعُ للآية المنزلة إمَّا لخوف هلاك كنتق الجبل على بني إسرائيل، وإمَّا لأجل الوضوح وبَهْرِ العقول، بحيث يقع الإذعان لها. والأعناق الجارحة المعلومة، وذلك أَنَّ خضوع العنق والرقبة هو علامة الذلة والانقياد.

وقيل: المراد بالأعناق جماعتهم؛ يقال: جاء عُنُقٌ من الناس، أي: جماعة.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾.

وقوله تعالى: ﴿وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين * فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون * أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل
٤٧ أ زوج كريم﴾ تقدم تفسير / هذه الجملة فانظره في مَحَلِّهِ، وقوله تعالى: ﴿فسيأتيهم﴾ وعيد بعذاب الدنيا كبدر وغيرها، ووعيد بعذاب الآخرة، والزوج: النوع والصنف، والكريم: الحسن المُتْقَنُ قاله مجاهد[1] وغيره.

وقوله تعالى: ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ حتم على أكثرهم بالكفر، ثم توعَّدَ تعالى بقوله: ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ أي: عزيز في انتقامه من الكفار، رحيم بأوليائه المؤمنين.

---

(١) ذكره ابن عطية (٤/٢٢٦).

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ
أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ
أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾
وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ
مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وإذ نادى ربك موسى﴾ التقدير: واذكر إذ نادى ربك موسى، وسَوْقُ هذه القصة تمثيل لكفار قريش في تكذيبهم النبيَّ ﷺ.

وقوله: ﴿فأرسل إلى هارون﴾ معناه: يعينني ﴿ولهم علي ذنب﴾ يعني قَتْلَهُ القِبْطِيَّ.

وقوله تعالى: ﴿كلا﴾ رَدٌّ لقوله: ﴿إني أخاف﴾ أي: لا تخف ذلك، وقول فرعون لموسى: ﴿ألم نربك فينا وليداً﴾ هو على جهة المَنِّ عليه والاحتقار، أي: رَبَّيْنَاكَ صغيراً، ولم نقتلك في جملة مَنْ قَتَلْنَا ﴿ولبثت فينا من عمرك سنين﴾: فمتى كان هذا الذي تدَّعِيهِ، ثم قرره على قتل القبطي بقوله: ﴿وفعلت فعلتك﴾ والفَعْلَةُ ـ بفتح الفاء ـ: المَرَّةُ، وقوله: ﴿وأنت من الكافرين﴾ يريد: وقتلت القبطيَّ وأنت في قتلك إياه من الكافرين؛ إذ هو نَفْسٌ لا يحلُّ قتلها؛ قاله الضَّحَّاكُ[(١)]، أو يريد: وأنت من الكافرين بنعمتي في قتلك إياه؛ قاله ابن زيد[(٢)]؛ ويحتمل أن يريد: وأنت الآن من الكافرين بنعمتي، وكان بين خروج موسى عليه السلام حين قتل القبطي وبين رجوعه نبيًّا إلى فرعون ـ أَحَدَ عَشَرَ عاماً غيرَ أشهرٍ.

وقوله: ﴿قال فعلتها إذاً﴾: من كلام موسى عليه السلام والضميرُ في قوله: ﴿فعلتها﴾ لِقَتْلَةِ القِبْطِيِّ. وقوله: ﴿وأنا من الضالين﴾ قال ابن زيد: معناه: من الجاهلين بأنَّ وكزتي إياه تأتي على نفسه[(٣)]، وقال أبو عبيدةَ: معناه: من الناسين، ونزع بقوله: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس[(٤)]: «وأَنَا مِنَ الجَاهِلِينَ»، ويشبه أن تكون هذه القراءة على جهة التفسير، و﴿حكماً﴾ يريد: النُّبُوَّةَ وحكمتها.

---

(١) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٢٧).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٤٣٦) برقم (٢٦٦٠٥)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٢٧).

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٤٣٧) برقم (٢٦٦١١)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٢٨).

(٤) ينظر: «**مختصر الشواذ**» ص ١٠٧، و«**المحرر الوجيز**» (٤/ ٢٢٨)، و«**البحر المحيط**» (٧/ ١١)، و«**الكشاف**» (٣/ ٣٠٥).

وقوله: ﴿وجعلني من المرسلين﴾ درجة ثانية لِلنُّبُوَّةِ، فرُبَّ نبيٍّ ليس برسول.

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾.

وقوله: ﴿وتلك نعمة تمنها علي﴾ الآية: قال قتادة: هذا من موسى على جهة الإنكار على فرعون[١] كأنه يقول: أو يَصِحُّ لك أن تَعُدَّ عليّ نعمةَ ترك قتلي من أجل أنّك ظلمت بني إسرائيل وقتلتهم؟! أي: ليست بنعمة؛ لأنَّ الواجب كان ألاَّ تقتلَني ولا تقتلهم[٢]، ولا تستعبدهم، **وقرأ** الضَّحَّاك[٣]: «وتِلْكَ نِعْمَةٌ مَا لَكَ أَنْ تَمُنَّهَا عَلَيَّ» وهذه قراءة تؤيِّد هذا التأويل، وقال الطبريُّ[٤] والسُّدِّيُّ: هذا الكلام من موسى عليه السلام علي جهة الإقرار بالنعمة كأنه يقول: نعم[٥]، وتربيتك نعمة عليَّ؛ من حيث عَبَّدْتَ غيري وتركتني، ولكن ذلك لا يدفع رسالتي، ولمَّا لم يجد فرعونُ حُجَّةً رجع إلى معارضة موسى في قوله: ﴿وما رب العالمين﴾ واستفهمه استفهاماً فقال موسى / هو ﴿رب السموات والأرض...﴾ ٤٧ ب
الآية، فقال فرعون[٦] عند ذلك: ﴿ألا تستمعون﴾: على معنى الإغراء والتعجب من شنعة المقالة [إذ][٧] كانت عقيدة القوم؛ أنَّ فرعون رَبُّهم ومعبودهم، والفراعنة قبله كذلك، فزاده موسى في البيان بقوله: ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ فقال فرعون حينئذٍ على جهة الاستخفاف: ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ فزاده موسى في بيان الصفات التي تُظْهِرُ نقصَ فرعونَ، وتبين أنَّهُ في غاية البعد عن القدرة عليها، وهي رُبُوبِيَّةِ المشرق والمغرب، ولم يكن لفرعونَ إلاَّ مِلْكُ مصرَ، ولما انقطع فرعون في باب الحجة، رجع إلى الاستعلاء والتغلب فقال لموسى: ﴿لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ وفي

(١) في جـ: فرعون لعنه الله.
(٢) في جـ: ولا قتلتهم.
(٣) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/٢٢٨)، و«**البحر المحيط**» (٧/١١).
(٤) ينظر: «**الطبري**» (٩/٤٣٨).
(٥) ذكره ابن عطية (٤/٢٢٨).
(٦) في جـ: فرعون لعنه الله.
(٧) سقط في جـ.

توعده بالسجن ضَعُفَ؛ لأَنَّهُ خارت طباعه معه، وكان فيما روي أنَّه يفزعُ من موسى فزعاً شديداً حتى كان لا يُمْسِكُ بولَه، وكان عند موسى من أمر اللّه والتوكل عليه ما لا يفزعه تَوَعُّدُ فرعونَ، فقال له موسى على جهة اللطف به والطمع في إيمانه: ﴿أولو جئتك بشيء مبين﴾: يتَّضِحُ لك معه صدقي، فلما سمع فرعون ذلك طمع أن يجد أَثناءه موضع معارضة فقال له: ﴿فأت به إن كنت من الصادقين﴾ فألقى موسى عصاه ﴿فإذا هي ثعبان مبين﴾ على ما تقدَّم بيانه و﴿نزع يده﴾ من جيبه ﴿فإذا هي﴾: تتلألأ كأنها قطعة من الشمس، فلما رأى فرعون ذلك هاله، ولم يكن له فيه مدفعٌ غيرَ أَنَّهُ فزع إلى رميه بالسحر.

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

وقوله: ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره﴾ تقدم بيانه، وكذلك قولهم: ﴿وابعث في المدائن حاشرين * يأتوك بكل سحار عليم﴾ تقدم بيانه.

وقوله تعالى: ﴿قال نعم وإنكم إذاً لمن المقربين﴾ يريد بتقريبهم الجاه الزائد على العطاء الذي طلبوه.

﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿فألقي السحرة ساجدين * قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهارون * قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين * قالوا لا ضير إنَّا إلى ربنا منقلبون﴾ تقدم بيانُ هذه الجملة، والحمد للّه فانظره في مَحَلِّهِ؛ قال ابن العربيِّ[1] في «أحكامه»: قال مالك: دعا موسى فرعونَ أربعين سنةً إلى الإسلام، وأنَّ السحرة آمنوا في يوم واحد، انتهى، وقولهم: ﴿لا ضير﴾ أي: لاَ يَضُرُّنا ذلك مع انقلابنا إلى مغفرة اللّه ورضوانه، وقولهم: ﴿أن كنا أول المؤمنين﴾ يريدون: من القِبْطِ وصنيفتهم، وإلاَّ فقد كانت بنو إسرائيل آمنت، والشِّرْذِمَةُ: الجمع القليل المُحْتَقَرُ، وشرذمة كل شيء: بَقِيَّتُهُ الخسيسة.

وقوله: ﴿لغائظون﴾ يريد بخلافهم الأمر وبأخذهم الأموال عارية و﴿حاذرون﴾ جمع حَذِرٌ، والضمير في قوله: ﴿فأخرجناهم﴾ عائد على القِبْطِ، والجنات والعيون بحافتي النيل من أسوان إلى رشيد؛ قاله ابن عمر[2] وغيره، والمقام الكريم: قال ابن لَهِيعَةَ: هو الفَيُّوم،
١٤٨ أ وقيل: هو المنابر، وقيل: مجالس الأمراء والحُكَّامِ، وقيل: / المساكن الحسان، و﴿مشرقين﴾ معناه: عند شروق الشمس، وقيل: معناه: نحو المشرق، والطَّوْدُ: هو الجبل، و﴿أزلفنا﴾ معناه: قَرَّبنا، وقرأ ابن عباس[3]: «وأَزْلَقْنَا» بالقاف.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم...﴾ الآية: هذه الآية تضمنت الإعلام بغيب، والعكوف: اللزوم.

---

(١) ينظر: «أحكام القرآن» (٣/ ١٤٣٥).
(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٣٢).
(٣) وقرأ بها أبي، وعبد الله بن الحارث.
قال أبو الفتح: ومن قرأ بالقاف فـ «الآخرون»: فرعون، وأصحابه. أي: أهلكنا ثم الآخرين، أي: فرعون وأصحابه.
ينظر: «المحتسب» (٢/ ١٢٩)، و«مختصر الشواذ» ص ١٠٨، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٢٣٣)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٠)، و«الدر المصون» (٥/ ٢٧٦).

وقوله: ﴿فإنهم عدو لي إلا رب العالمين﴾ قالت فرقة: هو استثناءٌ مُتَّصِلٌ، لأنَّ في الآباء الأقدمين مَنْ قد عبد اللّه تعالى، وقالت فرقة: هو استثناءٌ مُنْقَطِعٌ؛ لأَنَّهُ إِنَّما أراد عُبَّادَ الأوثان من كل قرن منهم، وأسند إبراهيم عليه السلام المَرَضَ إلى نفسِهِ والشفاءَ إلى ربه عز وجل، وهذا حُسْنُ أدب في العبارة، والكل من عند اللّه، وأوقف عليه السلام نفسه على الطمع في المغفرة، وهذا دليل على شِدَّةِ خوفه مع عُلُوِّ منزلته عند اللّه، وروى الترمذيُّ عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضاً أَوْ زَارَ أَخاً [لَهُ][1] في اللّهِ ـ نَادَاهُ مُنَادٍ: أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلاً»[2]، قال أبو عيسَىٰ: هذا حديثٌ حَسَنٌ، انتهى. وفي «صحيح مسلم» عن ثوبانَ مولى رَسُولِ اللّهِ ﷺ عن رَسُولِ اللّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ عَادَ مَرِيضاً لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ ٱلْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللّهِ، وَمَا خُرْفَةُ الجَنَّةِ؟ قال: جَنَاهَا»[3] انتهى، وعنه ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضاً لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ العَظِيمِ[4] أَنْ يَشْفِيَكَ ـ إلاَّ عَافَاهُ اللّهُ سُبْحَانَهُ»[5] خرجه أبو داود، والترمذيُّ، والحاكم في «المُسْتَدْرَكِ على الصحيحين» بالإِسناد الصحيح، انتهى من «حلية النوويّ»، وعن ابن عباس رضي اللّه عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَنْ عَادَ مَرِيضاً لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَ رَأْسِهِ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ العَظِيمِ ـ أَنْ يَشْفِيَكَ ـ إلاَّ عَافَاهُ اللّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ»[6]. رواه أبو داودَ واللفظ له، والترمذيُّ والنسائِيُّ والحاكم وابن حِبَّان في «صحيحيهما» بمعناه، وقال الحاكم: صحيحٌ على شرط الشيخَيْنِ، يعني: البخاريَّ ومُسْلِماً، وفي رواية النسائيِّ وابن حِبَّانَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إذَا عَادَ الْمَرِيضَ، جَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، ثُمَّ قَالَ»، فَذَكَرَ مِثْلَهُ بمعناه انتهى من «السلاح».

---

(١) سقط في جـ.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٦٥) كتاب البر والصلة: باب ما جاء في زيارة الإخوان، حديث (٢٠٠٨)، وابن ماجه (١/ ٤٦٤) كتاب الجنائز: باب ما جاء في ثواب من عاد مريضاً، حديث (١٤٤٣). كلاهما من طريق أبي سنان القسملي عن عثمان بن أبي سودة عن أبي هريرة مرفوعاً.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وأبو سنان اسمه عيسى بن سنان.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٩) كتاب البر والصلة: باب فضل عيادة المريض، حديث (٤٢/ ٢٥٦٨).

(٤) في جـ: رب العرش الكريم.

(٥) أخرجه أبو داود (٢/ ٢٠٤) كتاب الجنائز: باب الدعاء للمريض عند العيادة، حديث (٣١٠٦)، والترمذي (٤/ ٤١٠) كتاب الطب: باب (٣٢) حديث (٢٠٨٣)، والحاكم (١/ ٣٤٢) من حديث ابن عباس. وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري. وصححه النووي في «الأذكار» (ص ـ ١٦٧).

(٦) تقدم تخريجه.

وقوله: ﴿خطيئتي﴾ ذهب أكثرُ المفسرين إلى: أَنَّهُ أراد كَذباتِهِ الثلاثَ، قوله: هي أختي في شأن سارة، وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله: ﴿بَلْ فعلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وقالت فرقة: أراد بالخطيئة اسم الجنس، فدعا في كل أمره من غير تعيين.

قال *ع[(١)]*: وهذا أظهر عندي.

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ (٩٣) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٠٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٠٤) كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦)﴾.

وقوله: ﴿رب هب لي حكماً﴾: أي حكمةً ونبوَّةً، ودعاؤه في مثل هذا هو في معنى التثبيت والدوام، ولسان الصِّدْق: هو الثَّناءُ الحَسَنُ، واستغفاره لأبيه في هذه الآية هو قبل أنْ يَتَبَيَّنَ له أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ.

وقوله: ﴿بقلب سليم﴾ معناه: خالص من الشرك والمعاصي وعلق الدنيا المتروكة، وإنْ كانت مباحة؛ كالمال والبنين؛ قال سفيان هو الذي يَلْقَى رَبَّهُ / وليس في قلبه شيء غيره. ٤٨ ب

قال *ع[(٢)]*: وهذا يقتضي عموم اللفظة، ولكنَّ السليم من الشرك هو الأَهَمُّ، وقال الجُنَيْدُ: بقلب [لدِيغ من خشية اللّه، والسَّلِيمُ: اللديغ.

ص: ﴿إلاَّ من أتى اللّه﴾ الظاهر أَنَّهُ استثناءٌ منقطع، أي: لكن مَنْ أَتَى اللّه بقلب][(٣)] سليم، نفعته سلامةُ قلبه، انتهى. ﴿وأزلفت﴾ معناه: قَرُبَتْ، والغاوون الذين بُرِّزَتْ لهم الجحيم هم: المشركون، ثم أخبر سبحانه عن حال يوم القيامة من أَنَّ الأصنام تُكَبْكَبُ في النار، أي: تُلْقَى كَبَّةً واحدة.

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٣٥).
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٣٥).
(٣) سقط في جـ.

وقال «ص»: ﴿فكبكبوا﴾، أي: قُلِّبَ بَعْضُهُم على بعض، وحروفه كلها أصول عند جمهور البصريين، وذهب الزَّجَّاج وابن عطية وغيرهما إلى أنَّه مضاعف الباء من «كَبَّ».

وقال غيرهما: وجعل التَّكْرِيرَ من اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى، وذهب الكوفيون إلى: أنَّ أصلَه «كَبَبَ» والكاف بدلٌ من الباء[١] الثانية، انتهى. والغاوون: الكفرة الذين شملتهم الغواية وجنود إبليس: نَسْلُهُ وكل مَنْ يتبعه؛ لأَنَّهم جند له وأعوان، ثم وصف تعالى أنَّ أهل النار يختصمون فيها ويتلاومون قائلين لأَصنامهم: ﴿تاللَّه إن كنا لفي ضلال مبين﴾: في أنْ نعبدكم ونجعلكم سواءً مع اللّه الذي هو رب العالمين، ثم عطفوا يَرُدُّون الملامة على غيرهم، أي: ما أضلَّنا إلاَّ كُبَراؤُنا وأهلُ الجرم والجراءة، ثم قالوا على جِهةِ التلهف والتأسف حين رأوا شفاعة الملائكة والأنبياء والعلماء نافعةً في أهل الإيمان عموماً، وشفاعةَ الصَّدِيقِ في صديقه خصوصاً: ﴿فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم﴾، والحميم: الوليُّ والقريب الذي يَخُصُّكَ أمرَه وتخصه أمرك، وحامَّة[٢] الرجل خاصَّتُه، وباقي الآية بَيِّنٌ.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾

---

(١) قال الزمخشري: الكَبْكَبَة تكرير الكَبِّ وجعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى. وقال ابن عطية نحواً منه قال: وهوَ الصحيح لأن تكرير الفعل بَيِّنٌ نحو صَرَّ وَصَرْصَرَ. وهذا هو مذهب الزجَّاج وفي هذا البناء ثلاثة مذاهب:
أحدها: هذا.
والثاني: هو مذهب البصريين أن الحروف كلها أصول.
والثالث: وهو قول الكوفيين أن الثالث مبدل من مثل الثاني فأصل كَبْكَبَ كَبَّبَ بثلاث باءاتٍ ومثله لَمْلَمَ وكَفْكَفَ هذا إذا صح المعنى بسقوط الثالث فأما إذَا لم يصح المعنى بسقوطه كانت كلها أُصُولاً من غير خلاف نحو سِمْسِمْ وخِمْخِمْ، وواو «كُبْكِبُوا» قيل: للأَصْنَام إجراء لها مجرى العقلاء وقيل لعابديها قوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ جملة حالية معترضة بين القول ومعموله الجملة القَسَمِيَّةُ «إنْ كُنَّا لَفِي» ومذهب البصريين أنَّ إنْ مخففة واللام فارقة ومذهب الكوفيين أنَّ إنْ نافية واللام بمعنى إلاَّ.
ينظر: **«الدر المصون»** (٥/ ٢٨٠).

(٢) في جـ: حماة.

فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾
ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾
فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾﴾.

وقول نوح عليه السلام: ﴿إني لكم رسول أمين﴾ أي: أمين على وحي اللّه ورسالته.

ص: قرأ الجمهور[(١)]: «وَاتَّبَعَكَ» والجملة حال، أي وقد اتبعك، ويعقوب[(٢)]: «وَأَتْبَاعُكَ»، وعن اليماني[(٣)]: «وَأَتْبَاعِكَ» بالجر؛ عطفاً على الضمير في «لك» انتهى، و﴿الأرذلون﴾: جمع الأرذل، ولا يستعمل إلاَّ مُعَرَّفاً أو مضافاً، أو بمن.

قال *ع*[(٤)]: ويظهر من الآية [أنَّ][(٥)] مراد قوم نوح بنسبة الرذيلة إلى المؤمنين تهجينُ أفعالهم لا النظرُ في صنائعهم، وذهب أشراف قوم نوح في استنقاصهم ضَعَفَةَ المؤمنين مَذْهَبَ كُفَّارِ قريشٍ في شأنِ عَمَّارِ بن ياسر. وصُهَيْبٍ وبلالٍ وغيرهم، وقولهم: ﴿من المرجومين﴾ يحتمل أنْ يريدوا بالحجارة أو بالقول والشتم، وقوله: ﴿افتح﴾ معناه: احكم، والفَتَّاحُ، القاضي بلغة يَمَانِيَةٍ، و﴿الفُلْكُ﴾: السفينة، و﴿المشحون﴾ معناه: المملوء.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم
بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ
﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ
تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ
﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾.

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٣٠).

(٢) وقرأ بها عبد اللّه، وابن عباس، وأبو حيوة، والضحاك، وطلحة، وابن السميفع، وسعيد بن أبي سعيد الأنصاري.
ينظر: «المحتسب» (٢/ ١٣١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٠)، و«الدر المصون» (٥/ ٢٨٠).

(٣) ينظر: «الدر المصون» (٥/ ٢٨١).

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٣٧).

(٥) سقط في جـ.

وقول هود عليه السلام لقومه: ﴿أتبنون﴾ هو على جهة التوبيخ، والرِّيعُ: المرتفع من الأرض وله في كلام العرب شواهد، وعَبَّرَ المفسرون عن الريع بعبارات، وجملة ذلك أَنَّهُ المكان المشرف، وهو الذي يتنافس البشر في مبانيه، والآية: البنيان؛ قال ابن عباس: آية علم[١].

وقال مجاهد: أبراج الحمام[٢]، وقيل: القصور الطوال، والمصانع جمع مصنع وهو ما صُنِعَ وَأُتْقِنَ في بنيانه من قصر مَشِيدٍ ونحوه، قال البخاريُّ: كل بناء مصنعة، انتهى.

وقوله: ﴿لعلكم تخلدون﴾ أي: كأنكم تخلدون / وكذا نقله البخاريُّ عن ابن عباس ٤٩أ
غيرَ مسند، انتهى. والبطشُ: الأخذ بسرعة، والجبار: المُتَكَبِّرُ، ثم ذكَّرهم عليه السلام بأياد اللّه تعالى فيما منحهم، وحَذَّرهم من عذابه، فكانت مراجعتهم أنْ سووا بين وعظه وتركه الوعظ، **وقرأ** نافع[٣] وغيره: «خُلُقُ الأَوَّلِينَ» ـ بضم اللام ـ فالإشارة بهذا إلى دينهم، أي ما هذا الذي نحن عليه إلاَّ خُلُقُ الناس وعادتهم، **وقرأ** ابن كثير[٤] وغيره: «خُلْقُ» ـ بسكون اللام ـ، فيحتمل المعنى: ما هذا الذي تزعمه إلاَّ أخلاق الأولين من الكَذَبَةِ؛ فأنت على منهاجهم، وروى عَلْقَمَةُ عن ابن مسعود، : إلاَّ اختلاق الأَوَّلِينَ.

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾.

وقول صالح لقومه: ﴿أتتركون فيما ها هنا﴾: تخويف لهم بمعنى: أتطمعون أنْ تَقِرُّوا

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٤٦٠) برقم (٢٦٦٩٧)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٣٨)، والسيوطي (٥/ ١٦٩)، وعزاه لابن جرير عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٤٦١) برقم (٢٦٧٠٠)، والسيوطي (٩/ ١٧٠)، وعزاه للفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٣) ينظر: «**السبعة**» ٤٧٢، و«**الحجة**» (٥/ ٣٦٥)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ١٣٦)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ٢٢٧)، و«**شرح الطيبة**» (٥/ ١٠٠)، و«**العنوان**» (١٤٢)، و«**حجة القراءات**» (٥١٨)، و«**شرح شعلة**» (٥٢١)، و«**إتحاف**» (٢/ ٣١٨).

(٤) ينظر: مصادر القراءة السابقة.

في النعم على معاصيكم، والهضيم: معناه اللَّيِّنُ الرَّطْبُ. والطَّلْعُ الكُفَرَّى. وهو عُنْقُودُ التمر قبل أنْ يخرج من الكِمِّ في أوَّلِ نباته، فكأنَّ الإشارة إلى أنَّ طلعها يتم ويرطب؛ قال ابن عباس: [إذا أينع وبلغ فهو هضيم(١)، وقال الزَّجَّاجُ: هو فيما قيل الذي رطبه بغير نوى، وقال الثعلبيُّ: قال ابن عباس](٢) هضيم: لطيف ما دام في كُفَرَّاه(٣)، انتهى. وقرأ الجمهور(٤): «تَنْحِتُونَ»: ـ بكسر الحاء ـ، و«فرهين»: من الفراهة وهي جودة منظر الشيء وخبرته وقوته.

وقوله: ﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾ خاطب به جمهور قومه وعنى بالمُسْرِفِينَ: كبراءهم وأعلام الكفر والإضلال فيهم ﴿قالوا إنما أنت من المسحرين﴾ أي: قد سُحِرْتَ.

ص: **قرأ**: الجمهور(٥): «شِرْبٌ». بكسر الشين ـ، أي: نصيب، **وقرأ** ابن أبي عبلة: ـ بضم الشين ـ فيهما، انتهى.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿كذبت قوم لوط المرسلين * إذ قال لهم أخوهم لوط﴾ قال [النقاش](٦): إنَّ في مصحف ابن مسعود وأُبَيٍّ وحفصةَ: «إِذْ قَالَ لَهُمْ لُوطٌ» وسقط أخوهم.

وقوله: ﴿إني لعملكم من القالين﴾ القِلَى: البُغْضُ، فنجاه اللّه بأنْ أمره بالرحلة على ما تقدم في قصصهم.

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٤٦٥) برقم (٢٦٧٢١)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٣٩)، والسيوطي (٤/ ١٧١)، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس نحوه.
(٢) سقط في جـ.
(٣) ذكره البغوي (٣/ ٣٩٥).
(٤) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٢٤٠)، و«**البحر المحيط**» (٧/ ٣٣)، و«**الدر المصون**» (٥/ ٢٨٣).
(٥) ينظر: «**البحر المحيط**» (٧/ ٣٤).
(٦) سقط في جـ.

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿كذب أصحاب ليكة المرسلين﴾ قرأ نافع وابن كثير[1] وابن عامر: «أَصْحَابُ لَيْكَةَ» على وزن فَعْلَةَ هنا، وفي [ص] وقرأ الباقون: «الأَيْكَةِ» وهي: الدوحة المُلْتَفَّةُ من الشجر على الإطلاق، وقيل من شجر معروف له غضارة تألفه الحمام والقُمَارِيُّ ونحوها، و«لَيْكَة» اسم البلد في قراءة مَنْ قرأ ذلك؛ قاله بعض المفسرين، وذهب قوم إلى أنَّها مُسَهَّلَةٌ من الأيكة، وأنَّها وقعت في المصحف هنا وفي «ص» بغير ألف.

وقوله تعالى: ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ [الشعراء: ١٠٥] وكذلك ما بعده بلفظ الجمع من حيث إنَّ تكذيب نَبِيٍّ واحد يستلزم تَكْذِيبَ جميع الأنبياء؛ لأنَّهم كلهم يدعون الخلق إلى الإيمان باللّه تعالى واليوم الآخر، وفي قول الأنبياء ـ عليهم السلام ـ: «ألا تتقون» عرض رفيق وتَلَطُّفٌ، كما قال تعالى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨] والجِبِلَّةُ: الخليقة والقرون الماضية، والكِسَفُ: القِطَعُ، واحدها كِسْفَةٌ، و﴿يوم الظلة﴾: هو يوم عذابهم، وصورته فيما رُوِيَ أَنَّ اللّه امتحنهم بحرٍّ شديد، وأنشأ اللّه سَحَابَةً في بعض
٤٩ ب قطرهم فجاء بعضهم إلى ظِلِّها فوجد لها برداً ورَوْحاً، فتداعوا إليها / حتى تكاملوا فاضطرمت عليهم ناراً، فأحرقتهم عن آخرهم.

وقيل غير هذا، والحق أنَّه عذاب جعله اللّه ظلة عليهم.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾

(١) ينظر: «السبعة» (٤٧٣)، و«الحجة» (٥/ ٣٦٧)، و«إعراب القراءات» (٢/ ١٣٧)، و«معاني القراءات» (٢/ ٢٢٩)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٠١)، و«العنوان» (١٤٢)، و«حجة القراءات» (٥١٩)، و«شرح شعلة» (٥٢١)، و«إتحاف» (٢/ ٣١٩).

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ (١٩٨) فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ (١٩٩)﴾.

وقوله تعالى: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين﴾ يعني القرآن.

وقوله: ﴿بلسان عربي﴾ متعلق بـ ﴿نزل﴾، أي: سمعه النبي ﷺ من جبريل حروفاً عربيَّةً، وهذا هو القول الصحيح، وما سوى هذا فمردود.

وقوله سبحانه: ﴿وإنه لفي زبر الأولين﴾ أي: القرآن مذكور في الكتب المُنَزَّلَة القديمة، مُنَبَّهٌ عليه، مُشَارٌ إليه ﴿أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾؛ كَعَبْدِ اللّه بْنِ سَلاَمٍ ونحوه؛ قاله ابن عباس ومجاهد[(١)]، قال مُقَاتِلٌ[(٢)]: هذه الآية مدنية، وَمَنْ قال إنَّ الآية مَكِّيَّةٌ ذهب إلى أنَّ علماء بني إسرائيل ذكروا لقريش أنَّ في التوراة صفةَ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ، وأنَّ هذا زمانه، فهذه الإشارة إلى ذلك؛ وذلك أنَّ قريشاً بعثت إلى الأحبار يسألونهم عن أمر النبي ﷺ، ثم أخبر تعالى أَنَّ هذا القرآن لو سمعوه من أعجمَ، أي: من حيوان غير ناطق، أو من جماد، والأعجم: كل ما لا يُفْصِحُ ـ ما كانوا يؤمنون، والأعجمون: جمع أَعْجَم، وهو الذي لا يُفْصِحُ، وإنْ كان عربيّ النَّسَبِ، وكذلك يقال للحيوانات والجمادات، ومنه الحديث: «جُرْحُ العَجْمَاءِ جُبَارٌ»[(٣)] والعَجَمِيُّ هو الذي نسبه

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٤٧٦، ٤٧٧) برقم (٢٦٧٧١) عن ابن عباس، و(٢٦٧٧٢) عن مجاهد، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٤٣)، والسيوطي (٥/ ١٧٧)، وعزاه لابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس، ولابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٤٣).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٣٣): كتاب المساقاة: باب من حفر بئراً في ملكه لم يضمن، حديث (٢٢٥٥)، و«مسلم» (٣/ ١٣٣٤): كتاب الحدود: باب جرح العجماء والمعدن والبئر جبار، حديث (٤٥/ ١٧١٠)، وأبو داود (١٤): كتاب الخراج والإمارة والفيء: باب ما جاء في الركاز وما فيه، حديث (٣٠٨٥)، والترمذي (٢/ ٤١٨): كتاب الأحكام: باب ما جاء في العجماء أن جرحها جبار. حديث (١٣٩١)، والنسائي (٥/ ٤٥): كتاب الزكاة: باب المعدل، وابن ماجه (٢/ ٨٣٩): كتاب اللقطة: باب من أصاب ركازاً، حديث (٢٥٠٩)، ومالك (١/ ٢٤٩): كتاب الزكاة: باب زكاة الركاز، حديث (٩)، والشافعي (١/ ٢٤٨): كتاب الزكاة: الباب الرابع في الركاز والمعادن، حديث (٦٧١، ٦٧٢)، وأبو عبيد (٤٢٠، ٤٢١): كتاب الخمس وأحكامه وسننه: باب الخمس في المعادن والركاز، والطيالسي (ص: ٣٠٤)، حديث (٢٣٠٥)، وابن أبي شيبة (٣/ ٢٢٤، ٢٢٥): كتاب الزكاة: باب في الركاز يجدوه القوم، فيه زكاة، وأحمد (٢/ ٢٢٨)، وابن الجارود (ص: ١٣٥): كتاب الزكاة، حديث (٣٧٢)، والبيهقي (٤/ ١٥٥): كتاب الزكاة: باب زكاة الركاز، وعبد الرزاق (١٠/ ٦٦)، رقم (١٨٣٧٣)، والحميدي (٢/ ٤٦٢)، رقم (١٠٧٩)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٢٠٤)، وأبو يعلى (١٠/ ٤٣٧)، رقم (٦٠٥٠)، والطبراني في «الصغير» (١/ ١٢٠ـ ١٢١)، من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «العجماء جُبَار، والبئر جبار، والمعدن جبار، وفي الركاز الخمس».

في العَجَمِ، وإن كان أفصح الناس، وقرأ الحسن[١]: الأَعْجَمِيِّينَ.

قال أبو حاتم: أراد جمع الأعجمي المنسوب إلى العجم.

وقال الثعلبيُّ: معنى الآية: ولو نزلناه على رجل ليس بعربيِّ اللسان، فقرأه عليهم بغير لغة العرب ـ لما آمنوا أَنَفَةً من اتباعه، انتهى.

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿كذلك سلكناه في قلوب المجرمين﴾.

قال *ع[٢]*: و﴿سلكناه﴾ معناه: أدخلناه، والضمير فيه للكفر الذي يتضمنه قوله: ﴿ما كانوا به مؤمنين﴾ [الشعراء: ١٩٩]؛ قاله الحسن[٣]، وقيل الضمير للتكذيب، وقيل للقرآن ورُجِّحَ بأَنَّهُ المتبادر إلى الذهن، والمجرمون أراد به مجرمي كل أُمَّةٍ، أي: أنَّ هذه عادة اللّه فيهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب، فكُفَّارُ قريش كذلك و﴿هل نحن منظرون﴾ أي: مُؤَخَّرُون.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ توبيخٌ لقريش على استعجالهم العذابَ، وقولهم للنبي ﷺ: أَسْقِطْ علينا كِسَفاً من السماء، وقولهم: أين ما تعدنا؟ ثم خاطب سبحانه نَبِيَّهُ ـ عليه السلام ـ بقوله: ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين﴾.

قال عِكْرِمَةُ: ﴿سنين﴾: يريد عمر الدنيا[٤]، ثم أخبر تعالى أَنَّه لم يهلك قريةً من

---

(١) ينظر: **«مختصر الشواذ»** ص ١٠٩، و**«المحتسب»** (٢/ ١٣٢)، و**«الكشاف»** (٣/ ٣٣٦)، و**«المحرر الوجيز»** (٤/ ٢٤٣)، و**«البحر المحيط»** (٧/ ٤٠)، وزاد نسبتها إلى ابن مقسم. وهي في **«الدر المصون»** (٥/ ٢٨٩).

(٢) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٤/ ٢٤٤).

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٤٧٨) برقم (٢٦٧٨٠) بلفظ «خلقناه»، وذكره البغوي (٣/ ٣٩٩)، وابن عطية (٤/ ٢٤٤)، والسيوطي (٥/ ١٧٨)، وعزاه لعبد بن حميد عن الحسن بلفظ «جعلناه».

(٤) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٤٤).

القُرَى إلاَّ بعد إرسال مَنْ ينذرهم عذاب اللّه عز وجل؛ ذكرى لهم وتبصرةً.

وقوله تعالى: ﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ الضمير في ﴿به﴾ عائد على القرآن.

﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾ أي: لأنَّ السماء محروسة بالشُّهُب الجارية إثْرَ الشياطين، ثم وَصَّى تعالى نبيه بالثبوت على التوحيد والمراد: أُمَّتُهُ فقال: ﴿فلا تَدْعُ مع اللّه إلٰهاً آخر...﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين...﴾ الآية: وفي «**صحيح البخاريّ**» وغيره
عن ابن عباس: لما نزلت هذه الآيةُ خرج النَّبيُّ ﷺ حَتَّىٰ صَعِدَ الصَّفَا، فَهَتَفَ: «يَا
صَبَاحَاهُ، فَقَالُوا: مَنْ هَذَا؟ فَاجْتَمَعُوا إلَيْهِ، فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ إنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ مِنْ
١٥٠ أ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: / نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِباً، قَالَ: فَإنِّي نَذِيرٌ
لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» الحديث[١]، وَخَصَّ بإنذاره عشيرته؛ لأنَّهم مَظَنَّة الطواعية، وإذ
يمكنه من الإغلاظ عليهم ما لا يحتمله غيرهم، ولأنَّ الإنسان غير مُتَّهَم على عشيرته،
والعشيرة: قرابة الرجل، وخفض الجناح: استعارة معناه: لِينُ الكلمةِ، وبسط الوجه،
والبِرُّ، والضمير في ﴿عصوك﴾ عائد على عشيرته، ثم أمر تعالى نبيه عليه السلام بالتوكل
عليه في كل أموره، ثم جاء بالصفات التي تؤنس المتوكل وهي العزة والرحمة.

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾.

وقوله: ﴿الذي يراك حين تقوم﴾ يراك عبارة عن الإدراك، وظاهر الآية أنَّه أراد قيام الصلاة، ويحتمل سائر التصرفات؛ وهو تأويلُ مجاهدٍ وقتادة[٢].

وقوله سبحانه: ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ قال ابن عباس[٣] وغيره: يريد أهل

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٣٦٠) كتاب التفسير: باب ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ حديث (٤٧٧٠) من حديث ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٤٨٥) برقم (٢٦٨١٤) عن مجاهد، وذكره البغوي (٣/ ٤٠٢) عن مجاهد، وابن عطية (٤/ ٢٤٦)، وابن كثير (٣/ ٣٥٢) عن قتادة، والسيوطي (٥/ ١٨٣)، وعزاه لابن أبي حاتم عن مجاهد، ولعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٤٨٥) برقم (٢٦٨١٥) بنحوه، وذكره البغوي (٣/ ٤٠٢)، وابن عطية (٤/ ٢٤٦)، والسيوطي (٥/ ١٨٣)، وعزاه لابن المنذر عن ابن عباس.

الصلاة، أي: صلاتك مع المُصلِّين.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿قل هل أنبّئكم﴾ أي: قل لهم يا محمد: هل أخبركم ﴿على من تنزل الشياطين﴾؟ والأفَّاك: الكَذَّابُ، والأثيم: الكثير الإثم، ويريد الكهنة؛ لأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَلَقَّوْنَ مِنَ الشَّيَاطِينِ الكَلِمَةَ الوَاحِدَةَ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَيَخْلِطُونَ مَعَهَا مِائَةَ كِذْبَةٍ، حَسْبَمَا جاء في الحديثِ[1]، وقد ذكرناه في غير هذا الموضع، والضمير في ﴿يلقون﴾ يحتمل أنْ يكون للشياطين، ويحتمل أنْ يكون للكهنة، ولما ذكر الكهنة بإفكهم وحالهم التي تقتضي نفي كلامهم عن كلام اللَّه تعالى ـ عَقَّبَ ذلك بذكر الشعراء وحالهم؛ لِيُنَبِّهَ على بُعْدِ كلامهم من كلام القرآن، إذ قال بعض الكفرة في القرآن: إنَّه شعر، والمرادُ شعراءُ الجاهلية، ويدخل في الآية كلُّ شاعرٍ مخلِّطٍ يَهْجُو ويَمْدَحُ؛ شهوةً، ويقذف المُحْصَنَاتِ، ويقول الزور.

وقوله: ﴿الغاوون﴾ قال ابن عباس: هم المستحسنون[2] لأشعارهم، المصاحبون لهم.

وقال عِكْرَمَةُ: هم الرَّعَاعُ الذين يتبعون الشاعر ويغتنمون إنشاده[3].

وقوله: ﴿في كل واد يهيمون﴾ عبارة عن تخليطهم وخوضهم في كل فَنٍّ من غَثِّ الكلام وباطله؛ قاله ابن عباس[4] وغيره، وروى جابر بن عبد اللَّه عن النبي ﷺ أَنَّه قال: «مَنْ مَشَىٰ سَبْعَ خُطْوَاتٍ فِي شِعْرٍ، كُتِبَ مِنَ الغاوِينَ» ذكره أسدُ بنَ مُوسَىٰ، وذكره النقاش.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٥٩٥) كتاب الأدب: باب قول الرجل للشيء...، حديث (٦٢١٣)، ومسلم (٤/ ١٧٥٠) كتاب السلام: باب تحريم إتيان الكهان، حديث (١٢٣/ ٢٢٢٨) من حديث عائشة.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٤٨٨) برقم (٢٦٩٣٣)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٤٦)، والسيوطي (٥/ ١٨٦)، وعزاه للفريابي، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٤٨٩) برقم (٢٦٨٣٧)، بلفظ «عصاة الجن»، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٤٦)، والسيوطي (٥/ ١٨٦)، وعزاه للفريابي، وابن المنذر، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، عن عكرمة بلفظ «عصاة الجن».

(٤) أخرجه الطبري (٩/ ٤٩٠) برقم (٢٦٨٤٢) نحوه، وبرقم (٢٦٨٤٣)، عن مجاهد، وذكره البغوي (٣/ ٤٠٣)، وابن عطية (٤/ ٢٤٦)، والسيوطي (٥/ ١٨٦)، وعزاه لابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِلاَّ الذينَ آمنوا وعملوا الصالحات...﴾ الآية: هذا الاستثناء هو في شعراء الإِسلام؛ كحَسَّان بن ثابت، وكَعْب بن مالك، وعبد اللَّه بن رَوَاحَةَ، وكُلِّ مَن اتصف بهذه الصفة، ويُرْوَى عن عطاءِ بن يَسَارٍ وغيرِهِ أَنَّ هؤلاءِ شَقَّ عليهم ما ذُكِرَ قَبْلُ في الشعراء، فذكروا ذلك للنبيِّ ﷺ فنزلت آيةُ الاستثناء بالمدينة.

وقوله تعالى: ﴿وذكروا اللَّه كثيراً﴾ يحتملُ أنْ يريد في أشعارهم، وهو تأويل ابن زيد[١]، ويحتمل أنَّ ذلك خُلُقٌ لهم وعبادة؛ قاله ابن عباس[٢]، فكل شاعر في الإِسلام يهجو ويمدَحُ عن غير حَقٍّ فهو داخل في [هذه الآية، وكل تقيٍّ منهم يُكْثِرُ من الزُّهْدِ، ويمسك عن كل ما يُعَابُ فهو داخل في][٣] الاستثناء.

ت: قد كتبنا ـ والحمد للَّه ـ في هذا المُخْتَصَرِ جملةً صالحة في فضل الأذكار؛ عسى اللَّه أَنْ ينفع به مَنْ وقع بيده، ففي «**جامع الترمذيِّ**» عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ، قال: سُئِلَ النبيُّ ﷺ: أَيُّ العِبَادِ أَفْضَلُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ تعالى يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَال: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيراً، قُلْتُ: وَمِنَ الْغَازِي في سَبِيلِ اللَّه عزَّ وجلَّ؟! قَالَ: لَوْ ضَرَبَ بِسَيْفِهِ فِي الكُفَّارِ
٥٠ ب وَالْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يَنْكَسِرَ وَيَخْتَضِبَ دَماً ـ لكانَ الذَّاكِرُونَ اللَّهَ تَعَالَىٰ أَفْضَلَ مِنْهُ»[٤]/ وروى الترمذيُّ، وابن ماجه عن أبي الدَّرْدَاءِ، قال: قَالَ رَسولُ اللَّه ﷺ: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِن إِنْفَاقِ الذَّهَبِ والوَرِقِ؛ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَىٰ، قَالَ: ذِكْرُ اللَّهِ تعالى»[٥]. قَالَ الحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ في كِتَابِهِ «**المستَدْرَك على الصَّحِيحَيْنِ**»:

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٤٩١) برقم (٢٦٨٥٦)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٤٧).
(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٤٧).
(٣) سقط في جـ.
(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٢٨) كتاب الدعوات: باب فضل الذكر، حديث (٣٣٧٦)، وأحمد (٣/ ٧٥) من طريق دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري به. وقال الترمذي: هذا حديث غريب، إنما نعرفه من حديث دراج.
(٥) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٥٩) كتاب الدعاء: باب (٦) حديث (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٢/ ١٢٤٥) كتاب الأدب: باب فضل الذكر، حديث (٣٧٩٠)، وأحمد (٥/ ١٩٥)، والحاكم (١/ ٤٩٦) عن أبي الدرداء مرفوعاً.

هذا حدِيثٌ صحيحُ الإِسْنادِ، انتهى من «**حليةِ النَّوَوِيِّ**». وقوله: ﴿وانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ إشارةٌ إِلى مَا رَدَّ به حَسَّانٌ وَعَلِيٌّ وغيرهُما على قريش.

قلت: قيل: وَأَنْصَفُ بَيتٍ قَالَتْهُ العَرَبُ: قَوْلُ حَسَّان لأَبي سُفْيَانَ أَو لأَبِي جَهْلٍ: [الوافر]

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ[1]

وَبَاقِي الآيةِ وَعِيدٌ لظلمةِ كُفَّارِ مَكَّةَ وتهديدٌ لَهُمْ.

= وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وأخرجه مالك في «**الموطأ**» (١/ ٢١١) كتاب القرآن: باب ما جاء في ذكر الله تبارك وتعالى، حديث (٢٤) عن زياد بن أبي زياد عن أبي الدرداء موقوفاً.

(١) ينظر: البيت في «**ديوانه**» ص (٧٦)؛ و«**خزانة الأدب**» (٩/ ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٧)؛ و«**شرح الأشموني**» (٣/ ٣٨٨)؛ و«**لسان العرب**» (٣/ ٤٢٠) (ندد)، (٦/ ٣١٦) (عرش).
واستشهد فيه بقوله: «فشرُّكما لخيركما الفداءُ» حيث ورد أفعل التفضيل («شَرّ» و«خَير») عارياً عن معنى التفضيل. قال السُّهيليّ: «في ظاهر هذا اللَّفظ شناعة؛ لأنَّ المعروف أن لا يُقال: «هو شَرُّهما»، إلاَّ وفي كليهما شَرٌّ، وكذلك شَرٌّ منك، ولكنَّ سيبويه قال: تقول: مررتُ برجل شَرٍّ منك، إذا نقص عن أن يكون مثله. وهذا يدفع الشَّناعة عن الكلام الأوَّل ونحوٌ منه قوله عليه السلام: «شَرُّ صفوفِ الرِّجالِ آخرُها»، يريد نقصان حظِّهم عن حظِّ الصّفِّ الأوَّل، كما قال سيبويه. ولا يجوز أن يريد التفضيل في الشَّرّ، والله أعلم» («**الخزانة**» ٩/ ٢٣٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى اللّه على سيدنا ومولانا محمد

تفسير «سُورَةِ النَّمْلِ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿طسٓ تِلْكَ ءاياتُ القُرْآنِ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * هدًى وبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ تقدَّمَ القولُ في الحروفِ المقطَّعةِ، وعَطفِ الكِتَابِ على القرآنِ وهما لمُسَمًّى واحدٍ؛ من حَيْثُ هُما صِفتَانِ لمعنيينِ، فالقُرْءَان: لأنه اجتمَعَ، والكتابُ: لأنه يُكْتَبُ، «وإقامةُ الصَّلاَةِ»: إدامتُها وأداؤُها على وَجْهِهَا.

وَقَوْلُهُ تَعالَى: ﴿زينَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: جَعَلَ سُبْحَانَه عقابَهم على كُفرِهم أن خَتَمَ عَليهم الكُفْرَ، وحَبَّبَ إليهم الشِّركَ وزيَّنَه في نُفوسِهم. والعَمَهُ: الحيرةُ والتردُّدُ في الضَّلالِ. ثم تَوَعَّدَهُمْ تَعالى بسُوءِ العذَابِ؛ فَمَنْ نَالَهُ مِنهُ شيءٌ في الدُّنْيا بَقِيَ عليه عَذابُ الآخرةِ، وَمَنْ لَمْ يَنَلْه عَذَابُ الدُّنيا كَانَ سُوء عَذابه في مَوْتِه وفي ما بَعْدَه.

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وإنَّكَ لَتُلَقَّى القُرْآنَ﴾ تُلَقَّى: مضاعفُ لَقِيَ يَلْقَى، ومعناه تُعْطَى، كما قَال: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

وهذه الآيةُ ردٌّ على كُفَّارِ قُرَيْشٍ في قَوْلهم: إنَّ القُرْآن مِن تلقاءِ مُحَمَّدٍ؛ و﴿من لَدُن﴾ معناه: مِن عِنْدِهِ؛ وَمِنْ جِهَتِهِ. ثم قَصَّ ـ تعالى ـ خَبرَ موسى؛ حين خَرَجَ بزوجِه؛ بنت شُعيب عَليهِ السَّلاَمُ يُريدُ مصرَ، وقد تقدَّم في «طه» قصصُ الآيةِ.

وقوله: ﴿سَآتِيكُمْ مِنهَا بخبرٍ أَو آتيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ...﴾ الآية، أصلُ الشِّهَاب:

الكوكبُ المنقضُّ في أثر مسترقِ السمع؛ وكل ما يُقال له «شهابٌ» من المنيرات؛ فعلى التَّشْبِيهِ، والقبسُ: يُحْتَمَلُ أَنْ يكون اسماً، ويُحْتملُ أن يكونَ صفةً. وقرأ الجمهورُ بإضافة «شِهَابِ» إلى «قَبَسٍ»، وقرأ حَمزَةُ والكِسائِيُّ[١] وعاصمُ بتنوينِ «شِهَابٍ قَبَسٍ»: فَهَذَا على الصِّفَةِ.

ص: وقوله: ﴿جَاءَهَا﴾ ضميرُ المفعولِ، عائدٌ على النَّارِ، وقيل على الشَّجَرَةِ، انتهى. و﴿بُورِكَ﴾ معناه: قُدِّسَ ونَمِيَ خَيْرُه، والبركة، مختصَّة بالخير.

وقولهِ تعالى: ﴿مَنْ في النَّارِ﴾ قال ابنُ عباس: أرادَ النُّورَ[٢]، وقال الحسنُ وابنُ عباس: وأراد بـ ﴿مَنْ حولَهَا﴾ الملائكة وموسى[٣].

قال *ع*[٤]: ويُحتمَلُ أن تكونَ ﴿مَنْ﴾ للملائكةِ؛ لأن ذلكَ النورَ الذي حَسِبَه موسى ناراً؛ لم يخلُ من ملائكة، ﴿ومن حَولها﴾ لموسَى والمَلائِكَةِ المُطِيفينَ بهِ.

وقرأ أُبَيُّ بنُ كعب[٥] «أن بُورِكَتِ النَّارُ وَمَنْ حَولَها».

وقوله تعالى: ﴿وسُبْحَانَ اللّهِ رَبِّ العالمين﴾، هو تنزيهٌ للَّه تعالى مما عَسَاهُ أن يَخْطُرَ / ببالٍ؛ في معنى النِّداءِ من الشَّجَرَةِ، أي: هو منزَّه عن جميعِ ما تَتَوَّهَمهُ الأَوهَامُ؛ ٥١أ
وعنِ التَّشْبيهِ والتَّكْييفِ، والضميرُ في ﴿إنه﴾ للأمرِ والشأنِ.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١١ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ

---

(١) ينظر: «السبعة» (٤٧٨)، و«الحجة» (٥/ ٣٧٢)، و«إعراب القراءات» (٢/ ١٤٣)، و«معاني القراءات» (٢/ ٢٣٣)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٠٧)، و«العنوان» (١٤٤)، و«حجة القراءات» (٥٢٢)، و«شرح شعلة» (٥٢٤)، و«إتحاف» (٢/ ٣٢٣).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٤٩٦) رقم (٢٦٨٦٧) بلفظ: «كان نور رب العالمين في الشجرة»، وابن كثير (٣/ ٣٥٦)، والسيوطي (٥/ ١٩١)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير، وابن مردويه عنه عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٤٩٧) رقم (٢٦٨٧٦) بنحوه، وابن عطية (٤/ ٢٥٠)، وابن كثير (٣/ ٣٥٧) بنحوه.

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٥٠).

(٥) ينظر: «الكشاف» (٣/ ٣٤٩)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٢٥٠).
وقد قرأ بها ابن عباس، ومجاهد، كما في «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ١٠٦). قال القرطبي: ومثل هذا لا يوجد بإسناد صحيح، ولو صح لكان على التفسير، فتكون البركة راجعة إلى النار ومن حولها الملائكة وموسى.

بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ...﴾ الآية، أمره ـ تعالى ـ بهذَيْنِ الأمرين إلقاءِ العصا، وأمرِ اليَدِ تَدريباً له في استعمالِهِمَا، والجان: الحياتُ؛ لأنها تَجِنُّ أنفُسُهَا؛ أي: تَسْتُرُهَا. وقالت فرقةٌ: الجانُّ: صِغَارُ الحَيَّاتِ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَّىٰ مُدبراً ولم يُعقِّب﴾، أي: ولَّى فارًا. قال مُجاهدٌ: ولم يرجعْ[1]، وقال قَتَادَةُ: ولم يَلْتَفِتْ[2].

قال *ع[3]*: وعَقَّبَ الرجلُ إذا ولَّى عَنْ أمرٍ؛ ثم صرف بدَنه أو وَجْهَهُ إليه. ثم ناداه سُبحانه مُؤْنِساً له: ﴿يا موسى لا تَخَفْ إنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ المُرْسَلُونَ﴾.

وقولُهُ تعالى: ﴿إلاَّ مَنْ ظَلَمَ﴾ قال الفرَّاءُ؛ وَجَمَاعَةٌ: الاستثْنَاءُ منقطعٌ، وهو إخبارٌ عن غَيرِ الأنبياء، كَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ ـ قال: لكنْ من ظَلَمَ من النَّاسِ ثُمَّ تَابَ؛ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ، وهذهِ الآيَةُ تَقْتَضِي المغفرَةَ للتَّائِبِ، والجَيْبُ الفَتْح في الثوبِ لرأسِ الإنسان.

وقولُهُ تعالى: ﴿في تِسْعِ آياتٍ﴾ مُتَّصِلٌ بقوله: ﴿أَلْقِ﴾ ﴿وأَدخِلْ يَدَكَ﴾ وفيه اقتضابٌ[4] وحذفٌ، والمعنى في جُملةِ تسعِ آياتٍ، وقد تَقَدَّمَ بَيَانُها، والضميرُ في ﴿جاءتهم﴾ لِفِرْعَوْنَ وقومِه، وظاهِرُ قَولِهِ تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا واستَيْقَنَتْهَا﴾ حُصُولُ الكفرِ عِنَاداً؛ وهي مَسْأَلَةُ خلافٍ؛ قد تَقَدَّمَ بيانُها و﴿ظلماً﴾ معناهُ: على غيرِ استحقَاقٍ للجُحْدِ، والعُلُوُّ في الأرضِ أعظمُ آفةٍ على طَالبِهِ، قال اللّه تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً﴾ [القصص: ٨٣].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾

---

(١) أخرجه الطبري (٩/٤٩٨) رقم (٢٦٨٨٠)، وابن عطية (٤/٢٥١)، والسيوطي (٥/١٩٢)، وعزاه للفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري (٩/٤٩٨) رقم (٢٦٨٨٢)، والبغوي (٣/٤٠٧)، وابن عطية (٤/٢٥١)، والسيوطي (٥/١٩٢)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٣) ينظر: «المحرر» (٤/٢٥١).

(٤) القَضْبُ: القطع. ومنه قيل: اقتضبت الحديث، إنما هو انتزعته واقتطعته.
ينظر: «لسان العرب» (٣٦٥٩).

وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتينا داود وَسُلَيْمَانَ عِلماً...﴾ الآية، هذا ابتداءُ قَصَصٍ فيه غيوبٌ وعبرٌ.

﴿وورث سُلَيمانُ دَاودَ﴾، أي: ورثَ مُلكَه وَمنزِلَتَهُ من النبوَّة؛ بعدَ موتِ أبيهِ، وقوله: «عُلِّمنَا مَنطِقَ الطَّيرِ» إخبارٌ بنعمةِ اللّه تعالى عندهما؛ في أن فَهَّمهُمَا مِنْ أصواتِ الطير المعانيَ التي في نفوسِها، وهذا نحو ما كَانَ النبيُّ ﷺ يَسْمَعُ أَصْوَاتَ الْحِجَارَةِ بالسَّلاَمِ عَلَيْهِ؛ وغير ذلك حسب ما هو في الآثار.

قال قَتَادَةُ وغيره: إِنَّمَا كان هذا الأمرُ في الطيرِ خاصةً، والنملةُ طائِرٌ؛ إذ قد يوجَدُ لَهَا جَنَاحَانِ[1].

وقالت فرقَةٌ: بل كَانَ ذَلِكَ في جَمِيعِ الحيَوانِ؛ وإنما خَصَّ الطيرَ؛ لأنَّه كان جُنداً من جنودِ سليمان؛ يحتاجُهُ في التَّظلِيلِ من الشَّمس؛ وفي البَعْثِ في الأمور. والنَّمْلُ حيوانٌ فَطِنٌ قويٌّ شَمَّامٌ جدًّا؛ يدَّخِرُ ويتخذُ القرَىٰ وَيَشُقُّ الحَبَّ بقطعتينِ لِئَلاَّ يُنْبِتَ، ويشُقُّ الكزبرةَ بأربعِ قطعٍ؛ لأَنها تُنبِت إذا قُسِّمَتْ شقين، ويأكلُ في عامِهِ نصفَ مَا جمعَ، ويَسْتَبْقِي سائِرَهُ عُدَّةً. قالَ ابن العربي في «أحكامه[2]»: ولا خلافَ عندَ العُلَمَاءِ في أَنَّ الحيواناتِ كلَّها لَهَا أفهامٌ وعقولٌ، وقد قال الشافعيُّ: الحمَامُ أعقلُ الطَّيرِ، انتهى.

وقوله: ﴿وأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ معناه: يَصْلُحُ لنا ونَتَمَنَّاهُ؛ ولَيست على العُموم. ثُمَّ ذَكَرَ شُكْرَ فَضلِ اللّه تعالى، واخْتُلِفَ في مقدار جُنْدِ سُليمانَ عليه السلام اختلافاً شديداً؛ لا أرَى ذكره؛ لعَدَمِ صحةِ التَّحدِيدِ، غيرَ أنَّ الصَّحِيحَ في هذا أنَّ مُلكَه كَانَ عَظيماً مَلأَ الأَرْضَ، وأنْقَادَتْ له المعمُورةُ كُلُّها، وَكَانَ كُرسيُّه يَحملُ أَجْنَادَه من الأنسِ والجنِّ، وكانتِ الطيرُ تُظِلُّه منَ الشَّمسِ، ويبعَثُها في الأمور، و﴿يُوْزَعُونَ﴾ مَعناهُ: يَرُدُّ أولهُم إلى آخرهم، ويكَفونَ، قال قَتَادَةُ: فكأنَّ لِكُلِّ صِنفٍ /[3] وَزَعَةً، ومنه قَوْلُ الحسنِ البصريِّ حين وَلِيَ ٥١ ب
قَضَاءَ البَصْرَةِ: لا بدَّ للحَاكِمِ من وَزَعَةٍ[4]، ومنه قَوْلُ أبي قُحَافَةَ للجاريةِ: ذلك يا بُنَيَّةُ

(١) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٥٣).
(٢) ينظر: «أحكام القرآن» (٣/ ١٤٤٩).
(٣) ذكره البغوي (٣/ ٤١٠)، وابن عطية (٤/ ٢٥٣).
(٤) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٥٣).

الوازِع[1]؛ ومنه قولُ الشاعر: [الطويل]

عَلَىٰ حِينَ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصِّبَا ... فَقُلْتُ: أَلَمَّا أَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ[2]

أي: كافٌّ، وهكذا نقل ابنُ العربيِّ[3] عن مَالكٍ؛ فقال: ﴿يُوزَعُونَ﴾ أي: يُكَفُّونَ.

قال ابن العربي[4]: وقد يكُونُ بمعنى يُلْهَمُونَ؛ من قوله «أَوْزِعْنِي أن أَشْكُرَ نعمتَكَ» أي: أَلْهِمني، انتهى من «**الإحكام**».

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

وقولُه تَعالَى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَولِهَا﴾ التبسمُ هو ضَحْكُ الأنبيَاءِ في غالِبِ أمْرهم؛ لا يَليقُ بهم سِوَاهُ، وكان تَبَسُّمُه سروراً بنعمَةِ اللّه تَعالى عَلَيهِ في إسماعِهِ وتفهيمهِ، وفي قول النملة: ﴿وهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ ثناءٌ على سليمانَ وجنودِه يتضمنُ تنزيهَهم عن تعمدِ القبيحِ. ثم دعا سليمانُ عليه السلام ربَّه أنْ يُعينه ويُفَرِّغَهُ لشُكرِ نعمتهِ، وهذا معنى إيزاع الشُّكرِ، وقال الثعلبيُّ وغيرُه: «أوزِعْني» معناه: أَلْهِمْنِي، وكذلك قال العِرَاقِيُّ: ﴿أوزِعْنِي﴾ أَلْهِمْني، انتهى.

---

(١) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٥٣).

(٢) البيت للنابغة الذبياني في «**ديوانه**» ص (٣٢)؛ و«**الأضداد**» ص (١٥١)؛ و«**جمهرة اللغة**» ص (١٣١٥)؛ و«**خزانة الأدب**» (٢/ ٤٥٦)، (٣/ ٤٠٧)، (٦/ ٥٥٠)، (٥٥٣)؛ و«**الدرر**» (٣/ ١٤٤)؛ و«**سر صناعة الإعراب**» (٢/ ٥٠٦)؛ و«**شرح أبيات سيبويه**» (٢/ ٥٣)؛ و«**شرح التصريح**» (٢/ ٤٢)؛ و«**شرح شواهد المغني**» (٢/ ٨١٦)، (٨٨٣)؛ و«**الكتاب**» (٢/ ٣٣٠)، و«**لسان العرب**» (٨/ ٣٩٠) (وزع)، (٩/ ٧٠) (خشف)؛ و«**المقاصد النحويّة**» (٣/ ٤٠٦)، (٤/ ٣٥٧)؛ وبلا نسبة في «**الأشباه والنظائر**» (٢/ ١١١)؛ و«**الإنصاف**» (١/ ٢٩٢)؛ و«**أوضح المسالك**» (٣/ ١٣٣)؛ و«**رصف المباني**» ص (٣٤٩)؛ و«**شرح الأشموني**» (٢/ ٣١٥)، (٣/ ٥٧٨)؛ و«**شرح شذور الذهب**» ص (١٠٢)؛ و«**شرح ابن عقيل**» ص (٣٨٧)؛ و«**شرح المفصّل**» (٣/ ١٦، ٤/ ٥٩١، ٨/ ١٣٧)؛ و«**مغني اللبيب**» ص (٥٧١)؛ و«**المقرب**» (١/ ٢٩٠، ٢/ ٥١٦)؛ و«**المنصف**» (١/ ٥٨)؛ و«**همع الهوامع**» (١/ ٢١٨).
واستشهد فيه بقوله: «على حين»، حيث يجوز في «حين» الإعراب وهو الأصل، والبناء لأنّه أُضيف إلى مبنيّ، وهو الفعل الماضي «عاتب».

(٣) ينظر: «**أحكام القرآن**» (٣/ ١٤٥٠).

(٤) ينظر: «**أحكام القرآن**» (٣/ ١٤٥٠).

وقوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيرَ...﴾ الآية، قالت فرقةٌ: ذلك بحسْبِ ما تقتَضِيه العنايةُ بالمَمْلَكَةِ والتَّهمُّم بكل جُزْءٍ منها، وهذا ظاهر الآيةِ أنَّه تَفَقَّدَ جميعَ الطيرِ، وقالت فِرقةٌ: بل تَفَقَّدَ الطيرَ؛ لأَنَّ الشَّمْسَ دَخلَتْ مِنْ مَوضِعِ الهُدْهُدِ؛ فكان ذلك سببَ تفقدِ الطيرِ؛ لِيَبِينَ مِنْ أين دَخلَتِ الشمسُ، وقال عبدُ اللّهِ بن سَلاَم: إنما طلبَ الهدهدَ؛ لأنه احتاجَ إلى معرفةِ الماءِ؛ على كَم هو مِنْ وَجهِ الأرضِ؛ لأنه كانَ نَزَلَ في مفازةٍ عَدِمَ فيها الماءَ، وأن الهُدْهُدَ كان يَرَى بَاطِنَ الأرضِ وظاهرَها؛ فكان يخبرُ سليمانَ بموضع الماءِ، ثم كانتِ الجنُّ تُخْرِجُه في ساعةٍ، وقيل غير هذا؛ واللّه أعلم بما صح من ذلك. ثم توعد ـ عليه السلام ـ الهدهدَ بالعذابِ، فروي عن ابن عباس وغيره: أن تعذيبَه للطير كانَ بنتفِ ريشِه[١]. والسلطانُ: الحجةُ؛ حيث وقع في القرآن [العظيم]؛ قاله ابن[٢] عباس. وفعل سليمان هذا بالهدهدِ إغلاظاً على العاصينَ؛ وعِقَاباً على إخلاله بنبوته ورتبته، والضميرُ في ﴿مكث﴾ يحتملُ أن يكونَ لسليمانَ أو للهدهدِ، وفي **قراءة** ابن مسعود[٣] «فتمكث ثم جاء فقال» **وفي قراءة** أُبَيٍّ[٤] «فتمكث ثم قال أحطت».

ت: وهاتان القراءتان تُبَيِّنَانِ أن الضميرَ في «مكث» للهدهدِ؛ وهو الظاهرُ أيضاً في قراءة الجماعة، ومعنى ﴿مكثَ﴾: أقامَ.

وقوله: ﴿غير بعيد﴾ يعني: في الزمن.

وقوله: ﴿أحطت﴾ أي: عَلِمْتُ.

وقرأ الجمهورُ[٥] «سبأٍ» بالصرف على أنه اسمُ رجلٍ؛ وبه جاء الحديثُ عن النبي ﷺ من حديث فروةَ بن مسيك وغيره، سُئِلَ ـ عليه السلامُ ـ عَنْ سَبَإٍ فَقَالَ: «كَانَ رَجُلاً لَهُ عَشَرَةٌ مِنَ الْوَلَدِ تَيَامَنَ مِنْهُمْ سِتَّةٌ وَتَشَاءَمَ أَرْبَعَةٌ»[٦]. ورواه الترمذي من طريقِ فروة بن

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٥٠٦) رقم (٢٦٩١١)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٥٥)، وابن كثير (٣/ ٣٦٠)، والسيوطي (٥/ ١٩٧)، وعزاه لعبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، والحاكم عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٥٠٧) رقم (٢٦٩٢٤)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٥٥)، والسيوطي (٥/ ١٩٧)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير عن عكرمة قال: قال ابن عباس.

(٣) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٤/ ٢٥٥).

(٤) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٤/ ٢٥٥).

(٥) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٤/ ٢٥٥)، و**«البحر المحيط»** (٧/ ٦٣).

(٦) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٦١) كتاب التفسير: باب ومن سورة سبأ، حديث (٣٢٢٢) من حديث فروة بن مسيك.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.
وسيأتي تخريجه بأوسع من هنا في سورة سبأ.

مُسَيْك. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو[١] «سَبَأَ» - بفتح الهَمْزَةِ وتَرْكِ الصَّرْف؛ - على أنه اسمُ بَلْدَة؛ وقاله الحسن وقتادة.

وقوله: ﴿وأوتيتْ من كل شيء﴾ أي: مما تحتاجُه المملكةُ، قال الحسن: من كل أمر الدنيا[٢]، وهذه المرأةُ هي «بلقيس»، ووَصَفَ عرشَها بالعِظَم في الهيئةِ ورتبةِ المُلْكِ، وأكثَرَ بَعض النَّاسِ / في قَصَصِها بما رأيتُ اختصارَه؛ لعدَمِ صحَّتِه، وإنما اللازم من الآية: ٥٢ أ
أنها امرأةٌ مَلِكَةٌ عَلى مدائن اليمن، ذاتُ مُلْكٍ عظيم، وكانتْ كافرةً من قوم كفارٍ.

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

وقوله: ﴿ألاَّ يسجدوا للَّه﴾ إلى قوله ﴿العظيم﴾، ظاهرُه: أنه من قول الهدهد؛ وهو قول ابن زيد وابن إسحاق، ويحتملُ أنْ يكونَ من قول اللّه تعالى اعتراضاً بيْنَ الكَلاَمَيْن، وقراءةُ التشديدِ في ﴿ألاَّ﴾ تعطي: أن الكلامَ للهدهدِ؛ وهي قراءةُ الجمهورِ[٣]، وقراءة التخفيفِ؛ وهي للكسائي تَمْنَعُهُ[٤] وتقوِّي الآخرَ؛ فتأمله، وقرأ الأعمشُ[٥] ﴿هَلاَّ يَسْجُدُونَ﴾ وفي حرف عبد اللّه «أَلاَ هَلْ تَسْجُدُونَ» بالتَّاء، و﴿الخبء﴾: الخفيُّ من

---

(١) ينظر: «السبعة» (٤٨٠)، و«الحجة» (٥/ ٣٨٢)، و«إعراب القراءات» (٢/ ١٤٧)، و«معاني القراءات» (٢/ ٢٣٦)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٠٨)، و«العنوان» (١٤٤)، و«حجة القراءات» (٥٢٥)، و«شرح شعلة» (٥٢٤)، و«إتحاف» (٢/ ٣٢٥).

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٥٠٩) رقم (٢٦٩٣٥)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٥٦).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٥٦)، و«البحر المحيط» (٧/ ٦٥).

(٤) وقرأ بها ابن عباس، وأبو جعفر، والزهري، والسلمي، والحسن، وحميد.
ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٥٦)، و«البحر المحيط» (٧/ ٦٥)، و«الدر المصون» (٥/ ٣٠٧)، و«السبعة» (٤٨٠)، و«الحجة» (٥/ ٣٨٣)، و«إعراب القراءات» (٢/ ١٤٨)، و«معاني القراءات» (٢/ ٢٣٨)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٠٩)، و«العنوان» (١٤٤)، و«حجة القراءات» (٥٢٦)، و«شرح شعلة» (٥٢٥)، و«إتحاف» (٢/ ٣٢٥).

(٥) ينظر: «مختصر الشواذ» ص ١١٠، وفيه القراءة هكذا: «هلا يسجدوا» بحذف نون الرفع.
وينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٥٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٦٥)، و«التخريجات النحوية» (٣٤٤).

الأمور؛ وهو من: خَبَأْتُ الشيءَ، واللفظةُ تَعُمّ كل ما خَفِي من الأمور؛ وبه فسر ابن عباس[١]. وقرأ الجمهورُ: «يُخْفُونَ وَيُعْلِنون» بياء الغائب؛ وهذه القراءة تُعْطي أنَّ الآيَةَ من كلامِ الهدهد. وقرأ الكسائيُّ وحفصٌ عن[٢] عاصم «تُخْفُونَ وَتُعْلِنُونَ» بتاء الخطاب؛ وهذه القراءة تعطي أنَّ الآية من خطاب الله تعالى لأمة سيِّدنا محمَّد ﷺ.

قوله: ﴿فألقه إليهم ثم تول عنهم﴾، قال وهب بن مُنَبِّه: أمره بالتولِّي حُسنُ أدب لِيَتَنَحَّى حَسْبَ ما يُتأَدَّبُ به مع الملوك، بمعنى: وكنْ قريباً حتى ترى مراجعاتهم، وليكِلَ الأمر، إلى حُكْمِ ما في الكتابِ دونَ أن تكونَ للرسولِ ملازمةٌ ولا إلحاحٌ[٣]. ورَوَى وهب بن منبِّه في قصص هذه الآية: أن الهدهدَ وصل؛ فَوَجَدَ دون هذه المَلِكَةِ حُجُبَ جدراتٍ، فَعَمَدَ إِلَى كُوَّةٍ كانتْ بلقيسُ صَنَعَتْهَا، لِتَدْخُلَ منها الشمسُ عند طلوعها؛ لمعنَىٰ عبادَتِهَا إيَّاهَا؛ فدخل منها وَرَمَىٰ بالكتابِ إليها[٤]؛ فقرأتْه وجَمَعَتْ أَهْلَ مُلْكِها؛ فخاطبتهم بما يأتي بعدُ. ﴿قالت يٰأيها الملأ﴾ تعني: الأشراف: ﴿إني ألقي إلي كتاب كريم﴾ وصَفَتِ الكتابَ بالكريم إما لأنه من عند عظيم، أو لأنه بُدِىء باسم كريم. ثم أخذتْ تصف لهم ما في الكتابِ، ثم أخذتْ في حسْنِ الأَدَبِ مَعَ رجَالِها ومشاوَرتهم في أمرها؛ فراجعها قومُها بما يُقِرُّ عَيْنَها مِنْ إعلامِهِم إيَّاها بالقوة، والبأس. ثم سلَّمُوا الأمر إلى نَظَرِها؛ وهذه محاورةٌ حسنة من الجميع. وفي قراءة[٥] عبد الله: «ما كُنْتُ قَاضِيَةً أَمْراً» بالضاد من القضاء، ثم أخبرتْ بلقيسُ بفِعلِ الملوكِ بالقُرَى التي يَتَغَلَّبُونَ عليها، وفي كلامها خوفٌ على قومِها وحَيْطَة لهم، قال الدَّاوُودِيُّ: وعن ابن عباس: رضي الله عنه ﴿إذا دخلوا قرية أفسدوها﴾ قال: إذا أخذوهَا عَنْوَةً، أخربوها[٦]، انتهى.

وقوله: ﴿وكذلك يفعلون﴾ قالت فرقة: هو من قول بلقيس، وقال ابن عباس: هو

---

(١) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٥٧)، وابن كثير (٣/ ٣٦١)، والسيوطي (٥/ ١٩٩)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.
(٢) ينظر: «السبعة» (٤٨١)، و«الحجة» (٥/ ٣٨٥)، و«إعراب القراءات» (٢/ ١٤٩)، و«معاني القراءات» (٢/ ٢٣٩)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١١١)، و«العنوان» (١٤٤)، و«حجة القراءات» (٥٢٨)، و«شرح شعلة» (٥٢٧)، و«إتحاف» (٢/ ٣٢٦).
(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٥١٢) رقم (٢٦٩٤٦)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٥٧).
(٤) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٥٧).
(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٥٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٧٠)، و«الكشاف» (٣/ ٣٦٤).
(٦) أخرجه الطبري (٩/ ٥١٥) رقم (٢٦٩٥٩)، وذكره ابن كثير (٣/ ٣٦٢)، والسيوطي (٥/ ٢٠٢)، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

من قول اللّه تعالى معرِّفاً لمحمَّدٍ عليه السلام وأمَّتِهِ بذلك[١].

﴿وإني مرسلة إليهم بهدية...﴾ الآية، روي أن بلقيس قالت لقومها: إني أُجَرِّبُ هذا الرجلَ بهدية فيها نفائسُ الأموالِ، فَإِنْ كَانَ مَلِكاً دُنْيَوِيًّا أرضاه المال؛ وإن كان نَبِيًّا لم يقبل الهدية، ولم يُرْضِهِ مِنّا إلا أن نَتَّبِعَه على دينه، فينبغي أن نؤمِنَ به، ونتبعه على دينه، فبعثت إليه بهدية عظيمة.

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿فلما جاء سليمان﴾ يعني: رسلُ بلقيس، وقولُ سليمان: ﴿ارجع﴾ خطابٌ لرسلِها؛ لأن الرسولَ يقع على الجمعِ والإفرادِ والتذكيرِ والتأنيث. وفي **قراءة** ابن مسعود[٢]: «فلما جاءوا سليمان» **وقرأ** «ارجعوا»، ووعيدُ سليمانَ لهم مقترنٌ بدوامِهم على الكفرِ، قال البخاري: ﴿لا قِبلَ لهم بها﴾ أي: لا طاقةَ لهم، انتهى. ثم قال سليمان لِجَمْعِهِ / ﴿يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها﴾. ٥٢ ب

قال ابن زيد: وغرضُه في استدعاءِ عرشِها؛ أن يُرِيَها القدرةَ التي من عندِ اللّهِ وليغرب[٣] عليها، و﴿مسلمين﴾ في هذا التأويل بمعنى: مُسْتَسْلِمِينَ، ويحتملُ أنْ يكونَ بمعنى الإِسلام.

وقال قتادة: كان غرضُ سليمانَ عليه السلام أَخْذَهُ قبل أن يَعْصِمَهُمُ الإِسلامُ؛ فالإِسلامُ على هذا التأويل يراد به الدين[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (٩/٥١٥) رقم (٢٦٩٦٠)، وذكره ابن عطية (٤/٢٥٨)، وابن كثير (٣/٣٦٢)، والسيوطي (٥/٢٠٢)، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) ينظر: **«الكشاف»** (٣/٣٦٦)، و**«البحر المحيط»** (٧/٧١)، و**«المحرر الوجيز»** (٤/٢٥٩)، و**«الدر المصون»** (٥/٣١٣).

(٣) ذكره ابن عطية (٤/٢٦٠).

(٤) أخرجه الطبري (٩/٥٢١) رقم (٢٦٩٨٠) بنحوه.

ت: والتأويل الأول أَلْيَقُ بِمَنْصِبِ النُّبُوَّةِ، فيتعينُ حملُ الآيةِ عليه، والله أعلم.

ورُوِي أن عرشهَا كانَ من ذهبٍ وفضةٍ؛ مُرَصَّعاً بالياقوتِ والجَوْهرِ، وأنه كان في جوفِه سبعةُ أبياتٍ عليها سَبْعة أغلاقٍ. والعِفْرِيتُ هو من الشياطين: القويُّ الماردُ.

وقوله: ﴿قبل أن تقوم من مقامك﴾ قال مجاهد[١] وقتادة[٢]: معناه: قبل قيامِك من مجلس الحكم، وكان يجلس من الصبح إلى وقتِ الظهرِ في كل يوم، وقيل: معناه: قبلَ أنْ تستويَ من جلوسِكَ قَائِماً. وقول الذي عنده علم من الكتاب: ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتدَّ إليك طرفك﴾ قال ابن جبير[٣] وقتادة[٤]: معناه: قبل أن يصل إليكَ مَنْ يَقَعُ طَرْفُكَ عَلَيْهِ في أبعد ما ترى. وقال مجاهد[٥]: معناه: قبل أن تحتاج إلى التغميض، أي: مدة ما يمكنك أن تمد بصرك دون تغميض؛ وذلك ارتداده.

قال *ع[٦]*: وهذانِ القولانِ يقابلانِ القولين قبلَهما.

وقوله: ﴿لقوي أمين﴾ معناه: قويٌّ على حمله؛ أمين على ما فيه. ويُرْوَى أنَّ الجِنَّ كَانَتْ تُخْبِرُ سليمانَ بمَنَاقِلِ سَيْرِ بلقيس، فلما قربَتْ، قال: ﴿أيكم يأتيني بعرشها﴾ فدعا الذي عنده علم من التوراة، ـ وهو الكتاب المشار إليه ـ باسم اللّه الأعظم؛ الذي كانت العادة في ذلك الزمان أن لا يدعو به أحد إلا أجيب، فشقت الأرض بذلك العرشِ، حتَّى نَبَعَ بَيْنَ يَدَيْ سليمانَ عليه السلام. وقيل: بل جِيءَ به في الهواءِ. وجمهورُ المفسرين على أن هذا الذي عنده علم من الكتاب ـ كان رجلاً صالحاً من بني إسرائيل اسمه (آصف بن برخيا)، روي أنه صلى ركعتين، ثم قال لسليمان [عليه السلام]: يا نبي اللّه؛ اَمْدُدْ بصرَكَ

---

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٥٢٢) رقم (٢٦٩٨٩) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٦٠)، وابن كثير (٣/ ٣٦٣) بنحوه، والسيوطي (٥/ ٢٠٤)، وعزاه للفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٥٢٢) رقم (٢٦٩٩٠) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٦٠).

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٥٢٤) رقم (٢٧٠٠٣)، وذكره البغوي (٣/ ٤٢٠) بنحوه، وابن عطية (٤/ ٢٦٠)، والسيوطي (٥/ ٢٠٥) بنحوه، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن المنذر، عن سعيد بن جبير.

(٤) ذكره البغوي (٣/ ٤٢٠) بنحوه، وابن عطية (٤/ ٢٦٠).

(٥) أخرجه الطبري (٩/ ٥٢٤) رقم (٢٧٠٠٧) بنحوه، وذكره البغوي (٣/ ٤٢٠) بنحوه، وابن عطية (٤/ ٢٦٠)، والسيوطي (٥/ ٢٠٥) بنحوه، وعزاه للفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٦) ينظر: «**المحرر**» (٤/ ٢٦٠).

نحوَ اليَمَنِ، فمد بصره؛ فإذا بالعرش، فما رد سليمان بَصره إلا وهو عنده. وقال قتادة: اسمه بلخيا[١]. وقولُ سليمانَ ـ عليه السلام ـ: ﴿نكروا لها عرشها﴾ يريدُ تَجْرِبَة مَيْزِهَا ونَظَرِهَا، ورَوَتْ فرقةٌ أن الجنَّ أحسَّتْ من سليمان أوْ ظنت به أنه ربما تزوجها، فكرهوا ذلك وعيَّبُوها عنده، بأنها غيرُ عاقلة ولا مميزة؛ وأَن رجلَها كحَافِرِ دابة، فجرَّب عَقْلَها وميْزَهَا بتَنْكِيرِ السرير، وجرب أمر رجلِها بأمر الصَّرْحِ، لتكشفَ عن سَاقَيْها عنده، وتنكيرُ العرش: تغييرُ وضعهِ وسَتْرُ بعضِه. وقولُها ﴿كأنه هو﴾ تحرزٌ فَصِيح، وقال الحسن بن الفضل[٢]: شَبَّهُوا عَلَيْهَا فَشَبَّهَتْ عَلَيْهِم. ولو قالوا: ﴿أهذا عرشك؟﴾ لقالت: نعم، ثم قال سليمان عليه السلام عند ذلك: ﴿وأوتينا العلم من قبلها﴾ الآية، وهذا منه؛ على جهة تعديد نعم الله تعالى عليه وعلى آبائه.

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وصدها ما كانت تعبد﴾ أي: عن الإيمان، وهذا الكلامُ يحتملُ أنْ يكونَ مِنْ قولِ سليمانَ، أو مِنْ قولِ اللّه، إخباراً لمحمدٍ عليه السلام: قال محمد بن كعب
٥٣ أ القرظي / وغيره: ولمَّا وَصَلَتْ بلقيسُ أمر سليمانُ الجنَّ فصَنَعَتْ له صَرْحاً؛ وهو السطحُ في الصَّحْنِ مِنْ غير سَقْفٍ وجَعَلَتْهُ مَبْنِيًا كالصِّهْرِيج وملىء ماءً وبُثَّ[٣] فيهِ السَّمَكُ وطبَّقَه بالزُّجَاجِ الأَبيضِ الشَّفَّافِ، وبهذا جاءَ صَرْحاً. والصَّرْحُ أيضاً كل بناء عالٍ، وكل هذا من التصريح؛ وهو الإعلان البالغ. ثم وضع سليمانُ في وسطِ الصَّرْحِ كرسيًا، فلما وصلته بلقيس؛ قيل لها: ادخلي إلى النبي ـ عليه السلام ـ، فلما رأتِ الصَّرْحَ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وهُو مُعْظَمُ المَاءِ، فَفزِعَتْ وَظَنَّت أنها قُصِدَ بها الغَرَقُ، وَتَعَجَّبَتْ مِن كَوْنِ كرسِيِّه على الماءِ، ورأت مَا هَالَهَا، ولَمْ يكنْ لَها بُدّ مِن امْتِثَالِ الأمرِ، فكَشَفَتْ عن ساقيها، فرأى سليمانَ ساقَيْها سليمةً مِمَّا قالتِ الجنُّ غَيْرَ أَنَّها كثيرةُ الشَّعْرِ، فلما بلغتْ هذا الحد قالَ لها سليمانُ عليه السلام: ﴿إنه صرح ممرد من قوارير﴾ والممرد: المحكوكُ الْمُمَلَّسُ؛ ومنه الأمرد، فعند ذلك قالت: ﴿رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان للّه رب العالمين﴾ فرُوِيَ أن

(١) أخرجه الطبري (٩/ ٥٢٣) رقم (٢٦٩٩٣) بلفظ «كان اسمه بليخا»، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٦١)، وابن كثير (٣/ ٣٦٤)، والسيوطي (٥/ ٢٠٥)، وعزاه لابن جرير عن قتادة.
(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٦١).
(٣) في جـ: وجعل.

سليمانَ عليه السلام تَزَوَّجَها عند ذلك، وأسكنها الشام؛ قاله الضحاك[١]. وقيل: تزوجَها وردَّها إلى ملكها باليمنِ وكان يأتيها على الريح كلَّ شَهْرٍ مَرَّةً، فوَلَدَتْ له غلاماً سمَّاه داودَ؛ مات في حياته. ورُوِيَ أن سليمانَ لما أراد زوالَ شَعْرِ ساقَيْهَا؛ أمر الجنَّ بالتَّلَطُّفِ في زوالِه، فصنَعوا النُّورَةَ[٢] ولم تَكُنْ قَبْل، وصنعوا الحمَّام.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً...﴾ الآية، تمثيلٌ لقريشٍ و﴿فريقان﴾: يريد بهما مَنْ آمنَ بصالِحٍ. وَمَنْ كفَر به. واختصامُهم هُو تنازُعهم. وقد ذكر تعالى ذلك في سورة الأعراف، ثم إن صالحاً ـ عليه السلام ـ ترفَّق بِقَوْمِهِ وَوَقَفَهم على خَطَئِهِمْ في استعجالهم العذابَ؛ قبل الرحمة. أو المعصيةَ للَّهِ قبلَ الطاعةِ، ثم أجابوه بقولهم: ﴿أطيرنا بك﴾ أي: تَشَاءَمْنَا بكَ. ﴿وتسعة رهط﴾ هُمْ رجالٌ كانوا من أوجُهِ القوْمِ وأعْتَاهُمْ؛ وهم أصحاب قدار، والمدينةُ مُجْتَمَعُ ثمودَ وقَرْيَتِهم.

وقوله تعالى: ﴿تقاسموا﴾.

قال الجمهور: هو فعل أمر، أشار بعضُهم على بعض بأن يَتَحَالَفُوا على هذا الفعل بصالح، وحكَى الطبريُّ[٣] أنه يجوز أن يكونَ تقاسموا فِعْلاً ماضِياً في موضع الحالِ، كأنه قال: متقاسِمينَ أو متحالِفين باللّه لَنُبَيِّتَنَّهُ وأهلَه، وتؤيِّدُه[٤] قراءةُ عبد اللّه: «ولا يصلحون تقاسموا» بإسقاطِ «قالوا».

---

(١) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٦٢).

(٢) النُّورة: الهِناءُ، وفي **«التهذيب»**: النُّورَةُ من الحجر الذي يُحْرَقُ وَيُسَوَّى منه الكِلْسُ ويحلق به شعر العانة. ينظر: **«اللسان»** ٤٥٧٣.

(٣) ينظر: **«الطبري»** (٩/ ٥٣٣).

(٤) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٤/ ٢٦٣).

قال *ع[١]*: وهذه الألفاظُ الدالةُ على قَسَم تجاوب باللام، وإن لم يتقدمْ قَسَمٌ ظاهرٌ، فاللامُ في ﴿لنبيتنه﴾: جوابُ القَسَم. ورُوِيَ في قصصِ هذهِ الآيةِ أن هؤلاءِ التسعة؛ لمَّا كانَ فِي صَدْرِ الثلاثة الأيام بعد عَقْرِ النَّاقَةِ وَقَدَ أخبرَهُمْ صالحٌ بمجيء العذابِ، اتفق هؤلاءِ التسعةُ فَتَحَالَفُوا على أن يأتوا دارَ صالحٍ ليلاً فيقتلوه وأهلَه المُخْتَصِّينَ به، قالوا: فإن كان كاذباً في وعيدِهِ أوقعنا به ما يستحقُّ، وإن كانَ صادقاً كنَّا قَدْ عَجَّلْنَاه قبلَنا وشَفَيْنَا بهِ نُفُوسَنَا، فجاؤوا واخْتَفَوْا لذلك في غارٍ قريبٍ من داره، فرُوِيَ أنَّه انْحَدَرَتْ عليهِم صَخْرَةٌ
٥٣ ب شَدَخَتْهُم جميعاً / ، ورُوِيَ أنها طَبَّقَتْ عليهمُ الغارَ فَهَلَكُوا فيه حينَ هَلَكَ قَوْمُهُمْ، وكلُّ فَرِيقٍ لا يَعلم بِما جَرَى على الآخر، وقَدْ كانوا بَنَوْا على جحودِ الأمر من قرابةِ صالحٍ، ويعني بالأهل كلَّ مَنْ آمنَ بِهِ؛ قاله الحسن[٢].

وقوله سبحانه: ﴿ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون﴾ قال ابن العربيّ الحاتميّ: المكرُ إرداف النِّعم مع المخالفةِ وإبقاء الحالِ معَ سُوءِ الأدَب، انتهى من شرحه لألفاظ الصوفية. والتدميرُ: الهلاكُ و﴿خاوية﴾ مَعْنَاهُ: قَفْرا، وهذه البيوتُ المشارُ إليهَا هِي التي قال فيها النبي ﷺ عَامَ تَبُوكَ: «لاَ تَدْخلُوا بُيُوتَ المُعَذَّبِينَ إلاَّ أنْ تَكُونُوا بَاكِينَ»[٣]. الحديثُ في «صحيح مُسْلِم» وغيره.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿ولوطاً إذ قال لِقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون * أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون﴾ تقدمَ قصصُ هؤلاءِ القومِ، و﴿تبصرون﴾ معناه: بقلوبِكم.

قال أبو حيان[٤]: و﴿شهوةً﴾ مفعولٌ منْ أجله، انتهى. وعن ابن عباس قال: قالَ رسول اللّه ﷺ: «لَعَنَ اللّه مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ»[٥]. رواه أبو داود والترمذيُّ والنسائيُّ؛

(١) ينظر «المحرر» (٤/ ٢٦٤).
(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٦٤).
(٣) تقدم تخريجه في سورة الحجر.
(٤) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٨٣).
(٥) أخرجه ابن حبان (٥٣- موارد) من حديث ابن عباس مرفوعاً: بلفظ: «لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن=

واللفظُ له؛ وابنُ ماجه وابنُ حبان في صحيحه، انتهى من «السلاح».

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿قل الحمد للّه وسلام على عباده الذين اصطفى آاللّه خير أمَّا تشركون﴾ الآياتِ: هذا ابتداء تقريرٍ وتنبيهٍ لقريشٍ والعربِ وهو بعدُ يَعُمُّ كلَّ مُكَلَّفٍ من الناس جميعاً، وافتتح ذَلِكَ بالقولِ بحمدِه ـ سبحانَه ـ وتمجيدِه وبالسلام على عباده الذين اصْطَفَاهُمْ للنبوَّة والإيمانِ، فهذا اللفظُ عَام لجميعهم من ولد آدم، وكأنَّ هذا صدرُ خُطْبَةٍ للتقريرِ المذكورِ، قالتْ فرقة: وفي الآية حذْفُ مضافٍ في موْضِعَيْن، التقدير: أتوحيدُ اللّهِ خيرٌ أم عبادة ما تشركونَ، فـ «ما»، على هذا: موصولةٌ بمعنى: الذي، وقالت فرقة: «ما» مصدريةٌ، وحذفُ المضافِ إنما هو أولاً تقْديرُه: أتوحيدُ اللّه خير أم شرككُمْ.

ت: ومِنْ كلاَمِ الشيخ العارفِ باللّه أبى الحسن الشاذليِّ قَال ـ رحمه اللّه ـ: إن أردتَ أن لا يصدأَ لكَ قلبٌ؛ ولا يلحقك همٌّ؛ ولا كربٌ؛ ولا يبقَى عليكَ ذنبٌ ـ فأكْثِرْ من قولك: «سبحان اللّه وبحمده؛ سبحان اللّه العظيم، لا إله إلا اللّه، اللهم ثبِّتْ عِلْمَها في قلبي، واغفر لي ذنبي، واغفر للمؤمنينَ والمؤمناتِ، وقل الحمد للّه وسلام على عباده الذين اصطفى» انتهى.

وقوله تعالى: ﴿أمن خلق﴾ وما بعدها من التقريراتِ توبيخٌ لهم وتقريرٌ على ما لا مَنْدُوحَةَ عن الإقرارِ به، و«الحدائق» مُجْتَمع الشجرِ من الأعنابِ والنَّخِيل وغير ذلك، قال قوم: لا يقال حديقةٌ إلا لِمَا عليه جدارٌ قد أحدق له.

وقال قوم: يقال ذلك كان جدارٌ أو لم يَكُنْ؛ لأَن البَيَاضَ مُحْدِقٌ بالأشجار، والبهجةُ الجمالُ والنَّضَارَة.

وقوله سبحانه: ﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾ أي: ليس ذلك في قدرتِكم،

= الله من غير تخوم الأرض، ولعن الله من كمه أعمى عن السبيل، ولعن الله من سب والديه، ولعن الله من تولى غير مواليه، ولعن الله من عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط».

و﴿يعدلون﴾ يجوز أن يرادَ به: يعدِلُونَ عن طريق الحقِّ، ويجوزُ أَنْ يُرَادَ به يَعْدِلُونَ باللّهِ غيرَه، أي: يجعلون له عَدِيلاً ومَثِيلاً، و﴿خلالها﴾ مَعْنَاه: بَيْنها، والرواسي: الجبال، والبحرانِ / : الماءُ العذبُ والماءُ الأجاج؛ على ما تقدم، والحاجز: ما جَعَلَ اللّه بيْنَهما مِنْ حَوَاجِز الأرْضِ وموانِعها على رِقَّتِها في بعض المواضع، ولطافتِها؛ لولا قدرة اللّه لغلب المالحُ العذب. ١٥٤أ

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه...﴾ الآية، وعن حبيب بن مسلمة[(١)] الفهري؛ وكان مجابَ الدعوة، قال: سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول: «لاَ يَجْتَمِعُ مَلأٌ فَيَدْعُو بَعْضُهُمْ وَيُؤَمِّنُ بَعْضُهُمْ إلاَّ أَجَابَهُم اللّهُ تعالى»[(٢)]، رواه الحاكم في «**المستدرك**»، انتهى من «**سلاح المؤمن**»، وعن أبي هريرةَ ـ رضي اللّه عنه ـ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «ادْعُوا اللّهَ وَأَنْتُم مُوقِنُونَ بِالإجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ لاَ يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاَهٍ»[(٣)] رواه الترمذيُّ؛ وهذا لفظه. قال «**صاحب السلاح**»: ورواه الحاكمُ في «**المستدرك**» وقال: مستقيمُ الإسناد، انتهى. و﴿السُّوءُ﴾ عامٌّ في كل ضرّ يَكْشِفُه اللّهُ تعالى عن عبادِه، قال ابن عطاء اللّه: ما طُلِبَ لَكَ شيءٌ مثل الاضْطِرَارِ، ولا أسْرَع بالمواهِب لكَ مثل الذِّلةِ والافتقارِ، انتهى. و«الظلماتُ» عام؛ لظلمةِ الليل؛ ولظلمةِ الجهل والضلال، والرزقُ من

---

(١) في أ: مسلمة.

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٤٧)، والطبراني في «**الكبير**» (٤/ ٢١ـ ٢٢) رقم (٣٥٣٦) كلاهما من طريق أبي عبد الرحمن المقري: ثنا ابن لهيعة، حدثني ابن هبيرة، عن حبيب بن مسلمة الفهري به.
وقال الهيثمي في «**المجمع**» (١٠/ ٢٠): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة، وهو حسن الحديث.

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٥١٧ـ ٥١٨) كتاب الدعوات: باب (٦٦) حديث (٣٤٧٩)، وابن حبان في «**المجروحين**» (١/ ٣٦٨)، والخطيب في «**تاريخ بغداد**» (٤/ ٣٥٦) من طريق صالح المري عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعاً.
وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

السماءِ هو بالمطر؛ ومن الأرض بالنبات؛ هذا هو مشهور ما يحُسُّه البشرُ، وكم للّهِ بَعْدُ مِنْ لُطْفٍ خَفِيٍ. ثم أمرَ تعالى نبيَّه ـ عليه السلام ـ أن يُوقِفَهُمْ عَلَى أَنَّ الغيبَ مِما انفرَدَ اللّه بعلمِه؛ ولذلكَ سُمِّي غَيْباً لغيبه عن المخلوقين. رُوِيَ: أنَّ هذهِ الآيةَ مِن قوله: ﴿قل لا يعلم﴾ إنما نَزَلَتْ لأَجْلِ سؤالِ الكفّارِ عن السَّاعَةِ الموعودِ بِهَا، فجاءَ بلفظ يَعُمَّ السَّاعَةَ وغيرَها، وأخبر عن البشر أنهم لا يشعرون أيان يبعثون.

ص: ﴿أَيَّانَ﴾ اسم استفهام بمعنى: متى، وهي معمولة لـ ﴿يُبْعَثُونَ﴾، والجملة في موضع نصب بـ ﴿يشعرون﴾، انتهى.

وقرأ جمهور القراء: ﴿بَلِ ٱدَّارَكَ﴾ أصله: تَدَارَكَ. وقرأ عاصم[1] في رواية أبي بكر: «بل ٱدَّرَكَ» على وَزْنِ افتعلَ، وهي بمعنى: تَفَاعَلَ.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «بَلْ أَدْرَكَ» وهذه القراءاتُ تحتملُ مَعْنَيَيْن: أحدهما: ادَّرَكَ علمُهم، أي: تَناهى، كما تقول ادَّرَكَ النباتُ، والمعنى: قد تَنَاهى علمهُم بالآخرة إِلى أن لا يعرفوا لها مقداراً، فيؤمنوا وإنما لهم ظنونٌ كاذبةٌ، أو إلى أن لا يعرفوا لها وقتاً، والمعنى الثاني: بل ادَّرَكَ بمعنى: يُدْرِك أي أنهم في الآخرة يُدْرِكُ علمُهم وقتَ القيامَةِ، ويرونَ العذابَ والحقائقَ التي كذَّبوا بها، وأمّا في الدنيا؛ فلا، وهذا هو تأويل ابن عباس[2]، ونحا إليه الزجاج[3]، فقوله: ﴿في الآخرة﴾ على هذا التأويل: ظَرْفٌ؛ وعلى التأويل الأول: ﴿في﴾ بمعنى الباء. ثم وَصَفَهُمْ عَزَّ وَجَلَّ بأنهم في شكٍ منها، ثم أردف بصِفَة هي أبلغُ من الشَّكِ وهي العَمَى بالجُملَةِ عن أمر الآخرة، و﴿عمون﴾: أصله: (عميون) فَعِلُونَ كَحَذِرُون.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ

---

(١) ينظر: «السبعة» (٤٨٥)، و«الحجة» (٥/ ٤٠٠)، و«إعراب القراءات» (٢/ ١٦١)، و«معاني القراءات» (٢/ ٢٤٣)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١١٥)، و«العنوان» (١٤٥)، و«حجة القراءات» (٥٣٥)، و«شرح شعلة» (٥٣٠)، و«إتحاف» (٢/ ٣٣٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٨) رقم (٢٧٠٦٨ـ ٢٧٠٦٩ـ ٢٧٠٧٠ـ ٢٧٠٧١) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٦٨)، وابن كثير (٣/ ٣٧٣) بنحوه، والسيوطي (٥/ ٢١٤) وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس بنحوه.

(٣) ينظر: «معاني القرآن» (٤/ ١٢٧).

صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا أإذا كنا تراباً وآباؤنا أئنا لمخرجون * لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين﴾، هذه الآية معنَاها واضحٌ مما تَقَدَّمَ في غيرها. ثم ذكر ـ تعالى ـ استعجالَ كفارِ قريشٍ أمْرَ السَّاعَةِ والعذابَ بقولِهم: ﴿متى هذا الوعد﴾ على معنى التَّعْجِيزِ، و﴿ردف﴾ مَعْنَاه: قَرُبَ وأزِفَ؛ قاله ابن عباس[1] وغيرُه، ولكنَّها عبارةٌ عَما يجيءُ بعدَ الشيءِ قريباً منه، والهاءُ في ﴿غائبة﴾ للمبَالَغَةِ، أي مَا مِنْ شَيْءٍ في غايةِ الغَيْبِ والخفاءِ إلاَّ فِي كِتَابٍ عِندَ اللّهِ وفي مكنونِ علمِه، لا إله إلا هو. ثم نبَّه ـ
٥٤ ب تعالى ـ على أنَّ / هذا القرآن يَقُصُّ على بني إسرائيل أكثر الأشياءِ التي كان بينهُم اختلافٌ في صِفَتِها، جاء بها القرآن على وجهها، ﴿وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين﴾ كما أنه عَمًى على الكافرين المحتوم عليهم، ثم سلَّى نبيَّه بقوله: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ فشبَّهَهُمْ مرةً بالموتى، ومرةً بالصُّمِّ من حيث إنَّ فائدةَ القولِ لهؤلاءِ مَعْدُومَةٌ.

وقرأ حمزة[2]: «وَمَا أَنْتَ تَهْدِي العُمْيَ» بفعلٍ مستقبل، ومعنى قوله تعالى ﴿وإذا وقع القول عليهم﴾، أي: إذا انْتَجَزَ وعدُ عذابِهِمُ الذي تَضَمَّنَه القولُ الأزلي من اللّه في ذلك، وهذا بمنزلة قوله تعالى: ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ العَذَابِ﴾ [الزمر: ٧١]، فمعنى الآية وإذا أراد اللّهُ أن يُنْفِذَ في الكافرينَ سَابقَ عِلمِهِ لَهُم من العذابِ أخْرَجَ لهم دابَّةً من الأرض، ورُوِيَ أن ذلك حين ينقطعُ الخيرُ، ولا يؤمَر بمعروف، ولا يُنْهى عن منكر، ولا يَبْقَى مَنيبٌ ولا تائبٌ،

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١٠) رقم (٢٧٠٧٧ـ ٢٧٠٧٨) بنحوه، وابن عطية (٤/ ٢٦٩)، وابن كثير (٣/ ٣٧٣) بنحوه، والسيوطي (٥/ ٢١٥) بنحوه، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) ينظر: «السبعة» ٤٨٦، و«الحجة» (٥/ ٤٠٤)، و«إعراب القراءات» (٢/ ١٦٣)، و«معاني القراءات» (٢/ ٢٤٦)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١١٦)، و«العنوان» (١٤٦)، و«شرح شعلة» (٥٣٠)، و«إتحاف» (٢/ ٣٣٤).

و﴿وقع﴾ عبارةٌ عن الثبوت واللُّزوم، وفي الحديث: أن الدابةَ وطلوعَ الشمسِ من المغْرِب مِنْ أولِ الأشراط، وهذه الدَّابَّةُ رُوِيَ أنَّها تَخرُجُ من الصَّفَا بمكَّةَ؛ قاله ابن عمر[١] وغيره، وقيل غيرُ هذا.

وقرأ الجمهور[٢]: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ من الكلام. وقرأ ابن عباس[٣] وغيرُه: ﴿تَكْلِمُهُمْ﴾ ـ بفَتْحِ التاءِ وتخفيفِ اللام ـ، من الكَلْم وهو الجُرْحُ، وسئل ابن عباس عن هذه الآية «تكلمهم أو تكلمهم»؟ فقال: كل ذلك، واللّهِ تفعلُ: تُكَلِّمُهُمْ وَتَكْلمُهُمْ، وروي أنها تَمُرُّ على الناسِ فَتَسِمُ الكافرَ فِي جبهتِهِ وتَزْبُرُهُ وتَشْتُمُه وربما خَطَمَتْه، وَتَمْسَحُ على وجهِ المؤمنِ فتبيضه، ويعرفُ بعدَ ذلكَ الإيمانُ والكفرُ مِن أثرها، وفي الحديث: «تَخْرُجُ الدَّابَّةُ وَمَعَهَا خَاتَمُ سُلَيْمَانَ وَعَصَا مُوسَى، فَتَجْلُو وُجُوهَ المؤمِنِينَ بالعَصَا؛ وتَخْتِمُ أَنْفَ الكَافِرِ بِالخَاتِمِ، حَتَّى إنَّ النَّاسَ لَيَجْتَمِعُونَ، فَيَقُولُ هَذَا: يَا مُؤمِنُ، وَيَقُولُ هَذا: يَا كَافِرُ»[٤]. رواه البَزَّار، انتهى من «**الكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ**».

وقرأ الجمهور: «إِنَّ النَّاسَ» ـ بكسر «إن».

وقرأ حمزةُ[٥] والكسائيّ وعاصمٌ: «أَنَّ» بفتحها.

وفي قراءة عبد اللّه[٦]: «تُكَلِّمُهُمْ بِأَنَّ»، وعلى هذه القراءة؛ فيكونُ قوله: ﴿أَنَّ النَّاسَ﴾ إلى آخرها مِنْ كلامِ الدابّةِ، وروي ذلك عن ابن عَبَّاس. ويحتملُ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلاَمِ اللّهِ تعالَىٰ.

---

(١) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٧٠)، ولم يعزه لأحد.

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٢٧١)، و«**البحر المحيط**» (٧/ ٩١)، و«**الدر المصون**» (٥/ ٣٢٧).

(٣) وقرأ بها سعيد بن جبير، ومجاهد، والجحدري، وأبو زرعة، وعمرو بن جرير.
ينظر: «**مختصر الشواذ**» ص ١١٢، و«**المحتسب**» (٢/ ١٤٤)، و«**المحرر الوجيز**» (٤/ ٢٧١)، و«**البحر المحيط**» (٧/ ٩٢)، و«**الدر المصون**» (٥/ ٣٢٨).

(٤) وهم المؤلف في هذا الحديث، حيث إنه عزا هذا الحديث للبزار، وهو عند من هو أشهر من البزار، فقد أخرجه الترمذي (٥/ ٣٤٠) كتاب التفسير: باب ومن سورة النحل، حديث (٣١٨٧)، وابن ماجه (٢/ ١٣٥١ ـ ١٣٥٢) كتاب الفتن: باب دابة الأرض، حديث (٤٠٦٦) من حديث أبي هريرة.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٥) ينظر: «**السبعة**» (٤٨٦ ـ ٤٨٧)، و«**الحجة**» (٥/ ٤٠٦)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ١٦٤)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ٢٤٦)، و«**العنوان**» (١٤٦)، و«**حجة القراءات**» (٥٣٨)، و«**إتحاف**» (٢/ ٣٣٥).

(٦) ينظر: «**الشواذ**» ص ١١٢، و«**المحتسب**» (٢/ ١٤٥)، و«**الكشاف**» (٣/ ٣٨٥)، و«**المحرر الوجيز**» (٤/ ٢٧١)، و«**البحر المحيط**» (٧/ ٩٢)، و«**الدر المصون**» (٥/ ٣٢٨).

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾: هو تذكيرٌ بيوم القيامةِ، والفوجُ: الجماعة الكثيرة، و﴿يوزعون﴾ معناه: يُكَفُّونَ في السَّوق، يَحْبِسُ أولُهُم عَلى آخرهم[1]؛ قاله قتادة، ومنه وَازَع الجيشَ، ثم أخبر ـ تعالى ـ عن توقيفِه الكفرةَ يومَ القيامةِ وسؤالِهم على جهة التوبيخ: ﴿أكذَّبتم...﴾ الآية، ثم قال: ﴿أماذا كنتم تعملون﴾ على معنى استيفاء الحُجَجِ، أي: إن كان لكم عملٌ أو حُجَّةٌ فهاتوها. ثم أخبر عن وقوع القول عليهم، أي: نفوذُ العذابِ وحَتْمُ القَضَاءِ وأنهم لا ينطقونَ بحجَّةٍ، وهذا في موطن من مواطِنِ القيامةِ. ولما تكلَّم المحاسِبيُّ على أهوال القيامة، قال: واذكرِ الصِّراطَ بدقَّتِهِ وهوله؛ وزلَّتِه وعَظِيم خطره؛ وجهنم تخفق بأمواجها من تحته، فيا له مِنْ مَنظرٍ؛ ما أَفْظَعَهُ وأَهْوَلَهُ، فتوهَّمْ ذلِكَ بقلبٍ فارغٍ، وعقلٍ جامعٍ، فإن أهوالَ يومِ القيامةِ إنما خَفَّتْ عَلَى الذِينَ تَوَهَّمُوهَا في الدنيا بعقولهم، فتحملوا في الدنيَا الهُمُومَ خَوْفاً مِن مَقام رَبِّهِمْ، فَخَفَّفَها مَوْلاَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عَنْهم، انتهى من «**كتاب التوهم**».

﴿ويوم ينفخ في الصور﴾ وهو القَرْنُ في قول جمهور الأمة، وصاحب الصور هو إسرافيل ـ عليه السلام ـ، وهذه النفخةُ المذكورة هنا هي نفخة / الفَزَع، وروى أبو ٥٥ أ
هريرةَ[2] أنها ثلاثُ نفخات: نفخةُ الفَزَعِ، وهو فزع حياةِ الدُّنيا وليْسَ بالفَزَعِ الأكْبَرِ، ونفخةُ الصَّعْقِ، ونفخةُ القيامِ من القبور. وقالت فرقة: إنما هما نفختان: كأنهم جَعَلُوا الفَزَعَ والصَّعْقَ في نفخةٍ وَاحِدَةٍ مستدلين بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى...﴾ الآية [الزمر: ٦٨]. قالوا: وأخرى لا يقال إلا في الثانية. قال *ع[3]*: والأول أصحُّ، وأخرى يقال في الثالثةِ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾. [النجم: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿إلا من شاء الله﴾ استثناءٌ فيمن قَضَى الله سبحانه مِنْ ملائكتِه، وأنبيائه، وشهداءِ عبيدِه أن لا ينالهم فزعُ النَّفْخِ في الصورِ، حَسَبَ ما ورد في ذلك من الآثار.

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١٧) رقم (٢٧١١٣)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٧١)، وابن كثير (٣/ ٣٧٦) بنحوه.
(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٧٢).
(٣) ينظر: «**المحرر**» (٤/ ٢٧٢).

قال *ع[١]*: وإذا كان الفزعُ الأَكْبَرُ لاَ ينالُهم فَهُمْ حَرِيُّونَ أن لا ينالَهم هَذا.

وقرأ حمزة[٢]: «وَكُلٌّ أَتَوْهُ» على صيغة الفعل الماضي، والدَّاخِرُ: المُتَذَلِّلُ الخاضِعُ، قال ابن عباس وابن زيد: الداخرُ: الصاغرُ، وقد تظاهرَتِ الرواياتُ بأنَّ الاستثناءَ فِي هذِه الآيةِ إنما أريد به الشهداءُ: لأنهم أحياءٌ عند ربهم يُرْزَقُونَ، وهم أهلٌ للفزعِ؛ لأَنَّهُمْ بشر لكن فُضِّلُوا بالأمن في ذلك اليوم.

ت: واختار الحليميُّ هذا القولَ قال: ـ وهو مروي عن ابن عباس ـ: إن المستَثْنَى هم الشهداء. وضعَّفَ ما عداه من الأقوال، قال القرطبي[٣]، في «**تذكرته**»: وَقَدْ وَرَدَ في حديث أبي هريرة؛ بِأَنَّهُمُ الشُّهَدَاءُ، وهو حديثٌ صحيح[٤]، انتهى.

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة. . .﴾ الآيَةَ، هذا وصفُ حالِ الأشياء يومَ القيامةِ عَقِبَ النَّفْخِ في الصُّورِ، والرؤية: هي بالعَيْن، قال ابن عباس: جامدةً[٥]: قائمةً، والحَسَنَةُ الإيمانُ، وقال ابن عباس وغيره: هي «لا إله إلا اللّه»[٦] ورُوِيَ عَنْ علي بن الحسين أنه قال: كُنْتُ في بعض خَلَواتِي فَرفَعْتُ صَوْتِي: بـ «لا إله إلا اللّه» فسمعتُ قائلاً يقول: إنها الكلمةُ التي قال اللّه فيها: «من جاء بالحسنة فله خير منها»[٧].

(١) ينظر: «**المحرر**» (٤/ ٢٧٢).

(٢) وبها قرأ حفص عن عاصم. وقرأ الباقون بالمد «آتوه» اسم فاعل، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً﴾ [مريم: ٩٥].
ينظر: «**الحجة**» ٥/ ٤٠٦، و«**السبعة**» (٤٨٧)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ١٦٥)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ٢٤٧)، و«**شرح الطيبة**» (٥/ ١١٧)، و«**العنوان**» (١٤٦)، و«**حجة القراءات**» (٥٣٨)، و«**شرح شعلة**» (٥٣١)، و«**إتحاف**» (٢/ ٣٣٥).

(٣) ينظر: «**التذكرة**» للقرطبي (١/ ٢٣٣).

(٤) هو موقوف عن أبي هريرة.
ذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٢٢١)، وعزاه لسعيد بن منصور، وابن جرير.

(٥) أخرجه الطبري (١٠/ ٢١) رقم (٢٧١٢٤)، وابن عطية (٤/ ٢٧٣)، والسيوطي (٥/ ٢٢١)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٦) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٢) رقم (٢٧١٣١)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٧٣)، والسيوطي (٥/ ٢٢٣)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي عن ابن عباس.

(٧) ذكره ابن عطية؛ (٤/ ٢٧٣)، وابن كثير (٣/ ٣٧٨).

وقال ابن زيد: يُعْطَى بالحَسَنَةِ الواحدةِ عَشْراً[١].

قال ﴿ع[٢]﴾: والسيئةُ التي في هذه الآية هي الكُفْر والمَعَاصِي. فيمن حتَّم اللّه عليه من أهل المشيئة بدخول النار.

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

وقوله: ﴿إنما أمرت﴾ المعنى: قل يا محمد لقومك: إنما أمرتُ أن أعبدَ ربَّ هذه البلدة، يعني: مكةَ، ﴿وأن أتلوا القرآن﴾ معناه: تَابعْ في قراءتِك، أي: بَيْنَ آياتِه واسْرُدْ.

قال ﴿ص﴾: ﴿وأن أتلوا﴾ معطوفٌ على «أَنْ أَكُونَ».

وقرأ عبد اللّه[٣]: «وَأَنِ آتْلُ» بغير واو وقوله: ﴿ومَنْ ضَلَّ﴾ جوابُه محذوفٌ يدلُّ عليه ما قبلَه، أي: فَوَبَالُ ضلالهِ عَلَيْهِ، أو يكون الجوابُ: فَقل، ويُقَدَّرُ ضميرٌ عائدٌ من الجواب على الشرط؛ لأنه اسمٌ غيرُ ظَرْفٍ، أي: من المنذرين له، انتهى. وتلاوة القرآن سببُ الاهتداءِ إلى كل خير.

وقوله تعالى: ﴿سيريكم آياته﴾ توعُّدٌ بعذابِ الدُّنيَا كَبَدْر ونَحوه، وبعذاب الآخرة.

﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾ فيه وعيدٌ.

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٣) رقم (٢٧١٥١)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٧٣).
(٢) ينظر: «**المحرر**» (٤/ ٢٧٤).
(٣) ينظر: «**الشواذ**» ص ١١٢، و«**الكشاف**» (٣/ ٣٨٩)، و«**المحرر الوجيز**» (٤/ ٢٧٤)، و«**البحر المحيط**» (٧/ ٩٦)، و«**الدر المصون**» (٥/ ٣٣٠).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ

تَفْسِيرُ «سُورَةِ القَصَصِ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

إلاَّ قولَه تعالى ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ فإنَّها نزلَت بِالْجُحْفَةِ في وقت هجرةِ النبيِّ ﷺ إلى المدينة؛ قاله ابن سَلام وغيره، وقال مقاتل: فيها من المدني: ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ إلى قوله ﴿لا نبتغي الجاهلين﴾.

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾.

/ قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ * تلك آياتُ الكتاب المبين * نتلوا عليك من نبإ موسى...﴾ ٥٥ ب
الآية، معنى ﴿نتلوا﴾: نَقُصُّ وخصَّ تعالى بقوله ﴿لقوم يؤمنون﴾ من حيث إنهم هم المنتَفِعُونَ بذلك دونَ غيرهم، و﴿علا في الأرض﴾ أي: عُلُوَّ طُغيانٍ وتَغَلُّب، و﴿في الأرض﴾ يريد أرض مصر، والشيعُ: الفرقُ، والطائفةُ المستضعفةُ: هم بنو إسرائيل، ﴿يذبّح أبناءهم﴾ خوفَ خرابِ مُلْكِه على ما أخبرته كَهَنَتُه، أو لأجل رؤيا رآها؛ قاله السدي[1]. وطمع بجهله أن يَرُدَّ القدرَ، وأين هذا المنزعُ من قول النبي ﷺ لِعُمَرَ: «إنْ يَكُنْهُ

(١) أخرجه الطبري (١٠/٢٧) رقم (٢٧١٦٠) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/٢٧٦).

فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ، وإِنْ لَمْ يَكُنْهُ، فَلاَ خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ»[١] يعني: ابنَ صَيَّادٍ؛ إذ خافَ عمرُ أن يكونَ هو الدَّجَّالَ، وباقي الآيةِ بيِّن؛ وتقدَّم قصصُه. والأئمة: ولاة الأمور؛ قاله قتادة[٢].

﴿ونجعلهم الوارثين﴾ يريدُ: أرضَ مصرَ والشام، وقرأ حمزة[٣]: «وَيَرَى فِرْعَوْنُ» - باليَاء وفتح الراء - والمعنى: ويقعُ فرعونُ وقومُه فيما خَافُوه وحذِرُوه من جهة بني إسرائيل، وظهورهم، وهامان: هو وزيرُ فرعونَ وأكبَرُ رجالِه، وهذا الوَحْي إلى أم موسى، قيل: وَحْيُ إلهامٍ، وقيلَ: بمَلَكٍ.

وقيل: في مَنَامٍ

وجملة الأمرِ أنها عَلِمَتْ أنَّ هذا الذي وقع في نفسِها هو من عند اللّه، قال السدي وغيره: أُمِرَتْ أن تُرْضِعَهُ عَقِبَ الوِلاَدَةِ، وَتَصْنَعَ بِهِ مَا فِي الآيَة[٤]؛ لأَن الخوفَ كانَ عَقِبَ كلِّ وِلاَدَة، واليمُّ: معظم الماء، والمرادُ: نِيلُ مِصر، واسم أم موسى يوحانذ[٥]، ورُوِيَ في قَصَصِ هذهِ الآيَةِ: أَنَّ أمَّ مُوسَى لَفَّتْهُ في ثِيابهِ وَجَعَلَتْ له تابوتاً صَغِيراً، وسَدَّتْه عليه بقُفْلٍ، وعَلَّقَتْ مِفْتَاحَه عَلَيْه، وأسلمَتْهُ ثقةً باللّه وانتظاراً لوعدِه سبحانه، فلما غابَ عنها عاودَها بثُّها وأَسِفَتْ عليه، وأَقْنَطَهَا الشيطانُ فاهْتَمَّتْ به وكَادَتْ تَفْتَضِحُ، وجعلتِ الأُخْتُ تَقُصُّهُ، أي: تَطْلُبُ أثَرَه، وتَقَدَّم باقي القصةِ في «طه» وغيرِها، والالتقاط: اللقاء عن[٦] غير قصد، وآل فِرْعَوْنَ: أهله وجملتُه، واللامُ في ﴿ليكون﴾: لام العَاقِبَة.

وقال «ص»: ﴿ليكون﴾: اللامُ للتعليلِ المجازيِّ، ولمَّا كانَ مآله إلى ذلك، عبَّر عَنْه بلام العاقبة، وبلام الصَّيْرُوَرَةِ، انتهى.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٥٧٦- ٥٧٧) كتاب الأدب: باب قول الرجل للرجل: اخسأ، حديث (٦١٧٣- ٦١٧٤- ٦١٧٥)، ومسلم (٤/ ٢٢٤٤- ٢٢٤٥) كتاب الفتن: باب ذكر ابن صياد، حديث (٩٥/ ٢٩٣٠) من حديث عمر.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٨) رقم (٢٧١٦٦)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٧٦)، والسيوطي (٥/ ٢٢٧)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة.

(٣) ينظر: «السبعة» (٤٩٢)، و«الحجة» (٥/ ٤٤١)، و«إعراب القراءات» (٢/ ١٦٨)، و«معاني القراءات» (٢/ ٢٤٩)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٢٠)، و«العنوان» (١٤٧)، و«حجة القراءات» (٥٤١)، و«شرح شعلة» (٥٣٢)، و«إتحاف» (٢/ ٣٤٠).

(٤) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٩- ٣٠) رقم (٢٧١٧٣)، (٢٧١٧٦) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٧٦- ٢٧٧).

(٥) في أ: يوحانة.

(٦) في أ: من.

وقرأ حمزة، والكسائي[1] «وخزْناً» ـ بضمِّ الحاءِ وسكونِ الزاي ـ، والخاطىء: متعمدُ الخطإ، والمخطىء الذي لا يتعمده.

وقوله: ﴿وهم لا يشعرون﴾ أي: بأنه هو الذي يَفْسَدُ ملكُ فرعونَ على يده؛ قاله قتادة[2] وغيره.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً﴾ أي: فارغاً من كلِّ شيء إلا من ذكر موسى[3].

قاله ابن عباس.

قال مالك: هو ذَهَابُ العَقْلِ، وقالت فرقة: ﴿فارغاً﴾ من الصبر.

وقوله تعالى: ﴿إن كادت لتبدي به﴾ أي: أمرِ ابنِهَا، ورُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: كادت أُمُّ مُوسَى أن تَقُول: «وابْنَاهُ وَتَخْرُجَ سَائِحَةً عَلَى وَجْهِهَا». والرَّبْطُ على القلب: تأنيسُه وتقويَتُه، و﴿لتكون من المؤمنين﴾ أي: من المُصَدِّقين بوعدِ اللهِ سبحانه وما أوحي إليها به، ﴿وعن جنب﴾ أي: ناحيةٍ، فمعنى ﴿عن جنب﴾: عن بُعْدٍ لَمْ تَدنُ مِنْهُ فَيُشْعَرَ لها.

وقوله: ﴿وهم لا يشعرون﴾ معناه: أنها أختُه، ووعدُ اللهِ المشارُ إليه هو الذي
٥٦ أ أوحاه إليها أولاً، إمَّا بمَلَكٍ / أو بمَنَامَةٍ، حَسْبَمَا تَقَدَّمَ، والقَوْلُ بالإلْهَامِ ضَعِيفٌ أن يقالَ فيه وعدٌ.

وقوله: ﴿أكثرهم﴾ يريد به القِبْطَ، والأَشُدُّ: شِدةُ البَدَنِ واستحكام أمره وقوتِه،

---

(١) ينظر: «السبعة» (٤٩٢)، و«الحجة» (٥/ ٤١٢)، و«إعراب القراءات» (٢/ ١٦٨)، و«معاني القراءات» (٢/ ٢٤٩)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٢١)، و«العنوان» (١٤٧)، و«حجة القراءات» (٥٤٢)، و«شرح شعلة» (٥٣٢)، و«إتحاف» (٢/ ٣٤١).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٤) رقم (٢٧١٩٢) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٧٨)، والسيوطي (٥/ ٢٢٨ـ ٢٢٩)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٥) رقم (٢٧٢٠١)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٧٨)، وابن كثير (٣/ ٣٨١)، والسيوطي (٥/ ٢٢٩)، وعزاه للفريابي، وابن أبي شيبة وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عن ابن عباس.

و﴿استوى﴾ معناه: تَكَامَلَ عَقْلُه، وذلك عند الجمهور مع الأربعين. والحكمُ: الحِكْمَةُ، والعلمُ: المَعرِفَةُ بشرعِ إبراهيمَ عليه السلام.

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها﴾.

قال السدي: كان موسى في وقتِ هذه القصةِ على رَسْمِ التعلُّقِ بفرْعَونَ، وكان يَرْكَبُ مَرَاكِبَه حتى إنه كان يُدْعَى مُوسَى بن فِرْعَوْنَ[(١)]، فركب فرعونُ يوماً وسارَ إلى مدينةٍ من مدائنِ مِصْرَ، فركبَ مُوسَى بَعْدَه ولَحِقَ بتلكَ المدينَةِ في وقتِ القائِلة، وهو حينُ الغَفْلَة؛ قاله ابن عباس[(٢)]، وقال أيضاً: هو بين العِشَاء والعَتَمَة، وقيل غيرُ هذا[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿هذا من شيعته﴾ أي من بني إسرائيل، و﴿عدوه﴾ هم القِبْطُ، و«الوَكْزُ»: الضَّرْبُ باليدِ مجموعةً، وقرأ ابن مسعود[(٤)]: «فَلَكَزَهُ» والمعنى: واحد؛ إلا أن اللَّكْزَ في اللَّحْيِ، والوَكْزَ علَى القَلْبِ، و﴿قضى عليه﴾ معناه: قَتَلَه مُجْهِزاً، ولم يُرِدْ

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٤٢) رقم (٢٧٢٥٢)، وذكره البغوي (٣/ ٤٣٨)، وابن عطية (٤/ ٢٨٠)، والسيوطي (٥/ ٢٣١)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم عن السدي.
(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٨٠).
(٣) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٨٠).
(٤) ينظر: «**الشواذ**» ص ١١٤، و«**الكشاف**» (٣/ ٤٩٨)، و«**المحرر الوجيز**» (٤/ ٢٨٠)، و«**البحر المحيط**» (٧/ ١٠٥)، و«**الدر المصون**» (٥/ ٣٣٥).

ـ عَلَيْهِ السلامُ ـ قَتَلَ القِبْطِيِّ، لَكِنْ وَافَقَتْ وَكْزَتُهُ الأَجَلَ؛ فَنَدِمَ، ورأى أنَّ ذلك من نَزْغِ الشيطانِ في يده، ثم إن نَدَامَةَ موسى عليه السلام حَمَلَتْهُ على الخُضُوعِ لربِّه والاسْتِغْفَارِ من ذنبه، فغفر اللّه له ذلك، ومع ذلك لَم يَزَلْ عليه السلام يُعيد ذلك على نفسه مع علمه أنه قَد غُفِر له، حتى إِنَّهُ في القِيَامةِ يَقُولُ: «وَقَتَلْتُ نَفْساً لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا»؛ حَسْبَمَا صَحَّ فِي حدِيثِ الشفاعة، ثم قال موسَىٰ ـ عليه السلام ـ معاهداً لربه: رَبِّ بنعمتِكَ عليّ وبسبب إِحسانِك وغُفْرانِك، فأنا مُلْتَزِمٌ ألاَّ أكون مُعِيناً للمجرمين؛ هذا أحسن ما تأول.

وقال الطبري[1]: إنه قَسَمٌ؛ أقسم بنعمة اللّهِ عندَه.

قال *ع[2]*: واحتج أهلُ الفضلِ والعلم بهذهِ الآيةِ في مَنْعِ خِدْمَةِ أهل الجَوْرِ ومَعُونَتِهم في شيء من أمورهم، ورأوا أنها تَتَنَاوَلُ ذلكَ؛ نص عليه عطاء بن أبي رباح وغيره.

قال ابن عباس: ثم إِنَّ مُوسَى ـ عليه السلام ـ مرَّ وَهُوَ بحالةِ التَّرَقُّبِ؛ وإذا ذلك الإسرائيلي الذي قَاتَلَ القبطيَّ بالأَمسِ يُقاتِلُ آخرَ مِن القِبْطِ[3]، وكان قَتَلُ القبطيّ قد خفي على الناس واكْتَتَم، فلما رأى الإسرائيلي موسى، استصرخه، بمعنى صاحَ بِهِ مستغيثاً فلما رأى موسى ـ عليه السلام ـ قِتَالَهُ لآخرَ؛ أعظم ذلكَ وقال له مُعَاتباً ومُؤَنِّباً: ﴿إنك لغوي مبين﴾ وكانت إرادة موسى ـ عليه السلام ـ مع ذلك، أن ينصرَ الإسرائيلي، فلما دنا منهما، وحبس الإسرائيلي وفَزَعَ منه، وظن أنه ربما ضَرَبَه، وفزع من قوتِهِ التي رأى بالأمس، فناداه بالفضيحةِ وشهَّر أمرَ المقتُولِ، ولما اشْتُهِرَ أَنَّ مُوسَى قَتَلَ القَتِيلَ، وكان قول الإسرائيلي يَغْلِبُ على النفُوسِ تصديقُه على موسَى، مَعَ ما كانَ لِمُوسَى مِنَ المقدِّمَاتِ أتى رأْيُ فِرْعَونَ ومَلَئِه علَى قَتْلِ مُوسَى، وغَلَبَ على نفس فرعون أنه المشارُ إليه بفَسَادِ المَمْلَكَةِ، فأنْفَذ فيهِ مَنْ يطلُبه ويأْتي بهِ للقَتْلِ، وألْهَمَ اللّهُ رَجُلاً؛ يقالُ إنه مؤمِنٌ من آل فرعَونَ أو غيره، فجاء إلى موسَى وبَلَّغَهُ قبلَهُم وَ﴿يَسْعَى﴾ / معناه: يُسْرِعُ في مَشْيه؛ قاله الزجاج[4] وغيره، وهو دونَ الجَرْيِ، فقال: ﴿يا موسى إن الملأ يأتمرون بك...﴾ الآية. ٥٦ ب

ت قال الهروي: قوله تعالى: ﴿يأتمرون بك﴾ أي: يؤامُرُ بعضُهم بعضاً في

---

(١) ينظر: «الطبري» (١٠/ ٤٦).

(٢) ينظر: «المحرر» (٤/ ٢٨١).

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٤٧) رقم (٢٧٢٧٧)، وذكره البغوي (٣/ ٤٤٠)، وابن عطية (٤/ ٢٨١).

(٤) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٣٨).

قَتلِك، وقال الأزهري: الباءُ في قوله: ﴿يأتمرون بك﴾ بمعنى: «في» يقال: ائتَمَرَ القومُ إذا شَاوَرَ بَعْضُهم بَعْضاً، انتهى. وعن أبي مجلز ـ واسمه لاحق بن حميد ـ قال: من خاف من أمير ظُلْماً فقال: رضيت باللّه رَبًّا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبيًّا وبالقرآن حَكَماً وإماماً، نجَّاه اللّه منه؛ رواه ابن أبي شيبة في «**مصنفه**»، انتهى من «**السلاح**». و﴿تلقاء﴾ معناه نَاحِيَةَ مدين، وبينَ مِصرَ ومَدْيَنَ مسيرةَ ثَمانِيَةِ أيام، وكانَ مُلْكُ مدين لغير فرعونَ، ولما خَرَجَ عليه السلام فارًّا بنفسهِ منفرداً حافياً؛ لا شيءَ معه ولا زادَ وغيرَ عارفٍ بالطريقِ؛ أَسْنَدَ أمرَه إلى اللّهِ تعالى وقال: ﴿عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾ ومشى ـ عليه السلامُ ـ حتى وَرَدَ ماءَ مدينَ، وَوُرُودُهُ المَاءَ، معناه: بلُوغُه، ومدينُ: لا ينْصَرِفُ إذ هو بلدٍ معروفٌ، والأمَّة: الجمعُ الكثيرُ، و﴿يسقون﴾ معناه: ماشيتَهم، و﴿من دونهم﴾ معناه: ناحيةً إلى الجهةِ الَّتي جَاء مِنها، فوَصَل إلى المرْأَتَيْنِ قَبْلَ وُصولِهِ إلى الأُمَّةِ، و﴿تذودان﴾ معناه: تَمْنعَانِ، وتَحْبِسَانِ غَنَمَهُمَا عَنِ الماءِ؛ خوفاً من السُّقَاةِ الأقوياء، و﴿أبونا شيخ كبير﴾، أي: لا يستطيعُ لِضَعْفِهِ أن يُبَاشِرَ أَمْرَ غَنَمِه.

وقوله تعالى: ﴿فسقى لهما﴾.

قالت فرقة: كانت آبارُهم مغطاةً بحجارةٍ كبارٍ، فَعَمَدَ إلى بِئْرٍ، وكان حَجَرُهَا لاَ يرفعُه إلاَّ جَماعَة، فَرَفَعَهُ وسقى للمرأتين. فَعَنْ رَفْعِ الصَّخْرَةِ وصفتْه إحداهُما بالقوة، وقيل: وصفَتْه بالقوة؛ لأنه زَحَمَ النَّاسَ وغَلَبَهُمْ عَلى المَاءِ حتى سَقَى لهما.

وقرأ الجمهور[(١)] «يُصْدِر الرِّعَاء» ـ على حَذْفِ المفعولِ ـ تقديرُه: مواشِيَهم، وتولّى موسى إلى الظلِّ وتعرَّضَ لسؤال ما يَطْعَمُه بقوله: ﴿رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾ ولم يُصَرِّحْ بسؤالٍ؛ هكذا، رَوَى جَمِيعُ المفسرينَ أنَّه طلبَ في هذا الكلامَ ما يأكلُه، قال ابن عباس: وكان قَدْ بَلَغَ به عليه السلام الجوعُ إلى أن اخْضَرَّ لونُه من أكل البَقْل، وَرُئِيَتْ خُضْرة البقْلِ في بَطْنِهِ، وإنه لأَكْرَمُ الخلقِ يومئِذٍ على اللّه، وفي هذا مُعْتَبَرٌ وحاكمٌ بهَوَانِ الدُّنْيا على[(٢)] اللّه تعالى، وعن معاذ بن أنس قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ أَكَلَ طَعَاماً، فَقَالَ:

---

(١) وقرأ أبو عمرو وابن عامر «حتى يَصْدُرَ». وقرأ بها الحسن وأبو جعفر.
ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٢٨٣)، و«**السبعة**» (٤٩٢)، و«**الحجة**» (٥/ ٤١٢)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ١٦٩)، و«**معاني القراءات**» (٢٥٠)، و«**العنوان**» (١٤٧)، و«**حجة القراءات**» (٥٤٣)، و«**شرح شعلة**» (٥٣٣)، و«**إتحاف**» (٢/ ٣٤١).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٥٧) رقم (٢٧٣٤٢) بنحوه، وذكره البغوي (٣/ ٤٤١ـ ٤٤٢)، وابن عطية (٤/ ٢٨٤)، وابن كثير (٣/ ٣٨٣، ٣٨٤)، والسيوطي (٥/ ٢٣٧)، وعزاه لسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والضياء في «**المختارة**» عن ابن عباس.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاَ قُوَّةٍ ـ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، ومَنْ لَبِسَ ثَوْباً، فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاَ قُوَّةٍ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»[(١)] رواه أبو داود؛ واللفظُ له، والترمذيُّ وابن ماجه والحاكم في «المستدرك»، وقال: صحيح على شرط البخاريِّ، وقالَ الترمذيُّ: حسنٌ غريبٌ، انتهى من «السِّلاح».

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَـٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿فجاءته إحداهما تمشي على استحياء...﴾ الآية: في هذا الموضِع اختصارٌ يدلُّ عليه الظاهرُ، قدَّرَهُ ابنُ إسحاقٍ: فذهبتا إلى أبيهما فأخبرتاه بما كان من
الرجل، فأمر إحدى ابنَتَيْه أنْ تدعوَه له، فجاءته، على ما في الآية /. وقوله: ﴿على ٥٧ أ
استحياء﴾ أي: خَفِرَةٍ، قد سَتَرَتْ وَجْهَهَا بِكُمِّ دِرْعِها؛ قاله عمر بن الخطاب[(٢)] ـ رضي اللّه عنه ـ. وروَى التِّرمِذيُّ عَنْ أَبِي هريرةَ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «الْحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ والإِيمانُ فِي الجَنَّةِ، والبَذَاءُ مِنَ الجَفَاءِ؛ والجَفَاءُ فِي النَّارِ»[(٣)] قال أبو عيسى: هذا حديث

---

(١) أخرجه أبو داود (١/ ٤٤٠) كتاب اللباس: باب ما جاء في اللباس، حديث (٤٠٢٣)، والترمذي (٥/ ٥٠٨) كتاب الدعوات: باب ما يقول إذا فرغ من الطعام، حديث (٣٤٥٨)، وابن ماجه (٢/ ١٠٩٣) كتاب الأطعمة: باب ما يقال إذا فرغ من الطعام، حديث (٣٢٨٥)، وأحمد (٣/ ٤٣٩)، والحاكم (١/ ٥٠٧، ٤/ ١٩٢)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٤٦١) كلهم من طريق أبي مرحوم عبد الرحيم بن ميمون عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه به.
وقال الترمذي: حديث حسن غريب.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٥٨) رقم (٢٧٣٥٤)، وذكره البغوي (٣/ ٤٤٢) بنحوه، وابن عطية (٤/ ٢٨٤)، وابن كثير (٣/ ٣٨٤)، والسيوطي (٥/ ٢٣٨)، وعزاه لسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن أبي الهذيل عن عمر بن الخطاب.

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٦٥) كتاب البر والصلة: باب ما جاء في الحياء، حديث (٢٠٠٩)، وأحمد (٢/ ٥٠١)، وابن حبان (١٩٢٩ ـ موارد)، والبغوي في «شرح السنة» (٦/ ٥٤٠، ٥٤١ ـ بتحقيقنا) كلهم من طريق محمد بن عمرو.

حسن صحيح؛ انتهى.

والجمهورُ أن الداعِيَ لموسَى ـ عليه السلامُ ـ هو شُعَيْب عليه السلام وأن المرأتين ٱبنتَاه، فـ ﴿قالت إن أبي يدعوك. . .﴾ الآية، فَقَام يَتْبعُهَا فَهَبَّتْ رِيحٌ ضَمَّتْ قَمِيصَها إلى بَدَنِهَا فَتَحرَّجَ مُوسَى عليه السلام من النظر إليها؛ فقال لها: امشي خَلْفِي وأرشديني إلى الطريق، فَفَهِمَتْ عَنْهُ؛ فذلك سَبَبُ وَصْفِهَا له بِالأَمَانَةِ؛ قاله ابن عباس[1]. ﴿فلما جاءه وقص عليه القصص﴾ فآنسه بقوله: ﴿لاَ تَخَفْ نجوت من القوم الظالمين﴾ فلما فَرَغ كلامُهُمَا قالت إِحدى الابنتَيْنِ ﴿يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ فقال لها أبوها: ومن أين عَرَفْتِ هذا منه؟ قالت: أمّا قوتُه فَفِي رفعِ الصَّخْرَةِ، وأمّا أَمَانَتُهُ فَفِي تَحَرُّجِه عَنِ النَّظَرِ إِلَيَّ؛ قاله ابن عباس[2] وقتادة وابن زيد وغيرهم، فقال له الأبُ عند ذلك: ﴿إني أريد أن أنكِحَكَ إحدى ابنتي هاتين. . .﴾ الآية، قال ابن العربي: فِي «أحْكَامِهِ»[3] قوله: ﴿إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين﴾ يدلُّ على أنه عَرْضٌ لاَ عَقْدٌ؛ لأنه لو كان عَقْداً، لعَيَّن المعقودَ عَلَيْهَا؛ لأن العلماءَ وإنْ اخْتَلَفُوا في جوازِ البيعِ، إِذَا قَال له: بعتُكَ أَحَدَ عَبْدَيَّ هذينِ بثَمَنِ كذا، فإنهم اتَّفَقُوا على أن ذلكَ لاَ يجُوزُ في النِّكَاحَ؛ لأنه خيارٌ وشَيْءٌ مِن الخيارِ لاَ يُلْحَقُ بالنِّكَاحِ[4]. ورُوِي أنه قال شعيبٌ: أَيَّتُهما تُرِيد؟ قال: الصغرى، انتهى. «وتَأجر» معناه: تُثِيبُ وجَعَلَ شعيبُ الثمانيةَ الأعوامَ شَرْطاً وَوَكَلَ العَامَيْنِ إلى المُرُوءَةِ، ولما فَرَغَ كلامُ شُعَيْبٍ قَرَّره موسَى؛ وكَرَّرَ معناه على جهة التوثُّقِ في أن الشَّرط إنما وقع في ثمانِ حججٍ، و﴿أيما﴾ استفهامٌ نُصِبَ بـ ﴿قَضَيْتُ﴾ و«ما» صلة للتَّأكِيد و«لا عدوان» لا تِبَاعَةَ عَلَيَّ، و«الوكيل»: الشَّاهدُ القائمُ بالأمر.

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٦١) رقم (٢٧٣٧٦)، (٢٧٣٧٨) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٨٤)، وابن كثير (٣/ ٣٨٥) بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٦١) رقم (٢٧٣٧٦)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٨٤ـ ٢٨٥)، وابن كثير (٣/ ٣٨٥).

(٣) ينظر: «أحكام القرآن» (٣/ ١٤٦٩).

(٤) لا يدخل الخيار شرعاً إلا عقود المعاوضات اللازمة القابلة للفسخ بتراضي العاقدين، فغير المعاوضات كالصدقة والهبة بلا ثواب لا يدخلها أي نوع من أنواع الخيار؛ لأنها شرعت لدفع الضرر، وهذه العقود نفع محض، لعدم المقابل فيها، وأما اشتراط اللزوم، فلأن المعاوضات الجائزة كالشركة والوكالة لكل من العاقدين أن يفسخها متى شاء بمتقضى العقد ذاته، فليست هناك من حاجة تدعو إلى إثبات الخيار فيها، وهو لم يشرع إلا تحت ضغط الحاجة. وأما اشتراط كونها قابلة للفسخ برضا الطرفين، كالبيع، والهبة بثواب، والصلح على مال، فلأنها لو لم تكن قابلة للفسخ بتراضيهما كالنكاح، والخلع، لكان اشتراط الخيار فيها أو ثبوته في أحوال مخصوصة مخالفاً لمقتضاها، لأن الخيار يستلزم جواز الفسخ، وهي لا تقبله.

﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟
إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا
نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا
تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ
جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ
﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا
فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا
سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا
بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ
أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ
فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى
صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى
ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ
فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿فلما قضى موسى الأجل﴾ قال ابن عباس: قضى أكملهما عَشْرَ سنينَ؛ وأسنده إلى النبي ﷺ(١).

وقوله: ﴿إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون * فلما أتاها نودي... ﴾ الآية، تَقَدَّمَ قصصُها، فانظرْه في محالِّه، قال البخاريُّ: والجَذْوَةُ قطعةٌ غليظةٌ مِنَ الخَشَبِ فيها لَهَبٌ، انتهى. قال العِراقيُّ: و«آنس» معناه: أبصر، انتهى.

وقوله: ﴿من الشجرة﴾ يقتضي: أن موسى ـ عليه السلام ـ سَمِعَ ما سَمِعَ من جهة الشجَرةِ، وسمع وأدرك غَيْرُ مُكَيَّفٍ ولا محَدَّدٍ.

قال السهيليُّ: قيل إن هذه الشجرةَ عَوْسَجَة، وقيل: عُلَّيْقَة، والعَوْسَجُ إذا عَظُمَ قِيلَ له: الغَرْقَدُ، انتهى. ﴿ولم يعقب﴾ معناه: لم يرجع على عَقِبِهِ من تَوْلِيَتِه.

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٢٣٩)، وعزاه إلى البزار، وأبي يعلى، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم، وابن مردويه.
وصححه الحاكم.

وقوله تعالى: ﴿واضمم إليك جناحك من الرهب﴾ ذهبَ مجاهد[(١)] وابن زيدٍ[(٢)] إلى: أنَّ ذَلكَ حقيقةٌ، أَمَرَهُ بِضَمِّ عَضُدِهِ وَذِرَاعِه؛ وهو الجَنَاحُ إلى جَنْبِه؛ لِيَخِفَّ بذلك
٥٧ ب فَزَعُه؛ ورهبُه، ومن شأن / الإنسانِ إذا فَعَلَ ذلك في أوقات فزعه؛ أن يَقْوَىٰ قَلْبُهُ، وذهبت فرقةٌ إلى أن ذلك على المجازِ، وأنه أُمِرَ بالعَزْمِ على ما أُمِرَ به، كما تقولُ العربُ: اشْدُدْ حَيَازِيمَكَ؛ وارْبِطْ جَأْشَكَ، أي: شَمِّرْ في أمْرِكَ وَدَعْ عَنْكَ الرَّهْبَ.

وقوله تعالى: ﴿فذانك برهانان من ربك﴾ قال مجاهد[(٣)] والسدي[(٤)]: هي إشارة إلى العَصَا واليدِ.

وقرأ الجمهور: «رِدْءاً» ـ بالهَمْزِ ـ.

وقَرأ نافعٌ[(٥)] وَحْدَهُ: «رِداً» ـ بتنوين الدال دونَ هَمْزٍ وذلك على التخفيف من رِدْءٍ، والرِّدْءُ: الوَزير المعين، وشَدُّ العَضُدِ: استعارة في المَعونةِ، والسلطان: الحجةُ.

وقوله: ﴿بآياتنا﴾: متعلقٌ بقوله ﴿الغالبون﴾ أي: تغلبون بآياتنا؛ وهي المعجزاتُ، ثم إن فرعون استمر في طريق مخرقته[(٦)] على قومِه، وأمر هامان بأنْ يَطْبُخَ له الآجُرَّ وأن يَبْنِيَ له صَرْحاً أي سَطْحاً في أعلى الهواء، مُوْهِماً لِجَهَلَةِ قَوْمِهِ أنْ يَطَّلِعَ بزَعْمِهِ في السَّماء، ثم قال: ﴿وإني لأظنه من الكاذبين﴾ يعني: موسى في أنه أرسله مُرْسِلٌ و﴿نبذناهم﴾ معناه: طرحناهم، و﴿اليَمُّ﴾: بحرُ القُلْزُم في قول أكثر الناس؛ وهو الأشهرُ.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَيِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٧٠) رقم (٢٧٤٣٢) بنحوه، وذكره البغوي (٣/ ٤٤٥)، وابن عطية (٤/ ٢٨٧)، وابن كثير (٣/ ٣٨٨)، والسيوطي (٥/ ٢٤٣) بنحوه، وعزاه للفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٧٠) رقم (٢٧٤٣٧) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٨٧)، وابن كثير (٣/ ٣٨٨) بنحوه.

(٣) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٨٧)، والسيوطي (٥/ ٢٤٣)، وعزاه للفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري (١٠/ ٧١) رقم (٢٧٤٣٨)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٨٧).

(٥) ينظر: «**السبعة**» (٤٩٤)، و«**الحجة**» (٥/ ٤٢٠)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ١٧٥)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ٢٥٢)، و«**شرح الطيبة**» (٥/ ١٢٢)، و«**العنوان**» (١٤٧)، و«**حجة القراءات**» (٥٤٥)، و«**إتحاف**» (٢/ ٣٤٣).

(٦) في: جـ: متخوفته.

وقوله تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار...﴾ الآية، عبارةٌ عَنْ حالِهم وأفعالِهِم، وخَاتِمَتِهِم، أي: هم بذلك كالداعين إلى النار؛ وهم فيه أَئِمَّةٌ مِنْ حَيْثُ اشْتُهِرُوا، وبَقِي حديثُهم، فهم قدوةٌ لُكُلِّ كافرٍ وعَاتٍ إلى يَوْمِ القيامة، و﴿المقبوحين﴾ الذينَ يُقَبَّحُ كُلُّ أمرِهِم، قَولاً لهم وفِعْلاً بهم، قال ابن عباس: هم الذين قُبِحُوا بِسَوَادِ الوُجُوهِ وزُرْقَةِ العيون[1]، و﴿يوم﴾ ظرفٌ مقدَّمٌ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ يعني: التوراةَ والقصدُ بهذا الإخبار التمثيلُ لقريشٍ؛ بما تقدم في غيرها مِنَ الأُمَمِ و﴿بصائر﴾ نَصْبٌ على الحالِ، أي: طرائِقَ هاديةً.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وما كنت بجانب الغربي...﴾ الآية، أي: ما كنتَ يا محمدُ حاضراً لِهذهِ الغُيوبِ الَّتي تُخْبِرُهمْ بِهَا، وَلَكِنَّهَا صَارَتْ إِلَيْكَ بِوَحْيِنَا، أي: فكان الواجِبُ أن يسارعوا إلى الإيمان بك.

قال السهيلي: وجانبُ الغَرْبي هُوَ جانبُ الطُّورِ الأيمنِ، فحينَ ذَكَرَ سبحانَه نداءَه لِموسى قال: ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾ [مريم: ٥٢] وحينَ نَفَى عن محمد ﷺ أن يكون بذلك الجانبِ قال: ﴿وما كنت بجانب الغربي﴾ والغربيُّ: هو الأيمنُ، وبين اللفظينِ في ذكر المَقَامَيْنِ ما لا يخفى في حُسْنِ العبارةِ وبديعِ الفَصَاحَةِ والبلاغة؛ فإن محمداً عليه السلام لا يقالُ له: ما كنت بالجانب الأيمنِ؛ فإنَّه لَمْ يَزَلْ بالجَانِبِ الأَيْمَنِ مُذْ كانَ فِي ظَهْرِ آدم عليه السلامُ، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿فتطاول عليهم العمر﴾ [قال] الثعلبيُّ: أي: فنسوا عهد اللّه، انتهى. و﴿قضينا﴾ معناه: أنفذنا، و﴿الأمر﴾ يعني: التَّوْرَاة.

وقالت فرقة: يعني به: ما أعلمَه مِن أمرِ محمدٍ ﷺ.

قال *ع[2]*: وهذا تأوِيلٌ حَسَنٌ يَلْتَئِمُ معه ما بَعْدَه من قوله ﴿ولكنا أنشأنا قروناً﴾.

ت: قال أبو بكر بن العربيّ: قوله تعالى: ﴿إذ قضينا إلى موسى الأمر﴾ معناه:

---

(١) ذكره البغوي (٣/ ٤٤٧)، وابن عطية (٤/ ٢٨٩).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٩٠).

أعلمناه، وهو أحدُ ما يَرِد تَحْتَ لفظِ القَضَاءِ مراداً، انتهى من كتاب «**تفسير الأفعال الواقعة في القرآن**». و«الثاوي»: المقيم.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

٥٨ أ وقوله تعالى: ﴿وما كنت / بجانب الطور﴾ يريدُ وقتَ إنزالِ التوراةِ إلى مُوسَى ـ عليه السلام ـ. وقوله: ﴿إذ نادينا﴾ رُوِيَ عَنْ أَبِي هريرةَ: أنّه نُودِيَ يَوْمَئِذٍ مِنَ السَّمَاءِ: «يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، استجبتُ لَكُمْ قَبْلَ أَن تَدْعُونِي، وغفرتُ لكم قبل أن تسألوني»، فحينئذٍ قال موسى عليه السلام: اللهمَّ، اجْعَلْنِي من أمَّةِ محمدٍ، فالمعنى: إذ نادينا بأمرك وأخبرنا بنُبوَّتك.

وقال الطبريُّ[١]: معنى قوله: ﴿إذ نادينا﴾: بأن ﴿سأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة...﴾ الآية [الأعراف: ١٥٦].

وقوله سبحانه: ﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة...﴾ الآية، المصيبةُ: عذابٌ في الدُّنْيا على كفرهم، وجوابُ ﴿لولا﴾ محذوفٌ يقْتَضِيهِ الكلامُ؛ تَقْدِيرُهُ: لعَاجَلْنَاهُمْ بما يَسْتَحِقُّونَه.

وقال الزجاجُ[٢]: تقديره: لَمَا أَرْسَلْنَا الرُّسُلَ.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿فلما جاءهم الحق﴾ يريد القرآن ومحمداً عليه السلام، والمقالةُ التي قَالَتْها قريشٌ: ﴿لَوْلاَ أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ كانَتْ من تعليم اليهود لهم؛ قالوا لهم: لِمَ لا يأتي بآية باهرةٍ كالعصَا واليدِ، وغير ذلك، فعكسَ اللّه عليهم قَوْلَهم، وَوَقَفَهُمْ على أَنهم قد وقَع منهم في تلك الآيات مَا وَقَع من هؤلاء في هذه، فالضميرُ في قوله ﴿يكفروا﴾ لليهود، وقرأ الجمهور: «ساحران» والمراد: موسى وهارون.

---

(١) ينظر: «**الطبري**» (١٠/ ٧٧).

(٢) ينظر: «**معاني القرآن**» للزجاج (٤/ ١٤٧).

قال *ع[١]*: ويحتمل أن يريدَ بـ ﴿ما أوتي موسى﴾ مِنْ أَمْرِ محمدٍ والإِخبارِ به الذي هو في التوراة.

وقوله: ﴿وقالوا إنا بكل كافرون﴾ يُؤَيِّدُ هذا التأويلَ، وقرأ حمزةُ والكسائي[٢] وعاصم: «سِحْران» والمرادُ بهما: التَّوراةُ والقرآنُ؛ قاله ابن عباس[٣]، و﴿تظاهرا﴾: معناه: تعاونا.

وقوله: ﴿أهدى منهما﴾.

قال الثعلبي: يعني: أهدى من كتابِ محمدٍ وكتابِ موسى؛ انتهى.

ت: ويحتملُ أنْ يكونَ الضميرُ في ﴿يكفروا﴾ لقريشٍ كما أشار إليه الثعلبيُّ، وكذا في ﴿قالوا﴾ لقريشٍ عندَه. و﴿ساحران﴾ يريدونَ موسى ومحمداً ـ عليهما السلام ـ وهو ظاهرُ قولِهم: ﴿إنا بكل كافرون﴾؛ لأن اليهودَ لا يقولون ذلك في موسى في عصر نبينا محمد عليه السلام، ويُبيِّن هذا كلَّه قولُه تعالى: ﴿فإن لم يستجيبوا لك. . .﴾ الآية، فإنَّ ظاهرَ الآيةِ أنَّ المرادَ قريشٌ وعلى هذا كله مَرّ الثَّعْلَبيُّ، انتهى.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ
يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ
يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟
ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى
مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ
مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا
قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

---

(١) ينظر: «المحرر» (٤/ ٢٩١).

(٢) ينظر: «السبعة» (٤٩٥)، و«الحجة» (٥/ ٤٢٣)، و«إعراب القراءات» (٢/ ١٧٧)، و«معاني القراءات» (٢/ ٢٥٤)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٢٣)، و«العنوان» (١٤٧)، و«حجة القراءات» (٥٤٧)، و«شرح شعلة» (٥٣٤)، و«إتحاف» (٢/ ٣٤٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٨٠) رقم (٢٧٤٨٤)، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٩١)، وابن كثير (٣/ ٣٩٢)، والسيوطي (٥/ ٢٤٨)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

وقوله تعالى: ﴿ولقد وصلنا لهم القول...﴾ الآيةَ؛ الذينَ وصَّلَ لَهُمُ القَوْلَ: هم قريشٌ؛ قاله مجاهد[١] وغيره، قال الجمهورُ: والمعنى: وَاصَلْنَا لهم في القرآن، وتابعناه موصولاً بعضُه ببعضٍ في المواعظ والزواجر، والدعاء، إلى الإسلام. وذهبت فرقةٌ إلى: أنَّ الإشارة بتوصيلِ القولِ إنما هي إلى الألفاظ، فالمعنى[٢]: ولقد وصَّلنا لهم قَوْلاً مُعْجِزاً دالاً على نُبُوَّتكِ.

قال *ع[٣]*: والمعنى الأولُ تقديره: ولقد وصلنا لهم قولاً يَتَضَمَّنُ معانيَ؛ مَنْ تَدَبَّرَهَا اهْتَدَى. ثم ذكر ـ تعالى ـ القومَ الذينَ آمنوا بمحمدٍ مِنْ أهلِ الكتاب مُبَاهِياً بهم قريشاً. واختُلِفَ في تَعيينهم فقال الزهري: الإشَارَةُ: إلى النَّجَاشِيِّ[٤].

وقيل: إلى سلمان، وابن سلام، وأسند الطبريُّ[٥] إلى رفاعة القرظي، قال: نزلت
٥٨ ب هذه الآيةُ / في اليهود في عَشَرَةٍ أَنَا أَحَدُهُمْ، أَسْلَمْنَا فَأُوذِينَا[٦]؛ فنزلت فينا هذه الآية. والضَّمِيرُ فِي ﴿قبله﴾ يعودُ على القرآن. و﴿أجرهم مرتين﴾ معناه: على مِلَّتَيْنِ؛ وهذا المعنى هو الذي قال فيه ﷺ «ثَلاَثَةٌ يُؤْتَونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ؛ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ آمن بِنَبِيِّه وآمن بِي...» الحديث[٧]. و﴿يدرءون﴾ معناه: يَدْفَعُونَ؛ وهذا وصفٌ لمكَارِمِ الأخلاقِ، أي: يتغابون ومن قال لهم سوءًا لاَيَنُوهُ وقَابَلُوهُ من القول الحسِن بما يَدْفَعُه، واللغْوُ سَقَطُ القولِ، والقولُ يَسْقُط لوجوهٍ يَعِزُّ حَصْرُها، والمرادُ منه في الآيةِ: ما كان سبًّا وأذًى ونحوَه؛ فأدبُ الإسلام الإعراضُ عنه. و﴿سلام﴾ في هذا الموضِع قُصِدَ به المَتَارَكَةُ لا التَّحِيَّةُ. قال

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٨٤) رقم (٢٧٥٠١ـ ٢٧٥٠٢)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٩١)، وابن كثير (٣/ ٣٩٣)، والسيوطي (٥/ ٢٤٩)، وعزاه للفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.
(٢) في جـ: لمعنى.
(٣) ينظر: «**المحرر**» (٤/ ٢٩١).
(٤) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٩٢).
(٥) ينظر: «**الطبري**» (١٠/ ٨٤).
(٦) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٩٢)
(٧) أخرجه البخاري (١/ ٢٢٩) كتاب العلم: باب تعليم الرجل أمته (٩٧)، ومن (٥/ ٢٠٥) كتاب العتق: باب فضل من أدب جاريته وعلمها (٢٥٤٤)، ومن (٥/ ٢٠٧) باب العبد إذا أحسن عبادة ربه (٢٥٤٧)، ومن (٥/ ٢١٠) باب كراهية التطاول على الرقيق (٢٥٥١)، ومن (٦/ ١٦٩) كتاب الجهاد: باب فضل من أسلم (٣٠١١)، ومن (٦/ ٥٥١) كتاب أحاديث الأنبياء: باب قول الله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا﴾ (٣٤٤٦)، ومن (٩/ ٢٩) كتاب النكاح باب اتخاذ السراري (٥٠٨٣)، ومسلم (١/ ١٣٤ـ ١٣٥) كتاب الإيمان: باب وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ (٢٤١/ ١٥٤).

الزَّجاج: وهذا قبلَ الأمر بالقِتَال، و﴿لا نبتغي الجاهلين﴾ معناه: لا نَطْلُبُهُمْ للجِدَالِ والمراجعة والمشاتمة.

﴿ت﴾: قال ابن المباركِ في «رقائقه»: أخبرنا حبيبُ بنُ حجر القيسي، قال: كان يقال: ما أَحْسَنَ الإِيمَانَ يَزِينُه العلمُ، وما أَحْسَنَ العِلمَ يَزِينُه العَمَلُ، وما أَحْسَنَ العَمَلَ يَزِينُه الرِّفْقُ، وَما أضفت شيئاً إلى شَيء، مِثْلَ حِلْم إِلى عِلْم، انتهى. وأَجْمَعَ جُلُّ المفسرينَ على أنَّ قولَه تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببتَ﴾ إنما نَزَلَتْ في شَأْنِ أبي طالب، فَرَوى أبو هريرةَ وغيرُه «أن النبي ﷺ دَخَلَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَيْ عَمِّ، قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ...» الحديثُ[(١)] قد ذَكَرناه في سورة: «براءة»، فَماتَ أبو طالبِ على كُفْرِه، فَنَزَلَتْ هذه الآيةُ فيه.

قالَ أبو روق: قوله تعالى: ﴿ولكن اللّه يهدي من يشاء﴾ إشارة إلى العباسِ[(٢)]، والضميرُ في قوله: ﴿وقالوا﴾ لقريش.

قال ابن عباس: والمُتَكَلِّمُ بذلك فيهم الحارثُ بن نوفَل، وحكى الثعلبيُّ أنه قالَ له: إنا لنعلم أن الذي تقولُ حَقٌّ وَلَكِنْ إن اتبَعْنَاكَ تَخَطَّفَتْنَا العربُ. و﴿تُجْبى﴾: معناه: تُجْمَعُ وتُجْلَبُ.

وقوله: ﴿كل شيء﴾ يريد مما به صلاحُ حالِهم، ثم توعَّدَ قريشاً بقوله ﴿وكم أهلكنا من قرية﴾ و﴿بطرت﴾ معناه: سَفِهَت وأشِرَتْ وطَغَتْ؛ قاله ابن زيد[(٣)] وغيره.

﴿ت﴾: قالَ الهروي: قولُه تعالى: ﴿بطرت معيشتها﴾، أي: في مَعِيْشَتِهَا، والبَطَرُ: الطغيانُ عند النِّعمةِ، انتهى. ثم أحالَهُم على الاعتبارِ في خَرَابِ دِيار الأُمَمِ المُهْلَكَةِ كَحِجْرِ ثَمُودَ، وغيرِه. ثُمَّ خَاطبَ تعالَى قريشاً مُحقِّراً لما كانوا يَفتَخِرُونَ به من مالٍ وبنينَ، وأَنَّ ذلك متاعُ الدنْيَا الفانِي، وأنَّ الآخرةَ وَمَا فِيهَا من النَّعِيمِ الذي أعدَّهُ اللّهُ للمؤمِنِينَ خيْرٌ وأبقى.

﴿ت﴾: وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٩٣).
(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٩٠) رقم (٢٧٥٣٨) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٩٣).

بَعُوضَةٍ مَا سَقَىٰ كَافِراً مِنْهَا شَرْبَةً»[1] رواه الترمذيُّ من طريق سهل بن سعد، قال: وفي البابِ عن أبي هريرة، قال أبو عيسى: هذا حديثٌ صحيح، انتهى. وباقي الآيةِ بَيِّنٌ لِمَنْ أَبْصَرَ واهْتَدَى، جَعَلَنا اللّهُ مِنْهُمْ بِمَنِّهِ.

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه. . .﴾ الآية، معناها، يعمُّ جميعَ العالِم و﴿من المحضرين﴾: معناه: في عذاب اللّه؛ قاله مجاهد[2] وقتادة[3]، ولفظة ﴿محضرين﴾ مشيرةٌ إلى سوق [بجبر][4].

وقوله تعالى: ﴿ويوم يناديهم﴾ الضمير المتصل بـ «ينادي» لِعَبَدَةِ الأوثَانِ، والإشَارَةُ إلى قريشٍ وكفارِ العرب.

٥٩ أ وقوله: ﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ هؤلاء / المجيبونَ هم كل مُغْوٍ دَاعٍ إلى الكُفْرِ من الشياطينِ والإنْسِ؛ طَمِعُوا في التَّبَرِّي من مُتَّبِعِيهم؛ فقالُوا رَبَّنَا هَؤلاءِ إنَّما أضْلَلناهم كَمَا ضَلَلْنَا نحن باجتهادٍ لنَا ولَهُم، وأحبوا الكُفْرَ كما أَحبَبْنَاه ﴿تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون﴾. ثم أخبر تعالى: أنه يقال للكفرة العابدين للأصنام: ﴿ادعوا شركاءكم﴾ يعني: الأَصْنَامَ، ﴿فدعوهم﴾ فلَمْ يَكُنْ في الجمادات ما يجيبُ، ورأى الكفارُ العذابَ.

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٦٠) كتاب الزهد: باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل، حديث (٢٣٢٠)، وابن ماجه (٢/ ١٣٧٦ـ ١٣٧٧) كتاب الزهد: باب مثل الدنيا، حديث (٤١١٠)، وأبو نعيم في «**الحلية**» (٣/ ٢٥٣) من طريق أبي حازم عن سهل بن سعد به.
وقال الترمذي: حديث صحيح غريب من هذا الوجه.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٩٢) رقم (٢٧٥٤٤) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٩٤)، وابن كثير (٣/ ٣٩٦) بنحوه، والسيوطي (٥/ ٢٥٦)، وعزاه للفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٩٢) رقم (٢٧٥٤٢)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٩٤)، وابن كثير (٣/ ٣٩٦)، والسيوطي (٥/ ٢٥٥ـ ٢٥٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٤) سقط في جـ.

وقوله تعالى: ﴿لو أنهم كانوا يهتدون﴾ ذهب الزجاج[(١)] وغيرُه إلى أن جَوابَ «لو» محذوفٌ. تقديره: لَمَا نَالَهُمُ العَذَابُ.

وقالَتْ فرقةٌ: لو: متعلِقةٌ بِمَا قَبْلَهَا، تقديرهُ: فَوَدُّوا حين رَأَوُا العذابَ لَو أَنَّهم كانوا يهتدون.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾ هذا النداءُ أيضاً للكفَّارِ، و﴿عميت عليهم الأنباء﴾: معناه أَظْلَمَتْ عليهم جهاتُها.

وقوله: ﴿فهم لا يتساءلون﴾ معناه، في قول مجاهد: لاَ يَتَساءلون بالأرحامِ[(٢)] ويحتملُ أنْ يريدَ أنهم لا يتَساءلون عن الأنباء، ليقين جَميعهِم أنه لا حُجَّةَ لَهُمْ.

وقوله سبحانه: ﴿فعسى أن يكون من المفلحين﴾.

قال كثير من العلماءِ: «عسى» من اللّه واجبة.

قال ع[(٣)]: وهذا ظَنٌّ حَسَنٌ باللّهِ تعالى يُشْبِهُ كَرَمَه وفَضْلَه سبحَانه، واللازِمُ مِنْ «عسى»: أنها تَرْجِيَة لاَ وَاجِبَة، وفي كتاب اللّه تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّه إِنْ طَلَّقَكُنَّ﴾ [التحريم: ٥].

ت: ومعنى الوجوبِ هنا: الوقوعُ.

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٥١).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٩٤) رقم (٢٧٥٥٤) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٩٥)، وابن كثير (٣/ ٣٩٧) بنحوه، والسيوطي (٥/ ٢٥٧)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٣) ينظر: «المحرر» (٤/ ٢٩٥).

وقوله سبحانه: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار...﴾ الآية، قِيلَ: سَبَبُها، قولُ قريش: ﴿لولا نُزِّلَ هَذَا القُرآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٌ﴾ [الزخرف: ٣١].

ونحوُ ذلك من قولهم؛ فَرَدَّ اللّه عليهم بهذه الآيةِ، وجماعة المفسرين: أن «ما» نافيةٌ، أي: ليس لهم الخِيَرَةُ، وذهبَ الطبريُّ[١] إلى أن ﴿ما﴾ مفعولة بـ ﴿يختار﴾ أي: ويختارُ الذي لَهُمْ فيه الخِيَرةُ، وعن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول اللّه ﷺ: «مِن سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ اسْتِخَارَتُهُ اللّهَ، وَمِنْ شَقَاوَتِهِ تَرْكُهُ»[٢] رواه الحاكم في «**المستدرك**»؛ وقالَ: صحيحُ الإسنادِ، انتهى من «**السلاح**». وباقي الآية بَيِّنٌ. والسَّرْمَدُ مِنَ الأَشْيَاءِ: الدَّائِمُ الذي لا ينقطعُ.

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

ت: وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله...﴾، الآيةُ معناها بيِّنٌ، وينبغي للعَاقِلِ أَلاَّ يجعلَ ليلَهُ كُلَّهُ نَوْماً؛ فَيكونَ ضَائِعَ العُمْرِ جِيفَةً بالليلِ بطَّالاً بالنَّهارِ، كما قيل: [الطويل]

نَـهَـارُكَ بَـطَّـالٌ وَلَـيْـلُـكَ نَـائِـمٌ ... كَـذَلِـكَ فِـي الـدُّنْـيَا تَـعِـيشُ الـبَـهَـائِـمُ

فإنْ أَرَدْتَ أيُّهَا الأخ؛ أن تكونَ من الأَبرَارِ فعليكَ بالقيام في الأَسْحَارِ، وقد نقل صاحبُ «**الكوكب الدري**» عن البزار؛ أن النبي ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مَا قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمَانَ

---

(١) ينظر: «**الطبري**» (١٠/ ٩٥).

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٥١٨)، وأحمد (١/ ١٦٨) من طريق محمد بن أبي حميد عن إسماعيل بن محمد بن سعد عن أبيه عن جده به.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. قلت: وهو من أوهامهما، فالحديث ذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (٢/ ٢٨٢) وقال: رواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار... وفيه محمد بن أبي حميد، قال ابن عدي: ضعفه بين على ما يرويه، وحديثه مقارب، وهو مع ضعفه يكتب حديثه، وقد ضعفه أحمد والبخاري وجماعة.

ومن طريق محمد بن أبي حميد: أخرجه الترمذي (٤/ ٤٥٥) كتاب القدر: باب ما جاء في الرضا بالقضاء، حديث (٢١٥١) بلفظ: «من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله له».

وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن أبي حميد، ويقال له أيضاً: حماد بن أبي حميد، وهو أبو إبراهيم المدني، وليس هو بالقوي عند أهل الحديث.

لِسُلَيْمَانَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ: يَا بُنَيَّ، لاَ تُكْثِرِ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ النَّوْمِ بِاللَّيْلِ، يَدَعُ الرَّجُلَ فَقِيراً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1]، انتهى. وابتغاء الفضل: هو بالمَشْيِ والتصرُّفِ.

وقوله تعالى: ﴿ونزعنا من كل أمة شهيداً﴾ أي: عُدُوْلَ الأمم وأخيارَهَا، فيشهدونَ على الأمم بخيرِها وشرِّها، فيحقُّ العذابُ عَلى مَنْ شُهِدَ عليه بالكُفْرِ، وقيل له: على جهة الإعذار في المحاورة: ﴿هاتوا برهانكم﴾، ومن هذه الآيةِ انْتُزِعَ قولُ القاضِي عند إرادة الحكم: أَبَقِيَتْ لك حجة.

﴿۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم...﴾ الآية، كان قارونُ مِنْ قرابةِ مُوسى: ممن آمن بموسى وحَفظَ / التوراةَ وكَانَ عند مُوسَى عليه السلام مِنْ عُبَّادِ ٥٩ ب
الْمُؤمِنين، ثم إِنَّ الله أضَلَّهُ وبَغى عَلى قَوْمِهِ بأَنْوَاعِ البَغْيِ؛ مِنْ ذلكَ كُفْرُهُ بموسَى.

وقال الثَّعْلَبِيُّ: قال ابن المسيب: كانَ قارونُ عامِلاً لِفِرْعونَ عَلى بني إسرائيل؛ ممنْ يبغي عليهم ويظلمهم. قال قتادةُ: بَغى عليهم بِكَثْرَةِ مالِهِ وولدِه[2]، انتهى.

ت: وما ذَكَرَهُ ابنُ المسيب، هو الذي يَصِحُّ في النظر لمتُأَمِّلِ الآيةِ، ولَوْلاَ الإِطَالَةُ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٤٢٢) كتاب إقامة الصلاة: باب ما جاء في قيام الليل، حديث (١٣٣٢)، والطبراني في «**الصغير**» (١/ ١٢١- ١٢٢)، والبيهقي في «**الشعب**» (٤/ ١٨٣) رقم (٤٧٤٦) كلهم من طريق سنيد بن داود عن يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر به.
وقال الطبراني: لم يروه عن محمد بن المنكدر إلا ابنه يوسف، تفرد به سنيد.
قال الشوكاني في «**الفوائد المجموعة**» (ص ٣٥): رواه ابن الجوزي عن جابر مرفوعاً، وفي إسناده يوسف بن محمد بن المنكدر متروك. قال في «**اللآلىء**»: قال فيه أبو زرعة: صالح الحديث، وقال ابن عدي: أرجو أن لا بأس به. وقد أخرجه ابن ماجه من طريقه، وكذا الطبراني، والبيهقي في «**شعب الإيمان**».

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ١٠٠) رقم (٢٧٥٧٤) بنحوه، وذكره البغوي (٣/ ٤٥٤) بنحوه.

لَبَيَّنْتُ وَجْهَ ذَلِكَ، والمَفاتِحُ ظاهِرُها: أنها التي يُفْتَحُ بِها، ويحتمل أنْ يُرِيدَ بها: الخزائنَ والأوعيةَ الكبارَ؛ قاله الضحاك[1]؛ لأنَّ المِفْتَحُ في كلام العرب الخِزَانَةُ، وأمَّا قوله: ﴿لَتَنُوءُ﴾ فمعناه: تَنْهَضُ بتحامل واشتدادٍ، قال كثير من المفسرين: إنَّ المرادَ: أن العُصْبَةَ تَنُوءُ بالمفَاتِح المُثْقِلَةِ لها فَقُلِبَ.

قلت: وقال عريب الأندلسي في كتاب «الأَنواء»: له نَوْءُ كذا؛ معناه: مُثْلُه ومنه: ﴿لتنوأُ بالعصبة﴾، انتهى، وهو حَسَنٌ إنْ سَاعَدَهُ النَّقْلُ. وقالَ الدَّاوُودِيُّ عن ابن عباسٍ: ﴿لتنوأُ بالعصبة أولي القوة﴾ يقولُ تَثْقُلُ؛ وكذا قال الواحديُّ، انتهى. واخْتُلِفَ في العصبَة: كَمْ هُمْ؟ فقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ - رضي اللّه عنه -: ثَلاثَةٌ[2]، وقال قتادةُ: هم من العشرة إلى الأربعين[3]، قال البخاريُّ[4]: يقال: الفَرِحينَ المَرِحينَ.

قال الغَزَّالِيُّ في «الإِحْيَاءِ»: الفَرَحُ بالدنيا والتَّنَعُّمُ بِهَا سُمٌّ قَاتِلٌ يَسْرِي في العُرُوقِ؛ فَيُخْرِجُ مِنَ القَلْبِ الخوفَ والحَزَنَ وذِكْرَ الموتِ وأهوالَ القيامة؛ وهذا هو موتُ القلبِ والعياذُ باللّهِ، فأولوا الحَزْم من أربابِ القلوبِ جَرَّبُوا قلوبَهم في حال الفَرَحِ بمُوَاتَاةِ الدنيا، وعلموا أن النَّجَاةَ في الحُزْنِ الدائم، والتباعُدِ من أسبابِ الفَرَحِ، والبَطَرِ؛ فقَطَّعُوا النَّفْسَ عن ملاذِّها وعَوَّدُوها الصَّبْرَ عَنْ شَهَوَاتِها؛ حَلالِها وحَرَامِهَا، وعلموا أن حلالَها حِسَابٌ وهُوَ نَوْعُ عذابٍ، وَمَنْ نُوقِشَ الحساب عُذِّبَ، فَخَلَّصُوا أَنْفُسَهُمْ من عَذابِهَا، وَتَوَصَّلُوا إلى الحرّية والملكِ في الدنيا والآخرة؛ بالخلاص من أسْرِ الشهواتِ ورقِّها، والأنْسِ بِذِكْرِ اللّهِ تعالَى والاشْتِغَالِ بِطَاعَتِه، انتهى.

قال ابن الحاجِّ في «المدْخَل»: قال يَمَنُ بن رزق - رحمه اللّه تعالى -: وأنا أوصيك بأن تُطِيلَ النظرَ في مِرْآةِ الفِكْرَةِ مَعَ كثرةِ الخَلَوَاتِ، حَتَّى يُرِيَكَ شَيْنَ المَعْصِيَةِ وَقُبْحَهَا، فَيَدْعُوكَ ذَلِكَ النَّظَرُ إلى تركها، ثم قال يمن بن رزق: ولاَ تَفْرَحَنَّ بِكَثْرَةِ العَمل مع قلةِ الحزْنِ، واغْتَنِمْ قليلَ العَمَلِ مَعَ الحزنِ، فإن قليلَ حُزْنِ الآخرةِ الدَّائِم فِي القلبِ؛ يَنْفِي كُلَّ سُرُورِ أَلِفْتَهُ من سرورِ الدنيا، وقليلَ سرورِ الدنيا في القلبِ؛ يَنْفِي عنكَ[5] جميعَ حُزن

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١٠١) رقم (٢٧٥٨١)، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٩٨).
(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ١٠٢) رقم (٢٧٥٨٩)، وذكره البغوي (٣/ ٤٥٤) بنحوه. وابن عطية (٤/ ٢٩٩).
(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ١٠٢) رقم (٢٧٥٨٥)، وذكره البغوي (٣/ ٤٥٤)، وابن عطية (٤/ ٢٩٩)، والسيوطي (٥/ ٢٦٠)، وعزاه لعبد بن حميد عن قتادة.
(٤) ينظر: «صحيح البخاري» ٨/ ٣٦٥) كتاب التفسير: باب ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾.
(٥) في جـ: عنها.

الآخِرَة. والحزنُ لا يصلُ إلى القلبِ إلاَّ مع تَيَقُّظِهِ؛ وَتَيَقُّظُهُ حَيَاتهُ، وسرورُ الدُّنيا لِغَيْرِ الآخرةِ لا يصلُ إلى القلب إلا مع غَفْلَتِهِ؛ وغفلةُ القَلْبِ مَوتُه، وعلامةُ ثَبَاتِ اليقِينِ في القَلْبِ اسْتِدَامَةُ الحُزن فِيهِ. وقال ـ رحمه اللّه ـ: اعْلَمْ أني لم أجدْ شَيئاً أبلَغَ في الزُّهد في الدنيا من ثباتِ حزْن الآخرة في القلب، وعلامَةُ ثباتِ حُزْنِ الآخِرةِ في القلبِ أنسُ العبدِ بالوَحْدَةِ، انتهى.

وقولهم له: ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾.

قال ابن عباس والجمهور: معناه: لا تُضَيِّعْ عُمْرَكَ في ألاَّ تعمل عملاً صالحاً في دنياك؛ إذ الآخرةُ إنَّما يُعْمَلُ لَهَا في الدنيا، فنصيبُ الإنسانِ عمرُه وعملُه الصالحُ فيها؛ فينبغي / أن لا يُهْمِلَه. وحكى الثعلبيّ أنه قيل: أرادوا بنصيبه الكفَنَ. ٦٠ أ

قال: *ع[1]*: وهذا كلُّه وعْظٌ متَّصِلٌ؛ ونحو هذا قولُ الشاعر: [الطويل]

نَصِيبُكَ مِمَّا تَجْمَعُ الدَّهْرَ كُلَّهُ رِدَاءَانِ تُلْوَىٰ فِيهِمَا وَحَنُوطُ[2]

وقال ابن العربي في «أحكامه[3]»: وفي معنى النصيبِ ثلاثة أقوال: الأولُ: لا تَنْسَ حظَّكَ من الدنيا، أي: لا تَغْفَلْ أنْ تَعْمَلَ في الدنيا للآخرة، الثاني: أمْسِكْ مَا يَبْلُغَكَ؛ فذلك حظُّ الدنيا، وأنْفِقِ الفَضْلَ فذلكَ حظُّ الآخرة، الثالث: لاَ تَغْفَلْ عَنْ شُكْرِ مَا أَنْعَمَ اللّهُ بِهِ عَلَيْكَ، انتهى. وقولُهُم: ﴿وأحسن كما أحسن اللّه إليك﴾ أمرٌ بِصِلةِ المساكينِ وذَوِي الحاجَاتِ.

ص: ﴿كما أحسن﴾: ـ الكاف للتشبيهِ أو للتعليل ـ، انتهى. وقول قارون: ﴿إنما أوتيته على علم عندي﴾ قال الجمهور: ادَّعَى أنَّ عندَه علماً استوجَبَ به أن يكونَ صاحبَ ذلك المالِ، ثم اخْتَلَفُوا في ذلك العلم، فقال ابن المسيب: أراد علم الكيمياء[4].

وقال أبو سليمان الداراني: أراد العلم بالتجارة ووجوهِ تثميرِ المال، وقيل غير هذا.

وقوله تعالى: ﴿ولا يُسألُ عن ذنوبهم المجرمون﴾.

قال محمد بن كعب: هو كلامٌ متصِلٌ بمعنى ما قبلَه، والضميرُ في ﴿ذنوبهم﴾ عائدٌ على مَنْ أُهْلِكَ مِن القرون، أي: أهْلِكوا ولَمْ يُسْئَلْ غيرُهم بَعْدَهُمْ عَنْ ذنوبهم، أي: كل

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٩٩).
(٢) البيت من شواهد «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٩٩).
(٣) ينظر: «أحكام القرآن» (٣/ ١٤٨٣).
(٤) ذكره البغوي (٣/ ٤٥٥)، وابن عطية (٤/ ٣٠٠).

أحد إنما يُكَلَّمُ ويُعَاتَبُ بِحَسْبِ ما يَخُصُّه، وقالت فرقة: هو إخبار مستأنَفٌ عَنْ حالِ يومِ القيامةِ، وجَاءتْ آيات أُخَرُ تَقْتَضِي السؤالَ، فقالَ الناسُ في هذا: إنها مواطنُ وطوائفُ.

وقِيل غيرُ هذا، ويوم القيامة هو مواطنُ. ثم أخبرَ تعالى عن خُروج قارونَ على قومهِ في زينتِه من الملابِسِ والمَراكِبِ وزينةِ الدنيا وأكثَرَ النَّاسُ في تحديدِ زينةِ قارونَ وتَعْيِينِها بِمَا لاَ صِحَّةَ لَه؛ فَتَرَكْتُه، وباقِي الآيَةِ بَيِّنٌ فِي اغترارِ الجَهلَةِ والأَغْمَارِ مِن النَّاسِ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وقال الذين أوتوا العلم ويلكم...﴾ الآية: أخبر تعالَى عَنْ الذين أوتوا العلم والمعرفةَ باللّهِ وبِحَقِّ طاعتِه أَنَّهُمْ زَجرُوا الأَغْمَارَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا حَالَ قَارُونَ وَحَمَلُوهُمْ عَلَى الطَّرِيقَةِ المُثْلَى؛ مِنْ أَنَّ النَّظَرَ والتَّمَنِّي إِنَّما يَنْبَغِي أَنْ يَكونَ في أمورِ الآخرةِ، وأنَّ حالةَ المؤمنِ العاملِ الذي ينتظرُ ثوابَ اللّهِ تعالى خيرٌ مِن حالِ كلِّ ذِي دُنيا. ثم أخبر تعالى عن هذه النَّزْعَةِ وهذه القوَّةِ في الخير والدينِ أَنَّها[1] ﴿لا يلقاها﴾ أي: لا يُمَكَّنُ فيها ويُخَوَّلُها إلا الصَّابِرُ عَلى طَاعَةِ اللّه وعن شهواتِ نفسه؛ وهذا هو جماع الخير كله.

وقال الطبري[2]: الضمير عائد على الكلمة؛ وهي قوله: ﴿ثواب اللّه خير لمن آمن وعمل صالحاً﴾، أي: لا يُلَقَّنُ هذه الكلمة إلا الصابرون؛ وعنهم تصدر، ورُوِيَ في الخسف بقارونَ ودارِه أن موسى عليه السلام لما أَمَضَّه فعلُ قارونَ به وتعدّيه عليه؛ استجارَ باللّه تعالى وطلب النصرة؛ فأوحى اللّه إليه، أني قد أمرتُ الأرض أَنْ تطيعكَ في قارونَ وأتباعه، فقال موسى: يا أرض؛ خذيهم فأخذتهم إلى الركب، فاستغاثوا: يا موسى؛ يا
٦٠ب موسى؛ فقال: خذيهم، فأخذتهم شيئاً فشيئاً إلى أن تم الخسفُ بهم / ، فأوحى اللّه إليه: يا موسى؛ لَوْ بِيَ استغاثوا وإليَّ تابوا لرحمتهُم. قال قتادةُ وغيره: رُوِيَ أنه يخسفُ به كل يوم قامةً؛ فهو يتجلجل إلى يوم[3] القيامة.

(١) في جـ: أنهما.
(٢) ينظر: «الطبري» (١٠/١٠٩).
(٣) أخرجه الطبري (١٠/١١٢) رقم (٢٧٦٤٤)، وذكره البغوي (٣/٤٥٧)، وابن عطية (٤/٣٠١)، وابن كثير (٣/٤٠١)، والسيوطي (٥/٤٥٧).

ت: وفي الترمذي؛ عن معاذ بن أنس الجُهَنِيِّ، أن رسول اللّه ﷺ قال: «مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَوَاضُعاً لِلَّهِ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، دَعَاهُ اللّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَىٰ رُؤُوسِ الخَلاَئِقِ؛ حَتَّىٰ يُخَيِّرَهُ؛ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا»[١]. وروى الترمذيُّ عن عائشة ـ رضي اللّه عنها ـ قالت: كان لنا قِرَامُ سِتْرٍ فيه تماثيلُ على بابي فرآه رسول اللّه ﷺ فقال: «أَنْزِعِيهِ فَإِنَّهُ يُذَكِّرُنِي الدُّنْيَا»[٢]، الحديثَ وروى الترمذي عن كعب بن عياض قال: سمعت النبيَّ ﷺ يقول: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي: المَالُ»[٣]؛ قال أبو عيسَىٰ: هذا حديث حسن صحيح؛ وفيه عن عثمان بن عفان رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ لاِبْنِ آدَمَ حَقٌّ فِي سِوَىٰ هَٰذِهِ الْخِصَالِ: بَيْتٍ يَسْكُنُهُ، وَثَوْبٍ يُوَارِي عَوْرَتَهُ، وَجِلْفُ الخبزِ والمَاءِ»[٤].

قال النضر بن شميلٍ: «جِلْفُ الخبز» يعني: ليس معه إدام. انتهى. فهذه الأحاديث وأشباهها تزهِّد في زينةِ الدنيا وغضارة[٥] عيشها الفاني.

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٥٠) كتاب صفة القيامة باب (٣٩) حديث (٢٤٨١)، وأحمد (٣/ ٤٣٩)، والحاكم (٤/ ١٨٣)، وأبو نعيم في **«الحلية»** (٨/ ٨٤) من طريق أبي مرحوم عبد الرحيم بن ميمون عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه مرفوعاً.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٤٣ـ ٦٤٤) كتاب صفة القيامة: باب (٣٢) حديث (٢٤٦٨)، والنسائي (٨/ ٢١٣).
كتاب الزينة: باب التصاوير، وأحمد (٦/ ٢٢٦)، والبيهقي (٧/ ٢٦٧) من طريق سعد بن هشام عن عائشة.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٦٩) كتاب الزهد: باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال، حديث (٢٣٣٦)، والبخاري في **«التاريخ الكبير»** (٧/ ٢٢٢)، وأحمد (٤/ ١٦٠)، والحاكم (٤/ ٣١٨)، وابن حبان (٢٤٧٠ـ موارد)، والطبراني في **«الكبير»** (١٩/ ١٧٩) رقم (٤٠٤)، والقضاعي في **«مسند الشهاب»** (٢/ ١٢٤) رقم (١٠٢٢) من حديث كعب بن عياض.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وصححه ابن حبان.

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٧١ـ ٥٧٢) كتاب الزهد: باب (٣٠) حديث (٢٣٤١) من طريق حريث بن السائب، قال: سمعت الحسن يقول: حدثني حمران بن أبان عن عثمان بن عفان به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وصححه الحاكم (٤/ ٣١٢) ووافقه الذهبي.

(٥) الغضارة: النعمة والسعة في العيش.
ينظر: **«لسان العرب»** (٣٢٦٤).

وقوله: ﴿ويكأن﴾ مذهبُ الخليلِ وسيبويه: أن «وي» حرف تنبيه منفصلة من (كأن)، لكنْ أُضيفت لكثرة الاستعمال.

وقال أبو حاتم وجماعة: ويْكَ: هي (وَيْلَكَ) حذفتِ اللامُ منها لكثرةِ الاستعمال.

وقالت فرقة: «ويكأن» بجملتها كلمة.

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً...﴾ الآية: هذا إخبار مستأنف من الله تعالى لنبيه ـ عليه السلام ـ، يرادُ به جميعُ العالم، ويتضمنُ الحضَّ على السعي، حسبَ ما دلت عليه الآيةُ، ويتضمنُ الانحناءَ على حالِ قارونَ ونظرائه، والمعنى: أنَّ الآخرةَ ليست في شيء من أمر قارون؛ وأشباهه؛ وإنما هي لمن صفتُه كذا وكذا، والعلو المذموم: هو بالظلم والتجبر، قال النبي ﷺ: «وذلك أن تريد أن يكون شراكُ نعلك أفضلَ من شراكِ نعلِ أخيك»، والفسادُ يعمُّ وجوهَ الشر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن﴾ قالت فرقة: معناه فرض عليك أحكام القرآنِ.

وقوله تعالى: ﴿لرادك إلى معاد﴾ قال الجمهور: معناه: لرادك إلى الآخرة، أي: باعِثُكَ بعد الموت، وقال ابن عباس وغيره: المعاد: الجنة[١]، وقال ابن عباس[٢] أيضاً؛

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١١٦) رقم (٢٧٦٦٠ـ٢٧٦٦١)، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٠٣)، وابن كثير (٣/ ٤٠٢)، والسيوطي (٥/ ٢٦٦)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٤٧٧٣) والنسائي في «**التفسير**» (٤٠٦).
وأخرجه الطبري (١٠/ ١١٧) رقم (٢٧٦٨١)، وذكره البغوي (٣/ ٤٥٨)، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٠٣)، وابن كثير (٣/ ٤٠٢)، والسيوطي (٥/ ٢٦٦)، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والبخاري، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «**الدلائل**» من طرق عن ابن عباس.

ومجاهد[١]: المعادُ: مكة، وفي البخاري بسنده عن ابن عباس: ﴿لرادك إلى معاد﴾: إلى مكة، انتهى. وهذه الآية نزلت بالْجُحْفَةِ؛ كما تقدَّم، والمعاد: الموضع الذي يعاد إليه.

وقوله تعالى: ﴿وما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك﴾ هو تعديد نعم، والظهيرُ: المعينُ.

وقوله تعالى: ﴿ولا يصدنك عن آيات اللّه﴾: بأقوالهم؛ ولا تَلْتَفِتْ نحوهم؛ وامضِ لِشَأْنِكَ، وادعُ إلى ربك، وآيات الموادَعَةِ كلُّها منسوخةٌ.

وقوله تعالى: ﴿كل شيء هالك إلاَّ وجهه﴾ قالت فرقة: المعنى: كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا هو سبحانه؛ قاله الطبري وجماعة منهم أبو المعالي ـ رحمه اللّه ـ وقال الزَّجَّاجُ: إلا إياهُ.

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١١٧ـ ١١٨) رقم (٢٧٦٨٣ـ ٢٧٦٨٤ـ ٢٧٦٨٥)، وذكره البغوي (٣/ ٤٥٨)، وابن عطية (٤/ ٣٠٣)، وابن كثير (٣/ ٤٠٢)، والسيوطي (٥/ ٢٦٦) بنحوه، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد عن مجاهد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

/ وَصَلَّى اللّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ٦١ أ

تفسير «سُورَةِ العنكَبُوتِ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

إلا الصدرَ منها العشرَ الآياتِ؛ فإنها مدنية نزلَتْ في شَأْنِ من كان من المسلمين بمكةَ؛ هذا أصحُّ ما قِيلَ هنا والله تعالى أعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾.

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ تقدم الكلام على هذه الحروف.

وقوله تعالى: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ نزلت هذه الآيةُ في قوم من المؤمنينَ بمكةَ؛ وكان كفار قريش يؤذونهم، ويعذبونهم على الإسلام، فكانت صدورهم تضيق لذلك؛ وربما استنكر بعضهم أن يُمَكِّنَ اللّهُ الكفرةَ من المؤمنين. قال مجاهد وغيره: فنزلت هذه الآيةُ مسليةً، ومعلمةً أن هذه هي سيرة الله في عباده اختباراً للمؤمنين، ليعلم الصادقَ من الكاذبِ[١]، و«حَسِبَ» بمعنى[٢]: ظَنَّ.

و﴿الذين من قبلهم﴾ يريد بهم: المؤمنين مع الأنبياءِ في سالفِ الدَّهرِ.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٤ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٧﴾.

---

(١) ذكره ابن عطية (٤/ ٣٠٥).

(٢) في جـ: معناه.

وقوله تعالى: ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات﴾ أم: معادلةٌ للهمزة؛ في قوله: ﴿أحسب﴾ [العنكبوت: ٢] وكأنه تعالى قرر الفريقين: قرر المؤمنين على ظنهم أنهم لا يُفْتَنُوْنَ، وقرر الكافرين الذين يعملون السيئاتِ؛ في تعذيب المؤمنين؛ وغير ذلك على ظنهم؛ أنهم يسبقون عقابَ الله تعالى؛ ويعجزونه، ثم الآيةُ بَعْد تَعُمّ كلّ عاصٍ، وعامل سيئةٍ من المسلمين؛ وغيرهم، وفي الآية وعيد شديد للكفرة الفاتنين، وفي قوله تعالى: ﴿من كان يرجوا لقاء الله﴾ تثبيت للمؤمنين، وباقي الآية بَيِّنٌ، والله الموفق.

وقال *ص*: قول *ع[١]*: أم: معادِلة للألفِ في قوله: ﴿أحسب﴾ يقتضي أنها هنا متصلة؛ وليس كذلك؛ بل «أم» هنا: منقطعةٌ مقدرة بـ «بل»؛ للإضراب، بمعنى: الانتقال؛ لا بمعنى الإبطال، وهمزة الاستفهام؛ للتقرير والتوبيخ؛ فلا تقتضي جواباً، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم﴾. إخبار عن المؤمنين المهاجرين الذين هم في أعلى رتبة من الْبِدَارِ إلى الله تعالى؛ نوه بهم ـ عز وجل ـ وبحالهم؛ ليقيم نفوس المتخلفين عن الهجرة؛ وهم الذين فتنهم الكفار.

﴿ولنجزينهم أحسن﴾، أي: ثواب أحسن الذي كانوا يعملون.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما﴾ رُوِيَ عن قتادةَ[٢] وغيره: أنها نزلت في شأن سعد بن أبي وقاص؛ وذلك أنه هاجر؛ فحلفت أمه أن لا تستظلّ بظلٍّ حتى يرجع إليها؛ ويكْفُرَ بمحمدٍ، فلجَّ هو في هجرته، ونزلت الآية.

وقيل: بل نزلت في عياش بن أبي ربيعة؛ وكانت قصته كهذه ثم خَدَعَهُ أبو جهل؛

---

(١) ينظر: «المحرر» (٤/ ٣٠٦).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ١٢٤) رقم (٢٧٧٠١)، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٠٧)، والسيوطي (٥/ ٢٧٠) بنحوه، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن قتادة.

ورده إلى أمه. الحديث في كتب السيرة، وباقي الآية بيِّن. ثم كرر تعالى التمثيلَ بحالة المؤمنين العاملين؛ ليحركَ النفوس إلى نيل مراتبهم.

٦١ ب قال الثعلبي: قوله تعالى: ﴿لندخلنهم في الصالحين﴾ / أي: في زُمْرَتهم.

وقال محمد بن جرير[1]: في مدخل الصالحين: وهو الجنة.

وقيل: ﴿في﴾ بمعنى: «مع» و«الصالحون»: هم الأنبياء والأولياء، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله﴾ إلى قوله: ﴿المنافقين﴾، نزلت في المتخلفين عن الهجرة؛ المتقدِّم ذكرهم؛ قاله ابن عباس[2]. ثم قررهم تعالى على علمه بما في صدورهم، أي: لو كان يقينُهم تامًّا وإسلامُهم خالصاً؛ لما توقَّفُوا ساعة ولَرَكِبُوا كلَّ هول إلى هجرتهم ودار نبيهم.

وقوله تعالى: ﴿وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين﴾ هنا انتهى المدني من هذه السورة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا...﴾ الآية، رُوِيَ: أن قائلَ هذه المقالةِ هو: الوليد بن المغيرة، وقيل: بل كانت شائعة من كفار قريش؛ لاتباع النبي ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وليحملن أثقالهم...﴾ الآية، لأنه يلْحق كل داع إلى ضلالة؛ كفل منها حَسْبَمَا صَرَّحَ به الحديثُ المشهور[3].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ

---

(١) ينظر: «الطبري» (١٠/ ١٢٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ١٢٥) رقم (٢٧٧٠٦) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٠٨) بنحوه.

(٣) تقدم تخريجه، وهو حديث: «من دعا إلى ضلالة...».

وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم. . .﴾ الآية، العطفُ بالفاءِ يقتضي ظاهرُه أنه لَبِثَ هذه المدةَ رسولاً؛ يدعو إلى عبادة اللّه تعالى، و﴿الطوفان﴾: العظيمُ الطامي، ويقال ذلك لكل طام خَرَجَ عن العادة من ماء، أو نار، أو موت.

وقوله: ﴿وهم ظالمون﴾ يريد: بالشرك. ثم ذكر تعالى قصةَ إبراهيم عليه السلام وقومِه، وذلك أيضاً تمثيل لقريش.

وقوله تعالى: ﴿وتخلقون إِفكاً﴾ قال ابن عباس[1]: هو نحت الأصنام.

وقال مجاهد[2]: هو اختلاق الكذب في أمر الأوثان؛ وغير ذلك.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿أولم يروا كيف يبدىءُ اللّه الخلق ثم يعيده. . .﴾ الآية، هذه الحالةُ هي على ما يظهر مع الأحيان من إحياءِ الأرض، والنبات؛ وإعادته؛ ونحو ذلك مما هو دليل على البعث من القبور، ثم أمر تعالى نبيَّه محمَّداً ﷺ، ويحتملُ أن يكون إبراهيم عليه السلام بأن يأمرهم على جهة الاحتجاج، بالسير في الأرضِ، والنظر في أقطارها، و﴿النشأة الآخرة﴾: نشأةُ القيام من القبور.

وقوله تعالى: ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء. . .﴾ الآية، قال ابن

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١٢٩) رقم (٢٧٧٢٠) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٣١١)، وابن كثير (٣/ ٤٠٧).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ١٢٩) رقم (٢٧٧١٩) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٣١١)، والسيوطي (٥/ ٢٧٤) بنحوه، وعزاه للفريابي، وابن جرير عن مجاهد.

زيد[١]: لا يعجزه أهلُ الأرض في الأرض، ولا أهلُ السَّماءِ في السماء؛ إن عصوه. وقيل: معناه: ولا في السماء لو كنتم فيها. وقيل: المعنى: ليس للبشر حيلةٌ إلى صعودٍ أو نزول؛ يفلتون بها. قال قتادة: ذَمَّ اللّه قوماً هانوا عليه؛ فقال: ﴿أولئك يئسوا من رحمتي. . .﴾ الآية.

قال *ع[٢]*: وما تَقَدَّمَ من قوله: ﴿أولم يروا كيف. . .﴾ إلى هذه الآيةِ المستأنفةِ؛ يُحْتَمَلُ أن يكونَ خطاباً لمحمدٍ ﷺ، ويكون اعتراضاً في قصَّة إبراهيم عليه السلام، ويحتمل أن يكونَ خطاباً لإبراهيم عليه السلام؛ ومحاورة لقومه؛ وعند آخر ذلك ذكر جواب قومه.

وقوله تعالى: ﴿فأنجاه اللّه من النار﴾ أي بأن جعلها برداً وسلاماً.

قال كعب[٣] الأحبار ـ رضي اللّه عنه ـ: ولم تحرقِ النارُ إلا الحبلَ الذي أوثقوه به؛ وجعل سبحانه ذلك آية، وعبرةً، ودليلاً على توحيده لِمن شرح صدره؛ ويسره للإيمان. ثم ذكر تعالى أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ قررهم على أنَّ اتخاذَهم الأوثانَ؛ إنما كان اتباعاً من بعضهم لبعض؛ وحفظاً لمودتهم الدنيوية؛ وأنهم يوم القيامة يَجْحَدُ بعضُهم بعضاً، ويتَلاَعَنُون؛ لأن توادَّهم كان على غير تقوى، ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١٣١) رقم (٢٧٧٢٦).
(٢) ينظر: «المحرر» (٤/ ٣١٢).
(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ١٣٢) رقم (٢٧٧٢٧) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٣١٢ـ٣١٣)، والسيوطي (٥/ ٢٧٤) بنحوه، وعزاه لكعب.

وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿فآمن له / لوط﴾ معناه: صدق، وآمن: يتعدى باللام والباء، والقائل ﴿إني مهاجر﴾ هو إبراهيم عليه السلام. قاله قتادةُ والنخعيُّ[1]؛ وقالت فرقةٌ: هو لوط ـ عليه السلام ـ. ٦٢ أ

وقوله تعالى: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا...﴾ الآية، الأجرُ الذي آتاهُ اللّه في الدنيا: العافيةُ من النار ومن المَلِكِ الجائرِ. والعملُ الصالحُ؛ أو الثناءُ الحسنُ؛ قاله مجاهد[2] ويدخل في عموم اللفظ غيرُ ما ذُكِرَ.

قوله تعالى: ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾، أي: في عداد الصالحين الذين نالوا رضا اللّه عز وجل، وقول لوط عليه السلام: ﴿أئنكم لتأتون الرجال وتقطعونَ السبيل﴾، قالت فرقة: كان قطعُ الطريقِ بالسلب فاشياً فيهم، وقيل غيرُ هذا، والنادي، المجلس الذي يجتمع الناس فيه. واخْتُلِفَ في هذا المُنْكَرِ الذي يأتونه في ناديهم: فقالت فرقة: كانوا يحذفونَ الناسَ بالحصباءِ؛ ويَسْتَخِفُّونَ بالغريب والخاطر عليهم؛ ورونه أم هانىءٍ عن النبي ﷺ[3]: وَكَانَتْ خُلُقُهُمْ مُهْمَلَةً؛ لاَ يَرْبِطُهُمْ دِينٌ؛ وَلاَ مُرُوءَةٌ، وقال

---

(١) ذكره ابن عطية (٤/ ٣١٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ١٣٤) رقم (٢٧٧٣٥) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٣١٤)، وابن كثير (٣/ ٤١١).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٤٢) كتاب التفسير: باب «ومن سورة العنكبوت»، حديث (٣١٩٠)، وأحمد (٦/ ٣٤١)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٣٦) رقم (٢٧٧٤٥)، والحاكم (٢/ ٤٠٩)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٤١١ـ ٤١٢) رقم (١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢) كلهم من طريق أبي صالح مولى أم هانىء عن أم هانىء به..

وقال الترمذي: حديث حسن.

وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٢٧٦)، وزاد نسبته إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في «الصمت»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والشاشي في «مسنده»، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب»، وابن عساكر.

مجاهد[١]: كانوا يأتون الرجالَ في مَجَالِسِهِمْ؛ وبعضُهُمْ يَرَىٰ بَعْضاً.

وقال ابن عباس[٢]: كانوا يَتَضَارَطُونَ ويَتَصَافَعُونَ في مجالسهم، وقيل غير هذا، وقد تقدم قصص الآيةِ مكرَّراً والرجزُ: العذابُ.

وقوله تعالى: ﴿ولقد تركنا منها﴾؛ أي: من خبرها وما بقي من آثارها، والآية: موضع العبرة، وعلامة القدرة، ومزدجر النفوس عن الوقوع في سُخْط اللّه تعالى.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً فقال يا قوم اعبدوا اللّه وارجوا اليوم الآخر...﴾ الآية، الرجاء في الآية: على بابه، وذهب أبو عُبَيْدَةَ إلى أن المعنى: وخافوا، و﴿تعثوا﴾ معناه: تُفْسِدُوا، و﴿السبيل﴾: هي طريق الإيمان، ومنهجُ النجاة من النار، و﴿ما كانوا سابقين﴾، أي: مفلتين أخذنا وعقابنا، وقيل: معناه: وما كانوا سابقينَ الأمَمَ إلى الكُفْر، وباقي الآية بيّن.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١٣٧) رقم (٢٧٧٥٢)، وذكره البغوي (٣/ ٤٦٦)، وابن عطية (٤/ ٣١٥)، والسيوطي (٥/ ٢٧٦)، وعزاه للفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والخرائطي في «**مساوىء الأخلاق**» عن مجاهد.

(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ٣١٥).

وقوله تعالى: ﴿إن اللّه يعلم ما تدعون من دونه من شيء﴾، قيل: معناه: إن اللّه يعلم الذين تدعون من دونه من جميع الأشياء، وقيل: ما نافية؛ وفيه نظر، وقيل: ما استفهامية، قال جابر: قال النبيُّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿وما يعقِلُها إلا العالمون﴾: العَالِمُ: مَنْ عَقَلَ عَنِ اللّهِ تَعَالَىٰ فَعَمِلَ بِطَاعَتِهِ وَٱنْتَهَىٰ عَنْ مَعْصِيَتِهِ.

وقوله تعالى: ﴿خلق اللّه السموات والأرض بالحق﴾ أي: لا للعبث واللعب؛ بل ليدل على سلطانه؛ وتثبيت شرائعه، ويضع الدلالة لأهلها ويعم بالمنافع؛ إلى غير ذلك مما لا يُحْصَىٰ عداً. ثم أمر تعالى نبيه عليه السلام بالنفوذ لأمره؛ وتلاوة القرآن الذي أُوحِيَ إليه، وإقامة الصلاة، أي: إدامتها؛ والقيام بحدودها. ثم أخبر سبحانه حُكْماً منه أن الصلاة تنهى صاحبَها وممتثلَها عن الفحشاء والمنكر.

قال *ع[١]*: وذلك عندي بأن المصلي إذا كان على الواجب من الخشوع، والإخبات[٢] وتذكرِ اللّه، وَتَوَهّمِ الوقوف بين يديه، وإنَّ قلبه وإخلاصه مُطَّلَعٌ عليه مَرْقُوبٌ صَلُحَتْ لذلك نَفْسُهُ، وتذلَّلَتْ، وخَامَرَها ارتقابُ اللّه تعالى؛ فاطَّرَدَ ذلك في أقواله، وأفعاله، وانتهَى عن الفحشاء والمنكر، ولم يكَدْ يَفْتُرُ من ذلك حتى تظله صلاةٌ أخرى؛ يرجع بها إلى أفضل حاله؛ فهذا معنى هذا الإخبار؛ لأن صلاةَ المؤمن هكذا ينبغي أن تكون، وقد رُوِيَ عن بعض السلف: أنه كان إذا أقام الصلاة ارتعد، واصفر لونه، فكُلِّم في ذلك، فقال: إني أقف بين يدي اللّه تعالى.

قال *ع[٣]*: فهذه صلاة تنهى ـ ولا بد ـ عن الفحشاء/ والمنكر، وأما من كانت ٦٢ ب
صلاته دائرةً حول الإجزاء، بلا تذكر ولا خشوع، ولا فضائل؛ فتلك تترك صاحبَها من منزلته حيثُ كانَ.

وقوله تعالى: ﴿ولذكر اللّه أكبر﴾ قال ابن عباس[٤] وأبو الدرداء[٥] وسلمان[٦] وابن

---

(١) ينظر: «المحرر» (٤/ ٣١٩).

(٢) أخبت لله: خشع. وأخبت إلى ربه أي اطمأن إليه. والإخبات: الخشوع والتواضع. ينظر: «لسان العرب» ١٠٨٧.

(٣) ينظر: «المحرر» (٤/ ٣١٩).

(٤) أخرجه الطبري (١٠/ ١٤٦) رقم (٢٧٧٩٠)، وذكره البغوي (٣/ ٤٦٩)، وابن عطية (٤/ ٣٢٠)، وابن كثير (٣/ ٤١٥)، والسيوطي (٥/ ٢٨٠)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٥) أخرجه الطبري (١٠/ ١٤٧) رقم (٢٧٨٠١) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٢٠)، وابن كثير (٣/ ٤١٥)، والسيوطي (٥/ ٢٨١)، بنحوه، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن جرير عن أبي الدرداء.

(٦) أخرجه الطبري (١٠/ ١٤٧) رقم (٢٧٨٠٢)، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٢٠)، وابن كثير (٣/ ٤١٥).

مسعود[١] وأبو قرة[٢]: معناه: ولذكر اللّه إياكم؛ أكبر من ذكركم إياه.

وقيل: معناه: ولذكر اللّه أكبر؛ مع المداومة من الصلاة في النهي عن الفحشاء والمنكر. وقال ابن زيد وغيره: معناه: ولذكر اللّه أكبر[٣] من كل شيء. وقيل لسلمان: أيُّ الأعمالِ أفضل؟ فقال: أَمَا تَقْرَأُ ﴿ولذكر اللّه أكبر﴾. والأحاديثُ في فَضْلِ الذّكْر كثيرةٌ؛ لا تنحصر.

وقال ابن العربي في «**أحكامه**»[٤]: قوله: و﴿لذكر اللّه أكبر﴾ فيه أربعة أقوال:

الأول: ذكر اللّه لكم أفضلُ من ذكرِكم له؛ أضاف المصدر إلى الفاعل.

الثاني: ذكر اللّه أفضل من كل شيء.

الثالث: ذكر اللّه في الصلاة؛ أفضل من ذكره في غيرها؛ يعني: لأنهما عبادتان.

الرابع: ذكر اللّه في الصلاة؛ أكبر من الصلاة؛ وهذه الثلاثة الأخيرة من إضافة المصدر إلى المفعول، وهذه كلها صحيحةٌ، وإن للصلاةِ بركةً عظيمةً، انتهى.

قال *ع[٥]*: وعندي، أن المعنى: ولذكر اللّه أكبر على الإطلاق، أي: هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر، فالجُزء الذي منه في الصلاة؛ يفعل ذلك، وكذلك يفعل في غير الصلاة، لأنَّ الانتهاءَ لا يكونُ إلا من ذَاكِرٍ للّهِ تعالى، مراقب له، وثوابُ ذلك الذكر أن يذكُرَه اللّه تعالى، كما في الحديث الصحيح: «وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ»[٦] والحركاتُ التي في الصلاة؛ لا تأثيرَ لها في نهي، والذكرُ النافع هو مع العلم؛ وإقبال القلب وتفرُّغه إلا من اللّه تعالى. وأما ما لا يتجاوز اللسانَ ففي رتبة أخرى، وذكر اللّه تعالى للعبد؛ هو إفاضةُ الهدى ونور العلم عليه؛ وذلك ثمرة ذكر العبدِ ربَّه.

---

(١) ذكره ابن عطية (٤/ ٣٢٠)، وابن كثير (٣/ ٤١٥)، والسيوطي (٥/ ٢٨٠)، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد اللّه بن أحمد بن حنبل في «**زوائد الزهد**»، وابن جرير عن ابن مسعود.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ١٤٧) رقم (٢٧٨٠٣)، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٢٠)، والسيوطي (٥/ ٢٨٠)، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير عن جابر قال: سألت أبا قرة.

(٣) ذكره ابن عطية (٤/ ٣٢٠).

(٤) ينظر: «**أحكام القرآن**» (٣/ ١٤٨٧).

(٥) ينظر: «**المحرر**» (٤/ ٣٢٠).

(٦) تقدم تخريجه، وهو حديث: «أنا عند ظن عبدي بي».

قال اللّه عز وجل: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وعبارة الشيخ ابن أبي جمرة: ﴿ولذكر اللّه أكبر﴾ معناه: ذكره لك في الأزل أن جعلك من الذاكرينَ له؛ أكبرُ من ذكرِك أنت الآن له، انتهى.

قال القُشَيْرِيُّ في «رسالته»: الذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه؛ وهو العمدة في هذا الطريق؛ ولا يصل أحد إلى اللّه سبحانه إلا بدوام الذكر، ثم الذكرُ على ضربين: ذكر باللسان، وذكرٌ بالقلب، فذكر اللسان: به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب، والتأثيرُ لذكر القلب، فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه، وقلبه؛ فهو الكامل في وصفه، سمعتُ أبا علي الدقاق يقول: الذكر منشورُ الولاية، فمن وُفِّقَ للذكر؛ فقد وُفِّقَ للمنشور، ومن سُلِبَ الذكرَ فقد عُزِلَ، والذكر بالقلب مستدام في عموم الحالات. وأسند القشيريُّ عن المظفر الجصاص قال: كنت أنا ونصرَ الخراط ليلةً في موضع؛ فتذاكرنا شَيْئاً من العلم؛ فقال الخراط: الذاكر للّه تعالى فائدته في أول ذكره: أنْ يعلمَ أنَّ اللّه ذكَره؛ فبذكر اللّه له ذِكرُه، قال: فخالفته، فقال: لو كان الخضرُ ها هنا لشهد لصحته، قال: فإذا نحن بشيخ يجيء بين السماء والأرض، حتى بلغ إلينا وقال: صدق؛ الذاكر للّه بفضل اللّه، وذكرِه له ذكره، فعلمنا أنه الخضر عليه السلام، انتهى. وباقي الآيةِ ضَرْبٌ من التوعُّدِ وحثٌّ على المراقبةِ،
قال البَاجِيُّ في «سنن الصالحين»: / قال بعض العلماء: إن اللّه عز وجل يقول: «أَيُّمَا عَبْدٍ ٦٣ أ
اطَّلَعْتُ عَلَى قَلْبِهِ؛ فَرَأَيْتُ الغَالِبَ عَلَيْهِ التَّمَسُّكَ بِذِكْرِي؛ تَوَلَّيْتُ سِيَاسَتَهُ، وَكُنْتُ جَلِيسَهُ وَمُحَادِثَهُ وَأَنِيسَهُ». انتهى.

﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ هذه الآية مَكيةٌ، ولم يكن يومئذٍ قتالٌ، وكانتِ اليهودُ يومئذٍ بمكة؛ وفيما جاورها، فربما وقع بينهم وبين بعض المؤمنين جدالٌ واحتجاجٌ في أمر الدينِ؛ وتكذيب، فأمر اللّه المؤمنين ألا يجادلوهم إلا بالتي هي أحسن؛ دعاءً إلى اللّه تعالى وملاينةً، ثم استثنى من ظلم منهم المؤمنين؛ وحصلت منه أذية؛ فإن هذه الصنيفة استُثْنِيَ لأهل الإسلام معارضَتُهَا؛ بالتغيير عليها،

والخروج معها عن التي هي أحسن. ثم نُسِخَ هذا بَعْدُ بآية القتال؛ وهذا قول قتادة[١]؛ وهو أحسن ما قيل في تأويل الآية.

ت: قال عز الدين بن عبد السلام في «**اختصاره لقواعد الأحكام**»[٢]: فائدة: لا يجوز الجدالُ والمناظرةُ إلا لإظهار الحقِّ ونُصْرَتِهِ؛ لِيُعْرَفَ ويُعْمَلَ به، فمن جادل لذلك؛ فقد أطاع، ومن جادَلَ لغرضٍ آخر، فقد عصَىٰ وخَابَ، ولا خير فيمن يتحيَّلُ لِنُصْرَةِ مذهبه؛ مع ضعفه وبُعْدِ أدلته من الصواب، انتهى.

تنبيه: رَوَى الترمذيُّ عن النبيِّ ﷺ أنه قَالَ: «الحَيَاءُ وَالْعِيُّ: شُعْبَتَانِ مِنَ الإِيمَانِ، والبَذَاءُ وَالبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ»[٣]. وروَىٰ أبو داود والترمذيُّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللّهَ يَبْغضُ البَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ البَقَرَةُ بِلِسَانِهَا» حديث[٤]

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١٥٠) رقم (٢٧٨٢٢) بنحوه، وذكره البغوي (٣/ ٤٧٠) بنحوه، وابن عطية (٤/ ٣٢١) بنحوه، وابن كثير بنحوه (٣/ ٤١٥)، والسيوطي (٥/ ٢٨٢)، وعزاه لأبي داود في «**ناسخه**»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في «**المصاحف**» عن قتادة.

(٢) قال «المقري» في «**قواعده**»: لا يجوز التعصب إلى المذاهب بالانتصاب للانتصار بوضع الحجاج، وتقريبها على الطرق الجدلية مع اعتقاد الخطأ، أو المرجوحية عند المجيب، كما يفعله أهل الخلاف، إلا على وجه التدريب على نصب الأدلة، والتعليم لسلوك الطريق بعد بيان ما هو الحق، فالحق أعلى من أن يُعلى، وأغلب من أن يُغلب. وقال أيضاً: ولا يجوز رد الأحاديث إلى المذاهب على وجه ينقص من بهجتها، ويذهب بالثقة بظاهرها؛ فإن ذلك إفساد لها، وغض من منزلتها، لا أصلح الله المذاهب بفسادها، ولا رفعها بخفض درجاتها، فكل كلام يؤخذ منه ويرد إلا ما صح لنا عن سيدنا رسول الله ﷺ، بل لا يجوز الرد مطلقاً؛ لأن الواجب أن ترد المذاهب إليها كما قال «الإمام الشافعي»، لا أن ترد هي إلى المذاهب ولله درُّ علي ـ رضي الله عنه ـ أي بحر علم ضم جنباه! ـ إذ قال لكميل بن زياد لما قال له: أترانا نعتقد أنك على الحق، وأن طلحة، والزبير على الباطل؟!: اعرف الرجل بالحق، ولا تعرف الحق بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله.
وما أَحْسَنَ قَوْلَ أرسطو لما خالف أستاذه أفلاطون: تَخَاصَمَ الحقُّ وأفلاطونُ، وكلاهما صديق لي، والحق أصدق منه. انظر «**القواعد**» (٢/ ٣٩٧) وما بعدها بتصرف، وينظر: «**القواعد الصغرى**» بتحقيقنا ص ١٠٩.

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٧٥) كتاب البر والصلة: باب ما جاء في العي، حديث (٢٠٢٧)، وأحمد (٥/ ٢٦٩)، والحاكم (١/ ٩)، والبغوي في «**شرح السنة**» (٦/ ٤١٠ـ بتحقيقنا) كلهم من طريق محمد بن مطرف أبي غسان عن حسان بن عطية عن أبي أمامة مرفوعاً.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من حديث أبي غسان محمد بن مطرف.
وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

(٤) أخرجه أبو داود (٢/ ٧٢٠) كتاب الأدب: باب ما جاء في المتشدق في الكلام، حديث (٥٠٠٥)، والترمذي (٥/ ١٤١) كتاب الأدب: باب ما جاء في الفصاحة والبيان، حديث (٢٨٥٣)، وأحمد (٢/ ١٦٥، ١٨٧) من طريق نافع بن عمر الجمحي عن بشر بن عاصم عن أبيه عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

غريب، انتهى؛ وهما في «**مصابيح البغوي**». وروى أبو داودَ عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ صَرْفَ الكَلاَمِ لِيَسْبِيَ بِهِ قُلُوبَ الرِّجَالِ، أَوِ النَّاسِ ـ لَمْ يَقْبَلِ اللّهُ مِنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ صَرْفاً وَلاَ عَدْلاً»(١) انتهى.

وقوله تعالى: ﴿وقولوا آمنا﴾ الآية، قال أبو هريرة: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراةَ بالعبرانيةِ؛ ويفسرونها بالعربية للمسلمين، فقال النبيُّ ﷺ: «لاَ تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ، وَلاَ تُكَذِّبُوهُمْ(٢)»، وقُولُوا: ﴿آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلٰهنا وإلٰهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ وَرَوَى ابنُ مسعود؛ أن النبيَّ ﷺ قال: «لاَ تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ؛ وَقَدْ ضَلُّوا: إِمَّا أَنْ تُكَذِّبُوا بِحَقٍّ، وإِمَّا أَنْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ»(٣).

وقوله تعالى: ﴿فالذين آتيناهم الكتاب﴾ يريدُ: التوراة والإنجيل؛ كانوا في وقت نزول الكتاب عليهم يؤمنون بالقرآن. ثم أخبر عن معاصري نبينا محمد ﷺ أن منهم أيضاً مَنْ يؤمن به ولم يكونوا آمنوا بَعْدُ، ففي هذا إخبارٌ بغيب؛ بَيَّنَه الوجودُ بَعْدَ ذلك.

قوله تعالى: ﴿وما يجحد بآياتنا إلا الكافرونَ﴾ يُشْبِهُ أَن يُرَادَ بهذا الانحناءِ كفارُ قريش. ثم بيَّن تَعَالى الحجةَ وأوضحَ البرهانَ: أَن مما يقوي أَنَّ نزولَ هذا القرآن مِن عِنْدِ اللّه؛ أن محمداً ـ عليه السلام ـ جاء به في غاية الإعجاز والطُّول والتَّضَمُّنِ للغيوب، وغير ذلك؟ وهو أمِّيٌّ؛ لا يقرأ ولا يكتب؛ ولا يتلو كتاباً / ولا يخط حروفاً؛ ولا سبيلَ له إلى ٦٣ ب
التعلم، ولو كان ممن يقرأ أو يخط، لارتاب المبطلون، وكان لهم في ارتيابهم مُعَلِّق، وأما ارتيابُهم مع وضوحِ هذهِ الحجةِ؛ فظاهرٌ فسادهُ.

قوله تعالى: ﴿بل هو آيات بينات﴾ يعني: القرآن، ويحتمل: أن يعودَ على أمرِ محمد ﷺ و﴿الظالمون﴾ و﴿المبطلون﴾ يَعُمُّ لفظهما كلَّ مكذِّبٍ للنبي ﷺ، ولكنَّ عظمَ

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٧٢٠) كتاب الأدب: باب ما جاء في المتشدق في الكلام، حديث (٥٠٠٦) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٤٥) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب قول النبي ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء»، حديث (٧٣٦٢) وفي (١٣/ ٥٢٥) كتاب التوحيد: باب ما يجوز من تفسير التوراة، حديث (٧٥٤٢)، والطبري في «**تفسيره**» (١٠/ ١٥١) رقم (٢٧٨٢٣) من حديث أبي هريرة.
وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٢٨٢)، وزاد نسبته إلى النسائي، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «**الشعب**».

(٣) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١٠/ ١٥١) رقم (٢٧٨٢٥)، وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٢٨٢)، وزاد نسبته إلى عبد الرزاق.

الإشارة بهما إلى قريش؛ لأنهم الأهم؛ قاله مجاهد(١).

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا بِٱللَّهِ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه﴾ الضمير في: ﴿قالوا﴾ لقريش ولبعض اليهود؛ لأنهم كانوا يعلِّمون قريشاً مثل هذه الحجة؛ على ما مر في غير ما موضع. ثم احتج عليهم في اقتراحهم آية بأمر القرآن الذي هو أعظم الآيات؛ ومعجز للجن والإنس؛ فقال سبحانه: ﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب...﴾ الآية.

وقوله: ﴿آمنوا بالباطل﴾ يريد: الأصنام وما في معناها.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ يريد: كفارَ قريش، وباقي الآية بَيِّنٌ مما تقدم مكرّراً والله الموفق بفضله. و﴿بغتة﴾: معناه: فجأة: وهذا هو عذاب الدنيا؛ كيوم بدر ونحوه. ثم توعدهم سبحانه بعذاب الآخرة في قوله: ﴿يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم...﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون...﴾ الآيات، هذه الآيات نزلت في تحريض المؤمنين الكائنين بمكّة على الهِجْرَة. قال ابن جُبَيْر(٢)، وعطاء(٣) ومجاهد(٤): إن الأرض التي فيها الظلم والمنكر؛ تترتب فيها هذه الآية وتلزمُ

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١٥٢) رقم (٢٧٨٣٢) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٢٢)، والسيوطي (٥/ ٢٨٣) بنحوه، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ١٥٦) رقم (٢٧٨٤٥ـ ٢٧٨٤٦) بنحوه، وذكره البغوي (٣/ ٤٧٢) بنحوه، وابن عطية (٤/ ٣٢٤)، والسيوطي (٥/ ٢٨٥) بنحوه، وعزاه لابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير.

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ١٥٦) رقم (٢٧٨٤٧) بنحوه، وذكره البغوي (٣/ ٤٧٢) بنحوه، وابن عطية (٤/ ٣٢٤)، والسيوطي (٥/ ٢٨٥)، وعزاه لابن أبي الدنيا في «العزلة»، وابن جرير عن عطاء.

(٤) أخرجه الطبري (١٠/ ١٥٦) رقم (٢٧٨٤٩) بنحوه، وذكره البغوي (٣/ ٤٧٢) بنحوه، وابن عطية (٤/ ٣٢٤)، والسيوطي (٥/ ٢٨٥)، وعزاه للفريابي، وابن جرير عن مجاهد.

الهجرةُ عنها إلى بلد حق؛ وقاله[1] مالك.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون﴾ تحقيرٌ لأمرِ الدنيا ومخاوفِها، كأن بعضَ المؤمنين نظر في عاقبةٍ تلحقه في خروجه من وطنه؛ أنه يموت أو يجوع ونحو هذا؛ فحقَّر اللّه سبحانه شأنَ الدنيا، أي وأنتم لا محالة ميتون ومُحْشَرُون إلينا، فالبِدَارُ إلى طاعة اللّه والهجرة إليه أولى ما يُمْتَثَلُ. ذكر هشام بن عبد اللّه القرطبيُّ في تاريخه المسمى بـ «**بهجة النفس**» قال: بينما المنصور جالسٌ في منزله في أعلى قصره؛ إذ جاءه سهم عائر فسقط بين يديه؛ فذُعِرَ المنصورُ منه ذُعْراً شديداً، ثم أخذه فجعل يقلِّبه، فإذا مكتوبٌ عليه بين الرِّيشَتَيْنِ: [الوافر]

أَتَـطْـمَـعُ فِـي الْـحَـيَـاةِ إِلَـى الـتَّـنَـادِي ... وَتَـحْـسَـبُ أَنَّ مَـا لَـكَ مِـنْ مَـعَـادِ
سَـتُـسْـأَلُ عَـنْ ذُنُـوبِـكَ وَالْـخَـطَـايَـا ... وَتُـسْـأَلُ بَـعْـدَ ذَاكَ عَـنِ الْـعِـبَـادِ

ومن الجانب الآخر: [البسيط]

أَحْـسَـنْـتَ ظَـنَّـكَ بِـالأَيَّـامِ إِذْ حَـسُـنَـتْ ... وَلَـمْ تَـخَـفْ سُـوءَ مَـا يَـأْتِـي بِـهِ الْـقَـدَرُ
وَسَـاعَـدَتْـكَ الـلَّـيَـالِـي فَـاْغْـتَـرَرْتَ بِـهَـا ... وَعِـنْـدَ صَـفْـوِ الـلَّـيَـالِـي يَـحْـدُثُ الـكَـدَرُ

وفي الآخر: [البسيط]

هِـيَ الْـمَـقَـادِيـرُ تَـجْـرِي فِـي أَعِـنَّـتِـهَـا ... فَـاْصْـبِـرْ فَـلَـيْـسَ لَـهَـا صَـبْـرٌ عَـلَـىٰ حَـالِ
يَـوْمـاً تُـرِيـكَ خَـسِـيـسَ الـقَـوْمِ تَـرْفَـعُـهُ ... إِلَـى الـسَّـمَـاءِ وَيَـوْمـاً تَـخْـفِـضُ الـعَـالِـي

/ ثم قرأ على الجانب الآخر من السهم: [البسيط] ٦٤ أ

مَـنْ يَـصْـحَـبِ الـدَّهْـرَ لاَ يَـأْمَـنْ تَـصَـرُّفَـهُ ... يَـوْمـاً فَـلِـلـدَّهْـرِ إِحْـلاَءٌ وَإِمْـرَارُ

---

(١) ذكره ابن عطية (٤/ ٣٢٤).

لِـكُـلِّ شَـيْءٍ وَإِنْ طَـالَـتْ سَـلاَمَـتُـهُ إِذَا انْـتَـهَـى مَـدُّهُ لاَ بُـدَّ إِقْـصَـارُ

انتهى.

وقرأ حمزة[١]: «لنثوينهم من الجنة غرفاً»: من أثوى يُثْوِي بمعنى: أقام.

وقوله تعالى: ﴿وكأين من دابة...﴾ الآية: تحريضٌ على الهجرة؛ لأَن بعضَ المؤمنين فكَّر في الفقر والجوع الذي يلحقه في الهجرة، وقالوا: غربةٌ في بلد لاَ دَارَ لنا فيه ولا عقار، ولا من يطعم، فمثل لهم بأكثر الدواب التي لا تتقوت ولا تدخر، ثم قال تعالى: ﴿اللّه يرزقها وإياكم﴾ فقوله: ﴿لا تحمل﴾ يجوز أن يريدَ مِن الحَمْلِ، أي: لا تَنْتَقِلُ ولا تنظر في ادخاره.

قاله مجاهد[٢] وغيره.

قال *ع[٣]*: والادِّخار ليسَ من خُلُق الموقنين، وقد قال رَسُولُ اللّهِ ﷺ لابْنِ عُمَرَ: «كَيْفَ بِكَ إِذَا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ؛ يُخَبِّئُونَ رِزْقَ سَنَةٍ بِضَعْفِ اليَقِينِ»[٤]، ويجوز أن يريدَ من الحمالة؛ أي: لا تَتَكَفَّلُ لنفسها.

قال الداووديُّ: وعن علي بن الأقمر: ﴿لا تحمل رزقها﴾ أي: لا تدخر شيئاً لغدٍ، انتهى. وفي الترمذي عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول اللّه ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوكَّلُونَ عَلَى اللّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرُزِقْتُمْ كَمَا تُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصاً وَتَرُوحُ بِطَاناً»[٥]. قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ. انتهى.

---

(١) ينظر: «السبعة» (٥٠٤)، و«الحجة» (٥/ ٤٣٨)، و«إعراب القراءات» (٢/ ١٩٠)، و«معاني القراءات» (٢/ ٢٦١)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٢٩)، و«العنوان» (١٥٠)، و«حجة القراءات» (٥٥٤)، و«شرح شعلة» (٥٣٨)، و«إتحاف» (٢/ ٣٥٢).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ١٥٨) رقم (٢٧٨٥٣) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٢٥).

(٣) ينظر: «المحرر» (٤/ ٣٢٥).

(٤) تقدم.

(٥) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٧٣) كتاب الزهد: باب في التوكل على الله، حديث (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٢/ ١٣٩٤)، كتاب الزهد: باب التوكل واليقين، حديث (٤١٦٤)، وأحمد (١/ ٣٠)، وأبو يعلى (١/ ٢١٢)، رقم (٢٤٧)، وابن حبان (٢/ ٥٠٩) رقم (٧٣٠)، وابن المبارك في «الزهد» (ص: ١٩٦ ـ ١٩٧) رقم (٥٥٩)، والحاكم (٤/ ٣١٨)، وأبو نعيم (١٠/ ٦٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» رقم (١٤٤٥)، والبغوي في «شرح السنة» (٧/ ٣٢٨ ـ بتحقيقنا) كلهم من حديث عمر بن الخطاب. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ثم خاطب تعالى في أمر الكفار وإقامة الحجة عليهم، بأَنهم إن سُئِلوا عن الأمور العظام التي هي دلائل القدرة، لم يكن لهم إلا التسليمُ بِأَنها للّه تعالى، ﴿ويؤفكون﴾ معناه: يصرفون.

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب﴾ وصفَ اللّهُ تعالى الدنيا في هذه الآيةِ بأنها لهوٌ ولعب، أي: ما كان منها لغير وجه اللّه تعالى؛ وأما مَا كان للّه تعالى فهو من الآخرة، وأما أمورُ الدنيا التي هي زائدة على الضروري الذي به قِوَامُ العَيْشِ، والقوةُ على الطاعات؛ فإنما هي لهو ولعب، وتأملْ ذلك في الملابِس، والمطاعِم، والأقوال، والمكتسبات، وغير ذلك، وانظر أن حالةَ الغني والفقير من الأمور الضرورية واحدة: كالتنفسِ في الهواء، وسد الجوع، وستر العورة، وتَوَقِّي الحر والبرد؛ هذه عظم أمر العيش، و﴿الحيوان﴾ و﴿الحياة﴾ بمعنًى، والمعْنى: لا موت فيها، قاله مجاهد وهو حسن[1]، ويقال: أصله: حييان؛ فأبدلت إحداهما واواً لاجتماع المِثْلَين. ثم وقَفَهُمْ تعالى على حالهم في البحر؛ عند الخوف العظيم؛ ونسيانهم عند ذلك للأصنام، وغيرها، على ما تقدم بيانُه في غير هذا الموضع: و﴿ليكفروا﴾ نصبٌ بـ «لام كي» ثم عدَّد تعالى على كَفَرَةِ قريش نعمتَه عليهم في الحَرَمِ؛ و«المثوى»: موضع الإقامة، وألفاظ هذه الآية في غايةِ الاقْتِضَابِ والإِيجاز؛ وجمع المعاني. ثم ذكر تعالى حالَ أوليائه والمجاهدين فيه.

وقوله: ﴿فينا﴾ معناه: في مرضاتنا وبغيةِ ثوابِنا.

قال السدي وغيره: نزلت هذه الآيةُ قبل فَرضِ[2] القتال.

قال ع[3]: فهي / قَبْلَ الجهادِ العُرْفي وإنما هو جِهَاد عامٌ في دين اللّه وطلب مرضاته. ٦٤ ب

(١) أخرجه الطبري (١٠/١٥٩) رقم (٢٧٨٥٨)، وذكره ابن عطية (٤/٣٢٥).

(٢) ذكره ابن عطية (٤/٣٢٦).

(٣) ينظر: «**المحرر**» (٤/٣٢٦).

قال الحسن بن أبي الحسن[١]: الآيةُ في العُبَّادِ. وقال إبراهيم بن أدهم: هي في الذين يعملون بما علموا[٢]. وقال أبو سليمان الدَّارانيُّ: ليس الجهادُ في هذه الآية قتالَ العدو فقط؛ بل هو نَصْرُ الدِّين والردُّ على المبطلينَ وقمعُ الظالمينَ؛ وأعظمُه الأمر بالمعروفِ، والنهيُ عن المنكرِ، ومنه مجاهدةُ النفوسِ في طاعةِ اللّه عز وجل وهو الجهاد الأكبر؛ قاله الحسن[٣] وغيره، وفيه حديثٌ عن النبيِّ ﷺ «رَجَعْتُمْ مِنَ الْجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الأَكْبَرِ»[٤] و«السُّبل» هنا يحتملُ أن تكونَ طُرَقَ الجنةِ ومَسَالِكَهَا، ويحتملُ أن تكونَ سبلَ الأعمال المؤَدِّيَةِ إلى الجنةِ، قال يوسف بن أسباط: هي إصلاح النيّة في الأعمال، وحب التَزَيُّدِ والتَفَهُّمِ، وهو أن يُجَازَى العبدُ عَلى حَسَنَةٍ بازدياد حسنةٍ وبعلمٍ يَنْقَدِحُ مِن عِلْمٍ متقدمٍ.

قال «ص»: ﴿والذين جاهدوا﴾: مبتدأ خبرُه القسمُ المحذوفُ، وجوابُه وهو: ﴿لنهدينهم﴾، انتهى.

وقال الثعلبي: قال سهل بن عبد اللّه: ﴿والذين جاهدوا﴾ في إقامة السنة ﴿لنهدينهم﴾ سبل الجنة؛ انتهى. واللام في قوله ﴿لمع﴾ لام تأكيد.

---

(١) ذكره ابن عطية (٤/٣٢٦).

(٢) ذكره ابن عطية (٤/٣٢٦).

(٣) ذكره ابن عطية (٤/٣٢٦).

(٤) أخرجه الخطيب في **«تاريخ بغداد»** (١٣/٤٩٣) من حديث جابر.
وقال الحافظ العراقي في **«تخريج الإحياء»** (٣/٧): أخرجه البيهقي في **«الزهد»** من حديث جابر، وقال: هذا إسناد فيه ضعف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ

تفسير «سُورَةِ الرُّومِ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ اتِّفَاقاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۞١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۞٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۞٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۞٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۞٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۞٧ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ۞٨﴾.

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ * غلبت الروم﴾ قرأ الجمهور[١]: «غُلبت» ـ بضم الغين ـ وقالوا: معنى الآية: أنه بلغ أهلَ مكةَ أنّ الملكَ كِسْرَى هَزمَ جَيْشَ الروم بأذْرِعَاتٍ؛ وهي أدنى الأرض إلى مكة؛ قاله عكرمة[٢]. فَسُرَّ بذلك كفارُ مكةَ فبشر اللّه تعالى المؤمنين بأن الرومَ سيَغْلِبونَ في بِضْعِ سنين، فخرج أبو بكر رضي اللّه عنه إلى المسجد الحرام؛ فقال للكفار: أسركم أن غُلِبَتِ الرُّوم؟ فإن نبيّنا أخبرنا عن اللّه تعالى: أنهم سَيغلبون في بضع سنين، فقال له أُبَيُّ بن خلف وأخوه أمية بن خلف: يا أبا بكر: تعالَ فَلْنَتَنَاحَبْ، أي: نتراهنْ في ذلك، فراهنهم أبو بكر على خمس قلائص[٣]، والأجل ثلاث سنين، وذلك قبل أن يحرم القِمار، فأخبر النبيَّ ﷺ بذلك؛ فقال له: إن البضع إلى التسع، ولكن زِدْهم في

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٣٢٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ١٥٧)، و«الدر المصون» (٥/ ٣٧٠).

(٢) ذكره البغوي (٣/ ٤٧٧)، وابن كثير (٣/ ٤٢٣ـ ٤٢٤)، والسيوطي (٥/ ٢٩١)، وعزاه لابن جرير عن عكرمة.

(٣) القلائص: جمع قَلُوص، وهي الفَتِيَّة من الإبل بمنزلة الجارية الفتاة من النساء. وقيل: هيَ الثَّنِيَّة، وقيل: هي ابنة المخاض. وقيل: هي كل أنثى من الإبل حين تركب.
ينظر: «لسان العرب» ٣٧٢٢.

الرهن؛ واستزدهم في الأجل، ففعل أبو بكرٍ، فجعلوا القلائصَ مائةً، والأجل تسعةَ أعوام، فَغَلَبَت الرومُ فارسَ فِي أَثْنَاءِ الأَجَلِ يوم بدر. ورُوِيَ أن ذلك كان يوم الحُدَيْبِية، يوم بيعة الرضوان؛ وفي كلا اليومين كان نصرٌ من اللّه تعالى للمؤمنين، وذكر الناسُ سرورَ المؤمنين بغلبةِ الروم؛ من أجل أنهم أهل كتاب، وفرحت قريشٌ بغلبة الفرسِ؛ من أجل أنهم أهل أوثان ونحوه من عبادة النار.

وقوله تعالى: ﴿للَّه الأمر من قبل ومن بعد﴾. أي: له إنفاذ الأحكام من قبل ومن بعد هذه الغلبةِ التي بين هؤلاء؛ ثم أخبر تعالى أن يوم غلبة الروم للفرس يفرح المؤمنون بنصر اللّه، ﴿ولكن أكثرَ الناس لا يعلمون﴾ يريدُ: كُفَّارَ قريش والعرب، أي: لا يعلمون
١٦٥أ أن الأمور من عند اللّه، وأن وعده لا يُخْلَفُ، وأن ما يورده / نبيُّه حق.

قال *ع[1]*: وهذا الذي ذكرناه عُمْدَةُ ما قيل. ثم وصف تعالى الكفرةَ الذين لا يعلمون أمر اللّه وصِدْقَ وعدِه بأنهم إنما: ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾، قال صاحب **«الكلم الفارقية»**: الدنيا طَبَقٌ مسموم، لا يعرف ضرره إلا أربابُ الفهوم. قوةُ الرغبة في الدنيا علامة ضعفها في الآخرة. بحسب انصرافِ الرغبةِ إلى الشيء، يجدُّ الراغبُ في طلبه، وتتوفَّرُ دواعيه على تحصيلِهِ. المطلوبات تُظهر وتبيِّنُ أقدارَ طُلاَّبها؛ فمن شَرُفَتْ همَّتُهُ شَرُفَتْ رغبته؛ وعزت طلبته. يا غافل، سكر حبك لدنياك؛ وطول مُتابعتِكَ لَغاوِي هواك ـ أنساك عظمةَ مولاك؛ وَثَنَاكَ عن ذكره وألهاك؛ وَصَرَفَ وجه رغبتك عن آخرتك إلى دنياك. إنْ كنت من أهل الاستِبْصَار، فألقِ ناظرَ رغبتك عن زخارف هذه الدار؛ فإنها مجمعُ الأكدار، ومنبَعُ المضار؛ وسِجْنُ الأَبرار؛ ومجلس سرور الأشرار. الدنيا كالحيةِ تجمع في أنيابها؛ سُمُومَ نَوَائِبِها؛ وتفرغه في صميم قلوب أبنائها، انتهى. قال عياض في **«الشفا»**: قال أبو العباس المبرِّد ـ رحمه اللّه ـ قَسَّمَ كِسرى أيامَه؛ فقال: يَصْلُحُ يَوْمُ الريح للنوم، ويومُ الغَيْم للصيد، ويومُ المطر للشُّرْب واللهو، ويوم الشمس للحوائج. قال ابن خَالَوَيْهِ: ما كان أعرفَهم بسياسة دنياهم، ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾، لكنْ نبينا محمداً ﷺ جزأها ثلاثةَ أجزاء: جزءاً للَّه تعالى، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه. ثم جزَّأَ جزءه بينه وبين الناس؛ فكان يستعين بالخاصة على العامة؛ وَيقُولُ: أَبْلِغُوا حَاجَةَ مَنْ لاَ يَسْتَطِيعُ إِبْلاَغِي؛ فَإِنَّهُ مَنْ أَبْلَغَ حَاجَةَ مَنْ لاَ يَسْتَطِيعُ، أَمَّنَهُ اللّهُ يَوْمَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، انتهى. والمؤمن المنهمك في أمور الدنيا التي هي أكبر همه، يأخذ من هذه الآيةِ بحظٍّ. نوَّر اللّهُ قلوبَنا بهداه.

---

(١) ينظر: **«المحرر»** (٤/ ٣٢٩).

﴿ت﴾: قد تقدم ما جاء في الفكرة في «آل عمران». قال ابن عطاء الله: الفكرة سراج القلب؛ فإذا ذهبت فلا إضاءة له. وقال: ما نفع القلبَ شيءٌ مثلُ عُزْلَةٍ يدخل بها ميدانَ فكرة، انتهى وباقي الآية بيِّن.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾﴾.

وقوله عزَّ وجل: ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض...﴾ الآية، يريدُ أثاروا الأرضَ بالمباني، والحرثِ، والحروبِ وسائرُ الحوادثِ التي أحدثوها هي كلُّها إثارةٌ للأرض؛ بعضها حقيقة وبعضها بتجوُّز، والضمير في ﴿عمروها﴾ الأول للماضين، وفي الثاني للحاضرين المعاصرين.

وقوله تعالى: ﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا السُّوأىٰ أن كذبوا بآيات اللّه﴾.

قرأ نافع[١] وغيره: «عَاقِبَةُ» ـ بالرفع ـ على أنها اسْمُ ﴿كان﴾، والخبر يجوز أن يكون ﴿السُّوأىٰ﴾، ويجوز أن يكونَ ﴿أن كذبوا﴾، وتكونُ ﴿السُّوأىٰ﴾ على هذا مفعولاً بـ ﴿أساءوا﴾ وإذا كان ﴿السُّوأىٰ﴾ خبراً فـ ﴿أن كذبوا﴾ مفعول من أجله.

وقرأ[٢] حمزة والكسائي وغيرهما «عَاقِبَةَ» بالنصب على أنها خبرٌ مقدَّم، واسم كان أحد ما تقدم، و﴿السُّوأىٰ﴾: مصدر كالرُّجْعَى، والشُّورَى، والفُتْيا. قال ابن عباس: ﴿أساءوا﴾ هنا بمعنى: كفروا[٣]، و﴿السُّوأىٰ﴾ هي النار. وعبارة البخاري: وقال مجاهد ﴿السُّوأىٰ﴾ أي: الإساءة جزاء المسيئين[٤]، انتهى. والإِبْلاَسُ: الكون في شَرٍّ، مع اليأسِ من الخير.

---

(١) ينظر: «السبعة» (٥٠٦)، و«الحجة» (٥/ ٤٤٢)، و«إعراب القراءات» (٢/ ١٩٣)، و«معاني القراءات» (٢/ ٢٦٣)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٣١)، و«العنوان» (١٥١)، و«حجة القراءات» (٥٥٦)، و«شرح شعلة» (٥٣٩)، و«إتحاف» (٢/ ٣٥٤).

(٢) ينظر: مصادر القراءة السابقة.

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ١٧١) رقم (٢٧٩٠٧)، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٣١)، والسيوطي (٥/ ٢٩٣)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٤) ذكره السيوطي (٥/ ٢٩٣)، وعزاه للفريابي، وابن أبي شيبة عن مجاهد.

٦٥ ب

ص: وقال الزجاج[١]: المُبْلِسُ: الساكت المنقطع / في حجته؛ اليائس من أن يَهْتَدِيَ إليها، انتهى.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾.

وقوله جلت عظمته: ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون﴾ معناه: في المنازل والأحكام والجزاء. قال قتادة[٢]: فُرْقَةٌ؛ واللّه ـ لا اجتماعَ بعدها. و﴿يحبرون﴾ معناه يُنَعَّمونَ؛ قاله مجاهد[٣]. والحبرة والحبُورُ: السرور، وقال يَحْيَىٰ بن أبي كثير: ﴿يحبرون﴾ معناه: يسمعون الأغاني؛ وهذا نوع من الحبرة.

ت: وفي الصحيح من قول أبي موسى: لو شعرت بك يا رسول اللّه لحبَّرتُهُ لك تَحْبيراً؛ أو كما قال.

وقال *ص*: ﴿يُحبرون﴾: قال الزجاج[٤]: التَّحْبِيرُ: التحسين، والحبر العالم، إنما هو من هذا المعنى؛ لأنه مُتَخَلِّقٌ بأحسَن أخلاق المؤمنين، والحِبْرُ المِدَادُ إنما سمي به؛ لأنه يُحَسِّنُ به، انتهى. قال الأصمعيُّ: ولا يقال: روضة حتى يكونَ فيها ماء؛ يشربُ منه. ومعنى: ﴿في العذاب محضرون﴾ أي: مجموعون له: لا يغيب أحد عنه.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ
تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ
﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم
مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ
﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ
﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٧٩).
(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ١٧٢) رقم (٢٧٩١١)، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٣١)، وابن كثير (٣/ ٤٢٨)، والسيوطي (٥/ ٢٩٣)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.
(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ١٧٣) رقم (٢٧٩١٣)، وذكره البغوي (٣/ ٤٧٩)، وابن عطية (٤/ ٣٣١)، وابن كثير (٣/ ٤٢٨)، والسيوطي (٥/ ٢٩٤)، وعزاه للفريابي، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.
(٤) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٨٠).

﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿فسبحان اللّه...﴾ الآيةُ خطابٌ للمؤمنين بالأمر بالعبادة والحضِّ على الصلاة في هذه الأوقات، كأنه يقول سبحانه: إذا كان أمر هذه الفرق هكذا من النقمة والعذاب، فجِدَّ أيها المؤمن في طريق الفوز برحمة اللّه. ورَوَى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ﴿فَسُبْحَانَ اللّه حين تمسون وحين تصبحون﴾ إلى قوله: ﴿وكذلك تخرجون﴾ أَدْرَكَ مَا فَاتَهُ فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَهُنَّ حِينَ يُمْسِي أَدْرَكَ مَا فَاتَهُ فِي لَيْلَتِهِ»[(١)]. رواه أبو داود، انتهى من «**السلاح**».

قال ابن عباس وغيره: في هذه الآية تنبيهٌ علَى أربع صلواتٍ: المغرب، والصبح، والظهر، والعصر[(٢)]، قالوا: والعشاءُ الأخيرةُ هي في آية أخرى: في زلف الليل، وقد تقدم بيانُ هذا مُسْتَوْفى في مَحَاله.

وقوله تعالى: ﴿يخرج الحي من الميت...﴾ الآيةَ، تقدم بيانُها. ثم بعد هذه الأَمثِلَةِ القاضيةِ بتجويز بعث الأجساد عقلاً؛ ساق الخبر سبحانه بأن كذلك خروجَنا من قبورِنا، و﴿تنتشرون﴾ معناه: تتصرفون وتتفرقون، والمودة والرحمة: هما على بابهما المشهور من التواد والتراحم؛ هذا هو البليغ. وقيل: غيرُ هذا.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٧٤٠) كتاب الأدب: باب ما يقول إذا أصبح حديث (٥٠٧٦) والطبراني في «**الكبير**» (١٢/ ٢٣٩) رقم (١٢٩٩١) كلاهما من طريق محمد بن عبد الرحمن البيلماني عن أبيه عن ابن عباس مرفوعاً. وعبد الرحمن البيلماني وابنه لا يحتج به.
والحديث ضعفه الزيلعي في «**تخريج أحاديث الكشاف**» (٣/ ٥٧).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ١٧٤) رقم (٢٧٩١٩ـ ٢٧٩٢٠ـ ٢٧٩٢١ـ ٢٧٩٢٣) بنحوه، وذكره البغوي (٣/ ٤٧٩)، وابن عطية (٤/ ٣٣٢)، والسيوطي (٥/ ٢٩٥)، بنحوه وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس.

وقرأ الجمهور: «للعالَمين» ـ بفتح اللام ـ يعني: جميع العالم. وقرأ حفصٌ[١] عن عاصم ـ بكسرها ـ على معنى: أَنَّ أهلَ الانتفاع بالنظر فيها إنما هم أهل العلم، وباقي الآية اطْلبه في مَحَالِّه؛ تجده إن شاء اللّه مبيناً، وهذا شأننا الإحالة في هذا المختصر؛ على ما تقدم بيانه، فاعلمه راشداً.

ت: وهذه الآياتُ والعبر إنما يعظمُ موقعُها في قلوب العارفين باللّه سبحانه، ومن أكثرَ التفكُّرَ في عجائب صنع اللّه تعالى حَصَلَتْ له المعرفةُ باللّه سبحانه.

قال الغَزَّالِيُّ في «الإحياء»: وبحر المعرفة لا ساحل له؛ والإحاطة بكنه جلال اللّه محالٌ، وكلما كثرت المعرفةُ باللّه تعالى وصفاتِه وأَفعاله وأسرار مملكته وقويت ـ كثر النعيم في الآخرة؛ وعظم، كما أنه كلما كثر البذر وحسن ـ كثر الزرع وحسن.

وقال أيضاً في كتاب «شرح عجائب القلب» من «الإحياء»: وتكون سَعَةُ ملك العبد في الجنة؛ بحسب سِعَة معرفتِه باللّه، وبحسب ما يتجلَّىٰ له من عظمة اللّه ـ سبحانه ـ، وصفاتِه، وأفعاله، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿أن تقوم السماء والأرض﴾ معناه: تثبت، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ [البقرة: ٢٠].

وهذا كثير، والدعوة من الأرض: هي البعث ليوم القيامة، قال مكي: والأحسن عند أهل النظر أنَّ الوقفَ في هذه الآية يكونُ في آخرها، ﴿تخرجون﴾؛ لأن مذهب سيبويهِ والخليلِ في «إذا» الثانية: أنها جوابُ / الأولى، كأنه قال: ثم إذا دعاكم خرجتم؛ وهذا أسدُّ الأقوال. ١٦٦ أ

وقال *ص*: ﴿إذا أنتم﴾، «إذا»: للمفاجأة، وهل هي ظرفُ مكانٍ أو ظرفُ زمان؟ خلاف، و﴿من الأرض﴾ علَّقهُ الحُوفيُّ بـ «دَعَا»، وأجاز *ع*[٢]: أن يتعلقَ بـ «دعوة» انتهى.

وقرأ حمزة[٣] والكسائي: «تَخْرُجُونَ» ـ بفتح التاء، والباقون بضمها ـ، والقنوت هنا

---

(١) ينظر: «الحجة» (٥/ ٤٤٤)، و«إعراب القراءات» (٢/ ١٩٤)، و«معاني القراءات» (٢/ ٢٦٤)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٣٢)، و«العنوان» (١٥١)، و«حجة القراءات» (٥٥٧)، و«شرح شعلة» (٥٤٠)، و«إتحاف» (٢/ ٣٥٦).

(٢) ينظر: «المحرر» (٤/ ٣٣٤).

(٣) وحجتهما قوله تعالى: ﴿يخرجون من الأجداث﴾ [القمر: الآية ٧]، وقوله: ﴿إلى ربهم ينسلون﴾ [يٓس: ٥١]. وحجة الباقين قوله سبحانه: ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا﴾ [يس: الآية ٥٢].

بمعنى الخضوعِ، والانقيادِ في طاعتِهِ سبحانه. وإعادة الخلق: هو بعثُهم من القبور.

وقوله تعالى: ﴿وهو أهون عليه﴾ قال ابن عباس وغيره: المعنى: وهو هين[١] عليه، وفي مصحف ابن مسعود[٢] «وهو هين عليه»، وفي بعض المصاحف «وكل هين عليه».

وقال ابن عباس أيضاً وغيره: المعنى: وهو أيسر[٣] عليه، قال: ولكن هذا التفضيل إنَّما هو بحسب معتقدِ البَشَرِ؛ وما يعطيهم النظر في الشاهد من أن الإِعَادَةِ في كثير من الأشياء أهون علينا من البدأة. ولما جاء بلفظٍ فيه استعارة، وتشبيه[٤] بما يعهده الناس من أنفسهم خَلُصَ جانبُ العظمة؛ بأن جعل له المثلَ الأعْلَى الذي لا يلحقه تكييف ولا تماثل مع شيء. ثم بين تعالى أمر الأصنام وفسادَ معتقدِ مَن يُشْرِكُها باللّه ـ بضربه هذا المثلَ ـ؛ وهو قوله: ﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكم...﴾ الآية، ومعناه: أَنكم أيها الناس إذا كان لكم عبيدٌ تَمْلِكُونَهم؛ فإنكم لا تشركونهم في أموالكم، ومُهِمّ أموركم، ولا في شيء على جهة استواء المنزلة. وليس من شأنكم أن تخافوهم في أن يرثوا أموالكم، أو يقاسموكم إياها في حياتكم، كما يفعل بعضكم ببعض؛ فإذا كان هذا فيكم، فكيف تقولون: إن من عبيده وملكه شركاءُ في سلطانِهِ وألوهيته؛ هذا تفسير ابن عباس[٥] والجماعة.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

ينظر: «حجة القراءات» (٥٥٧)، و«السبعة» (٥٠٦)، و«الحجة» (٥/ ٤٤٥)، و«إعراب القراءات»، (٢/ ١٩٥)، و«العنوان» (١٥١)، و«حجة القراءات» (٥٥٧)، و«إتحاف» (٢/ ٣٥٦).

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١٧٩) رقم (٢٧٩٣٩)، وذكره البغوي (٣/ ٤٨١)، وابن عطية (٤/ ٣٣٥)، وابن كثير (٣/ ٤٣١)، والسيوطي (٥/ ٢٩٨)، وعزاه لابن الأنباري عن ابن عباس.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٣٣٥)، و«البحر المحيط» (٧/ ١٦٥).

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ١٧٩) رقم (٢٧٩٤٠)، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٣٥)، وابن كثير (٣/ ٣٤٠)، والسيوطي (٥/ ٢٩٧) بنحوه، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٤) في جـ: التشبيه.

(٥) أخرجه الطبري (١٠/ ١٨١) رقم (٢٧٩٤٩) بنحوه، وذكره البغوي، (٣/ ٤٨٢)، وابن عطية (٤/ ٣٣٥ـ ٣٣٦)، والسيوطي (٥/ ٢٩٨)، بنحوه، وعزاه لابن جرير عن ابن عباس.

وقوله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً...﴾ الآية، إقامة الوجه: هي تقويم المقصد والقوةِ على الجِدِّ في أعمال الدين. وخص الوجه؛ لأنه جامع حواس الإنسان؛ ولشرفه. و﴿فطرت اللّه﴾ نَصْبٌ على المصدر.

وقيل: بفعل مضمر تقديره: اتبع أو التزم فطرة اللّه، واختُلِفَ في الفطرة ها هنا، والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظةِ أَنها الخِلْقَةُ والهَيْئَةُ التي في نفسِ الطفلِ التي هي مُعَدَّةٌ مُهَيَّئَةٌ لأَنْ يَمِيزَ بها مصنوعات اللّه، ويستدلَّ بها على ربِّهِ، ويعرف شرائعه؛ ويؤمن به، فكأنه تعالى، قال: أقم وَجْهَك للدِّينِ الذي هو الحنيفُ، وهو فطرة اللّه الذي على الإِعداد له فُطِرَ البشرِ؛ لكن تعرضهم العوارضُ؛ ومنه قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ...» الحديث[1] ـ، ثم يقول:

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٤٩٣) كتاب القدر: باب الله أعلم بما كانوا عاملين، الحديث (٦٥٩٩)، ومسلم (٤/ ٢٠٤٨): كتاب القدر: باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، الحديث (٢٥/ ٢٦٥٨)، وأبو داود (٥/ ٨٦): كتاب السنة: باب في ذراري المشركين، الحديث (٤٧١٤)، والترمذي (٣/ ٣٠٣): كتاب القدر: باب كل مولود يولد على الفطرة، الحديث (٣٢٢٣)، ومالك (١/ ٢٤١): كتاب الجنائز: باب جامع الجنائز، الحديث (٥٢)، وأحمد (٢/ ٢٣٣)، والحميدي (٢/ ٤٧٣)، رقم (١١١٣)، وعبد الرزاق (٢٠٠٨٧)، وأبو يعلى (١١/ ١٩٧)، رقم (٦٣٠٦) وابن حبان (١٢٨، ١٣٠)، وأبو نعيم في «**الحلية**» (٩/ ٣٢٨)، من حديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: كل مولود يولد على الفطرة؛ فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج الإبل جمعاء، هل تحس فيها من جدعاء، قالوا: يا رسول الله: أرأيت الذي يموت وهو صغير، قال: الله أعلم بما كانوا عاملين.
ولفظ مسلم مصدراً بلفظ: كل إنسان تلده أمه على الفطْرة، وأبواه بعد يهودانه وينصرانه ويمجسانه، فإن كانا مسلمين فمسلم، كل إنسان تلده أمه، يلكز الشيطان في حضنيه إلا مريم وابنها.
وفي الباب عن جابر والأسود بن سريع وابن عباس وسمرة بن جندب.
ـ حديث جابر:
أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٣) من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن الحسن عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فإذا عبر عنه لسانه إما شاكراً وإما كفوراً».
وذكره الهيثمي في «**المجمع**» (٧/ ٢٢١) وقال: رواه أحمد وفيه أبو جعفر الرازي وهو ثقة وفيه خلاف وبقية رجاله ثقات.
ـ حديث الأسود بن سريع:
أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٥)، وابن حبان (١٦٥٨ـ موارد)، وأبو يعلى (٢/ ٢٤٠) رقم (٩٤٢)، والطبراني في «**الكبير**» (١/ ٢٨٣) رقم (٨٢٨)، والطحاوي في «**مشكل الآثار**» (٢/ ١٦٣) من حديث الأسود بن سريع بمثل حديث جابر.
وذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (٥/ ٣١٩) وقال: رواه أحمد بأسانيد والطبراني في «**الكبير**» و«**الأوسط**»... وبعض أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح.
=

﴿فِطْرَتَ اللَّهِ. . .﴾ الآية، إلى ﴿القيم﴾ فذكرُ الأبوين إنما هما مثالٌ للعَوارِض التي هي كثيرة. وقال البخاريُّ: فِطْرَةُ اللَّهِ: هِيَ الإِسْلاَمُ[١]، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿لا تبديل لخلق اللَّه﴾ يحتمل أنْ يريدَ بها هذه الفطرةَ، ويحتمل أن يريدَ بها الإنحاء على الكفرة؛ اعترض به أثناء الكلام؛ كأنه يقول: أقم وجهَك للدين الذي من صفته كذا وكذا، فإنَّ هؤلاءِ الكفرةَ قد خَلَقَ اللَّه لهم الكُفرَ، و﴿لا تبديل لخلق اللَّه﴾، أي: أنهم لا يفلحون، وقيل غيرُ هذا، وقال البخاري: ﴿لا تبديل لخلق اللَّه﴾ أي: لدين اللَّه، وخُلُق الأولين: دينُهم. انتهى. و﴿القَيِّم﴾ بناءُ مبَالَغَةٍ مِنَ القيام الذي هو بمعنى الاستقامة، و﴿منيبين﴾ يحتمل أنْ يكونَ حالاً من قوله ﴿فطر الناس﴾ لا سِيَّمَا عَلى رَأْيِ مَنْ رَأَى أَنَّ ذلكَ خصوصٌ في المؤمنين، ويحتمل أن يكون حالاً من قوله ﴿أقم وجهك﴾ وجمعه: لأن الخطاب بإقامة الوجه هو للنبي / ﷺ ولأمته نظيرها قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ ٦٦ ب
إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء﴾ [الطلاق: ١]. والمشركون المشار إليهم في هذه الآية: هم اليهودُ والنصارى؛ قاله قتادة[٢]، وقيل غير هذا.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ

= ـ حديث ابن عباس:
أخرجه البزار في «مسنده» (٢١٦٧ـ كشف). وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٢١) بلفظ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه».
وقال الهيثمي: رواه البزار وفيه ممن لم أعرفه غير واحد.
ـ حديث سمرة بن جندب:
أخرجه البزار (٢١٦٦ـ كشف) وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٢١)، وقال: رواه البزار وفيه عباد بن منصور وهو ضعيف. ونقل عن يحيى القطان أنه وثقه.

(١) ينظر: «البخاري» (٨/ ٣٧٢) كتاب التفسير: باب: ﴿لا تبديل لخلق اللَّه﴾.
(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ١٨٥) رقم (٢٧٩٧٣)، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٣٧)، والسيوطي (٥/ ٣٠٠)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم عن قتادة.

يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ
ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ
سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ
لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ
عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن
فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ
أَجْرَمُوا۟ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه...﴾ الآية، ابتداءُ إنحاءٍ على عَبَدَةِ الأَصْنام.

قال *ع[١]*: ويلحق من هذه الألفاظ شيءٌ للمؤمنين؛ إذا جاءهم فَرَجٌ بعد شدةٍ؛ فعلقوا ذلك بمخلوقين، أو بِحِذْقِ آرائهم، وغير ذلك؛ لأن فيه قلة شكر للّه تعالى؛ ويسمى تَشْرِيكاً مجازاً. والسلطانُ هنا البرهانُ من رسولٍ أو كتابٍ، ونحوه.

وقوله تعالى: ﴿فهو يتكلم﴾ معناه فهو يُظْهِر حجتَهم، ويغلبُ مذهبَهم، وينطق بشركهم. ثم قال تعالى: ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها...﴾ الآية، وكل أحد يأخذ من هذه الخُلُقِ بقسط، فالمقل والمكثر، إلا من ربطتِ الشريعةُ جأشَه، ونَهَجَتِ السنة سبيلَه، وتأدَّب بآداب اللّه، فصبر عند الضراء؛ وشكر عند السراء، ولم يَبْطَرْ عند النِّعْمَةِ، ولا قنط عند الابتلاءِ، والقَنَطُ: اليأسُ الصريحُ. ثم ذكر تعالى الأمر الذي من اعتبره؛ لم يَيْأَسْ من رَّوْح اللّه ـ وهو أنه سبحانه يَخُصُّ من يشاء من عبادهِ بِبَسْطِ الرزق، ويقدر على من يشاء منهم. فينبغي لكلِ عَبْدٍ أنْ يكونَ راجياً ما عند ربه. ثم أمر تعالى نبيَّه ـ عليه السلام ـ أمراً تَدْخُلُ فيه أمته ـ على جهة الندب ـ بإيتاء ذي القربى حقَّه من صلة المالِ، وحسنِ المعاشرة ولين القول، قال الحسن[٢]: حقه المواساةُ في اليُسْر، وقولٌ مَيْسُورٌ في العُسْرِ.

قال *ع[٣]*: ومعظمُ ما قُصِدَ أمرُ المعونةِ بالمال.

---

(١) ينظر: «المحرر» (٤/٣٣٧).
(٢) أخرجه الطبري (١٠/١٨٧) رقم (٢٧٩٧٦)، وذكره ابن عطية (٤/٣٣٨).
(٣) ينظر: «المحرر» (٤/٣٣٨).

وقرأ الجمهور: ﴿وما ءاتيتم﴾ بمعنى: أعطيتم، وقرأ ابن كثير[١] بغير مد، بمعنى: وما فعلتم، وأجمعوا على المد في قوله ﴿وما ءاتيتم من زكاة﴾ والربا: الزيادة.

قال ابن عباس[٢] وغيره: هذه الآية نزلت في هباتِ الثَّوابِ.

قال *ع[٣]*: وما جَرَى مَجْرَاها مما يصنعه الإنسان ليجازى عليه؛ كالسّلم وغيرِه، فهو وإن كانَ لاَ إثْمَ فيه؛ فَلا أجْرَ فيه ولاَ زيادة عند اللّه تعالى، وما أعْطَى الإنسَانُ تَنْمِيَةً لِمالِهِ وتطهيراً؛ يريدُ بذلك وَجْهَ اللّه تعالى؛ فذلك هُو الذي يُجَازَى به أضعَافاً مضَاعَفَةً على ما شاء اللّه له. وقرأ جمهور السبعةِ «ليربوا» بإسناد الفِعل إلى الربا، وقرأ[٤] نافعٌ وحدَه «لِتُرْبُوا» وباقي الآية بيِّن. ثم ذكر تعالى ـ على جهة العبرة ـ ما ظهرَ من الفسَادِ بسبب المعَاصي، قال مجاهد: البَرُّ البلاد البعيدة من البحر، والبحرُ السواحلُ والمدنُ التي على ضِفَّة البحرِ[٥]، وظهورُ الفساد فيهما: هو بارتفاعِ البركاتِ، ووقوعِ الرزايا، وحدوثِ الفتنِ وتغلب العدوّ، وهذه الثلاثةُ توجَد في البر والبَحر، قال ابن عباس: الفسادُ في البحر: انقطاع صَيْدِه بذَنوب بني آدم[٦]، وقلما توجد أمة فاضلةٌ مُطِيعَةٌ مُسْتَقِيمَةُ الأعمال؛ إلا يدفعُ اللّه عنها هذه الأمور، والأمرُ بالعكس في المعاصي، وبطر النعمة؛ ليذيقهم عاقبة بعض ما عملوا ويعفوا عن كثير. و﴿لعلهم يرجعون﴾، أي: يتوبون ويراجعونَ بصائرَهم فِي طاعةِ ربهِم؛ ثم حذَّر ـ تعالى ـ من يوم القيامةِ تحذيراً يَعُمُّ العالَمَ وإياهُمُ المقصد بقوله ﴿فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من اللّهِ﴾ الآية و﴿لاَ مَرَد له﴾: معناه:
٦٧ أ لَيْسَ فِيه رُجُوعٌ لِعَمَل، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُريد / لاَ يَرُدُّهُ رَادٌّ. وهذا ظاهر بحسبِ اللفظ و﴿يصدعون﴾: معناه: يَتَفَرَّقُونَ بعد جمعهم إلى الجنةِ وإلى النار. ثم ذكر تعالى من آياته أشياءَ وهي ما في الرِّيحِ من المنافِعِ وذلك أنها بشرى بالمطر ويُلَقِّحُ بها الشجر، وغير ذلك،

---

(١) ينظر: «السبعة» (٥٠٧)، و«الحجة» (٥/ ٤٤٦)، و«إعراب القراءات» (٢/ ١٩٦)، و«معاني القراءات» (٢/ ٢٦٤)، و«العنوان» (١٥١)، و«حجة القراءات» (٥٥٨)، و«إتحاف» (٢/ ٣٥٧).

(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ٣٣٩).

(٣) ينظر: «المحرر» (٤/ ٣٣٩).

(٤) فالتاء ها هنا للمخاطبين، والواو واو الجمع. وحجته أنها كتبت في المصاحف بألف بعد واو. وحجة الباقين قوله بعده: ﴿فلا يربو عند الله﴾.
ينظر: «حجة القراءات» (٥٥٩)، و«السبعة» (٥٠٧)، و«الحجة» (٥/ ٤٤٧)، و«إعراب القراءات» (٢/ ١٩٦)، و«معاني القراءات» (٢/ ٢٦٥)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٣٢)، و«العنوان» (١٥١)، و«شرح شعلة» (٥٤٠)، و«إتحاف» (٢/ ٣٥٧).

(٥) أخرجه الطبري (١٠/ ١٩٠ـ ١٩١) رقم (٢٧٩٩٧) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٤٠).

(٦) ذكره ابن عطية (٤/ ٣٤٠).

وتجري بها السفن في البحر. ثم آنسَ سبحانه نبيه عليه السلام بقوله: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات...﴾ الآية، ثم وعد تعالى محمداً عليه السلام وأمّته النصرَ بقوله: ﴿وكان حقًّا علينا نصر المؤمنين﴾ وحقاً خبر كانَ قدَّمه اهتماماً.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿اللّه الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً...﴾ الآية. الإثارةُ: تَحريكُها من سكونِها، وتَسْييرُها، وبَسْطُه في السماءِ هو نَشْرهُ في الآفاقِ، والكِسَفُ: القِطَع.

وقوله: ﴿من قبله﴾: تأكيدٌ أفادَ الإعلامَ بسرعةِ تقلبِ قُلوب البَشَرِ من الإبلاس إلى الاستبشارِ، والإبْلاسُ: الكَوْنُ فِي حالِ سُوءٍ مَعَ اليأس من زوالها.

وقوله تعالى: ﴿كيف يحيي﴾ الضميرُ في ﴿يحيي﴾ يُحْتَمَلُ أن يكونَ للأثرِ ويُحتَمَلُ أنْ يعودَ عَلَى اللّه تعالى وهو أظهر. ثم أخْبَرَ تعالى عَن حالِ تقلب بني إدمَ، في أنه بعد الاستبشار بالمطر، إن بعثَ اللّه ريحاً فاصفرَّ بها النباتُ؛ ظلوا يكْفرونَ قلقاً منهم وقِلَّة تسليم للَّه تعالى، والضمير في ﴿رأوه﴾ للنباتِ واللامُ في ﴿لئن﴾ مؤذِنة بمجيءِ القَسَمِ وفي ﴿لظلوا﴾ لامُ القَسَم.

وقوله تعالى: ﴿إنك لا تسمع الموتى...﴾ الآية: استعارةٌ للكُفّارِ وقد تقدم بيانُ ذلك في «سورة النمل».

﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿اللّه الذي خلقكم من ضعف﴾ قال كثير من اللغويين: ضَمُّ الضادِ في البدن، وفتحها في العقل، وهذه الآية إنما يراد بها حال الجِسم، والضُّعْفُ الأول هو: كونُ الإنسان من ماءٍ مهينٍ، والقوة بعد ذلك: الشَّبِيْبَةُ وشدة الأسْر، والضُّعْف الثَّانِي هوَ الهَرَمُ والشَيْخُوخَةُ، هذا قولُ قتادةَ وغيره[1] ورَوَى أبُو داودَ فِي «سننه» بسَنَدٍ صَحِيح، عَن عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عن أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قال: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «لاَ تَنْتِفُوا الشَّيْبَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَشِيبُ شَيْبَةً فِي الإِسْلاَمِ إِلاَّ كَانَتْ لَهُ نُوراً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[2]. وفي رواية «إِلاَّ كَتَبَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِهَا حَسَنَةً، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً»[3] انتهى.

ثم أخْبَرَ عز وجل عن يوم القيامة فقال: ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا﴾ أي: تحت التراب ﴿غير ساعة﴾ وقيل: المعنى: ما لبثوا في الدنيا كأنهم استقلوها. ﴿كذلك كانوا﴾ في الدنيا ﴿يؤفكون﴾ أي: يُصْرَفُونَ عن الحق.

قال *ص*: ﴿ما لبثوا﴾: جوابُ القسم على المعنى، ولو حُكِي قولهم لَكَانَ ما لبِثْنَا؛ انتهى. ثم أخْبَر تعالى أن الكفَرَة لاَ يَنْفَعهُمْ يومئذ اعتذارٌ ولا يُعْطَوْنَ عُتْبَىٰ، وهي الرِّضا وباقي الآية بيِّن، وللّه الحمدُ.

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١٩٨) رقم (٢٨٠٢٩)، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٤٣)، والسيوطي (٥/ ٣٠٥) بنحوه لابن جرير، وابن أبي حاتم عن قتادة.
(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٤٨٤) كتاب الترجل: باب في نتف الشيب، حديث (٤٢٠٢).
(٣) ينظر: الحديث السابق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ

تفسير «سُورَةِ لُقْمَانَ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

غَيْرَ آيتين قال قتادةُ: أولهما: ﴿ولو أن ما في الأرض﴾ إلى آخر الآيتين، وقال ابن عباس ثلاثٌ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦﴾.

قوله عزَّ وجل: ﴿الٓمٓ * تلك آيات الكتاب الحكيم * هدى ورحمة للمحسنين﴾: خصَّه للمحسنين من حيثُ لهم نفْعه، وإلا فهو هدًى في نفسه.

٦٧ ب وقوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ / رُوِيَ: أن الآيةَ نَزَلَتْ فِي شأن رجلٍ من قريش؛ اشترى جارية مغنيةً؛ لِتغنِّي له بهجاء النبي ﷺ.

وقيل: إنه ابن خطل.

وقيل: نَزَلَتْ في النضر بن الحارث، وقيل غيرُ هذا، والذي يترجح أن الآية نَزَلَتْ في لَهْوِ حَدِيثٍ مُضَافٍ إلى كُفر؛ فلذلك اشتدت ألفاظ الآية، و﴿لهو الحديث﴾ كل ما يُلهي من غناءٍ وخِناء. ونحوه، والآيةُ باقيةُ المعْنَى في الأَمة غَابِرَ الدهرِ؛ لكنْ ليسَ ليضلوا عن سبيل اللّه، ولا ليتخذوا آياتِ اللّه هزواً، ولا عليهم هذا الوعيد؛ بل ليعطلوا عبادةً، ويقطعوا زمناً بمكروه.

قال ابن العربي[1] في «أحكامه»: ورَوَى ابن وهبٍ عن مالكٍ عن محمدِ بن المنكدرِ:

---

(١) ينظر: «أحكام القرآن» (٣/ ١٤٩٣).

أنَّ اللّه تعالى يقول يوم القيامة: أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم وأسماعهم عن اللهو ومزامير الشيطان؛ أدخلوهم في أرض المسك، ثم يقول اللّه تعالى للملائكة: أسمعوهم ثنائي وحمدي؛ وأخبروهم أن لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون. انتهى.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾.

وقوله عزَّ وجل: ﴿وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم﴾ الوَقْرُ في الأذن: الثِّقَلُ الذي يَعْسُر معه إدراك المَسْمُوعَاتِ، و«الرواسي»: هي الجبالُ و«المَيْد»: التحرك يَمْنَةً ويَسْرَةً، وما قرب من ذلك، والزوج: النوع والصنف. و﴿كريم﴾: مدحه بكرم جَوْهره، وحُسْن منظرِه، وغير ذلك. ثم وقف تعالى الكفرةَ على جهة التوبيخ فقال: ﴿هذا خلق اللّه فأروني ماذا خلق الذين من دونه﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ اختلف في لقمان؛ هل هو نبيٌّ أو رجلٌ صالح فقط، وقال ابن عمر: سمعت النبي ﷺ يقول: «لَمْ يَكُنْ لُقْمَانُ نَبِيًّا؛ وَلَكِنْ كَانَ عَبْداً كَثِيرَ التَّفْكِيرِ، حَسَنَ اليَقِينِ، أَحبَّ اللّهَ فَأَحَبَّهُ، فَمَنَّ عَلَيْهِ بِالْحِكْمَةِ وَخَيَّرَهُ فِي أَنْ يَجْعَلَهُ خَلِيفَةً؛ يَحْكُمُ بِالْحَقِّ، فَقَالَ: رَبِّ إِنْ خَيَّرْتَنِي، قَبِلْتُ العَافِيَةَ، وَتَرَكْتُ البَلاَءَ، وَإِنْ عَزَمْتَ عَلَيَّ، فَسَمْعاً وَطَاعَةً، فَإِنَّكَ سَتَعْصِمُنِي، وَكَانَ قَاضِياً فِي بني إسرائيل نُوبِيًّا أَسْوَدَ، مشققَ الرِّجْلَيْنِ، ذا(١) مَشَافِر»، قاله سعيدُ بن المسيِّب(٢) وابن عباس(٣) وجماعة: وقال له رَجُلٌ ـ

(١) المشفَرُ والمَشْفَرُ للبعير: كالشفة للإنسان، وقد يقال للإنسان مشافر على الاستعارة. قال أبو عبيد: إنما قيل: مشافر الحبش تشبيهاً بمشافر الإبل.
ينظر: «لسان العرب» ٢٢٨٧، ٢٢٨٨.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/٢٠٨) رقم (٢٨٠٨٦)، وذكره ابن عطية (٤/٣٤٧)، وابن كثير (٣/٤٤٣)، والسيوطي (٥/٣١٠)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب.

(٣) أخرجه الطبري (١٠/٢٠٨) رقم (٢٨٠٨٥) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/٣٤٧)، وابن كثير (٣/٤٤٣)، والسيوطي (٥/٣١١) بنحوه، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن المنذر عن ابن عباس.

كان قد رَعَىٰ معه الغنم ـ: مَا بَلَغَ بِكَ يا لقمان مَا أَرَىٰ؟ قَالَ: صِدْقُ الحديثِ، وأداءُ الأَمانةِ، وتركِي ما لا يعنيني، وحِكَمُ لُقْمَانَ كثيرةٌ مأثُورَة.

قال ابن العربي في «أحكامه»[1]: ورَوَى عُلماؤُنا عن مالكٍ قال: قال لقمان لابنه: يا بُنَيَّ، إنَّ الناسَ قد تطاوَلَ عليهم ما يوعدون، وهم إلى الآخرةِ سِراعاً يذهبون، وإنك قد اسْتَدْبَرْت الدنيا مذ كنت، واستقبلت الآخرة مع أَنْفَاسِك، وإن داراً ستسير إليها؛ أقرب إليك من دار تخرج منها، انتهى.

وقوله: ﴿أن اشكر﴾ يجوز أن تكونَ «أنْ» في مَوضع نصب على إسقاط حرف الجر، أي: بأنِ اشْكُرْ للَّهِ ويجوز أن تكونَ مفسِّرَةً، أي: كانت حكمتُه دائرة على الشكر للَّه، وجميع العبادات داخلةٌ في الشكر للَّه عز وجل، و﴿حميد﴾ بمعنى: محمود، أي: هو مستحق ذلك بذاته وصفاته.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن﴾ هاتان الآيتان اعتراض أثناء وصية لقمان و﴿وهناً على وهن﴾ معناه ضعفاً على ضعف، كأنه قال: حملته أمه، والضَّعْفُ يتزيد بعد الضَّعْفِ إلى أن ينقضي أمده.

وقال *ص*: ﴿وهناً على وهن﴾ حالٌ من أمه أي شدة بعد شدة، أَوْ جَهْداً على جَهْدٍ، وقيل ﴿وهنا﴾ نطفةٌ، ثم علقةٌ، فيكونُ حالاً من الضميرِ المنصوبِ في ﴿جملته﴾. انتهى.

---

(١) ينظر: «أحكام القرآن» (٣/ ١٤٩٥).

وقوله تعالى: ﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾. ٦٨ أ

قال سفيان بن عُيَيْنَةَ: من صلى الصلواتِ الخمسَ فقد شكر اللّه تعالى، ومن دعا لوالديه في إدبار الصلوات فقد شكرهما.

وقوله سبحانه: ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي...﴾ الآية رُوِي أنَّ هاتين الآيتين نزلتا في شأن سَعْدِ بن أبي وقاص وأمه حَمْنَة بنْتِ أبي سفيانَ، على ما تقدم بيانُه، وجملةُ هذا البابِ؛ أن طاعةَ الأبوين لا تُراعى في ركوب كبيرةٍ، ولا في ترك فريضةٍ على الأعيان، وتلزم طاعتُهما في المباحاتِ وتستحسن في ترك الطاعات الندب.

وقوله سبحانه: ﴿واتبع سبيل من أناب إلي﴾ وصيةٌ لجميع العالم. وهذه سبيل الأنبياء والصالحين.

وقوله تعالى ـ حاكياً عن لقمان ﴿يا بني إنها إن تك مثقال حبة...﴾ الآية: ذكرَ كثيرٌ من المفسرين: إنه أراد مثقال حبة من أعمال المعاصي والطاعات، وبهذا المعنى يتحصل في الموعظة ترجيةٌ وتَخْويفٌ منضاف إلى تَبْيِينِ قدرة اللّه تعالى.

وقوله: ﴿واصبر على ما أصابك﴾ يَقْتَضِي حضاً على تغيير المنكر وإن نال ضرراً، فهو إشعارٌ بأن المغيِّر يؤذى أحياناً.

وقوله: ﴿إن ذلك من عزم الأمور﴾ يحتمل أن يُرِيْدَ مما عزمه اللّهُ وأَمَرَ بهِ، قاله ابن جريج[1]: ويحتمل أن يريدَ أنَّ ذلك من مكارم الأخلاق، وعزائم أهل الحزم السالكينَ طريقَ النجاةِ؛ قاله جماعة. والصَّعَرُ: الميْل، فمعنى الآية: ولا تُمِلْ خَدَّك للناس كِبْراً عليهم وإعجاباً واحتقاراً لهم؛ قاله ابن عباس[2] وجماعة. وعبارة البخاري: ولا تُصَاعِر، أي: لا تعرض، والتَّصَاعُر: الإعْرَاضُ بالوجه؛ انتهى. والمَرَحُ: النَّشَاط، والمشي مَرَحاً: هو في غير شُغْل، ولغير حاجة، وأهل هذه الخُلُقِ ملازمون للفخر والخُيَلاَءِ، فالمَرِحُ مختال في مَشْيه، وقد ورد من صحيح الأحاديث في جميع ذلك وعيدٌ شديدٌ يطول بنا سردُهُ.

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٢١٤) رقم (٢٨١٠٨) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٥١)، والسيوطي (٥/ ٣٢٠) بنحوه، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر عن ابن جريج.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٢١٤ـ ٢١٥) رقم (٢٨١٠٩)، (٢٨١١٠) بنحوه، وذكره البغوي (٣/ ٤٩٢)، وابن عطية (٤/ ٣٥١)، والسيوطي (٥/ ٣٢٠) بنحوه، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

قال عياضٌ: كان أبو إسحاقَ الجبنياني قَلَّ ما يتركُ ثَلاَثَ كَلِماتٍ؛ وفيهن الخيرُ كلُّه: اتَّبِعْ وَلاَ تَبْتَدِعْ، اتَّضِعْ وَلاَ تَرْتَفِعْ، مَنْ وَرِعَ لا يَتَّسِعْ، انتهى. وغضُّ الصوتِ أوقرُ للمتكلم وأبسطُ لنفس السامع وفهمِه، ثم عَارَضَ ممثلاً بصوت الحَمِير على جهة التشبيه، أي: تلك هي التي بَعُدت عن الغَض فهِي أنكَرُ الأصوات، فكذلك ما بعُد عن الغَضّ من أصوات البشر؛ فهو في طريقِ تلك، وفي الحديث: «إِذَا سِمِعْتُم نَهِيقَ الحَمِيرِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّهَا رَأَتْ شَيْطاناً».

وقال سفيانُ الثوري: صياح كل شيءٍ تسبيحٌ إلا صياحُ الحمير.

ت: ولفظ الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيكَةِ فاسألوا اللّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكاً، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمَارِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّهُ رَأَىٰ شَيْطَاناً»[1]، رواه الجماعة إلا ابن ماجَهْ. وفي لفظ النسائي: «إِذَا سَمِعْتُمُ الدِّيكَةَ تَصِيحُ بِاللَّيْلِ»، وعن جابرٍ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمْ نِبَاحَ الْكِلاَبِ وَنَهِيقَ الْحَمِيرِ مِنَ اللَّيْلِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ فَإِنَّهَا تَرَىٰ مَا لاَ تَرَوْنَ، وَأَقِلُّوا الْخُرُوجَ إِذَا جَدَّتْ؛ فَإِنَّ اللّهَ يَبُثُّ فِي لَيْلِهِ مِنْ خَلْقِهِ مَا يَشَاءُ»[2]. رواه أبو داود والنسائي والحاكم في «**المستدرك**». واللفظ له، وقال: صحيح على شرط مسلم؛ انتهى من «**السلاح**».

٦٨ ب / وقوله تعالى: ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾.

قال المُحَاسبيُّ ـ رحمه اللّه ـ الظاهرة: نعم الدنيا، والباطنةُ: نعم العقبى. والظاهر عندي التعميمُ. ثم وقف تعالى الكفَرَة على اتِّبَاعِهِم دين آبائِهِم أيكونُ وهم بحالٍ من يصير

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٤٠٣) كتاب بدء الخلق: باب وبث فيها من كل دابة، حديث (٣٣٠٣)، ومسلم (٤/ ٢٠٩٢) كتاب الذكر والدعاء: باب استحباب الدعاء عند صياح الديك، حديث (٨٢/ ٢٧٢٩)، وأبو داود (٢/ ٧٤٨) كتاب الأدب: باب ما جاء في الديك والبهائم، حديث (٥١٠٢)، والترمذي (٥/ ٥٠٨) كتاب الدعوات: باب ما يقول إذا سمع نهيق الحمار، حديث (٣٤٥٩)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٩٤٣، ٩٤٤)، وأحمد (٢/ ٣٢١)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٤٢٠)، وابن حبان (٣/ ٢٨٥ـ ٢٨٦) رقم (١٠٠٥)، والبغوي في «**شرح السنة**» (٣/ ١٢٦ـ بتحقيقنا) كلهم من طريق الأعرج عن أبي هريرة به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٧٤٨ـ ٧٤٩) كتاب الأدب: باب نهيق الحمار ونباح الكلاب، حديث (٥١٠٣)، وأحمد (٣/ ٣٠٦)، والحاكم (٤/ ٢٨٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢٣٤)، وأبو يعلى (٤/ ١٥٥) رقم (٢٢٢١)، وابن حبان (١٩٩٦ـ موارد)، وابن خزيمة (٢٥٥٩) من حديث جابر.

إلى عذاب السعير، فكأنّ القائل منهم يقول: هم يتبعون دين آبائهم ولو كان مصيرهم إلى السعير. فدخلت ألف التوقيف على حرف العطف؛ كما كان اتّساقُ الكلام فيه؛ فتأمله.

﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿ومن يسلم وجهه إلى اللّه﴾ معناه يُخْلِصُ ويُوَجِّهُ ويستسلمْ به، والوجه هنا: الجارحة، اسْتُعِيْرَ للمقصِد؛ لأنَّ القاصدَ إلى شيء فهو مستقبله بوجهه، فاستعيرَ ذلك للمعاني، والمحسنُ: الذي جَمَعَ القولَ والعمل، وهو الذي شَرَحه ﷺ حين سأله جبريل ـ عليه السلام ـ عن الإحسان. والمتاعُ القليلُ هنا هو العمر في الدنيا .ـ وقوله: ﴿قل الحمد للّه﴾ أي: على ظهور الحجة.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام...﴾ الآية. روي عن ابن عباس: أن سببَ نزولها أن اليهودَ قالت: يا محمد؛ كيف عَنَيْتَنا بهذا القول ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥] ونحن قد أُوتينا التوراةَ تِبْيَاناً لكل شيء؟ فنزلت الآية[1]، وقيل غير هذا.

قال *ع[2]*: وهذه الآية بَحْرُ نظرٍ وفكرةٍ، نَوَّرَ اللّه قلوبَنا بهداه.

---

(١) ذكره ابن عطية (٤/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤)، وابن كثير (٣/ ٤٥١)، والسيوطي (٥/ ٣٢٢)، وعزاه لابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) ينظر: «المحرر» (٤/ ٣٥٤).

وقوله تعالى: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ أي: لأنه كله بـ «كن فيكون»، قاله مجاهد[١].

وقوله تعالى: ﴿كل يجري إلى أجل مسمى﴾ يريد: القيامة.

وقوله: ﴿بنعمت اللّه﴾ يحتمل أن يريدَ ما تحمله السفنُ من الطَّعامِ والأرزاقِ والتجاراتِ، فالباء: للإِلْزَاقِ، ويحتمل أن يريدَ بالريح وتسخيرِ اللّه البحرَ ونحوَ هذا، فالباءُ باءُ السببِ. وذكر تعالى من صفات المؤمن الصبَّارَ والشَّكُورَ؛ لأنهما عُظْمُ أخلاقه، الصبرُ على الطاعاتِ وعلى النوائبِ، وعن الشهواتِ، والشكرُ على الضراءِ والسراءِ. وقال الشعبي: الصبرُ نصفُ الإيمانِ، والشكرُ نصفُه الآخرُ، واليقينُ الإيمان[٢] كله. و«غَشِيَ» غطَّى أو قارَب، والظُّلَل: السحابُ.

وقوله تعالى: ﴿فمنهم مقتصد﴾.

قال الحسن: منهم مؤمن[٣] يعرف حق اللّه في هذه النعم، والختَّار القبيحُ[٤] الغَدْرِ، وذلك أن مِنَن اللّه على العباد كأنها عهود ومَنْ يلزمَ عنها أداء شكرها، والعبادةُ لمسديها، فمن كفر ذلك وجحد به، فكأنه ختر وخان، قال الحسن: الختارُ هو الغدار[٥]. و﴿كفور﴾: بناء مبالغة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿يأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده...﴾ الآية يَجزِي مَعْنَاه يَقْضِي، والمعنى: لا ينفعه بشيء، وقرأ الجمهور: «الغَرور»[٦]: ـ بفتح

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٢٢) رقم (٢٨١٥١)، وذكره السيوطي (٥/ ٣٢٤)، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن جرير وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٢٣) رقم (٢٨١٥٧) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٥٥).

(٣) في جـ: من.

(٤) ذكره ابن عطية (٤/ ٣٥٥).

(٥) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٢٤ـ ٢٢٥) رقم (٢٨١٦٢)، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٥٦).

(٦) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ١٨٩)، و«الدر المصون» (٥/ ٣٩٢).

الغَيْنِ ـ وهو الشيطانُ؛ قاله مجاهد[١] وغيره، واعلم أيها الأخ أنّ مَنْ فَهِمَ كَلامَ رَبِّه وَرُزِقَ التوفيقَ لم يَنْخَدِعْ بغُرورِ الدنيا وزخرفها الفاني؛ بَل يَصْرِفُ هِمَّتَه بالكُلِّيَّةِ إلى التزود لآخرته؛ ساعياً في مَرْضَاةِ ربه، وأنَّ مَنْ أيقنَ أنَّ اللّهَ يطلبُه صَدَقَ الطلبَ إليه، كما قاله الإمام العارف باللّه ابن عطاء اللّه. وإنه لا بد لبناءِ هذا الوجودِ أن تَنْهَدِمَ دعائمُه وأن تسلب كرائِمهُ، فالعاقل؛ من كان بما هو أبقى أفرح منه بما هو يفنى، قد أشرق نورُه وظهرت تباشيرُه، فَصَدَفَ عن هذه الدار مُغْضِياً، وأعرض عَنها مولياً، فلم يتخذْها وطناً، ولا جعلها / ١٦٩ أ سكناً؛ بل أَنْهَضَ الهِمَّةَ فيها إلى اللّهِ تعالى وَصَارَ فِيهَا مُسْتَعِيناً به في القدوم عليه، فما زالت مطيةُ عَزْمِهِ لا يَقِرُّ قرارُها. دائماً تَسْيَارُهَا، إلى أن أناخَتْ بِحَضْرَةِ القُدسِ، وبساطِ الأُنْسِ، انتهى.

وَروِيْنَا في «**جامع الترمذي**» عن أبي أُمَامَةَ عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَغْبَطَ أَوْلِيَائِي عِنْدِي لَمُؤْمِنٌ خَفِيفُ الحَاذِ ذُو حَظٍّ مِنَ الصَّلاَةِ، أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ، وَأَطَاعَهُ فِي السِّرِّ، وَكَانَ غَامِضاً فِي النَّاسِ؛ لاَ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالأَصَابِعِ، وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافاً؛ فَصَبَرَ عَلَىٰ ذَلِكَ، ثُمَّ نَفَضَ بِيَدِهِ فَقَالَ: عُجِّلَتْ مَنِيَّتُهُ، قَلَّتْ نَوَائِحُهُ؛ قَلَّ تراثه»، قال أبو عيسَىٰ: وبهذا الإسنادِ عَنِ النبيِّ ﷺ قال: «عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ[٢] مَكَّةَ ذَهَباً، قُلْتُ: لاَ، يَا رَبِّ، وَلَكِن أَشْبَعُ يَوماً وَأَجُوعُ يَوْماً، أَوْ قَالَ: ثَلاثاً أَوْ نَحوَ هَذَا، فَإِذَا جُعْتُ، تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ، وَإِذَا شَبِعْتُ شَكَرْتُكَ وَحَمِدْتُكَ»[٣]. قال أبو عيسَىٰ: هذا حَديثٌ حسنٌ، وفي الباب عن فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ، انتهى. والغُرُورُ: التَّطْمِيعُ بما لا يَحْصُلُ. وقال ابن جُبَيْرٍ: معنى الآية: أن تَعملَ المعصيةَ وتَتَمَنَّى المغفرة[٤]، وفي الحديثِ الصحيح: عَنْهُ ﷺ قَالَ: «خَمْسٌ مِنَ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إلاَّ اللّهُ تَعَالَىٰ؛ وتلا الآية: ﴿إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعةِ وينزِّلُ الغيثَ...﴾ إلى آخرها»[٥]. قال أبو حيَّان: ﴿بأي أرض﴾: ـ الباء ظَرْفِيةٌ والجملة في موضع نَصْبٍ ـ بـ ﴿تَدْرِي﴾. انتهى.

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٢٥) رقم (٢٨١٦٩)، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٥٦)، وابن كثير (٣/ ٤٥٣).
(٢) هو مَسِيلُ واديها. ينظر: «**النهاية**» (١/ ١٣٤).
(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٧٥) كتاب الزهد: باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن.
(٤) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٢٦) رقم (٢٨١٧٢)، وذكره البغوي (٣/ ٤٩٦)، وابن عطية (٤/ ٣٥٦)، والسيوطي (٥/ ٣٢٥)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير عن سعيد بن جبير.
(٥) **تقدم تخريجه.**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صَلَّى اللّٰهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ

تَفسِيرُ «سُورَةِ السَّجْدَةِ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ غَيْرَ ثَلاَثِ آيَاتٍ نَزَلَتْ بِالمَدِينَةِ

وهي قوله تعالى: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً﴾ إلى تمام ثلاث آيات.

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤﴾.

قال جابر: ما كان رسول الله ﷺ ينام حتى يقرأ: ﴿الٓمٓ﴾ السجدة، و﴿تبارك الذي بيده الملك﴾. و﴿تنزيل﴾ يَصح أن يَرْتَفِعَ بالابتداء، والخبر: ﴿لا ريب﴾، ويَصحُّ أن يرتفع على أنه خبر مبتدإٍ محذوفٍ، أي: ذلك تنزيل، والريبُ: الشك، وكذلك هو في كل القرآن إلا قوله ﴿ريب المنون﴾ [الطور: ٣٠].

وقوله: ﴿أم يقولون﴾ إضرابٌ؛ كأنَّه قال: بل أيقولون: ثم ردَّ على مقالتِهم وأخبَرَ أنّه الحقُّ من عند الله.

وقوله سبحانه: ﴿ما آتاهم﴾ أي: لم يُبَاشِرْهم ولا رأوه هم ولا آباؤهم العربُ.

وقوله تعالى: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ [فاطر: ٢٤] يعم من بُوشِر من النذُر ومَنْ سَمِع بهِ، فالعربُ مِن الأمم التي خلت فيها النذر على هذا الوجه، لأنها علمت بإبرَاهيم وبنيه، وبدعوتهم، ولم يأتهم نذيرٌ مباشرٌ لهم سوى محمد ﷺ.

وقال ابن عباس ومقاتل[1]: المعنى: لم يأتهم نذير في الفترة بين عيسى ونبينا محمد ﷺ.

(١) ذكره البغوي (٣/٤٩٧)، وابن عطية (٤/٣٥٧).

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض...﴾ الآية، الأمر اسم جنسٍ لجميعِ الأمور، والمعنى يُنَفِّذُ سُبْحَانه قضاءَه بجميع ما يشاءه، ثم يعرج إليه خبرُ ذلك في يوم من أيام الدنيا؛ مقداره أن لو سِيرَ فيه السيرَ المعروف من البشر ألف سنة، أي: نزولاً وعروجاً لأن مَا بين السماء والأرض خمس مائة سنة، هذا قول ابن عباس[١] ومجاهد[٢] وغيرهما.

وقيل: المعنى: يدبر الأمر من السماء إلى الأَرض في مدة الدنيا، ثم يعرج إليه يوم القيامة، ويوم القيامة مقداره ألف سنة من عَدِّنا، وهو على الكفار قَدْرُ خمسينَ ألفِ سنة. وقيل: غَيْرَ هذا، وقرأ الجمهور / : «الذي أحسن كل شيء خلَقَه»: ـ بفتح اللام ـ ٦٩ ب على أنه فعلٌ ماضٍ، ومعنى: «أحسن»: أَتْقَنَ وأحْكَمَ فهو حَسَن من جهة مَا هو لمقاصِده التي أريدَ لها، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: «خَلْقه»[٣]: ـ بسكون اللام ـ. وذهب بعض الناس على هذه القراءة إلى أن: «أحسن» هنا معناه: أَلْهَمَ، وأن هذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ [طه: الآية ٥٠]. أي: أَلْهَمَ. والإنسانُ هنا آدم ـ عليه السلام ـ، والمَهِينُ: الضعيف، ﴿ونفخ﴾: عبارة عن إفاضَةِ الرُّوحِ في جَسَدِ آدم عليه السلام والضميرُ في ﴿روحه﴾ للَّهِ تعالى، وهي إضافة مُلْكٍ إلى مَالِكٍ وخَلْقٍ إلَى خَالِقٍ، ويُحْتَمل أن يكونَ الإنسانُ في هذه الآية اسمَ جنسٍ و﴿قليلاً﴾ صِفَةٌ لِمصدرٍ محذوف.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٣١) رقم (٢٨١٩١)، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٥٨)، والسيوطي (٥/ ٣٣١)، بنحوه وعزاه لابن جرير عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٣٠) رقم (٢٨١٨٧)، وذكره البغوي (٣/ ٤٩٧ـ ٤٩٨) بنحوه، وابن عطية (٤/ ٣٥٨)، وابن كثير (٣/ ٤٥٧)، والسيوطي (٥/ ٣٣١)، وعزاه لابن جرير عن مجاهد.

(٣) ينظر: «السبعة» (٥١٦)، و«الحجة» (٥/ ٤٦٠)، و«معاني القراءات» (٢/ ٢٧٣)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٤٠)، و«العنوان» (١٥٣)، و«شرح شعلة» (٥٤٣)، و«إتحاف» (٢/ ٣٦٦)، و«حجة القراءات» (٥٦٧).

رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَأٓتَيْنَا
كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟
بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا
يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وقالوا أءذا ضللنا في الأرض﴾ أي: تَلَفْنَا وَتَقَطَّعَتْ أَوْصَالُنَا، فذهبنا في التراب حَتَّى لَمْ نُوجَدْ؛ ﴿إِنَّا لفي خلق جديد﴾ أي: أَنُخْلَقُ بَعْدَ ذلك خَلقاً جديداً؛ إنكاراً منهم للبعثِ واستبعاداً له، و﴿يتوفاكم﴾ معناه يَسْتَوفِيكم؛ رُوِيَ عَن مجاهِدٍ: أن الدنْيَا بَيْنَ يَدَيْ مَلَكِ المَوتِ كالطَّسْتِ بَيْنَ يَدَي الإنْسَانِ يأخُذُ مِنْ حَيثُ أُمِرَ(١).

وقوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم﴾ الآية تَعْجِيبٌ لمحمَّد عليه السلام وأمته من حالِ الكفرةِ، ومَا حَلَّ بهم، وجوابُ ﴿لو﴾ محذوفٌ؛ لأنَّ حذفَه أَهْوَلُ في النفوس، وتنكيسُ رؤوسهم هو من الذل واليأسِ والهَمِّ بحلُول العذابِ. وقولهم ﴿أبصرنا وسمعنا﴾ أي: ما كنا نُخْبَرُ به في الدنيا، ثم طلبوا الرَّجْعَةَ حينَ لاَ يَنْفَعُ ذَلِكَ. ثمَّ أَخْبَرَ تعالى عن نَفْسِهِ أنَّه لو شَاء لهدى الناس أجمعين؛ بأن يَلْطُفَ بهم لُطْفاً يؤمنونَ به، ويخترعِ الإيمانَ في نفوسهم، هذا مذهبُ أهلِ السُّنَّةِ، و﴿الجنة﴾: الشياطينُ، و﴿نسيتم﴾ معناه: تركتم؛ قاله ابن عباس(٢) وغيره.

وقوله: ﴿إنا نسيناكم﴾ سَمَّى العقوبة باسم الذنب. ثم أَثْنَى سبحانه على القوم الذين يؤمنون بآياته، ووصَفَهم بالصفة الحُسْنَى من سجودهم عند التذكير، وتسبيحِهم وعدمِ استكبارهم.

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا
تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ
فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ
﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ
ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٣٦) رقم (٢٨٢١٦)، وذكره البغوي (٣/ ٤٩٩)، وابن عطية (٤/ ٣٦٠)، وابن كثير (٣/ ٤٥٨).
(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٣٧) رقم (٢٨٢٢١)، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٦١).

وقوله تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع...﴾ الآية، تَجافَى الجنبُ عن موضِعِه إذا تَرَكه، قال الزجاج وغيره: التَّجافِي التَّنَحِّي إلى فوق.

قال *ع[1]*: وهذا قول حسن، والجنوبُ جَمْعُ جَنْبٍ، والمضاجِعُ مَوْضِع الاضْطجَاع للنوم.

ت: وقال الهرَوِيُّ: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ أي: ترتفعُ وتَتَباعَدُ، والجَفاء بَيْن النَّاسِ هُو التَّبَاعُدُ، انتهى. وَرَوَى البُخَاري بسنَدِهِ عن أبي هريرة أن عَبدَ اللّه بن رَوَاحَةَ - رَضِيَ اللّه عنه - قَالَ: [الطويل]

وَفِينَا رَسُولُ اللّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ ... إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الفَجْرِ سَاطِعُ
أَرَانَا الهُدَىٰ بَعْدَ العَمَىٰ فَقُلُوبُنَا ... بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ
يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ ... إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالكَافِرِينَ المَضَاجِعُ

انتهى. وجمهور المفسرين: على أن المرادَ بهذا التجافي صلاةُ النوافلِ بالليلِ.

قال *ع[2]*: وعلى هذا التأويل أكثَرُ الناسِ، وهو الذي فيه المدحُ وفيه أحاديثُ عن النبي ﷺ يَذكر عليه السلام قِيامَ الليل؛ ثم يستشهدُ بالآية؛ ففي حديثِ معاذٍ «أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِىءُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِىءُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلاَةُ الرَّجُلِ
١٧٠أ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، ثم قَرَأَ ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ / ، حَتَّى بَلَغَ ﴿يعملون﴾» رَواه الترمذي[3]، وقال: حديث حسن صحيح؛ ورَجَّحَ الزَّجَاجُ[4] ما قاله الجمهور بأنهم: جُوزُوا بإخفاءٍ، فَدَلَّ ذلك على أن العَمَلَ إخْفَاءٌ أيضاً، وهو قيامُ الليل ﴿يدعون ربهم خوفاً﴾ أي: من عذابه ﴿وطمعاً﴾، أي: في ثوابه.

---

(١) ينظر: «المحرر» (٤/ ٣٦٢).
(٢) ينظر: «المحرر» (٤/ ٣٦٢).
(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ١١- ١٢) كتاب الإيمان: باب ما جاء في حرمة الصلاة، حديث (٢٦١٦)، وابن ماجه (٢/ ١٣١٤- ١٣١٥) كتاب الفتن: باب كف اللسان في الفتنة، حديث (٣٩٧٣)، والنسائي في «التفسير» (٤١٤)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، والحاكم (٢/ ٧٦، ٤١٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٣٠- ١٣١) رقم (٢٦٦) من طرق عن ابن مسعود.
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٣٧)، وزاد نسبته إلى ابن نصر في «كتاب الصلاة»، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان».
(٤) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٠٧).

قال ※ص※: ﴿تتجافى﴾ أعربه أبو البقاء: حالاً، و﴿يدعون﴾: حالٌ أو مُسْتَأنَفٌ و﴿خوفاً وطمعاً﴾: مَفْعُولاَن من أجله أو مصدران في موضع الحال؛ انتهى. وفي «**الترمذي**» عن معاذ بن جَبَلٍ قال: قلتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَىٰ مَنْ يَسَّرَهُ اللّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ؛ تَعْبُدُ اللّهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رمضَانَ، وتَحُجُّ البَيْتَ، ثمَّ قَالَ: أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَبْوَابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، والصَّدَقَةُ تُطْفِىءُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِىءُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلاَةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، ثم تَلاَ: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿يعملون﴾. ثم قال: أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ، يَا رَسُولَ اللّهِ. قال: رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ، ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمَلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، وَقَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟! فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!»[(١)] قال الترمذيُّ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. انتهى.

وقرأ حمزةُ وحده[(٢)]: «أُخْفِيْ» ـ بسكون الياء كأنه قال: أُخْفِيْ أَنَا. وقرأ الجمهور «أُخْفِيَ» ـ بفتح الياء ـ، وفي معنى هذه الآية قال ﷺ: «قال اللّه ـ عز وجل ـ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ ذُخْراً بَلْهَ مَا أَطْلَعْتُمْ عَلَيْهِ، وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نفس ما أخفي لهم من قرة أعين...﴾ الآية» انتهى.

قال القرطبيُّ في «**تذكرته**»[(٣)]: «وبَلْهَ» معناه: غَيْر، وقيل: هو اسم فِعْلٍ بمعنى دَعْ، وهذا الحديث خَرَّجه البخاري، وغيره[(٤)].

---

(١) ينظر: الحديث السابق.

(٢) ينظر: «**السبعة**» (٥١٦)، و«**الحجة**» (٥/ ٤٦٣)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ٢٧٤)، و«**شرح الطيبة**» (٥/ ١٤٠)، و«**العنوان**» (١٥٣)، و«**حجة القراءات**» (٥٦٩)، و«**شرح شعلة**» (٥٤٣)، و«**إتحاف**» (٢/ ٣٦٧).

(٣) ينظر: «**التذكرة**» للقرطبي (٢/ ٥٩٥).

(٤) أخرجه البخاري (٨/ ٣٧٥) كتاب التفسير: باب ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ حديث (٤٧٧٩)، ومسلم (٤/ ٢١٧٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها، حديث (٢/ ٢٨٢٤)، والترمذي (٥/ ٣٤٦ـ ٣٤٧) كتاب التفسير: باب «ومن سورة السجدة»، حديث (٣١٩٧)، والطبري في «**تفسيره**» (١٠/ ٢٤٣) رقم (٢٨٢٥٣، ٢٨٢٥٤)، وأحمد (٢/ ٣١٣)، والحميدي (٢/ ٤٨٠)، وهناد في «**الزهد**» رقم (١، ٢) من حديث أبي هريرة.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٣٣٩)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن الأنباري.

ت: وفي رواية للبخاري: قال أبو هريرة: وَٱقْرَؤوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ...﴾[(١)] الآية. انتهى.

وقال ابن مسعودٍ: في التوراة مكتوبٌ «عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ»[(٢)]، وباقي الآية بَيِّن؛ والضمير في قوله تعالى: ﴿ولنذيقنهم﴾ لكفار قريش، ولا خلافَ أن العذابَ الأكبرَ هو عذابُ الآخرةِ، واخْتُلِفَ في تَعْيين العذاب الأَدْنَى؛ فقيل هو السنون التي أجاعَهم اللّه فيها، وقيل هو مصائبُ الدنيا من الأمراض؛ ونحوها، وقيل هو القَتْل بالسَّيْف كَبَدْرٍ وغيرها.

وقوله سبحانه: ﴿إنا من المجرمين منتقمون﴾ ظاهر الإجرام هنا أنه الكفر، وروى معاذ بن جبل عن النبيِّ ﷺ: أنه قال: «ثَلاَثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ، فَقَدْ أَجْرَمَ: مَنْ عَقَدَ لِوَاءً فِي غَيْرِ حَقٍّ، وَمَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ، وَمَنْ نَصَرَ ظَالِماً»[(٣)].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه﴾ اخْتُلِفَ فِي الضمير الذي في ﴿لقائه﴾ على من يعود؟ فقال قتادة وغيره: يعود على موسى، والمعنى: فلا تكن يا محمد، في شك من أنك تلقى موسى، أي: في ليلة الإسراء، وهذا قول جماعة من السلف، وقالت فرقة: الضميرُ: عائد على الكتابِ، أي: فلا تكن في شك من لقاء موسى للكتاب.

---

(١) ينظر: الحديث السابق.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٤٢) رقم (٢٨٢٤٧)، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٦٣)، والسيوطي (٥/ ٣٣٩)، وعزاه للفريابي، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه عن ابن مسعود.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٤٩) رقم (٢٨٢٩٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٦١) رقم (١١٢) كلاهما من طريق عبد العزيز بن عبيد الله عن عبادة بن نسي عن جنادة بن أبي أمية عن معاذ بن جبل مرفوعاً. وذكره الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٩٣) وقال: وفيه عبد العزيز بن عبيد الله بن حمزة، وهو ضعيف.
والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٤٢)، وزاد نسبته إلى ابن منيع، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وضعف السيوطي سنده.

٧٠ ب ﴿ص﴾: وقيل: يعود على الكتابِ / على تقدير مُضمَرٍ، أي: من لقاء مثله، أي: آتيناك مثلَ مَا آتينا موسى، والتأويل الأول هو الظاهر، انتهى. والمِرْيَةُ: الشَّكُّ، والضميرُ فِي ﴿جَعَلْنَاهُ﴾: يُحْتَمَلُ أَنْ يعودَ على الكتابِ أو على موسى؛ قاله قتادة.

وقوله تعالى: ﴿إن ربك هو يفصل بينهم...﴾ الآية، حُكْم يَعُمّ جميعَ الخلق، وذهب بعضهم إلى تخصيص الضمير وذلك ضعيف.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿أو لم يهد﴾ معناه يُبَيِّنْ؛ قاله ابن عباس، والفاعل بـ ﴿يهد﴾ هو اللّه؛ في قول فرقة، والرسولُ في قول فرقة، وقرأ أبو عبد الرحمٰن[1]: «نهد» ـ بالنون ـ وهي قراءة الحَسَن وقتادة، فالفاعلُ اللّهُ تعالى، والضميرُ في ﴿يمشون﴾ يُحْتَمَلُ أن يكونَ للمخاطَبِينَ أو للمُهْلَكِينَ، و﴿الجرز﴾: الأرض العاطِشَةُ التي قد أكلت نباتها من العطشِ والقيظِ؛ ومنه قيل للأكول جَرُوزٌ. وقال ابن عباس[2] وغيره: ﴿الأرض الجرز﴾: أرض أبين من اليمن وهي أرض تشرب بسيولٍ لا بِمَطَرٍ، وفي «البخاري»: وقال ابن عباس: ﴿الجرز﴾: التي لم تُمْطَرْ إلا مَطَراً لاَ يُغْنِي عنها[3] شَيْئاً. انتهى.

ثم حكى سبحانه عن الكفرةِ أنهم يَسْتَفْتِحُونَ؛ ويستعجلون فَصْلَ القضاءِ بينهم وبين الرُّسُلِ على معنى الهُزْءِ والتكذيب، و﴿الفتحُ﴾: الحُكْمُ، هذا قول جماعةٍ من المفسرينَ، وهو أقوى الأقوال.

---

(١) وقد قرأ بها علي بن أبي طالب، وابن عباس رضي الله عنهما.
ينظر: «مختصر شواذ» ابن خالويه ص ١١٩، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٣٦٥).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٥٢) رقم (٢٨٣٠٥) بنحوه، وذكره البغوي بلفظ «هي أرض باليمن»، وابن عطية (٤/ ٣٦٦)، وابن كثير (٣/ ٤٦٤)، والسيوطي (٥/ ٣٤٣ـ ٣٤٤)، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٥٢) رقم (٢٨٣٠٩)، وذكره ابن كثير (٣/ ٤٦٤)، والسيوطي (٥/ ٣٤٣)، وعزاه للفريابي، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

قال مجاهد و﴿الفتح﴾ هنا هو حُكْم الآخرة. ثم أمر تعالى نبيه عليه السلام بالإعراض عن الكفرةِ وانْتِظَار الفَرَجِ، وهذا مما نَسَخَتْه آية السَّيْفِ.

وقولُه: ﴿إنهم منتظرون﴾ أي: العذابَ بمعنى هذا حُكْمُهُمْ وإن كانوا لا يَشْعُرونَ.

تفسير «سُورَةِ الأَحْزَابِ»

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ فِيمَا عَلِمْتُ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ
مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا
﴿٣﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا
جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ
لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ
جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿يٰأيها النبي اتق اللّه...﴾ الآية. قوله: ﴿اتق﴾ معناه: دُمْ على التَّقْوَى، ومتى أُمر أحد بشيء وهو به مُتَلَبِّسٌ؛ فإنما معناه الدوامُ في المستقبلِ على مثل الحالة الماضِية. وحذره تعالى من طاعة الكافرين والمنافقين تنبيهاً على عداوتِهم، وألاَّ يَطْمَئِنَّ إلى ما يُبْدُونه من نَصَائِحِهِم. والباء في قوله: ﴿وكفى باللّه﴾ زائدةٌ على مذهب سِيبَوَيْهِ، وكأنه قال وكفى اللّه، وغيرُهُ يَرَاهَا غَيْرَ زائدةٍ متعلقَة بـ «كفى» على أنه بمعنى: اكتف باللّه. واختلف في السبب في قوله تعالى: ﴿ما جعل اللّه لرجل من قلبين في جوفه﴾ فقال ابن عباس[1]: سببُهَا أن بعضَ المنافقينَ قَال: إن محمداً له قلبَانِ، وقيل غير هذا.

قال *ع[2]*: ويظهَرُ مِنَ الآية بِجُمْلَتِهَا أنّها نَفيٌ لأشْياءَ كانت العربُ تعتقِدُها في ذلك الوقتِ، وإعلام بحقيقةِ الأمرِ، فمنها أن العربَ كانتْ تَقُول: إن الإنسانَ له قلبٌ يأمره، وقلب ينهاه، وكان تضادُّ الخواطِر يحملُها على ذلك، وكذلك كانت العربُ تعتقد الزوجة إذا ظاهر منها بمنزلة الأم، وتراه طلاقاً، وكانت تعتقد الدَّعِيَّ المُتَبَنَّى ابْناً، فَنَفَى اللّه ما اعتقدوه من ذلك.

وقوله سبحانه: ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾ سببُها أمرُ زيد بن حارثة كانوا يَدْعُونَه: زيدَ بن مُحَمدٍ، و﴿السبيل﴾ هنا سبيلُ الشرع والإيمان. ثم أمر تعالى في هذه الآية بدعاء

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٥٥) رقم (٢٨٣١٨)، وذكره ابن عطية (٣٦٧ـ ٣٦٨)، وابن كثير (٣/ ٤٦٦)، والسيوطي (٥/ ٣٤٧)، وعزاه لأحمد، والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، وابن مردويه، والضياء عن ابن عباس.

(٢) ينظر: «المحرر» (٤/ ٣٦٨).

الأدعياء لآبائهم، أي: إلى آبائهم للصُّلْبِ، فمن جُهل ذلك فيه؛ كان مولًى وأخاً في الدين، فقال الناسُ: زيد بن حارثة وسالم مولى أبي حذيفة، إلى غير ذلك و﴿أقسط﴾: معناه: أعدل.

وقوله عزَّ وجل: ﴿وليس عليكم جناح...﴾ الآية: رَفَعَ الحرجَ عَمَّنْ وَهِمَ وَنَسِيَ وأخْطَأَ، فَجَرَى على العَادَةِ من نسبة زيدٍ إلى محمدٍ، وغير ذلك: مما يشبهه، وأبقى الجناح في المُتَعَمِّدِ، والخطأُ مرفوعٌ عَنْ هذهِ الأمة عقابُه؛ قال ﷺ: «وُضِعَ عَنْ أُمَّتِي الخَطَأُ والنِّسْيَانُ وَمَا أُكْرِهُوا عَلَيْهِ»[(١)]. وقال ـ عليه السلام ـ: «مَا أَخْشَىٰ عَلَيْكُمُ الخَطَأَ وَإِنَّمَا أَخْشَى العَمْدَ»[(٢)].

قال السُّهَيْلِيُّ: ولَمَّا نزلت الآيةُ وامتثَلَهَا زيد فقال: أنا زيد بن حارثة؛ جَبَرَ اللّه وَحْشَتَهُ وشَرَّفَه بأن سَمَّاه باسْمِه في القرآن فقال: ﴿فلما قضى زيد منها وطراً﴾ [الأحزاب: ٣٧] ومَنْ ذَكَرَهُ سبحَانه باسْمِه في الذِّكْرِ الحكيم، حتى صَار اسمُه قرآناً يُتْلَىٰ في المحاريبِ، فقد نَوَّه بِهِ غَايَةَ التَّنْوِيهِ، فَكَانَ فِي هذا تأنيسٌ له وَعِوَضٌ مِن الفَخْرِ بَأُبُوَّةِ سيِّدنا محمَّد ﷺ له؛ أَلاَ تَرَىٰ إلى قول أبي بن كعب حين قال له النبيُّ ﷺ: «إِنَّ اللّهَ تَعَالَىٰ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ سُورَةَ كَذَا، فَبَكَىٰ أُبَيٌّ وَقَالَ: أَوَ ذُكِرْتُ هُنَالِكَ»[(٣)]، وكان بكاؤه من الفرح حِينَ أُخْبِرَ أن اللّه تعالَىٰ ذَكَرَهُ؛ فكَيْفَ بمَنْ صَار اسمُه قرآناً يُتْلَىٰ مخلَّداً لا يَبِيدُ، يتلُوهُ أَهْلُ الدُّنْيَا إذا قرؤوا القرآن، وأهْل الجَنَّةِ كذلِكَ فِي الجِنَانِ، ثم زَادَهُ فِي الآية غَايَةَ الإِحْسَانِ أنْ قال: ﴿وإذ تقول للذي أنعم اللّه عليه﴾ [الأحزاب: ٣٧] يعني بالإِيمان؛ فدلَّ على أنه عند اللّه من أهل الجِنَانِ، وهذه فضيلةٌ أخرَىٰ هي غايةُ منتهَىٰ أمنية الإِنْسَان، انتهى. ١٧١أ

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٨)، والحاكم (٢/ ٥٣٤)، وابن حبان (٢٤٧٩ـ موارد) من طريق جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة مرفوعاً.
وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي وصححه ابن حبان.
وذكره الهيثمي في «**المجمع**» (٣/ ١٢٤)، وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٧/ ١٥٨) كتاب مناقب الأنصار: باب مناقب أبي بن كعب، حديث (٣٨٠٩)، وفي (٨/ ٥٩٧) كتاب التفسير: باب سورة (لم يكن)، حديث (٤٩٥٩، ٤٩٦٠، ٤٩٦١)، ومسلم (٤/ ١٩١٤)، كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي بن كعب، حديث (١٢٢/ ٧٩٩) من حديث أنس.

كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ أزالَ اللّه بهذه الآية أحكاماً كانت في صدر الإسلام، منها أن النبي ﷺ كان لا يصلي على ميت عليه دين، فذَكَرَ اللّهُ تَعالَىٰ؛ أنه أَوْلَىٰ بالمؤمنين من أنفسهم، فجمع هذا أن المؤمن يلزم أن يُحِبَّ النبيَّ ﷺ أكثرَ من نَفسِهِ، حَسَبَ حديثِ عمر بن الخطاب، ويلزمُ أن يَمْتَثِلَ أوامرَهُ، أحبت نفسُهُ ذلك أو كرِهَتْ، وَقَالَ النبيُّ ﷺ حين نزلت هذه الآية: «أَنَا أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، مَنْ تَرَكَ مَالاً فَلِوَرَثَتِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْناً أَوْ ضِيَاعاً فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ، أَنا وَلِيُّهُ، ٱقْرَؤوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿النَّبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم...﴾».

ت: ولفظ البخاريِّ من رواية أبي هريرةَ أن النبيَّ ﷺ قال: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلاَّ وَأَنَا أَوْلَىٰ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، ٱقْرَؤوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾»، فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ تَرَكَ مَالاً فَلْيَرِثْهُ عَصَبَتُهُ مَنْ كَانُوا، فَإِنْ تَرَكَ دَيْناً أَوْ ضِيَاعاً، فَلْيَأْتِنِي فَأَنَا مَوْلاَهِ»[1].

قال ابن العربيِّ: في «أحكامه»[2]: فهذا الحديث هو تفسير الولاية في هذه الآية. انتهى.

قال *ع*[3]*: وقال بعض العارفين: هو ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؛ لأنَّ أنفسهم تدعوهم إلى الهلاك، وهو يدعوهم إلى النجاة.

قال *ع*[4]*: ويؤيد هذا قوله ﷺ: «فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُون فِيهَا تَقَحُّمَ الفَرَاشِ».

قال عياض في «الشفا»: قال أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ أي: ما أنفذه فيهم من أمر؛ فهو ماضٍ عليهم؛ كما يمضي حكمُ السيد على عبده، وقيل: اتباع أمره أولى من اتباع رأي النفس. انتهى، وشَرَّفَ تعالى أزواج نبيه ﷺ بأن جعلهن أمهاتِ المُؤْمِنِينَ في المَبَرَّةِ وحُرْمَةِ النِّكَاحِ، وفي مصحف أُبَيِّ بن كعبٍ[5]:

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٦١)، كتاب الاستقراض: باب الصلاة على مَن ترك دنياً (٢٣٩٩)، وأخرجه مسلم (٣/ ١٢٣٧)، كتاب الفرائض: باب «من ترك مالاً فلورثته» الحديث (١٥/ ١٦١٩).

(٢) ينظر: «أحكام القرآن» (٣/ ١٥٠٨).

(٣) ينظر: «المحرر» (٤/ ٣٧٠).

(٤) ينظر: «المحرر» (٤/ ٣٧٠).

(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٣٧٠)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٠٨).

«وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ» وقرأ ابن عباس[١] «مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ» ووافقه أُبَيٌّ ٧١ ب
عَلَىٰ ذلك. ثم حكم تعالى: بأَن أُولي الأَرْحَام بَعْضُهم أولى ببعض في التوارُث، مما كانت الشريعة قررته من التوارث بأخوة الإسلام، و﴿في كتاب اللّه﴾ يُحْتَمَلُ أَن يُرِيْدَ القُرْآن أو اللوح المحفوظ.

وقوله: ﴿من المؤمنين﴾ متعلق بـ ﴿أَوْلى﴾ الثانية.

وقوله تعالى: ﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً﴾ يريدُ الأحسانَ في الحياةِ والصِّلَة والوَصِيَّةِ عند الموتِ و«الكتابُ المسطورُ»: يحتَمِلُ الوجْهَين اللذين ذكرنا.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾ المعنى واذكر إذ أخذنا من النبيين، وهذا الميثاق:

قال الزجاج[٢] وغيره: إنه الذي أخذ عليهم وَقْتَ استخراج البَشَرِ من صلب آدم كالذر، بالتبليغ وبجميع ما تَضَمَّنَتْهُ النبوَّة. وروي نحوُه عَنْ أُبَيِّ بْنُ كعب[٣].

وقالت فرقة: بل أشار إلى أَخذ الميثاقِ عليهم وَقْتَ بَعْثِهِم وإلقاءِ الرسالة إليهم، وذكر تَعالَى النبيينَ جملةً، ثم خَصَّصَ أولِي العَزْمِ منهم تشريفاً لهم، واللام في قوله ﴿ليسأل﴾ يحتمل أن تَكونَ لاَمَ كَي، أو لامَ الصَّيْرُورَة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة اللّه عليكم إذ جاءتكم جنود...﴾ الآيات إلى قوله تعالى: ﴿يأيها النبي قل لأزواجك﴾ [الأحزاب: ٢٨] نزلت في شأنِ غزوة

---

(١) ونسبها الزمخشري في **«الكشاف»** (٣/ ٥٢٣) إلى ابن مسعود. وينظر: **«المحرر الوجيز»** (٤/ ٣٧٠)، و**«البحر المحيط»** (٧/ ٢٠٨).
(٢) ينظر: **«معاني القرآن»** للزجاج (٤/ ٢١٦).
(٣) ذكره ابن عطية (٤/ ٣٧١)، وابن كثير (٣/ ٤٦٩) بنحوه.

الخندقِ، وما اتَّصَلَ بها مِن أمر بني قُرَيْظَةَ، وذلك أن رسولَ اللّه ﷺ أَجْلَىٰ بَنِي النَّضِيرِ مِنْ مَوْضِعِهِمْ عِنْدَ المَدِينَةِ إِلَىٰ خَيْبَر، فاجْتَمَعَتْ جَماعَةٌ مِنْهُمْ، وَمِنْ غَيْرِهِمْ مِنَ اليَهُودِ، وَخَرَجُوا إِلَىٰ مَكَّةَ مُسْتَنْهِضِينَ قُرَيْشاً إِلَىٰ حَرْبِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، وَجَسَّرُوهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَأَزْمَعَتْ[١] قُرَيْش السَّيْرَ إِلَى المَدِينَةِ، وَنَهَضَ اليَهُودُ إِلَىٰ غَطَفَانَ، وبَنِي أَسَدٍ، وَمَنْ أَمْكَنَهُمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ وتِهَامَةَ، فَٱسْتَنْفَرُوهُمْ إِلَىٰ ذَلِكَ وَتَحَزَّبُوا وَسَارُوا إِلَى المَدِينَةِ، وَٱتَّصَلَ خَبَرُهُمْ بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَحَفَرَ الخَنْدَقَ حَوْلَ المَدِينَةِ، وَحَصَّنَهَا، فَوَرَدَتِ الأَحْزَابُ، وحَصَرُوا المدينةَ، وذلك في شَوَّال سنة خمسٍ، وقيل: أَرْبَع مِن الهجرةِ، وكانت قريظة قَدْ عَاهَدُوا النَّبِيَّ ﷺ وعَاقدوه أَلاَّ يَلْحَقَهُ منهم ضَرَرٌ، فلمَّا تمكَّنَ ذلك الحِصَارُ، ودَاخَلَهم بَنُو النضيرِ غَدَرُوا رسولَ اللّه ﷺ وَنَقَضُوا عهده، وضاق الحال على المؤمنين، ونَجَمَ النفاقُ وساءَت ظُنُون قَوْم، ورسولُ اللّه ﷺ مع ذلك يُبَشِّرُ وَيَعِدُ النَّصْرَ، فألقَى اللّه عز وجل الرُّعْبَ في قُلوبَ
١٧٢ أ الكافرينَ، وتخاذلوا ويَئِسوا من الظَّفَرِ، وأرسل اللّه عليهم ريحاً وهي الصَّبَا، وملائكةً / تُسَدِّدُ الرِّيحَ، وتفعل نحو فعلها، وتُلْقِي الرُّعْبَ في قلوب الكفرةِ، وهي الجنودُ التي لَم تُرَ، فارتَحَلَ الكَفَرَةُ وانقلبوا خائبين.

قوله تعالى: ﴿إذ جاءوكم من فوقكم﴾ يريد: أهل نَجْدٍ مع عيينة بن حِصْن ﴿ومن أسفل منكم﴾: يريد أهل مكة وسائر تِهَامَة قاله مجاهد[٢]. ﴿وزاغت الأبصار﴾ معناه مَالَتْ عن مواضِعَها وذلك فِعْلُ الوالِه الفزِع المُخْتَبِل. ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ عبارة عَمّا يَجِدُهُ الهَلِعُ من ثَوَرَانِ نَفْسِه وتفرقها ويجد كأَنَّ حُشْوَتَهُ وَقَلْبَهُ يَصَّعَّدُ عُلُوًّا، وَرَوَى أبو سعيد أن الْمُؤْمِنِينَ قَالُوا يَوْمَ الخَنْدَقِ: يَا نَبِيَّ اللّه، بَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ؛ فَهَلْ مِنْ شَيْءٍ نَقُولُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ قُولُوا: «اللَّهُمَّ، ٱسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا» فَقَالُوهَا؛ فَضَرَبَ اللّهُ وُجُوهَ الكُفَّارِ بِالرِّيحِ فَهَزَمَهُمْ[٣].

وقوله سبحانه: ﴿وتظنون باللّه الظنونَا...﴾ الآية: عبارةٌ عن خواطر خطرَتْ للمؤمنين لا يمكن البشر دفعها، وأما المنافِقونَ فنَطَقُوا، ونَجَمَ نفاقُهم. و﴿ابتُلي

---

(١) الزَّمَعُ: المضاء في الأمر والعزم عليه. وأزمع الأمر، وبه، وعليه: مضى فيه، فهو مُزْمِعٌ.
ينظر: «لسان العرب» ١٨٦٢.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٦٥) رقم (٢٨٣٦٧)، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٧٢)، والسيوطي (٥/ ٣٥٧)، وعزاه للفريابي، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٣)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٦٣) رقم (٢٨٣٦٠) من حديث أبي سعيد الخدري، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٥٥)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

المؤمنون﴾ معناه: اخْتُبِرُوا ﴿وزلزلوا﴾: مَعْنَاه: حُرِّكُوا بعنف. ثم ذكر تعالى قول المنافقين والمَرْضَى القلوبِ؛ على جِهَةِ الذَّمِّ لَهُمْ ﴿ما وعدنا اللّه ورسوله إلا غروراً﴾ فَرُوِيَ عَنْ يزيدَ بْنِ رُومَانَ أن مُعَتِّبَ بن قُشَيْرٍ قال: يَعِدُنَا مُحَمَّدٌ أن نَفْتَتِحَ كنوز كِسْرَى وقيصر ومكة؛ ونحن الآن لا يقدر أحدنا أن يذهب إلى الغائط؛ ما يعدنا إلا غروراً، وقال غيره من المنافقين نحو هذا.

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وإذ قالت طائفة منهم﴾ أي: من المنافقين ﴿لا مقام لكم﴾ أي: لا موضعَ قيام ومُمَانَعة، فارْجِعوا إلى منازِلكم وبيوتِكم، وكان هذا على جِهَة التخذيل عن رسولِ اللّه ﷺ، والفريقُ المستأذِنُ هو أوسُ بن قيظي؛ استأذنَ في ذلك على اتِّفاقٍ من أصحابِهِ المنافقين؛ فقال: ﴿إنَّ بيوتنا عورةٌ﴾ أي: مُنْكَشِفَة للعدو فأكذبَهم اللّه ـ تعالى ـ ولو دخلت المدينة ﴿من أقطارها﴾ أي: من نواحيها، واشتد الخوف الحقيقي، ثم سُئِلوا الفتنةَ والحَرْبَ لمحمد ﷺ وأصحابه لبادروا إليها وآتوها محبين فيها ولم يَتَلَبَّثُوا في بُيوتهم لحفظها إلاَّ يسيراً، قيل: قَدْرَ ما يأخذون سلاحَهم.

ثم أخبر تعالى عنهم أنهم قد كانوا عاهدوا اللّه إثر أُحُدٍ لاَ يُولُّونَ الأَدْبَارَ وفي قوله تعالى: ﴿وكان عهد اللّه مسؤولاً﴾ تَوَعُّدٌ وباقي الآية بَيِّن. ثم وبَّخَهُمْ بقوله: ﴿قد يعلم اللّه المعوقين منكم﴾ وهم الذين يُعَوِّقُونَ الناسَ عن نُصْرة الرسولِ ويمنعونهم بالأقوال والأفعال من ذلك ويَسْعَوْنَ على الدين، وأما القائلون لإخوانهم هَلُمَّ إلينا فقال ابن زيد وغيره: أراد

من كان من المنافقين يقول لإخوانه في النَّسَب وقَرَابته هلُمَّ، أَي: إلى المنَازِل والأكل والشربِ، واترك القتالَ[١]. ورُوِيَ: أَنَّ جماعةً منهم فَعَلَتْ ذلك وأصلُ ﴿هلمَّ﴾: ها المم. وهذا مِثْلُ تعليل «رَدَّ» من «ارْدُدْ» والبأسُ: القتالُ و﴿إلا قليلاً﴾ معناه إلا إتياناً قليلاً، و﴿أشحة﴾ جمع شَحِيحٍ والصَّوَابِ تَعْمِيمُ الشُّحِّ أَنْ يكون بِكُلِّ ما فيه للمؤمنين منفعة.

وقوله: ﴿فإذا جاء الخوف﴾ قيل: معناه: فإذا قوي الخوفُ رأيتَ هؤلاءِ المنَافقين
٧٢ ب ينظرونَ إليك / نَظَرَ الهَلِعِ المُخْتَلِطِ؛ الذي يُغْشَى عَليه، فإذا ذهب ذلك الخوفُ العظيمُ وَتَنَفَّسَ المختَنِقُ: ﴿سلقوكم﴾ أي: خاطبوكم مخاطبة بليغة، يقال: خطيب سَلاَّقٌ ومِسْلاَقٌ ومِسْلَقٌ ولِسَان أيضاً كذلك إذا كان فصيحاً مقتدراً ووصف الألسِنة بالحدّة لقَطْعِها المعاني ونفوذِها في الأقوال، قالت فرقةٌ: وهذا السَّلْقُ هو في مخادعةِ المؤمنين بما يُرْضيهم من القول على جهة المصانعة والمخاتلة.

وقوله: ﴿أشحةً﴾ حال من الضمير في ﴿سلقوكم﴾.

وقوله: ﴿على الخير﴾ يدل على عموم الشح في قوله أولاً: ﴿أشحة عليكم﴾ وقيل: المراد بالخير: المال، أي: أشحة على مال الغنائِم، واللّه أعلم. ثم أخبرَ تعالى عنهم أنهم لم يؤمنوا، وجمهورُ المفسرينَ على أن هذه الإشارةَ إلى منافقينَ لم يكن لهم قط إيمان، ويكونُ قولهُ: ﴿فأحبط اللّه أعمالهم﴾ أي: أنها لم تُقْبَل قط، والإشارة بذلك في قوله ﴿وكان ذلك﴾ إلى حبط أعمال هؤلاء المنافقين، والضميرُ في قوله: ﴿يحسبون الأحزاب﴾ للمنافقين، والمعنى: أنهم من الفزع والجزع بحيثُ رَحَلَ الأحزابُ وهزمهم اللّه تعالى، وهؤلاء يظنون أنها من الخُدَعِ؛ وأنَّهم لم يَذْهَبوا، ﴿وإن يأت الأحزاب﴾، أي: يرجعوا إليهم كرةً ثانية ﴿يودوا﴾ من الخوف والجبن ﴿لو أنهم بادون﴾ أي: خارجون إلى البادية. ﴿في الإعراب﴾ وهم أهل العَمُودِ لِيَسْلَمُوا من القتال. ﴿يسئلون﴾ أي من وَرَدَ عليهم. ثم سَلَّى سبحانه عَنْهُم وحَقَّر شَأْنَهُم بِأَنْ أَخْبَرَ أنهمْ لَو حَضَرُوا لَمَا أَغْنَوا وَلَمَا قَاتَلُوا إلا قِتَالاً قَلِيلاً؛ لا نفعَ له. ثُم قال تعالى ـ على جهة الموعظة ـ: ﴿لقد كان لكم في رسول اللّه أسوة حسنة﴾ حين صَبَرَ وجَادَ بنفسهِ، و﴿أسوة﴾ معناه قُدْوَة، وَرَجَاءُ اللّه تَابع للمَعْرِفة به، ورجاءِ اليومِ الآخرِ ثمرة العمل الصالح، وذكرُ اللّه كثيراً من خَيرِ الأعمال فَنَبَّهَ عليه.

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٧٤) رقم (٢٨٣٩٨) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٧٥).

ت: وعن أبي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: أَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا هُوَ ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ»[١]. رواه ابن ماجه، واللفظ له وابن حِبَّانَ في «**صحيحه**» ورواه الحاكم في «**المستدرك**» من حديث أبي الدرداء.

وروى جابرُ بن عبد اللَّه؛ قال: خرج علينا النبيُّ ﷺ فَقَالَ: «يٰأَيُّهَا النَّاسُ، إن لِلَّهِ سَرَايا مِنَ المَلاَئِكَةِ تَحُلُّ وَتَقِفُ عَلَىٰ مَجَالِسِ الذِّكْرِ فِي الأَرْضِ، فَٱرْتَعُوا فِي رِيَاضِ الجَنَّةِ، قَالُوا: وأَيْن رِيَاضُ الجَنَّةِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَجَالِسُ الذِّكْرِ؛ فَٱغْدُوا وَرُوحُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ؛ وذَكِّرُوهُ أَنْفُسَكُمْ مَنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ اللَّهِ؛ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ مَنْزِلَةُ اللَّهِ عِنْدَهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ العَبْدَ مِنْهُ، حَيْثُ أَنْزَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ»[٢] رواه الحاكم في «**المستدرك**» وقال: صحيحُ الإسناد.

وعن معاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: سَأَلْتُ النبيَّ ﷺ أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَىٰ؟ قَالَ: «أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»[٣] رواه ابن حِبَّانَ في «**صحيحه**»، انتهى من «**السِّلاَحِ**». ولَولاَ خشيةُ الإطالةِ، لأَتَيْتُ في هذا الباب بأحاديثَ كَثِيرَةٍ، وروى ابنُ المُبَارَكَ في «**رقائقه**» قال: أخبرنا سُفْيانُ بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهدٍ قَالَ: لاَ يَكُونُ الرَّجُلُ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً والذَّاكِرَاتِ؛ حَتَّى يَذْكُرَ اللَّهَ قَائِماً وَقَاعِداً وَمُضْطَجِعاً، انتهى.

وفي «مصحف ابن مسعود[٤]» «يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ / قَدْ ذَهَبُوا فَإِذَا وَجَدُوهُمْ لَمْ يَذْهَبُوا وَدُّوا أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ». ١٧٣

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٥٤٠)، وابن ماجه (٢/ ١٢٤٦)، كتاب الأدب: باب فضل الذكر، حديث (٣٧٩٢)، والحاكم (١/ ٤٩٦)، وابن حبان (٣/ ٩٧) رقم (٨١٥) من طريق أم الدرداء عن أبي هريرة.
وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.
وصححه ابن حبان.

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٤٩٤)، وأبو يعلى (٣/ ٣٩٠ـ ٣٩١) رقم (١٨٦٥) من طريق عمر بن عبد الله مولى غفرة عن أيوب بن خالد بن صفوان عن جابر به.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
وتعقبه الذهبي فقال: عمر ضعيف.
وقال الهيثمي في «**المجمع**» (١٠/ ٨٠): رواه أبو يعلى، والبزار، والطبراني في «**الأوسط**»، وفيه عمر بن عبد الله مولى غفرة، وقد وثقه غير واحد، وضعفه جماعة، وبقية رجالهم رجال الصحيح.

(٣) أخرجه ابن حبان (٣/ ٩٩ـ ١٠٠) رقم (٨١٨)، وابن السني رقم (٢)، والطبراني في «**الكبير**» (٢٠/ ١٠٧) رقم (٢١٢)، والبزار (٣٠٥٩ كشف) من حديث معاذ بن جبل. وذكره الهيثمي في «**المجمع**» (١٠/ ٧٧)، وقال: رواه الطبراني بأسانيد، وفي هذه الطريق خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك ضعفه جماعة، ووثقه أبو زرعة وغيره، وبقية رجاله ثقات، ورواه البزار من غير طريقه، وإسناده حسن.

(٤) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٣٧٧).

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب...﴾ الآية. قالت فرقة: لما أمر ـ رسول الله ﷺ ـ بحفر الخندقِ أعلمهم بأنهم سَيُحْصَرُون، وأمرهم بالاستعدادِ لذلك، وأعْلَمهم بأنهم سَيُنْصَرُوْنَ بعد ذلك، فلما رأوا الأحزاب: ﴿قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله﴾ الآية، وقالت فرقة: أرادوا بوعد الله ما نَزَل في سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ إلى قوله ﴿قريب﴾ [البقرة: ٢١٤].

قال *ع[1]*: وَيُحْتَمَلُ أنهم أرادوا جميعَ ذلك. ثم أثنى سُبحانه على رجالٍ عَاهدوا الله على الاسْتِقَامَةِ فَوَفَّوْا، وقَضَوْا نَحْبَهُمْ، أي: نَذْرَهُمْ، وَعَهدَهُمْ، «والنَّحْبُ» فِي كَلاَمِ العَرَبِ: النَّذْرُ والشَّيءُ الذي يلتزمُهُ الإنسان، وقد يُسَمَّى المَوْتُ نَحْباً، وبهِ فسَّر ابن عبَّاس[2] وغيرُه هذه الآيَةَ، ويقال للذي جاهد في أمرٍ حتى ماتَ: قضى فيه نحبه، ويقالُ لمن مات: قَضَى فلانٌ نَحْبَه؛ فممن سَمَّى المفسرون أنَّه أُشِيرَ إليه بهذه الآية أنس بن النضر عَمُّ أنسِ بن مالكٍ، وذلك أنه غابَ عن بَدْرٍ فساءَه ذلك، وقال لَئِنْ شَهدت مع رسولِ اللَّه ﷺ مَشْهَداً لَيَرَيَنَّ اللهُ ما أَصْنَعُ. فلما كان أحَدٌ أبلَى بلاءً حَسَناً حَتَّى قُتِلَ وَوُجِدَ فيه نَيِّفٌ على ثمانينَ جُرْحاً، فكانوا يَرَوْنَ أن هذه الآيَةَ في أنس بن النضر ونظرائهِ.

وقالت فرقة: الموصوفون بقَضَاء النَّحْبِ؛ هم جماعةٌ من أصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ وفَّوْا بِعُهُودِ الإِسْلاَمِ عَلَى التَّمَامِ، فالشُّهَداءُ منهم، والعَشَرَةُ الذين شَهِدَ لهم رسولُ اللّه ﷺ بالجنّةِ منهم، إلى مَن حَصَلَ في هذه المرتبةِ مِمَّنْ لَم يُنَصَّ عليه، ويُصَحِّحُ هذه المقالةَ أيضاً مَا رُوِيَ أن رَسولَ اللَّه ﷺ كان عَلَى المِنْبَرِ، فَقَالَ لَهُ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللّهِ، مَنِ الَّذِي قَضَىٰ نَحْبَهُ؟ فَسَكَتَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ سَاعَةً، ثُمَّ دَخَلَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللّهِ عَلَىٰ بَابِ المَسْجِدِ، وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَخْضَرَانِ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟ فَقَالَ: هَأَنَذَا، يا رسُولَ اللّه، قَالَ:

---

(١) ينظر: «المحرر» (٤/ ٣٧٧).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٨٠) رقم (٢٨٤٢٦).

هَذَا مِمَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ»[١].

قال «ع[٢]»: فهذا أدل دليل على أن النَّحْبَ لَيْسَ مِنْ شَرْطِه المَوْتُ.

وقال معاوية بن أبي سفيان: إني سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: طَلْحَةُ مِمَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ[٣]، وَرَوَتْ عَائِشَة نَحوه[٤].

وقوله تعالى: ﴿ومنهم من ينتظر﴾ يريدُ ومنهم من ينتظر الحصولَ في أعلى مَراتِب الإيمان والصلاحِ، وهم بسبيل ذلك ومَا بدّلوا ولا غيّرُوا، واللامُ في: ﴿ليجزي﴾ يحتمل أن تكونَ لامَ الصيرورة أو «لامَ كي»، وتعذيبُ المنافقينَ ثمرةُ إدامتِهم الإقامةَ على النفاقِ إلى مَوْتِهم، والتوبَة موازيةٌ لتلك الإدامة، وثمرة التوبة تركهُمْ دونَ عذاب، فهما درجتان: إدامَةُ على نفاقٍ أو تَوْبَة منه، وعَنْهُمَا ثمرتان: تعذيبٌ أو رحمة. ثم عدَّدَ سبحانه ـ نعمه على المؤمنين في هَزْمِ الأحزَاب؛ فقال: ﴿ورد اللّه الذين كفروا بغيظهم...﴾ الآية.

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وأنزل الذين ظاهروهم﴾ يريد: بني قُرَيْظَةَ، وذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمَّا غَدَرُوا وَظَاهَرُوا الأَحْزَابَ، أرادَ اللّهُ النِّقْمَةَ مِنْهُمْ، فَلَمَّا ذَهَبَ الأَحْزَابُ؛ جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقْتَ الظُّهْرِ؛ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكَ بِالخُرُوجِ إِلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَنَادَىٰ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فِي النَّاسِ، وَقَالَ لَهُمْ: / «لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلاَّ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ[٥]»، ٧٣ ب
فَخَرَجَ النَّاسُ إِلَيْهِمْ، وَحَصَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ خَمْساً وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ نَزَلُوا عَلَىٰ حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ؛ فَحَكَمَ فِيهِمْ سَعْدٌ بِأَنْ تُقْتَلَ المُقَاتِلَةُ، وَتُسْبَى الذُّرِّيَّةُ وَالْعِيَالُ وَالأَمْوَالُ، وَأَنْ تَكُونَ الأَرْضُ وَالثِّمَارُ لِلْمُهَاجِرِينَ دُونَ الأَنْصَارِ، فَقَالَتْ لَهُ الأَنْصَارُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِلْمُهَاجِرِينَ أَمْوَالٌ كَمَا لَكُمْ أَمْوَالٌ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ

(١) تقديم تخريجه.
(٢) ينظر: «المحرر» (٤/ ٣٧٨).
(٣) ينظر: الحديث السابق.
(٤) ينظر: الحديث السابق.
(٥) أخرجه البخاري (٧/ ٤٧١) كتاب المغازي: باب مرجع النبي ﷺ حديث (٤١١٩)، ومسلم (٣/ ١٣٩١) كتاب الجهاد: باب المبادرة بالغزو، حديث (٦٩/ ١٧٧٠) من حديث ابن عمر.

المَلِكِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ» فَأَمَرَ ﷺ بِرِجَالِهِمْ فَضُرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ، وَفِيهِمْ[١] حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ النَّضِيرِيُّ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ أَدْخَلَهُمْ فِي الْغَدْرِ، و﴿ظَاهروهم﴾: معناه: عاونوهم، و«الصياصي»: الحُصُون، واحدُها صيصية وهي كل ما يَتَمَنَّعُ به، ومنه يقال لقرون البقر: الصياصي، والفريقُ المقتولُ: الرجالُ، والفريقُ المأسور: العيالُ والذُّرِّيَّة.

وقوله سبحانه: ﴿وأرضاً لم تطؤها﴾ يريد بها: البلاد التي فتحت على المسلمين بعدُ كالعراقِ والشامِ واليمنِ وغيرها، فوعَدَ اللّه تعالى بها عند فتح حصون بني قريظة، وأخبر أنه قد قضى بذلك. قاله عكرمة[٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿يأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها...﴾ الآية، ذَكَرَ جُلُّ المفسرين أن أزواج النَّبي ﷺ سَأَلْنَه شَيْئاً من عَرَضِ الدنيا، وآذَيْنَه بزيادة النَّفَقة والغَيْرَة، فَهَجَرَهُنَّ وآلى ألاَّ يقربهن شَهْراً، فنزلت هذه الآية، فبدأ بعائشة، وقال: «يا عَائِشَةُ، إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْراً وَلاَ عَلَيْكِ أَلاَّ تَعْجَلِي حَتَّىٰ تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ، ثُمَّ تَلاَ عَلَيْهَا الآيَةَ، فَقَالَتْ لَهُ: وَفِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ[٣] أَبَوَيَّ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ، قَالَتْ[٤]: وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيَّ لاَ يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ، ثُمَّ تَتَابَعَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ مِثْلِ قَوْلِ

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٤٧٥) كتاب المغازي: باب مرجع النبي ﷺ من غزوة الخندق، حديث (٤١٢٢)، ومسلم (٣/ ١٣٨٩) كتاب الجهاد: باب جواز قتال من نقض العهد، حديث (٦٥/ ١٧٦٩).

(٢) ذكره البغوي (٣/ ٥٢٥) بنحوه، وابن عطية (٤/ ٣٨٠)، والسيوطي (٥/ ٣٦٩)، وعزاه للفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي حاتم عن عكرمة.

(٣) كذا في جـ، وفي المطبوعة (أستمر).

(٤) في جـ: ثم قالت.

عَائِشَةَ، فَٱخْتَرْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ـ رَضِيَ[١] الله عنهن.

قالتْ فِرْقَةٌ قَوْله: ﴿بِفَاحِشَةٍ مبينة﴾ يَعُمُّ جَمِيعَ المَعَاصِي ولزمهنَّ رضي اللّه عنهنَّ بِحَسْبِ مَكَانَتِهِنَّ، أَكْثَرَ مِمَّا يَلْزَمَ غيرَهن، فَضُوعِفَ لهنَّ الأجْرُ والعذابُ.

وقوله: ﴿ضِعفين﴾ معناه: يكونُ العذابُ عذابَين، أي: يضاف إلى عذابِ سائِرِ النَّاس عذابٌ آخرُ مِثْلهُ، و﴿يقنت﴾: معناه: يُطِيعُ ويَخْضَعُ بالعبُوديَّة؛ قاله الشعبي[٢] وقتادة[٣]. والرزقُ الكريمُ: الجنة. ثم خاطَبَهُنَّ اللّهُ سبحانه بأنهنّ لَسْنَ كأحدٍ مِن نساءِ عَصْرِهِنَّ؛ فَمَا بَعْدُ، بَلْ هُنَّ أَفْضَلُ بشرطِ التَّقْوَى، وإنما خصصنا النساء لأن فيمن تقدم آسية ومريم فتأملْهُ؛ وقد أشار إلى هذا قتادة. ثم نَهَاهُنَّ سبحانه عما كانت الحالُ عليه في نساء العرَب من مكالَمَةِ الرجال برَخيمِ القولِ؛ و﴿لا تخضعن﴾ معناه: لا تُلِنَّ.

قال ابن زيد: خَضْعُ القَوْل ما يُدْخِل في القُلُوبَ الغزَل[٤]؛ والمرضُ في هذه الآية قال قتادة: هو النفاق[٥].

وقال عكرمة: الفِسْق[٦] والغزل، والقولُ المعروفُ هو الصوابُ الذي لا تنكره الشريعةُ ولا النفوسُ. وقرأ الجمهور: «وقِرْن» ـ بكسر القَافِ ـ، وقرأ نافع وعاصِم: «وقَرْن» ـ بالفتح[٧] ـ، فأما الأولى فيصح أن تكونَ من الوَقار، ويصحُّ أن تَكُونَ من القَرَارِ، وأما قراءة الفتح فعلى لغة العرب قَرِرْتُ ـ بِكَسْرِ الرَّاءِ ـ، أَقَر ـ بفتح القاف في المكان / ، وهي لغة ذكرها أبو عبيد في «الغريب» المصنف وذكرها الزَّجاجُ[٨] وغيره، ٧٤أ
فأمرَ اللّه تعالى في هذه الآية نسَاءَ النَّبِي ﷺ بملازَمةِ بيُوتِهن، ونَهاهُنَّ عن التبرجِ؛

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ١١٠٤) ١٨ـ كتاب الطلاق: ٤ ـ باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، حديث (٢٩/ ١٤٧٨) من حديث جابر.
(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ٣٨٢).
(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٩٢) رقم (٢٨٤٧١) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٨٢).
(٤) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٩٣) رقم (٢٨٤٧٤) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٨٣).
(٥) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٩٣) رقم (٢٨٤٧٥)، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٨٣).
(٦) ذكره ابن عطية (٤/ ٣٨٣).
(٧) ينظر: «السبعة» (٥٢٢)، و«الحجة» (٥/ ٤٧٥)، و«إعراب القراءات» (٢/ ١٩٩)، و«معاني القراءات» (٢/ ٢٨٢)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٤٧)، و«العنوان» (١٥٥)، و«حجة القراءات» (٥٧٧)، و«شرح شعلة» (٥٤٩)، و«إتحاف» (٢/ ٣٧٥).
(٨) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٢٥).

والتبرّجُ إظهَارُ الزينَةِ والتَّصَنُّعُ بِهَا، ومنه البروجُ لظهُورها وانكشافِها للعيون، واخْتَلَفَ النَّاسُ في ﴿الجاهلية الأولى﴾ فقالَ الشعبي: ما بين عيسى ومحمد ـ عليهما السلام ـ[١]، وقيل: غيرُ هذا.

قال *ع[٢]*: والذي يظهر عندي؛ أنه أشار إلى الجاهلية التي لحقنها فَأُمِرْنَ بالنَّقْلَةِ عن سِيرَتِهِنَّ فِيها، وهي ما كانَ قَبْلَ الشَّرْعِ مِن سِيرةِ الكَفَرَةِ، وجَعْلِها أولى بالإضافة إلى حالةِ الإسْلام، وليس المعنى. أن ثَمَّ جاهليَّةً آخِرَة، و﴿الرجس﴾ اسم يقعُ على الإثم وعلى العذابِ وعلى النَّجَاسَات والنقائِص، فأذْهَبَ اللّه جميعَ ذلك عن أهْل البَيْتِ، قالت أم سلمة: نزلت هذه الآية في بَيْتي؛ فدعا رسولُ اللّه ﷺ عليًّا وفاطِمَةَ وحَسَناً وحُسَيْناً فَدَخَلَ مَعَهم تَحْت كساءٍ خيبري، وقال: «هؤلاءِ أهل بيتي، وقرأ الآية، وقَال اللَّهمَّ أَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَقُلْتُ: وَأَنَا يَا رَسُولَ اللّهِ، فَقَالَ: أَنْتِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنْتِ إِلَىٰ خَيْرَ»[٣]. والجمهورُ على هذا، وقال ابن عباس[٤] وغيره: أهل البيتِ: أزواجه خاصة، والجمهور على ما تقدم.

قال *ع[٥]*: والذي يظهر لي: أن أهل البيت أزواجه وبنتُه وبنوها وزوجُها أعني عليًّا، ولفظ الآية: يقتضي أن الزوجات من أهل البيت؛ لأن الآية فيهن والمخاطبة لهن.

قال *ص*: و﴿أهلَ البيت﴾: منصوبٌ على النداءِ أو على المدْح أو على الاخْتِصَاصِ وَهُوَ قَلِيلٌ في المخاطب، وأكْثَرُ ما يكونُ في المتكلِّم، كقوله [الرجز]:

---

(١) ذكره ابن عطية (٤/ ٣٨٣).

(٢) ينظر: «**المحرر**» (٤/ ٣٨٤).

(٣) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١٠/ ٢٩٨) رقم (٢٨٤٩٩)، والترمذي (٥/ ٣٥١) كتاب التفسير: باب «ومن سورة الأحزاب»، حديث (٣٢٠٥) من طريق عطاء بن أبي رباح عن عمر بن أبي سلمة عن أم سلمة به.
وقال الترمذي: هذا حديث غريب من حديث عطاء عن عمر بن أبي سلمة.
وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٣٧٦ـ ٣٧٧)، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري (١٠/ ٢٩٨) رقم (٢٨٥٠٣) عن عكرمة. وذكره البغوي (٥٢٨١٣)، وابن عطية (٣٨٤١٤)، وابن كثير في تفسيره (٣/ ٤٨٣)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٣٧٦)، وعزاه لابن أبي حاتم، وابن عساكر من طريق عكرمة رضي الله عنه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) ينظر: «**المحرر**» (٤/ ٣٨٤).

نَــــحْـــــنُ بَــــنَــــــاتُ طَــــارِقْ   نَــمْــشِــي عَــلَــى الــنَّــمَــارِقْ[١]

انتهى.

ت واستَصْوَبَ ابنُ هشام نصبَه على النداء، قاله في «المغني». وقوله تعالى: ﴿واذكرن﴾ يُعْطِي أنَّ أهلَ البيتِ نساؤه، وعلى قول الجمهور: هي ابتداء مخاطبة، والحكمةُ السُّنَّةُ، فقولُه: ﴿واذكرن﴾ يحتمل مَقْصِدَيْنِ: كِلاهما مَوْعِظَة أحدُهمَا: أن يريدَ تَذَكُّرْنَه، واقْدِرْنَه قَدْرَه، وفَكِّرْنَ فِي أنَّ مَنْ هذِهِ حَالُه يَنْبَغِي أن تَحْسُنَ أَفْعَالُه، والثاني: أن يُرِيْدَ: ﴿اذْكُرْنَ﴾ بمعنى: احْفَظْنَ واقْرَأْنَ وَأَلْزِمْنَهُ أَلسنتَكنَّ.

ت: ويحتمل أن يُرَادَ بـ﴿اذكرن﴾ إفشاؤه ونشرُه للناس، واللّه أعلم. وهذا هو الذي فهمه ابنُ العربيِّ[٢] من الآية، فإنَّه قال: أمر اللّه أزواجَ رسولِهِ أن يُخْبرن بما ينزل من القرآن في بيوتهن وبما يَرَيْنَ من أفعالِ النَّبِي ﷺ وأقواله، حتى يبلغَ ذلك إلى الناسِ، فيعملوا بما فيه ويَقْتَدُوا به، انتهى. وهوَ حسن وهو ظاهر الآية وقد تقدم له نحو هذا في قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً﴾ [النساء: ١٢٨] الآية ذكره[٣] في «أحكام القرآن».

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿إن المسلمين والمسلمات...﴾ الآية: رُوِيَ في سَبَبِهَا؛ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّهِ، يَذْكُرُ اللّهُ تَعَالَى الرِّجَالَ فِي كِتَابِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَلاَ يَذْكُرُنَا، فَنَزَلَتِ الآيَةُ فِي ذَلِكَ، وألفاظ الآية في غاية البيان.

---

(١) «الرجز» لهند بنت عتبة في «أدب الكاتب» ص (٩٠)؛ و«الأغاني» (١٢/ ٣٤٣)، (١٥/ ١٤٧)؛ ولها أو لهند بنت بياضة بن رياح بن طارق الإيادي في «شرح شواهد المغني» (٢/ ٨٠٩)؛ و«لسان العرب» (١٠/ ٢١٧) (طرق)؛ ولهند بنت بياضة بن رياح بن طارق الإياديّ في «معجم ما استعجم» ص (٧٠)، ولهند بنت الفند الزماني (سهل بن شيبان) في «الأغاني» ٢٣/ ٢٥٤، ولهند دون تحديد في «لسان العرب» (١٠/ ٣٦١) (نمرق)، وللقرشية في «جمهرة اللغة» ص (٧٥٦)، وبلا نسبة في «الأغاني» (١٢/ ٣٤٢)؛ و«مغني اللبيب» (٢/ ٣٨٧)؛ و«همع الهوامع» (١/ ١٧١).
واستشهد فيه بقولها: «نحن بنات طارق نمشي» حيث اعترضت جملة الاختصاص بين المبتدأ والخبر، وهذا جائز.

(٢) ينظر: «أحكام القرآن» (٣/ ١٥٣٨).

(٣) ينظر: «أحكام القرآن» (١/ ٥٠٤).

وقوله سبحانه: ﴿والذاكرين اللّه كثيراً والذاكرات...﴾ الآية. وفي الحديث:
٧٤ ب الصحيح عنه ﷺ قال: «سَبَقَ المُفَرِّدُونَ! قالُوا: وَمَا المُفَرِّدُونَ، / يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللّهَ كَثِيراً والذَّاكِرَاتُ»[1] رواه مسلم واللفظ له، والترمذيُّ، وعنده: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ، وَمَا المُفَرِّدُونَ؟ قَالَ: «المُسْتَهْتِرُونَ فِي ذِكْرِ اللّهِ، يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَثْقَالَهُمْ، فَيَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِفَافاً»[2].

قال عياض: «والمُفَرِّدون» ضَبَطْنَاهُ على مُتْقِني شيوخِنا ـ بفتح الفَاء وكَسرِ الراء ـ.

وقال ابن الأعرابي: فَرَّدَ الرجلُ إذا تَفَقَّهَ وَاعْتَزَلَ النَّاسَ، وخلا لمُرَاعاة الأمر والنهي، وقال الأزهريُّ: هم المُتَخَلُّونَ مِنَ النَّاسِ بذكرِ اللّه تعالى، وقوله: المُسْتَهْترون[3] في ذكر اللّه هو ـ بفتح التاءين المثناتين ـ يعني: الذين أُولِعُوا بذكْرِ اللّه، يقال: ٱسْتُهْتِرَ فلانٌ بكَذَا، أي: أُولِعَ به، انتهى من «**سلاح المؤمن**».

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى اللّه ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة...﴾ الآية: قوله: ﴿وما كان﴾ لفظه النفي، ومعناه الحظرُ والمنعُ والخيرةُ مصدرُ بمعنى التَّخَيُّر.

قال ابن زيد: نزلت هذه الآية بسبب أن أم كُلثُوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهبت نفسها للنبي، فزوجها من زيد بن حارثة، فكرهت ذلك هي وأخوها، فنزلت الآية بسبب ذلك، فأجابا إلى تزويج زيد[4]، وقيل غير هذا، والعصيانُ هنا يعم الكفرَ فما دون، وفي

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) عبارة المجد في «**قاموسه**» «وهم المهتزون بذكر الله تعالى، قال الشيخ نصر الهوريني في تعليقه قوله: المهتزون هكذا بالزاي في النسخ المطبوعة ولعلها رواية وفي نسخة الشارح المهترون بالراء وكتب عليها كما جاء في رواية نصها قال: «والذين اهتروا في ذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم، فيأتون يوم القيامة خفافاً» اهـ. قلت اهتر الرجلُ: فقد عقله من الكبر أو المرض أو الحزن فهو مهتر بفتح التاء، واهتر فلان مجهولاً: أولع بالقول في الشيء فهو مهتر، «واهتروا في ذكر الله»: أي خرفوا وهم يذكرون الله اهـ.

(٤) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٠١) رقم (٢٨٥١٧)، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٨٦)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٣/ ٤٨٩)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٣٨١)، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن زيد رضي الله عنه.

حديث الترمذيِّ؛ عن النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّه قال: «مِنْ سَعَادَةِ ٱبْنِ آدَمَ رِضَاهُ بِمَا قَضَاهُ اللّهُ، وَمِنْ شَقَاوَةِ ابْنِ آدَمَ سَخَطُهُ بِمَا قَضَاهُ اللّهُ لَهُ»[1] انتهى.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وإذ تقول للذي أنعم اللّه عليه وأنعمت عليه...﴾ الآية: ذهَب جماعة من المتأوِّلينَ إلى أن الآيَةَ لا كَبيرَ عَتْبٍ فيها على النَّبِيِّ ﷺ؛ فَرُوِي عن علي بن الحسين: أن النَّبِيَّ ﷺ كان قد أُوحِيَ إليه أَنَّ زيداً يطلق زينب، وأنه يتزوجها بتزويج اللّه إياها له، فلما تشكى زيد للنبي ﷺ خُلُقَ زينبَ، وأَنَّها لا تطيعه، وأعلمَه بأنه يريد طلاقها، قال له النَّبي ﷺ على جهة الأدب والوصيةِ: «اتَّقِ اللّهَ ـ أي: فِي قَوْلِكَ ـ وأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ» ـ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيُفَارِقُهَا ـ وَهَذَا هو الذي أخفى ﷺ فِي نفسهِ ولم يردْ أن يأمره بالطلاق لِمَا عَلِمَ مِنْ أَنَّه سيتزوجها، وخَشِيَ ﷺ أن يلحقه قولٌ من النَّاس، في أن يتزوجَ زينب بعدَ زيد، وهو مولاه وقد أمره بطلاقها، فعاتبه اللّه على هذا القدر من أن خَشِيَ الناس في شيء؛ قد أباحه اللّه تعالى له.

قال عياض: وتأويل علي بن الحسين أحسن التأويلات وأصحها، وهو قول ابن عطاء، وصححه واستحسنه، انتهى.

وقوله: ﴿أنعم اللّه عليه﴾ يعني بالإسلام وغير ذلك ﴿وأنعمت عليه﴾ يعني بالعِتْقِ، وهو زيد بن حارثة، وزينب هي بنت جحش، بنت أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول اللّه ﷺ؛ ثم أعلم ـ تعالى ـ نبيه أنه زَوَّجها منه لما قَضَى زيد وطرَه منها؛ لتكون سنةً للمسلمينَ في أزواج أدعيائهم، وليُبَيِّنَ أنها ليست كحرمة البنوة، والوطرُ: الحاجَةُ والبُغْيَةُ.

وقوله تعالى: ﴿وكان أمر اللّه مفعولاً﴾: فيه حذفُ مضافٍ تقديرُه: وكانَ حكمُ أمرِ اللّه، أو مُضَمَّن أمْرِ اللّه، وإلاّ فالأمر قديمٌ لا يوصف بأنه مفعول، ويحتمل أن يكون الأمر واحد الأمور التي شأنها أن تفعل / وعبارة الواحديِّ: ﴿وكان أمر اللّه مفعولاً﴾ أي: كائناً ١٧٥أ
لا محالةَ، وكان قَدْ قَضَىٰ فِي زينبَ أن يتزوجها رسولُ اللّه ﷺ. انتهى.

---

(١) تقدم تخرجه.

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿ما كان على النبي من حرج فيما فرض اللّه له...﴾ الآية: هذه مخاطبةٌ من اللّهِ تعالى لجميعِ الأمة؛ أعلمهم أنه لا حرجَ على نبيه في نَيْل ما فَرَضَ اللّهُ له وأباحَهُ من تزويجهِ لزينبَ بَعْد زيد، ثم أعلم أن هذا ونحوه هو السنن الأقدم في الأنبياء، من أن ينالوا ما أحله اللّه لهم، وعبارة الواحدي: ﴿ما كان على النبي من حرج فيما فرض اللّه له﴾ أي: أحل اللّه له من النساء. ﴿سنةَ اللّهِ في الذين خلوا من قبل﴾، يقول: هذه سنة قَد مضت لغيرك؛ يعني كثرةُ أزواج داودَ وسليمان ـ عليهما السلام ـ ﴿وكان أمر اللّه قدراً مقدوراً﴾ قضاءً مقضياً. وقوله تعالى: ﴿الذين يبلغون رسالات اللّه﴾ من نَعْتِ قوله: ﴿في الذين خلوا من قبل﴾، انتهى.

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ إلى قوله ﴿كريماً﴾ أذهَب اللّه بهذه الآية مَا وقَعَ في نفوسِ المنافقين وغيرِهم؛ لأنهم استعظموا أن يَتَزَوَّجَ زَوْجَة ابْنِه، فنفى القرآنُ تلكَ البُنُوَّةَ، وقوله: ﴿أبا أحد من رجالكم﴾ يعني المعاصرين له وباقي الآية بيِّن. ثم أمر سبحانه عباده بأن يذكروه ذكراً كثيراً، وجعل تعالى ذلك دون حَدٍّ ولا تقدير؛ لسهولته على العبد، ولعظم الأجر فيه. قال ابن عباس: لم يُعْذَرْ أَحدٌ فِي تركِ ذكر اللّهِ عز وجل إلاَّ مَنْ غُلِبَ عَلى عَقْلِهِ[1]، وقال: الذكرُ الكثيرُ أن لا تنساه أبداً.

ورَوَى أبو سعيد عَن النَّبي ﷺ «أَكْثِرُوا ذِكْرَ اللّهِ؛ حَتَّىٰ يَقُولُوا: مَجْنُونٌ»[2]. *ت*:

(١) أخرجه الطبري (١٠/٣٠٦) رقم (٢٨٥٣١)، وذكره البغوي (٣/٥٣٤)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٢/٤٩٥)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/٣٨٦)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد (٣/٦٨)، وعبد بن حميد في «**المنتخب**» (ص ٢٨٩) رقم (٩٢٥)، وأبو يعلى (٢/٥٢١) رقم (١٣٧٦)، وابن حبان (٨٠٥)، والحاكم (١/٤٩٩) كلهم من طريق دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً. وقال الحاكم: صحيح الإسناد.
وذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١٠/٧٩) وقال: رواه أحمد، وأبو يعلى، وفيه دراج وقد ضعفه جماعة، وبقية رجال أحد إسنادي أحمد ثقات.

وهذا الحديثُ خرَّجه ابن حِبَّان في «**صحيحه**».

وقوله: ﴿وسبحوه بكرة وأصيلاً﴾ أراد في كل الأوقاتِ فحدَّد الزمَنَ بطرَفَيْ نهارِه ولَيْلِه، والأصيل من العَصْر إلى الليلِ، وعن ابن أبي أوفى قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «إنَّ خِيَارَ عِبَادِ اللّهِ الَّذِينَ يُرَاعُونَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالأَظِلَّةَ لِذِكْرِ اللّهِ»[1] رواه الحاكم في «**المستدرك**»، انتهى من «**السلاح**».

وقوله سبحانه: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته...﴾ الآية: صلاةُ اللّه على العبدِ هي رحمتُه له، وصلاة الملائكة هي دعاؤهم للمؤمنين. ثم أخبر تعالى برحمته بالمؤمنين تأنيساً لَهُم.

وقوله تعالى: ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ قيل: يوم القيامة تُحَيِّ الملائكةُ المؤمنين بالسلام، ومعناه: السلامةُ من كل مكروهِ، وقال قتادة: يوم دُخولِهم الجنَّةِ يحي بعضُهم بعضاً بالسلام[2]، والأجرُ الكريمُ: جنة الخلدِ في جوار اللّه تبارك وتعالى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً...﴾ الآية، هذه الآيةُ فيها تأنيسٌ للنبي ﷺ وللمؤمنين، وتكريم لجميعهم.

وقوله: ﴿وداعياً إلى اللّه بإذنه﴾ أي: بأمره ﴿وسراجاً منيراً﴾ استعارة للنور الذي تَضَمَّنهُ شرعُه.

وقوله تعالى: ﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من اللّه فضلاً كبيراً﴾.

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٥١)، والبيهقي (١/ ٣٧٩)، كتاب الصلاة: باب مراعاة أداء المواقيت، من حديث ابن أبي أوفى مرفوعاً.
وقال الحاكم: إسناده صحيح. ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٠٦) رقم (٢٨٥٣٤) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٨٩)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٣/ ٤٩٦). والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٣٩٠)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة رضي الله عنه.

قال «ع»: قال لنا أبي ـ رحمه الله ـ: هذه الآيةُ من أرْجَىٰ آية عندي في كتاب الله ـ عز وجل ـ.

قال أبو بكر بن الخطيب: أخبرنا أبو نُعَيْم الحافظُ، ثم ذكر سنده إلى ابن عباس قَال:
٧٥ ب قَال النَّبِيُّ ﷺ: أنزلت عليَّ آية ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك / شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾ قال: شاهداً: على أمتك، ومبشراً: بالجنة، ونذيراً: من النار، وداعياً: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، بإذنه: بأمره، وسراجاً منيراً: بالقرآن. انتهى من «تاريخ[1] بغداد» له، من ترجمة «محمد بن نصر».

وقوله تعالى: ﴿ودع أذاهم﴾ يحتمل أن يريدَ أن يأمره تعالى بترك أن يؤذِيهم هو ويعاقبهم، فالمصدر على هذا مضافٌ إلى المفعول، ويُحْتَمَلُ أن يريدَ: أعْرِض عَن أقوالهم وما يؤذونك به، فالمصدر على هذا التأويل مضاف إلى الفاعل؛ وهذا تأويل مجاهدٍ[2]، وباقي الآية بيّن.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥٠﴾.

وقوله تعالى: ﴿يٰأيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك. . .﴾ الآية، ذهب ابن زيد والضحاكُ في تفسير هذه الآية إلى: أن الله تعالى أحل لنبيه أن يتزوجَ كل امرأة يؤتيها مَهْرَها، وأباح له كلَّ النساء بهذا الوجه، وإنما خَصَّصَ هؤلاءِ بالذكر تَشْرِيفاً لهنّ؛ فالآيةُ على هذا التأويلِ فيها إباحةٌ مُطلقة في جميع النساء، حاشى ذوات المحارم المذكور حُكْمُهُنَّ[3] في غير هذه الآية. ثم قال بعد هذا ﴿ترجي من تشاء منهن﴾ أي: من هذه الأصناف كلها، ثم تجري الضمائرُ بعد ذلك على العُموم إلى قوله تعالى: ﴿ولا أن تبدل

(١) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ٣١٩).
(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٠٧) رقم (٢٨٥٣٨) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٩٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٩١)، وعزاه للفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد رضي الله عنه.
(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٠٩) عن ابن زيد برقم (٢٨٥٤٤)، وعن الضحاك برقم (٢٨٥٤٥)، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٩١).

بهن﴾ [الأحزاب: ٥٢] فيجيءُ هذا الضميرُ مقطوعاً من الأول عائداً على أزواجه التسع فقط؛ على الخلاف في ذلك، وتأوَّل غير ابن زَيْدٍ في قوله: ﴿أحللنا لك أزواجك﴾ مَنْ فِي عِصْمَتِهِ ممن تَزَوَّجها بِمَهْرٍ؛ وَأَنَّ مِلْكَ اليمينِ بَعْدُ حلالٌ له؛ وأن اللَّهَ أباحَ له مع المذكُوراتِ بَنَاتِ عَمِّهِ وعماته، وخاله، وخالاته، ممن هاجرَ معه، والواهباتِ خَاصَّةً، فيجيءُ الأمرُ على هذا التأويل أَضيَقَ عَلى النبي ﷺ، ويؤيدُ هذَا التأويلَ ما قَالَه ابنُ عباس: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَزَوَّجُ في أَيِّ النِّسَاءِ شَاءَ، وَكَانَ ذَلِكَ يَشُقُّ عَلَىٰ نِسَائِهِ، فلما نَزَلَتْ هذه الآيةُ، وحُرِّمَ عَلَيْهِ بِهَا النِّسَاءُ؛ إلاَّ مَنْ سُمِّيَ سُرَّ نِسَاؤه بذلك[١].

وقوله سبحانه: ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي...﴾ الآية، قال السُّهَيْلِيُّ: ذكرَ البخاريُّ عَن عائشَة ـ رضي اللّه عنها ـ أنّها قَالَتْ: كَانَتْ خَوْلَةُ بنتُ حَكِيمٍ مِن اللاتي وَهَبْنَ أنفسَهن؛ لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ، فدَلَّ عَلىٰ أنهن كُن غَيْرَ واحدة[٢]، انتهى: وقوله: ﴿خالصة لك﴾ أي: هبة النساء أنفسهن خاصةٌ بك دونَ أمَّتِكَ.

قال *ع[٣]*: ويظهرُ من لفظِ أُبَيِّ بن كَعْب أن معنى قوله: «خالصة لك» يُرَادُ بِهِ جميعُ هذهِ الإبَاحَة؛ لأن المؤمنين لم يُبَحْ لهم الزيادةُ على أربع[٤]. وقوله تعالى: ﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم﴾ يريدُ هو كون النكاح بالولّي والشاهدين، والمهر، والاقتصارَ على أربع؛ قاله قتادة ومجاهد.

وقوله: ﴿لكي لا﴾ أي: بَيّنا هذا البيان. ﴿لِكي لاَ يكونَ عليكَ حرج﴾ ويظن بك أنك قد أثمتَ عند ربّك.

﴿۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿ترجي من تشاء منهن...﴾ الآية، ترجي معناه: تُؤَخِّرُ و﴿تؤوي﴾

---

(١) ذكره ابن عطية (٤/ ٣٩١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٩٣)، وعزاه لابن جرير، وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) ذكره البخاري تعليقاً (٩/ ٦٨) كتاب النكاح: باب هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد، حديث (٥١١٣).
(٣) ينظر: «المحرر» (٤/ ٣٩٢).
(٤) أخرجه الطبري (١٠/ ٣١١) رقم (٢٨٥٥٢).
وذكره ابن عطية (٤/ ٣٩٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٠٠).

معناه: تَضُمُّ وتُقرب، ومعنى هذه الآية: أن اللّه تعالى فَسَحَ لنبيِّه فيما يفعله في جِهَة النساء، والضميرُ في ﴿منهن﴾ عائدٌ على مَن تَقَدَّمَ ذكرُه من الأصْنَافِ؛ حَسْبَ الخِلافِ المذكورِ في ذلك، وهذا الإرجاء والإيواء يحتمل معاني؛ منها: أن المعنى في القَسْم، أي: تُقرِّبُ مَنْ شِئْتَ فِي القسمةِ لَها مِن نَفْسِكَ وَتُؤَخِّرُ عَنْكَ مِن شِئْتَ وتُكْثِر لمن شئت وتُقِلُّ لمن شئت،
١٧٦ أ لا حرجَ عليكَ في ذلك، فإذا عَلِمْنَ هنَّ أنّ هذا هو حكم اللّه / لك؛ رَضِين وقَرَّت أعينُهن؛ وهذا تأويل مجاهد وقتادةَ والضحاك[١].

قال *ع[٢]*: لأن سببَ هذهِ الآيةِ تَغَايُر وَقَعَ بَيْنَ زَوْجَاتِ النبي ﷺ تَأَذَّى بِهِ.

وقَالَ ابن عباس[٣]: المعنَى في طَلاق مَنْ شَاء وإمْسَاك مَن شاء.

وقال الحسنُ بن أبي الحسن[٤]: المعنى في تَزَوّج من شَاء؛ وترك مَنْ شَاء.

قال *ع[٥]*: وعلى كلِّ مَعْنًى فالآيةُ معناها: التَوْسِعَة على النبي ﷺ والإباحة له وذهب هبة اللّه في «**الناسخ والمنسوخ**» له إلى أن قولَه ﴿ترجي من تشاء...﴾ الآيَةَ، ناسخٌ لقوله: ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾ [الأحزاب: ٥٢] الآيَةَ.

وقوله تعالى: ﴿ومن ابتغيت ممن عزلت﴾ يحتمل معاني: أحدها؛ أن تَكونَ «من» للتبعيض، أي: من أردت؛ وطلبَتْه نفسُك ممن كنتَ قَدْ عزلتَه وأخَّرتَه؛ فلا جناح عليك في رده إلى نفسِكَ وإيوائه إليك، ووجه ثانٍ؛ وهو أن يكونَ مُقَوِّياً ومُؤَكِداً لقوله: ﴿ترجي من تشاء﴾ و«تؤوي من تشاء» فيقول بعدُ ومَن ابتغيتَ ومَنْ عَزَلْتَ فذلكَ سواءٌ؛ لا جناحَ عليك فِي ردِّه إلى نفسِكَ وإيوائه إليك.

وقوله: ﴿ويرضين بما ءاتيتهن﴾ أي مِنْ نفْسِك، ومالِك، واتفقتِ الرواياتُ على أنه ـ

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٣١٣) عن قتادة برقم (٢٨٥٦٦)، وعن الضحاك برقم (٢٨٥٦٨)، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٩٣)، وابن كثير في تفسيره (٣/ ٥٠١)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٣٩٧)، وعزاه لعبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) ينظر: «**المحرر**» (٤/ ٣٩٣).

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٣١٣) رقم (٢٨٥٧٠)، وذكره البغوي (٣/ ٥٣٨)، وابن عطية (٤/ ٣٩٣)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٣٩٧)، وعزاه لابن جرير، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري (١٠/ ٣١٤) رقم (٢٨٥٧١) بنحوه. وذكره البغوي (٣/ ٥٣٨)، وابن عطية (٤/ ٣٩٣)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٣٩٧)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير عن الحسن رضي الله عنه بنحوه.

(٥) ينظر: «**المحرر**» (٤/ ٣٩٣).

عليه السلام ـ معَ مَا جَعَلَ اللّه له من ذلكَ كان يُسَوِّي بينهن في القَسْم تَطْيِيباً لنفُوسِهِنَّ؛ وأَخْذاً بالفَضْلِ، وما خصه اللّه من الخُلق العظيم ـ صلى اللّه عليه وعلى آله ـ غَيْرَ أنْ سودةَ وَهَبَتْ يومَها لعائشةَ تَقَمُّناً لمسَرَّةِ رسول اللّه ﷺ.

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾ قيل كما قدمنا: إنها حظَرَتْ عليه النساءَ إلا التسْعَ وما عُطِفَ عَليهِنَّ؛ على ما تقدم لابن عباس وغيره، قال ابن عباس وقتادة: جَازَاهُنَّ اللّه بذلك، لما اخترنَ اللّه وَرسوله[١]، ومن قال: بأن الإباحَةَ كانتْ له مُطْلَقَةً قَال هنا: ﴿لا يحل لك النساء﴾ معناه: لا يحل لك اليهودياتُ ولا النصرانياتُ، ولا ينبغي أن يكنَّ أمهاتِ المؤمنين؛ ورُوِيَ هذَا عَن مجاهد[٢] وكذلك قَدَّرَ: ولا أن تبدل اليهودياتِ والنصرانياتِ بالمسلماتِ؛ وهو قول أبي رزين وابن جبير[٣] وفيه بُعْدٌ.

وقوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلاَّ أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه﴾ هذهِ الآيةُ تضمنتُ قِصَّتَيْنِ: إحداهما: الأدبُ في أمر الطَّعَامِ والجلوسِ، والثانيةُ: أمرُ الحجَاب.

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٣١٦) رقم (٢٨٥٨١) عن ابن عباس، وعن قتادة برقم (٢٨٥٨٢)، وذكره البغوي (٣/ ٥٣٨)، وابن عطية (٤/ ٣٩٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٠١). والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٩٩)، وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٣١٨) (٢٨٥٨٩)، وذكره البغوي (٣/ ٥٣٨)، وابن عطية (٤/ ٣٩٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٩٩)، وعزاه لسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٣) ذكره ابن عطية (٤/ ٣٩٤).

قال الجمهور: سببُها أن النبي ﷺ لما تزوَّج زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، أَوْلَمْ عَلَيْها؛ ودَعَا النَّاسَ، فَلَمَّا طَعِمُوا، قَعَدَ نَفَرٌ فِي طَائِفَةٍ مِنَ البَيْتِ يَتَحَدَّثُونَ، فَثَقُلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مَكانُهُمْ، فَخَرَجَ؛ لِيَخْرُجُوا بِخُرُوجِهِ، وَمَرَّ عَلَىٰ حِجَرِ نِسَائِهِ، ثُمَّ عَادَ فَوَجَدَهُمْ فِي مَكَانِهِمْ، وَزَيْنَبُ فِي البَيْتِ مَعَهُمْ، فَلَمَّا دَخَلَ وَرَآهُمُ انْصَرَفَ، فَخَرَجُوا عِنْدَ ذَلِكَ، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: فَأُعْلِمَ أَوْ[1] أَعْلَمْتُهُ بِانْصِرَافِهِمْ، فَجَاءَ، فَلَمَّا وَصَلَ الحُجْرَةَ، أَرْخَى السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ؛ وَدَخَلَ، وَنَزَلَتْ آيَةُ الحِجَابِ بِسَبَبِ ذَلِكَ[2].

قال إسماعيل بن أبي حكيم: هذا أَدَبٌ أَدَّبَ اللّه به الثُّقَلاءَ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ وجماعةٌ: سببُ الحِجَابِ: كلامُ عُمَر للنبي ﷺ مراراً في أن يَحجُبَ نساءه[3]، و﴿ناظرين﴾ معناه: مُنتَظِرينَ، و﴿إناه﴾: مصدر «أنى» الشيءَ يَأْنِي أَنْيْ، إذا فَرَغَ وحَانَ، ولفظُ البخاري: يُقَال: إناه: إدراكُه أنى يأنى إناءة، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿واللّه لا يستحي من الحق﴾ معناه: لا يقع منه تركُ الحق، ولما كان ذلك يقعُ من البشر لِعلةِ الاسْتِحياءِ؛ نَفَى عنه تعالى العلةَ الموجِبةَ لذلكَ في البشر، وعن ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ: «ثَلاَثٌ لاَ يحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَفْعَلَهُنَّ؛ لاَ يَؤُمُّ رَجُلٌ قَوْماً؛
٧٦ ب فَيَخُصَّ نَفْسَهُ بِالدُّعَاءِ دُونَهُمْ؛ فَإِنْ فَعَلَ، فَقَدْ خَانَهُمْ، وَلاَ يَنْظُرُ فِي قَعْرِ بَيْتٍ / ؛ قَبْلَ أَنْ يَسْتَأْذِنَ؛ فَإِنْ فَعَلَ، فَقَدْ خَانَ، وَلاَ يُصَلِّي وَهُوَ حَاقِنٌ حَتَّىٰ يَتَخَفَّفَ»[4]. رواه أبو داود

---

(١) في جـ: و.

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٣٨٧) كتاب التفسير: باب ﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾، حديث (٤٧٩١، ٤٧٩٢، ٤٧٩٣، ٤٧٩٤)، وفي (٩/ ١٣٤) كتاب النكاح: باب الهدية للعروس، حديث (٥١٦٣)، وفي (٩/ ١٣٧ـ ١٣٨) كتاب النكاح: باب الوليمة حق، حديث (٥١٦٦)، وفي (١١/ ٢٤) كتاب الاستئذان: باب آية الحجاب، حديث (٦٢٣٨، ٦٢٣٩)، ومسلم (٢/ ١٠٥٠ـ ١٠٥٢) كتاب النكاح: باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب، حديث (٩٣، ٩٤/ ١٤٢٨)، والنسائي في «التفسير» (٤٤٠)، والطبري في **«تفسيره»** (١٠/ ٣٢٣ـ ٣٢٤) رقم (٢٨٦٠٥ـ٢٨٦٠٨)، والبيهقي (٧/ ٨٧) كتاب النكاح: باب سبب نزول آية الحجاب، كلهم من حديث أنس.
وذكره السيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٤٠١)، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٢٦) (٢٨٦١٩)، وذكره البغوي (٣/ ٥٤٠)، وابن عطية (٤/ ٣٩٥)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٥٠٥١٣) بنحوه، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٤٠٣)، وعزاه لابن جرير عن عائشة رضي الله عنها بنحوه.

(٤) أخرجه أبو داود (١/ ٧٠) كتاب الطهارة: باب أيصلي الرجل وهو حاقن، حديث (٩٠)، والترمذي (٢/ ١٨٩) كتاب الصلاة: باب ما جاء في كراهية أن يخص الإمام نفسه بالدعاء، حديث (٣٥٧)، وابن ماجه (١/ ٢٠٢) كتاب الطهارة: باب ما جاء في النهي للحاقن أن يصلي، حديث (٦١٩)، وأحمد (٥/ ٢٨٠)

واللفظ له، وابن ماجه، والترمذي، وقال الترمذي: حديثٌ حسنٌ، ورواه أبو داود أيضاً من حديث أبي هريرة[(١)]، انتهى من «**السلاح**».

وقوله تعالى: ﴿وإذا سألتموهن متاعاً...﴾ الآية، هي آية الحِجَابِ، والمتَاعُ عام في جميع ما يمكن أن يُطْلَب من المَواعِينِ وَسائر المرَافِق، وباقي الآية بيِّنٌ. وقد تقدَّم في سورة النور طَرْفٌ من بَيَانِه فَأَغْنَى عن إعادته.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنًا وَإِثۡمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿إن اللّه وملائكته يصلون على النبي...﴾ الآيةَ، تضمَّنَتْ شَرَفَ النَّبي ﷺ وعظيمَ منزلتِه عندَ اللّهِ تَعالى.

قالت فِرقَة: تقدير الآيةِ: أن اللّه يُصَلِّي وملائكتُه يصلُّون، فالضَّميرُ في قوله ﴿يصلُّون﴾: للملائِكةِ فَقط. وقالت فرقة: بل الضميرُ في ﴿يصلون﴾ للّه والملائكة؛ وهذا قول من اللّه تعالى، شَرَّفَ به ملائكتَه؛ فَلاَ يَرِدُ عليه الاعتراضُ الذي جَاءَ في قَوْلِ الخَطِيبِ: مَنْ يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا، فَقَدْ ضَلَّ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «بِئْسَ الخَطِيبُ أَنْتَ»[(٢)]. وهذا القَدْرُ كَافٍ هُنَا، وصلاة اللّه تعالى: رحمةٌ منه وبركةٌ، وصلاة الملائكةِ: دعاء، وصلاةُ المؤمنين: دعاء، وتعظيم، والصلاة على النبي ﷺ في كل حينٍ؛ من الواجباتِ وجوبَ السُّنَنِ المؤكَّدَةِ التي لا يسعُ تَرْكُها؛ وَلاَ يُغْفِلُها إلاَّ مَنْ لاَ خيرَ فيه، وفي حديث ابن عباس: أنه لما نزلت هذه الآية؛ قال قوم من الصحابة: «هَذَا السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللّهِ؛ قَدْ عرفْنَاهُ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟» الحديث[(٣)].

= من حديث ثوبان. وله شاهد من حديث أبي هريرة:
أخرجه أبو داود (١/ ٧٠ـ ٧١) كتاب الطهارة: باب أيصلي الرجل وهو حاقن، حديث (٧١).

(١) ينظر: الحديث السابق.

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٥٩٤) كتاب الجمعة: باب تخفيف الصلاة والخطبة حديث (٤٨/ ٨٧٠)، وأبو داود (١/ ٣٥٥ـ ٣٥٦) كتاب الصلاة: باب الرجل يخطب على قوس حديث (١٠٩٩)، والنسائي (٦/ ٩٠) وأحمد (٤/ ٢٥٦، ٣٧٩)، والحاكم (١/ ٢٨٩).

(٣) تقدم تخريجه.

ت: ولفظ البخاري: عن كعب بن عُجْرَةَ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَمَّا السَّلاَمُ عَلَيْكَ، فَقَدْ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ الصَّلاَةُ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ؛ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ؛ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ؛ كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ؛ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»(١). انتهى؛ وفيه طرقٌ يَزِيدُ فيها بعضُ الرواةِ على بَعْض، وفي الحديث عنه ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الجمُعَةِ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاَةِ فيه؛ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ»(٢) الحديثُ رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه، واللفظ لأبي داود، ورواه الحاكم في «المستدرك» من حديث أبي مسعود الأنصاري، وقال: صحيح الإسناد، وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلاَّ رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي؛ حَتَّىٰ أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ»(٣) وعنْه قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ: «صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُم»(٤). رواهما أبو داود، وعن ابن مسعود رضي اللّه عنه أن

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٣٩٢) كتاب التفسير: باب ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي...﴾ حديث (٤٧٩٧)، ومسلم كتاب الصلاة: باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد حديث (٦٦/ ٤٠٥)، وأبو داود (١/ ٢٥٧) كتاب الصلاة: باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد حديث (٩٧٦) والترمذي (٢/ ٣٥٢)، كتاب الصلاة: باب ما جاء في صفة الصلاة على النبي ﷺ حديث (٤٨٣) والنسائي (٣/ ٤٧ـ ٤٨) كتاب السهو: باب (٥١) حديث (١٢٨٨)، وابن ماجه (١/ ٢٩٢ـ ٢٩٣) كتاب إقامة الصلاة: باب الصلاة على النبي ﷺ حديث (٩٠٤)، وأبو عوانة (٢/ ٢١٢ـ ٢١٣) والدارمي (١/ ٣٠٩) كتاب الصلاة: باب الصلاة على النبي ﷺ، وأحمد (٤/ ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤)، وأبو داود الطيالسي (١/ ١٠٣ـ منحة) رقم (١٠٣) وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (ص ـ ١٤٤) رقم (٣٦٨) والحميدي (٢/ ٣١٠ـ ٣١١) رقم (٧١١، ٧١٢)، وابن الجارود في «المنتقى» رقم (٢٠٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣١)، وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» رقم (٥٦، ٥٧، ٥٨)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٣/ ٧٢ـ ٧٣) وابن حبان (٣/ ٣١٧) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٩٣) والطبراني في «الصغير» (١/ ٨٥ـ ٨٦) وفي «الكبير» (١٩/ ١١٦) رقم (٢٤١، ٢٤٢) وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٥٦) والبيهقي في «سننه» (٢/ ١٤٧ ـ ١٤٨)، كتاب الصلاة: باب الصلاة على النبي ﷺ في التشهد، وفي «شعب الإيمان» (٢/ ٢٠٧) رقم (١٥٤٨) والبغوي في «شرح السنة» (٢/ ٢٨١ـ بتحقيقنا) والحافظ ابن حجر في «نتائج الأفكار» (٢/ ١٨٤ـ ١٨٥) كلهم من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة به وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود (١/ ٦٣٥) كتاب الصلاة: باب فضل الجمعة حديث (١٠٤٧) والنسائي (٣/ ٩١ـ ٩٢) كتاب الجمعة: باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، وابن ماجه (١/ ٥٢٤) كتاب الجنائز: باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ حديث (١٦٣٦)، وأحمد (٤/ ٨)، والدارمي (١/ ٣٦٩) كتاب الصلاة: باب في فضل الجمعة.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٥٢٧)، وأبو داود (١/ ٦٢٢) كتاب المناسك: باب زيارة القبور، حديث (٢٠٤١)، والبيهقي (٥/ ٢٤٥) من حديث أبي هريرة.

(٤) تقدم تخريجه قريباً، وهو حديث أوس بن أوس: «إن أفضل أيامكم يوم الجمعة».

النبيّ ﷺ قال: «أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاَةً»(١). رواه الترمذي، وابن حِبَّانَ في «صحيحه»، ولفظهما سواء، وقال الترمذي: حسن غريب. انتهى من «السلاح».

وقولُه سبحانه: ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ الجلبابُ: ثوبٌ أَكْبَرُ مِنْ الخِمَار، ورُوِي عَن ابن عباس وابن مسعود: أَنَّهُ الخمارُ، واخْتُلِفَ في صورة إدنائه: فقالَ ابنُ
١٧٧أ عباسٍ(٢) / وغيره: ذلك أن تَلْوِيَه المرأةُ حَتَّى لا يظهرَ منهَا إلاَّ عينٌ واحِدَةٌ تبصر بها، وقال ابن عباس أيضاً وقتادةُ: ذلك أن تلويه على الجبينِ وتشدَّهُ، ثم تَعْطِفَهُ على الأنفِ، وإن ظهرتْ عَيْنَاها؛ لكنَّه يستر الصدر ومعظَمَ الوجهِ(٣).

وقوله: ﴿ذلك أدنى أن يعرفن﴾: أي حتى لا يختلطْن بالإمَاءِ، فَإذَا عُرِفْنَ لم يقابَلْن بأذى من المعارضة؛ مراقبةً لرتبةِ الحرائر، وليس المعنى أن تُعْرَفَ المرأةُ حَتَّىٰ يعلمَ من هي؛ وكان عمر إذا رأى أمَةً قد تقنعت قَنَّعها بالدِّرَّةِ محافظةً على زيِّ الحرائر.

﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿لئن لم ينته المنافقون...﴾ الآية. اللام في قوله: ﴿لئن﴾ هي المؤذنة بمجيء القسم، واللام في ﴿لنغرينَّك﴾: هي لامُ القسم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢/ ٣٥٤) كتاب الصلاة: باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ، حديث (٤٨٤)، وابن حبان (٣/ ١٩٢)، رقم (٩١١)، من حديث ابن مسعود.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وصححه ابن حبان.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٣٢) عن ابن عباس برقم (٢٨٦٤٧)، وذكره البغوي (٣/ ٥٤٤)، وابن عطية (٤/ ٣٩٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٥) عن ابن عباس رضي الله عنه، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤١٥)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس.

(٣) ذكره ابن عطية (٤/ ٣٩٩).

قلت: ورَوَى الترمذيُّ عن ابن عُمَرَ قال: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المِنْبَرَ، فَنَادَىٰ بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ قَدْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَفُضِ الإِيمَانُ إِلَىٰ قَلْبِهِ، لاَ تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ وَلاَ تُعَيِّرُوهُمْ، وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ المُسْلِمِ؛ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَه؛ وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ، وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ...» الحديث[(١)]. انتهى. ورواه أبو دَاودَ في «سننه» من طريق أبي برزة الأسلمي عن النبي ﷺ[(٢)] وتوعَّد اللّه سبحانه هذه الأصنافَ في هذه الآية.

وقوله سبحانه ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ المرض، هنا: هو الغَزَل وحب الزنا؛ قاله عكرمة[(٣)]. ﴿والمرجفون في المدينة﴾: هم قوم كانوا يتحدثون بغزو العربِ المدينةَ؛ ونحوِ هذا مما يُرْجِفُونَ بِهِ نُفُوسَ المؤمنينَ، فيحتمل أنْ تكونَ هذه الفِرَقُ دَاخِلَةً في جملة المنافقين، ويحتمل أن تكونَ متباينةً و﴿نغرينك﴾ معناه: نحضك عليهم بعد تعيينهم لك. وفي «البخاري»: وقال ابن عباس[(٤)]: ﴿لنغرينك﴾: لنسلطنك. انتهى.

وقوله تعالى: ﴿ثم لا يجاورونك﴾ أي: بعد الإغراء لأنك تَنْفِيهم بالإخافَة والقَتْلِ.

وقوله: ﴿إلا قليلاً﴾ يحتمل: أن يريد إلا جِوَاراً قليلاً، أو وقتاً قليلاً، أو عدداً قليلاً، كأنه قال: إلا أقلاء، و﴿ثقفوا﴾: معناه: حُصِرُوا وقُدِرَ عليهم و﴿أُخِذُوا﴾: معناه: أُسِرُوا والأَخِيذُ الأَسِيرُ. و﴿الذين خَلَوْا﴾ هم منافقو الأمم، وباقي الآية مُتَّضِحُ المعنَى. و﴿السبيلا﴾: مفعولٌ ثانٍ؛ لأَنَّ ﴿أضلَّ﴾ متعدٍ بالهَمْزَةِ، وهي سبيلُ الإيمانِ والهُدَى،

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/٣٧٨) كتاب البر والصلة: باب ما جاء في تعظيم المؤمن، حديث (٢٠٣٢) من حديث ابن عمر.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.
وأخرجه أبو داود (٢/٦٨٦) كتاب الأدب: باب في الغيبة، حديث (٤٨٨٠) من حديث أبي برزة الأسلمي.

(٢) تقدم تخريجه، وينظر الحديث السابق.

(٣) أخرجه الطبري (١٠/٣٣٣) (٢٨٦٥٤) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/٣٩٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/٥١٩) بنحوه، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٤١٧)، وعزاه لعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مالك بن دينار عن عكرمة بنحوه.

(٤) أخرجه الطبري (١٠/٣٣٤) (٢٨٦٦١)، وذكره ابن عطية (٤/٤٠٠)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/٥١٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٤١٨)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

و﴿الذين آذوا موسى﴾: هم قومٌ مِن بَنِي إسرائيل. قال ابن عباس وأبو هريرة وجماعة: الإشارةُ إلى ما تضمَّنه حديثُ النبي ﷺ «من أَنَّ بَنِي إسرائيل كَانُوا يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً، وَكَانَ مُوسَىٰ عليه السلام رَجُلاً سِتِّيراً حَيِيًّا، لاَ يَكَادُ يُرَىٰ مِنْ جَسَدِهِ شَيْءٌ؛ فَقَالُوا: وَاللّهِ، مَا يَمْنَعُ مُوسَىٰ أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إلاَّ أَنَّهُ آدَرُ أَوْ بِهِ بَرَصٌ، فَذَهَبَ يَغْتَسِلُ؛ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَىٰ حَجَرٍ، فَفَرَّ الحَجَرُ بِثَوْبِهِ، فَلَجَّ مُوسَىٰ فِي إِثْرِهِ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ، ثَوْبِي حَجَرُ، فَمَرَّ بِهِمْ فَنَظَرُوا إِلَيْهِ؛ فَقَالُوا: وَاللّهِ، مَا بِمُوسَىٰ مِنْ بَأْسٍ». الحديثُ[١] خرَّجه البُخاريُّ وغيره، وقيل في إذايتهم غيرُ هذا. ﴿فبرأه الله مما قالوا﴾ والوجيهُ: المكرَّمُ الوجهِ، والقولُ السَّدِيدُ: يَعُمُّ جَمِيعَ الخيراتِ. وقال عكرمة: أراد «لا إله إلا الله»[٢] وباقي الآية بيِّن.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض...﴾ الآية، ذهب الجمهور: إلى أن الأمانةَ كلُّ شيءٍ يُؤتمن الإنسانُ عليه من أمر ونهي وشأن دين ودنيا؛ فالشرعُ / كلّه أمانة؛ ومعنى الآية: إنا عرضْنَا على هذه المخلوقاتِ العظام أنْ تحملَ الأوامرَ ٧٧ ب
والنَّواهي ولهَا الثوابُ إن أحْسَنَتْ، والعقابُ إن أساءت، فأبتْ هذه المخلوقاتُ وأشفقت، فيحتمل أن يكونَ هذا بإدراكٍ يَخلُقُه اللّهُ لَهَا، ويُحْتَمَلُ أنْ يكونَ هذا العَرْضُ على مَنْ فِيها من الملائكةِ، وحَمَلَ الإنسانُ الأمانةَ، أي: التزَمَ القِيامَ بحَقِّهَا، وهو في ذلك ظَلُومٌ لِنَفْسِهِ جَهُولٌ بقدر مَا دخَل فيه؛ وهذا هو تأويل ابنِ عباس وابن جبير. قال ابن عباس وأصحابُه: و﴿الإنسان﴾ آدم تَحمَّلَ الأمَانةَ؛ فما تَمَّ لَهُ يَوْمٌ حَتَّى وَقَعَ فِي أمرِ الشَّجرةِ[٣]. وقال بعضُهم: ﴿الإِنْسَانُ﴾: النَّوعُ كلّه؛ فعلى تأويلِ الجمهور يكونُ قولُهما في الآية الأخرى ﴿أتينا طائعين﴾ إجابةً لأمْرٍ أُمِرت بِهِ وتَكونُ هذه الآيةُ إبايَةً وإشفاقاً مِنْ أَمْرٍ عُرِضَ عَلَيْهَا وخُيِّرَتْ فِيه.

---

(١) تقدم.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٣٨) (٢٨٦٨٠)، وذكره البغوي (٣/ ٥٤٦)، وذكره ابن عطية (٤/ ٤٠١)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٢١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢١)، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عكرمة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٣٩) (٢٨٦٨٣)، وذكره ابن عطية (٤/ ٤٠٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٢٢) والسيوطي في «الدر المنثور» وعزاه لسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري عن ابن عباس.

وقوله تعالى: ﴿لِيعذب﴾: اللامُ لامُ العَاقِبَة، وكذا قَال أبو حيان: اللام في ﴿ليعذب﴾: للصَّيْرُورَةِ؛ لأنَّه لَمْ يَحْمِلْ الأَمَانَةَ لِيُعَذَّبَ، ولكنْ آلَ أمره إلى ذلك.

ص: أبو البقاء: اللام تتَعلق بـ: ﴿حملها﴾ وقرأ[1] الأعمش: «ويتوبُ» بالرفع على الاسْتِئْنَافِ، والله أعلم. انتهى. وباقي الآية بيِّن.

---

(١) قال الزمخشري: وقرأ الأعمش «ويتوبُ»؛ ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل، ويبتدىء: ويتوب الله. ومعنى قراءة العامة: ليعذب الله حامل الأمانة، ويتوب على غيره ممن لم يحملها؛ لأنه إذا تيب على الوافي، كان ذلك نوعاً من عذاب الغادر. والله أعلم.
ينظر: «**الكشاف**» (٣/ ٥٦٥)، و«**مختصر الشواذ**» ص (١٢١)، و«**البحر المحيط**» (٧/ ٢٤٤)، و«**الدر المصون**» (٥/ ٤٢٧).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير «سورة سبأ»

وهي مكيّة

واختُلِفَ في قَوْلِه تعالى: ﴿ويرى الَّذينَ أوتوا العلم﴾ الآية. فقيلَ: ذلك مَكِّيٌّ، وقيل: مَدَنِيٌّ.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿الحمد للَّه الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾ الألِفُ واللام في ﴿الحمد﴾: لاستغراق جنس المحامد، أي: الحَمْد على تَنَوُّعِهِ هُو لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ جميع جهات الفكرة، و﴿يلج﴾ معناه: يدخل، و﴿يعرج﴾ معناه: يَصْعَدُ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة﴾ رُوِيَ: أَنَّ قائلَ هذه المقالة هُو أَبو

سفيانَ بنِ حَرْبٍ[١]، واللَّامُ من قوله: ﴿ليجزي﴾ يَصِحُّ أَنْ تكونَ متعلقةً بقوله: ﴿لتأتينكم﴾ و﴿الذين﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿الذين﴾ الأولى، أي: ولِيَجْزِيَ لِيجزيَ الَّذِينَ سَعَوْا و﴿معاجزين﴾ معناه: مُحَاوِلِينَ تَعْجِيزَ قدرةِ اللَّهِ فِيهم، ثُم أَخْبَرَ تَعَالَى بِأَنَّ الذِينَ أُوتُوا العِلمَ يَرَوْنَ الوَحْيَ المُنَزَّل عَلَى مُحَمَّدٍ عليه السلام حَقاً، وَ﴿الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ﴾ قِيلَ: هُمْ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: هُمْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ الْمُؤْمِنُونَ[٢] بِهِ، ثُمَّ حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الكُفَّارِ مَقَالَتَهُمُ الَّتِي قَالُوهَا عَلَى جِهَةِ التَّعَجُّبِ وَالهُزْءِ وَاسْتِبْعَادِ البَعْثِ، ﴿هل نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ﴾؛ يَعْنُونَ مُحَمَّداً ﷺ ﴿يُنَبِّئُكُمْ إذا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ بِالبِلَى وَتَقَطُّعِ الأَوْصَالِ فِي القُبُورِ وَغَيْرِهَا و﴿جديد﴾ بمعنى مُجَدَّدٍ، وقولهم: ﴿أفترى على اللَّه كذباً﴾ هُوَ أَيْضاً مِنْ قَوْلِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، ثُمَّ أَضْرَبَ عَنْ قَوْلِهِمْ؛ فَقَالَ: ﴿بَلِ الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب﴾: يُرِيدُ عَذَابَ الآخرةِ؛ لأَنَّهُمْ صَائِرُونَ إِلَيْه، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يريدَ عَذَابَ الدنيا أيضاً، والضَّمِيرُ فِي قوله: ﴿أفلم يروا﴾ لهؤلاء الذين لا يؤمِنُونَ بالآخرةِ؛ وَقَفَهُمْ اللَّه على قدرتِه، وخَوَّفَهُم من إحاطَتِهَا بِهِمْ، والمعنى: أليسَ يَرونَ أمامَهم وَوَرَاءَهُم سَمَائِي وَأَرْضِي، وَبَاقِي الآيَةِ بَيِّنٌ، ثم
١٧٨أ ذكر اللَّه تَعَالَى نعمتَه عَلى دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ / احتجَاجاً عَلى مَا مَنَحَ مُحَمَّداً، و﴿أوبي﴾ مَعناه: رَجِّعي معه، قال ابنُ عَبَّاسٍ وغيرُهُ: معناه: يا جبالُ سَبِّحِي مَعَه، أي: يُسَبِّحُ هُوَ وتُرَجِّع هِيَ معه التسبيحَ، أي: تُرَدِّدُهُ بالذكر[٣].

وقال مؤرج: ﴿أَوِّبي﴾ سَبِّحِي بِلُغَةِ الحَبَشَةِ، وقَرَأَ[٤] عَاصِمٌ: «والطيرُ» ـ بالرفع ـ عَطْفاً عَلى لفظِ قوله: «يا جبال» وَقَرَأَ نَافعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ: «والطيرَ» ـ بِالنَّصْبِ ـ.

---

(١) ذكره ابن عطية (٤/ ٤٠٥).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٤٧) (٢٨٧١١)، وذكره البغوي (٣/ ٥٤٩)، وابن عطية (٤/ ٤٠٦)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٤/ ٤٢٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٥٠) (٢٨٧١٩)، وذكره ابن عطية (٤/ ٤٠٧)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٣/ ٥٢٧)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٤٢٦)، وعزاه لابن أبي شيبة في **«المنصف»**، وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) يعني قرأ عاصم في غير رواية حفص. وبها قرأ الأعرج وقرأ بها يعقوب كما ذكر الأزهري في **«معاني القراءات»** (٢/ ٢٩٠). وقرأ بقراءة الجمهور عاصم في رواية حفص، والحسن، وابن أبي إسحاق، وأبو جعفر. وبالجملة فقد قال الأزهري (٢/ ٢٨٩): واتفق القراء على نصب قوله: ﴿يا جبال أو بي معه والطَّيْرَ﴾.

وينظر: **«المحرر الوجيز»** (٤/ ٤٠٧)، و**«البحر المحيط»** (٧/ ٢٥٣)، و**«الدر المصون»** (٥/ ٤٣٤).

قَالَ سِيبَوَيْهِ: عَطَفَ عَلَى مَوْضِعِ قَوْلِهِ: «يا جبال» لأَنَّ مَوْضِعَ المنادَى المفردِ نَصْبٌ، وقيل: نَصْبُهَا بِإِضمار فِعْلٍ تقديرُه: وسخَّرْنَا الطَّيْرَ، ﴿وألنا له الحديد﴾ مَعْنَاه: جَعَلْنَاهُ لَيِّناً، ورَوَى قَتَادَةُ وَغَيْره: أَنَّ الْحَدِيدَ كَانَ لَهُ كَالشَّمْعِ؛ لاَ يَحْتَاجُ فِي عَمَلِهِ إِلَى نَارٍ[1]، و«السابغات»: الدُّرُوعُ الكَاسِيَاتُ ذَوَاتُ الفُضُولِ.

وَقوله تعالى: ﴿وقدر في السرد﴾ قَالَ ابنُ زَيْدٍ: الذي أَمَرَ به هُوَ فِي قدر الحَلْقَة، أي: لا تَعْمَلْهَا صَغِيرَةً فَتَضْعُفَ؛ فَلا يَقْوَى الدِّرْعُ عَلى الدِّفاعِ، وَلاَ تَعْمَلْهَا كَبِيرَةً، فَيُنَالَ لاَبِسُهَا مِنْ خِلاَلِهَا[2].

وقال ابن عباس: التقديرُ: الَّذِي أُمَر بِهِ هُو فِي المِسْمَارِ[3]، وذَكَرَ البُخَارِيُّ فِي «صحيحهِ» ذَلِكَ؛ فَقَالَ: المَعْنَى: لاَ تَدِقَّ المِسْمَارَ فَيَتَسَلَّلَ وَلاَ تُغْلِظْهُ فَيَنْقَصِمَ بالقافِ، وبالفاء أيضاً رواية.

ت: قال الهُرَوِيُّ: قوله تعالى: ﴿وقدر في السرد﴾ «السرد» مُتَابَعَةُ حَلَقِ الدِّرْعِ شَيْئاً بعد شيء حتى يتناسقَ، يقالُ: فُلاَنٌ يَسْرِدُ الحَدِيثَ سَرْداً، أي: يُتَابِعُه. انتهى.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾.

وَقَوْلُه تَعَالَى: ﴿ولسليمان الريح﴾ المَعْنَى: ولسليمانَ سخَّرْنَا الريح، و﴿غدوها شهر ورواحها شهر﴾.

قال قتادة: معناه: إنها كانت تَقْطَعُ بِهِ فِي الغُدُوِّ إِلَى قُرْبِ الزَّوَالِ؛ مَسِيرَةَ شَهْرٍ،

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٥١) (٢٨٧٣٠) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٤٠٧)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٢٧) بنحوه، والسيوطي في «الدر المنثور»، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٥١) (٢٨٧٣٤) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٤٠٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٥٢) رقم (٢٨٧٣٥) بنحوه، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٠٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٧) بنحوه، وعزاه لعبد الرزاق، والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وَتَقْطَعُ فِي الرَّوَاحِ مِنْ بَعْدِ الزَّوَالِ إلى الغُرُوبِ، مسيرةَ شَهْرٍ، وَكَانَ سليمانُ إذَا أرادَ قَوْماً لَمْ يَشْعُرُوا حَتَّى يُظِلَّهم في جَوِّ السَّمَاءِ(١). وقوله تعالى: ﴿وأسلنا له عين القطر﴾:

قَال ابن عباس، وغيره: كانت تَسِيلُ لَهُ باليَمَنِ عَيْنٌ جَارِيَةٌ مِنْ نُحَاسٍ؛ يُصْنَعُ لَهُ مِنها جَمِيعُ مَا أَحَبَّ، و﴿القطر﴾: النُّحَاس(٢)، و﴿يزغ﴾: معناه: يَمِلْ، أي: يَنْحَرِفُ عاصياً، وقال: ﴿عن أمرنا﴾ ولم يقل: «عن إرادتنا» لأَنَّهُ لاَ يَقَعُ في العالِم شَيءٌ يخالفُ إرَادَتَهُ سُبْحَانه تعالى ويقعُ ما يخالفُ الأَمر، وقوله: ﴿من عذاب السعير﴾ قيل: عذابُ الآخرة.

وقيل: بَلْ كَانَ قَدْ وُكِّلَ بِهِمْ مَلَكٌ بيدِه سَوْطٌ مِن نَارِ السَّعِيرِ؛ فَمَنْ عَصَى ضَرَبَهُ فَأَحْرَقَهُ، و«الْمَحَارِيبُ»: الأَبْنِيَةُ العَالِيَةُ الشَّرِيفَةُ، قَالَ قَتَادَةُ: القصورُ والمساجِدُ والتَّمَاثِيلُ(٣)، قِيلَ: كَانَتْ مِن زُجَاجٍ وَنُحَاسٍ تَمَاثِيلُ أَشْيَاءَ لَيْسَتْ بِحَيَوانٍ، «والجوابي»: جَمْعُ جَابِيَةٍ وَهِي البِرْكَةُ التي يُجْبَى إِلَيْهَا الماءُ و﴿راسيات﴾ مَعْنَاه: ثابتاتُ لِكِبَرِهَا، ليستْ مِمَّا يُنْقَلُ أو يُحْمَل ولا يَسْتَطِيعُ عَلَى عَمَلِهِ إلاَّ الجنُّ، ثُمَّ أُمِرُوا مَعَ هذهِ النعم بِأَنْ يَعْمَلُوا بِالطَّاعَاتِ، و﴿شكراً﴾ يُحْتَمَلُ نَصْبُه عَلى الحَالِ، أَوْ عَلَى جِهَةِ المَفْعُولِ، أي: اعملوا عَمَلاً هو الشكرُ كَأَنَّ العِبَادَاتِ كُلَّها هِي نَفْسُ الشُّكْرِ، وفي الحديث: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعَدَ المنبرَ فَتَلا هذه الآيَةَ، ثم قال: «ثَلاثٌ من أُوتِيهِنَّ فَقَدْ أُوتِيَ العَمَلَ شُكْراً: العدلُ في الرضَا والغَضَبِ، والقَصْدُ فِي الفَقْرِ والغِنَى، وخَشْيَةُ اللَّهِ فِي السِّرِّ والعَلاَنِيَة»(٤)، وَهَكَذَا نَقَلَ ابنُ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٥٣) برقم (٢٨٧٤٠) بنحوه، وذكره ابن عطية في «في تفسيره» (٤/ ٤٠٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٧) بنحوه، وعزاه لعبد بن حميد عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٥٣) برقم (٢٨٧٤٥) عن قتادة، ورقم (٢٨٧٤٦) عن ابن زيد، ورقم (٢٨٧٤٨) عن ابن عباس، وذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٥٥١)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٠٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٢٨) بنحوه، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٨) بنحوه، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٥٤) رقم (٢٨٧٥١)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٠٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٢٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٩) وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة.

(٤) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٣٠- ٤٣١)، وعزاه إلى ابن المنذر عن عطاء بن يسار مرسلاً، وإلى ابن مردويه عن حفصة مرفوعاً.
والحكيم الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً.
وابن النجار في «تاريخه» عن أبي ذر.
وذكره الهندي في «كنز العمال» (٤٣٢٢٤)، وعزاه للحكيم الترمذي عن أبي هريرة.

العَرَبِيِّ هَذَا الحَدِيثَ فِي «أحكامِهِ» وَعِبَارَةُ الدَّاوُودِيِّ: وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى المِنْبَرِ: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾، وَقَالَ: ثَلاثٌ مَنْ أُوتِيَهُنَّ فَقَدْ أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ آلُ دَاوُدَ: العَدْلُ فِي الغَضَبِ وَالرِّضَا، وَالقَصْدُ فِي الفَقْرِ وَالغِنىٰ، وذِكْرُ اللّهِ تَعَالَىٰ/ فِي السِّرِّ وَالعَلاَنِيَةِ»[١] ٧٨ ب
قَالَ القُرْطُبِي[٢] الشُّكْرُ تَقْوَى اللّهِ وَالعَمَلُ بِطَاعَتِهِ. انتهى.

قالَ ثابتٌ: رُوِيَ أَنَّ دَاوُدَ كَانَ قَدْ جَزَّأَ سَاعَاتِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ عَلَى أَهْلِهِ؛ فَلَمْ تَكُنْ تَأْتِي سَاعَةٌ مِنْ سَاعَاتِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ؛ إلاَّ وَإِنْسَانٌ مِنْ آل دَاودَ قَائِمٌ يُصَلِّي؛ يَتَنَاوَبُونَ دَائِماً[٣]، وَكَانَ سُلَيْمَانُ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمِ ـ فيما رُوِيَ ـ يَأْكُلُ الشَّعِيرَ وَيُطْعِمُ أَهْلَه الخُشْكَارَ، وَيُطْعِمُ المَسَاكِينَ الدَّرْمَكَ[٤]، وَرُوِيَ أَنّه مَا شَبِعَ قَطّ، فقيلَ له في ذلك؛ فقال: أخَافُ إِنْ شَبِعْتُ أَنْ أَنْسَى الجِيَاعَ.

وقولُه تَعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ يُحْتَمَلُ: أَنْ تَكونَ مخاطَبَةً لآلِ دَاوُدَ، ويحتمل: أَنْ تكونَ مخاطبةً لنبيِّنَا محمدٍ ﷺ وَعَلَى كُلِّ وَجْهٍ؛ فَفِيهَا تَحْرِيضٌ وَتَنْبِيهٌ، قال ابنُ عَطَاءِ اللّهِ فِي «الحِكَم»: مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النعمَ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِزَوَالِها، وَمَنْ شَكَرَهَا فَقَدْ قَيَّدَهَا بِعِقَالِها.

وقَالَ صَاحِبُ «الكَلِم الفَارِقية»: لاَ تَغْفَلْ عَنْ شُكْرِ الصَّنَائِعِ؛ وَسُرْعَةِ ٱسْتِرْجَاعِ الوَدَائِعِ، وَقَالَ أَيْضاً: يَا مَيِّتاً نُشِرَ مِنْ قَبْرِ العَدَمِ، بحُكْمِ الجُودِ والكَرَمِ، لاَ تَنْسَ سَوَالِفَ العُهُودِ والذِّمَمِ، اذكُرْ عَهْدَ الإِيجَادِ، وَذِمَّةَ الإِحْسَانِ والإِرْفَادِ، وَحَالَ الإِصْدَارِ والإِيرَادِ، وفاتحة المَبْدَإِ وَخَاتِمَةَ المَعَادِ، وَقَالَ ـ رحمه اللّه ـ: يَا دَائِمَ الغَفْلَةِ عَنْ عَظَمَةِ رَبِّه، أَيْنَ النَّظَرُ فِي عَجَائِبِ صُنْعِه، والتَّفَكُّرُ فِي غَرَائِبِ حِكْمَتِهِ، أَيْنَ شُكْرُ مَا أَفَاضَ عَلَيْكَ مِنْ مَلاَبِسِ إِحْسَانِه ونِعَمِهِ، يَا ذَا الفِطْنَةِ، اغْتَنِمْ نِعْمَةَ المُهْلَة، وَفُرْصَةَ المُكْنَةِ، وَخِلْسَةَ السَّلاَمَةِ، قَبْلَ حُلُولِ الحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ. انتهى.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ

(١) ينظر: الحديث السابق.
(٢) ينظر: «القرطبي» (٤/ ١٧٧).
(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٥٥٢)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤١٠)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٢٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٣٠)، وعزاه لابن أبي شيبة، وأحمد في «الزهد»، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ثابت البناني.
(٤) الدرمك: هو الدقيق الحُوَّاري.
ينظر: «النهاية» (٢/ ١١٤).

تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾.

وقَوْلُه تعالى: ﴿فلما قضينا عليه الموت...﴾ الآيَةَ. رُوِيَ عَن ابن عبَّاسٍ[1] وَابنِ مَسْعُودٍ فِي قَصَصِ هذهِ الآيَةِ كَلاَمٌ طَوِيلٌ، حَاصِلُه: أَنَّ سُلَيمَانَ عليه السلامُ لَمَّا أَحَسَّ بِقُرْبِ أَجَلِهِ؛ اجْتَهَدَ ـ عليه السلامُ ـ وجَدَّ فِي العِبَادَةِ؛ وَجَاءَهُ مَلَكُ المَوْتِ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ أُمِرَ بِقَبْضِ رُوحِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ له إلاَّ مُدَّةٌ يَسِيرَة.

قَالَ الثَّعْلَبِيُّ: وَقَالَ سُلَيمَانُ عند ذلك: اللَّهُمَّ، عَمِّ عَلَى الْجِنِّ مَوْتِي؛ حَتَّىٰ يَعْلَمَ الإِنسُ أَنَّ الجِنَّ لا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ، وكَانَتِ الجِنُّ تُخْبِرُ الإِنْسَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ مِن الغَيْبِ أَشياءَ، وأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ مَا فِي غَدٍ، وَلَمَّا أَعْلَمَهُ مَلَكُ المَوْتِ بِقُرْبِ الأَجَلِ؛ أَمَرَ حِينَئِذٍ الْجِنَّ، فَصَنَعَتْ لَهُ قُبَّةً مِنْ زُجَاجٍ تَشِفُّ؛ وَدَخَلَ فِيهَا يَتَعَبَّدُ؛ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا بَاباً، وَتَوَكَّأَ عَلَىٰ عَصَاهُ عَلَى وَضعٍ يَتَمَاسَكُ مَعَهُ وَإِنْ مَاتَ، ثُمَّ تُوُفِّيَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ عَلَىٰ تِلْكَ الحَالَةِ، فَلَمَّا مَضَىٰ لِمَوْتِهِ سَنَةٌ، خَرَّ عَنْ عَصَاهُ، وَالعَصَا قَدْ أَكَلَتْهَا الأَرَضَةُ؛ وَهِيَ الدُّودَةُ الَّتِي تَأْكُلُ العُودَ؛ فَرَأَتِ الجِنُّ انْخِرَارَهُ فَتَوَهَّمَتْ مَوْتَهُ؛ «والمِنْسَأَة»: العَصَا، وَقَرأَ الجمهور: ﴿تبينت الجن﴾ بإِسْنَادِ الفعلِ إِلَيْها، أي: بَانَ أَمْرُهَا، كَأَنَّهُ قال: افْتُضِحَتِ الجِنّ، أي: لِلإِنْسِ، هذا تَأْوِيلٌ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ قولُه: ﴿تبينت الجن﴾ بِمَعْنَى: عَلِمَتِ الجِنُّ وَتَحَقَّقَتْ، وَيُرِيدُ بِالجِنِّ: جُمْهُورَهُمْ، والخَدَمَةَ مِنهُمْ، ويُرِيدُ بالضَّمِيرِ فِي ﴿كانوا﴾: رُؤَسَاءَهُمْ وَكِبَارَهُمْ لأَنَّهُمْ هُمُ الذينَ يَدَّعُونَ عِلْمَ الغَيْبِ لأَتْبَاعِهِم من الجِنِّ والإِنسِ.

١٧٩أ / وَقَرأَ يَعْقُوبُ: «تبينت الجن» عَلَى بِنَاءِ الفعلِ لِلمَفْعُولِ، أي: تبيَّنَهَا النَّاسُ، و﴿العذاب المهين﴾: ما هم فيه من الخِدْمَةِ والتَّسْخِيرِ وغير ذلك، والمعنى: أَنَّ الجِنَّ لَوْ كَانَتْ تَعْلَم الغَيْبَ لَمَا خَفِي عَلَيْهَا مَوْتُ سُلَيْمَانَ؛ وَقَدْ ظَهَرَ أَنَّهُ خَفِيَ عَلَيْهَا بِدَوَامِها فِي الخِدْمَةِ الصَّعْبَةِ، وَهُوَ مَيِّتٌ فـ ﴿المهين﴾ المُذِلُّ، مِن الهَوَانِ، وَحَكَى الثَّعْلَبِيُّ: أَنَّ الشياطينَ قَالَتْ لِلأَرَضَةِ: لَوْ كُنْتِ تَأْكُلِينَ الطَّعَامَ لأَتَيْنَاكِ بِأَطْيَبِ الطَّعَامِ والشَّرَابِ، ولَكِنَّا سَنَنْقُلُ إِلَيكِ الماءَ والطِّين؛ فَهُمْ يَنْقُلُونَ إِلَيها ذَلِكَ حَيْثُ كَانَتْ شُكْراً لَهَا، انتهى.

﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٥٨) رقم (٢٨٧٧٧)، ورقم (٢٨٧٧٨) بنحوه، وذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٥٥٢)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤١١)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٢٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٣٢)، وعزاه للبزار، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن السني في «الطب النبوي»، وابن مردويه عن ابن عباس.

بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾.

وقولُه تَعالَى: ﴿لقد كان لسبأ في مساكنهم آية...﴾ الآية، هذا مَثَلٌ لقريش بِقَوْم أنْعَمَ اللَّه عليهمْ فَلَمْ يَشْكُروا؛ فانْتَقَمَ مِنهُم، أي: فأنتم أيُّها القَوْمُ مِثْلُهم، و﴿سبأ﴾ هُنا يراد بِهِ القَبِيلُ، واخْتُلِفَ: لِمَ سُمِّي القَبِيلُ بِذلك؟ فَقالَت فِرْقَةٌ: هُو اسْمُ امْرَأةٍ.

وقِيلَ: اسْمُ مَوْضِعٍ سُمِّيَ بِهِ القَبِيلُ، وقَالَ الجُمْهورُ: هُوَ اسْمُ رَجُلٍ، هُو أبُو القَبِيل كُلِّه، وفِيهِ حَدِيثُ فَرْوَةَ بْنِ مُسَيْكٍ المتقدِّمُ في «سُورة النَّمْلِ»؛ خَرَّجَهُ التِّرمِذِيُّ[١]، و﴿آية﴾: معناه: عِبْرَةٌ وَعَلاَمَةٌ عَلَى فَضْلِ اللَّهِ وقُدْرَتِه، و﴿جنتان﴾: مبتدأٌ وَخَبَرُه: ﴿عن يمين وشمال﴾، أو خَبَر مُبْتَدَإٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيره: هي جنتان، وقيل: ﴿جنتان﴾ بَدَلٌ مِن ﴿آية﴾ وَضُعِّفَ، ورُوِيَ فِي قَصَصِهِمْ أنَّهُ كَانَ فِي نَاحِيَةِ اليَمَنِ وَادٍ عَظِيمٌ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، وَكَانَتْ جَنْبَتَا الوادِي فَوَاكِهَ وزُرُوعاً، وكان قد بُنِيَ فِي رَأْسِ الوادِي عِنْدَ أَوَّلِ الجَبَلَيْنِ؛ جِسْرٌ عَظِيمٌ مِنْ حِجَارَةٍ مِنَ الجَبَلِ إلَى الجَبَلِ، فَاحْتَبَسَ الماءُ فِيهِ، وصَارَ بُحَيْرَةً عَظِيمَةً، وَأُخِذَ المَاءُ مِن جَنْبَتَيْهَا فَمَشَى مُرْتَفِعاً يَسْقِي جَنَّاتٍ كَثِيرَة جَنْبَتَي الوادِي، قِيلَ: بَنَتْهُ بلقيس، وَقِيلَ بَنَاهُ حِمْيَرُ أَبُو القَبَائِلِ اليَمَانِيَّةِ كُلِّهَا، وكانُوا بهذِهِ الحالِ فِي أرْغَدِ عَيْشٍ، وَكَانَتْ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ قُرًى ظَاهِرَةٌ مُتَّصِلَة من اليَمَنِ إلَى الشَّامِ، وَكَانُوا أرْبَابَ تِلْكَ البِلاَدِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ.

ت: وَقَوْلُ *ع[٢]*: «وَكَانَ قَدْ بُنِيَ فِي رَأْسِ الوَادِي عِنْدَ أَوَّلِ الجبلين» صوابُه: وَكَانَ قَدْ بُنِيَ فِي أَسْفَلِ الوَادِي عِنْدَ آخِرِ الجَبَلَيْنِ، و﴿كلوا﴾: فيه حذفٌ مَعْنَاهُ: قيل لَهُم: كُلُوا، و﴿طيبة﴾ معناه: كريمةُ التُّربةِ حَسَنَةُ الهَوَاءِ، ورُوِيَ أَنَّ هذهِ المَقَالَة؛ مِن الأَمْرِ بالأكْلِ وَالشُّكْرِ وَالتَّوْقِيفِ عَلى طِيبِ البَلْدَةِ وغُفْرَانِ الرَّبِّ مَعَ الإِيمَانِ بِهِ؛ هي من قول الأنْبِياء لَهُمْ، وبُعِثَ إليهم فِيمَا رُوِيَ ثَلاثَةَ عَشَرَ نَبِياً فَكَفَرُوا بِهِم وأَعْرَضُوا؛ فَبَعَثَ اللَّهُ عَلى ذَلِكَ السَّدِّ جُرَذاً أعْمَى؛ تَوالَدَ فِيه؛ وَخَرَقَهُ شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ؛ فَانْخَرَقَ السَّدُّ وَفَاضَ المَاءُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَجَنَّاتِهِم فَغَرَّقَها؛ وَأَهْلَكَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ مِمَّنْ لَمْ يُمْكِنْهُ الفِرَارُ، واخْتُلِفَ فِي ﴿العَرِمِ﴾. فَقَالَ المُغِيرَةُ بْنُ حَكِيمٍ وَأَبُو مَيْسَرَةَ: هُوَ كُلُّ مَا بُنِيَ أَوْ سُنِّمَ لِيُمْسِكَ[٣] المَاءَ، وَقَالَ ابْنُ

(١) تقدم تخريجه.
(٢) ينظر: «المحرر» (٤/ ٤١٣).
(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٦٢) رقم (٢٨٧٨٩) عن المغيرة بن حكيم، ورقم (٢٨٧٩٠) عن أبي ميسرة، كلاهما بنحوه، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤١٤) عنهما.

عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: ﴿العَرِمِ﴾: اسْمُ وَادِي ذَلِكَ المَاءِ بِعَيْنِهِ الَّذِي كَانَ السَّدُّ بُنِي[١] لَهُ»، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضاً: ﴿الْعَرِمِ﴾ الشَّدِيدُ[٢].

قَالَ *ع[٣]*: فَكَأَنَّهُ صِفَةٌ لِلسَّيْلِ مِنَ العَرَامَةِ، وَالإِضَافَةُ إِلَى الصِّفَةِ مُبَالَغَةٌ؛ وَهِي كثيرةٌ فِي كَلامِ العَرَبِ، وقِيلَ: ﴿العرم﴾: صِفَةٌ للمَطَرِ الشديدِ الذي كانَ عَنه ذَلِكَ السَّيْلُ.

وقوله تعالى: ﴿وبدلناهم بجنتيهم جنتين﴾ فيه تَجُوُّزٌ وَٱسْتِعَارَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّ البَدَلَ ـ مِنَ الخَمْطِ والأَثْلِ ـ لَمْ يَكُنْ جَنَّاتٍ؛ لَكِنَّ هَذا كَمَا تَقُولُ لِمَنْ جَرَّدَ ثَوْباً جَيِّداً وَضَرَبَ ظَهْرَه: ٧٩ ب
هَذا الضَّرْبُ ثَوْبٌ صَالِحٍ لَكَ؛ ونحو هذا، و«الخَمْط»: شَجَرُ الأَرَاكِ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُه[٤]، وقِيلَ: «الخَمْطُ»: كُلُّ شَجَرٍ لَهُ شَوْكٌ وَثَمَرَتَه كَرِيهَةُ الطَّعْمِ بِمَرَارَةٍ أَو حُمُوضَةٍ أَو نَحْوِه، وَمِنْه تَخَمَّطَ اللَّبَنُ إِذَا تَغَيَّرَ طُعْمُه و«الأَثْلُ»: ضَرْبٌ من الطَّرْفَاءِ، هذا هو الصَّحِيحُ، و«السدر»: معروفٌ وهُو لَه نَبْقٌ شَبَهُ العُنَّابِ لكنَّه دُونَه في الطَّعْمِ بِكَثِيرٍ، وللخَمْطِ ثَمرٌ غَثٌّ هُوَ البَرِيرُ، وللأَثْلِ ثَمرٌ قَلِيلُ الغَنَاءِ غَيْرُ حَسَنِ الطَّعْمِ، **وقرأ** نافع[٥] وابن كثير: «أُكُل»: ـ بِضَمِّ الهَمْزَةِ وسُكُونِ الكَافِ ـ، والبَاقُونَ: ـ بِضَمِّهِمَا ـ وهُمَا بمعنى الجَنَى والثَّمَرَةِ، ومِنْه: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٥]. أي: جناها، **وقرأ**[٦] أبو عمرو: «أُكُلِ خَمْطٍ» بإضافةِ «أُكُل» إلى «خمط».

---

(١) أخرجه الطبري في **«تفسيره»** (١٠/ ٣٦٢) رقم (٢٨٧٩٢) عن ابن عباس، ورقم (٢٨٧٩٣) عن قتادة، ورقم (٢٨٧٩٤) عن الضحاك، وذكره ابن عطية في **«تفسيره»** (٤/ ٤١٤)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٤٣٧). وعزاه لابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنه.
ولابن جرير عن الضحاك.
ولعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري في **«تفسيره»** (١٠/ ٣٦٣) رقم (٢٨٧٩٥)، وذكره ابن عطية في **«تفسيره»** (٤/ ٤١٤).

(٣) ينظر: **«المحرر»** (٤/ ٤١٤).

(٤) أخرجه الطبري في **«تفسيره»** (١٠/ ٣٦٤)، رقم (٢٨٨٠١) عن ابن عباس، ورقم (٢٨٨٠٢) عن الحسن، (٢٨٨٠٣) عن مجاهد، (٢٨٨٠٥) عن قتادة، وذكره البغوي في **«تفسيره»** (٣/ ٥٥٤)، وابن عطية في **«تفسيره»** (٤/ ٤١٤)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٣/ ٥٣٣) والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٤٣٧).
وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد، ولابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، ولابن أبي حاتم عن السدي، ولعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٥) ينظر: **«السبعة»** (٥٢٨)، و**«الحجة»** (٦/ ١٤)، و**«إعراب القراءات»** (٢/ ٢١٧)، و**«معاني القراءات»** (٢/ ٢٩٢)، و**«العنوان»** (١٥٦)، و**«إتحاف»** (٢/ ٣٨٥).

(٦) ينظر: مصادر القراءة السابقة، و**«حجة القراءات»** (٥٨٧)، و**«شرح الطيبة»** (٥/ ١٥٥)، و**«شرح شعلة»** (٥٥٣).

وقولُه تعالى: ﴿ذلك﴾ إشارةٌ إلى ما أَجْرَاهُ عَلَيْهِم.

وقولُه: «وهل يجازى»، أي: يناقَشُ ويُقَارَضُ بمثلِ فعلهِ قَدْراً بقَدْرٍ، لأَنَّ جَزَاءَ المُؤْمِنِ إِنَّما هو بِتَفَضُّلٍ وَتَضْعِيفِ ثَوَابٍ، وَأَمَّا الَّذِي لاَ يُزَادِ وَلاَ يَنْقص فَهُوَ الكَافِرُ، وقرأ[١] حمزةُ والكسائي: «وهل نُجَازِي» ـ بالنونِ وكَسْرِ الزَّايْ «الكفور» ـ بالنصبِ ـ.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ۝١٨ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝١٩﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى...﴾ الآية، هذه الآيةُ وَمَا بَعْدَهَا وَصْفُ حالِهم قَبْلَ مَجيء السَّيْلِ، وَهِيَ أَنَّ اللّهَ تَعَالَى مَعَ مَا كَانَ مَنَحَهُمْ مِنَ الجَنَّتَيْنِ والنِّعْمَةِ الخَاصَّةِ بِهِمْ؛ كَانَ قَدْ أَصْلَحَ لَهُم البِلاَدَ المُتَّصِلَةَ؛ وَعَمَّرَها وجَعَلَهُمْ أَرْبَابَها؛ وقدَّرَ السَّيرَ بأنْ قَرَّبَ القُرَى بَعْضَها مِن بَعْضٍ؛ حَتَّى كَانَ المسَافِر من مَأْرِبَ إِلَى الشَّام يَبِيتُ فِي قَرْيَةٍ وَيقِيلُ فِي قَرِيَةٍ فَلاَ يُحْتَاجُ إلى حَمْلِ زَادٍ، و﴿القرى﴾: المُدُنُ، والقُرَى الَّتي بُورِكَ فِيها: هِي بِلاَدُ الشَّامِ بإجْماع المفسِّرين، والقُرَى الظَّاهِرَة: هِي الَّتِي بَيْنَ الشَّامِ وَمَأْرِبَ وهِي ٱسْمُ بَلَدِهِمْ.

قال ابن عباس[٢] وغيره: هي قُرى عَرَبيَّةٌ بَيْنَ المدِينةِ والشَّام. وٱخْتُلِفَ فِي مَعْنَى ﴿ظاهرة﴾ فَقَالَت فِرقَة: معناه: مُسْتَعْلِيَةٌ مُرْتَفِعَةٌ فِي الآكَام وَهِيَ أَشْرَفُ القُرَى، وَقَالَتْ فِرقَةٌ: معناه: يَظْهَرُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْض؛ فَهِي أَبَداً فِي قَبْضَةِ عَيْنِ المُسَافِرِ؛ لاَ يَخْلُو عَنْ رُؤْيَةِ شَيْءٍ مِنْهَا.

قَال *ع[٣]*: والذي يَظْهَرُ لي أَنَّ معنى ﴿ظاهرة﴾ خَارِجَةٌ عَنِ المُدنِ فَهِي عِبَارَة عَنِ القُرَى الصِّغَارِ الَّتِي هِي فِي ظَوَاهِرِ المُدُنِ؛ واللّه أعلم، و﴿آمنين﴾، أي: مِنَ الخَوْفِ والجُوعِ والعَطَشِ وآفاتِ السَّفَرِ، ثم حكَى ـ سُبْحانه ـ عَنْهُمْ مقالةً قَالُوهَا عَلَى جِهَة البَطَرِ والأَشَرِ؛ وهِيَ طَلَبُ البُعْدِ بَيْنَ الأَسْفارِ كَأَنَّهُمْ مَلُّوا النِّعْمَةَ فِي القُرْبِ وَطَلَبُوا اسْتِبْدَالَ الَّذِي

(١) قرأ الأخوان وحفص «نُجَازِي» بنون العظمة وكسر الزاي أي نحن «إلاَّ الكَفُورَ» مفعول به. والباقون بضم الياء وفتح الزاي مبنياً للمفعول «إلاَّ الكَفُورُ» رَفْعٌ على مَا لَمْ يُسَمَّ فاعله، ومُسْلِمٌ بن جندب «يُجْزَى» مبنياً للمفعول «إلاَّ الكَفُورُ» رفعاً وقرىء «يَجْزِي» مبنياً للفاعل وهو الله تعالى. «الكَفُورَ» نصباً على المفعول به. ينظر: «حجة القراءات» ص ٥٨٧، و«الدر المصون» (٥/ ٤٤١).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٦٧) رقم (٢٨٨١٨) عن ابن عباس، ورقم (٢٨٨٢٠) عن الضحاك، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤١٥) عنهما، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٣٣).

(٣) ينظر: «المحرر» (٤/ ٤١٦).

هُو أَدْنَى بالَّذِي هُو خَيْرٌ، وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَفَرَّقَ اللّه شَمْلَهُمْ وخَرَّبَ بِلادَهُمْ وجَعَلَهُمْ أَحَادِيثَ؛ وَمِنه المَثَلُ السَّائِرُ «تَفَرَّقُوا أيادِي سَبَا وأيْدي سَبَا» يُقَالُ المَثَلُ بالوَجْهَيْنِ؛ وهَذَا هُو تَمْزِيقُهم كُلَّ مُمَزَّقٍ؛ فَتَيَامَنَ مِنهُمْ سِتَّةُ قَبَائِلَ، وَتَشَاءَمَتْ مِنهُمْ أربَعَةٌ حَسْبَمَا فِي الحديثِ، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى مُحَمَّداً ﷺ وأُمَّتَهُ عَلى جِهَة التَنْبِيهِ؛ بَأَنَّ هَذَا القَصَصَ فِيه آيَاتٌ وَعِبَرٌ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ مُتَّصِفٍ بالصَّبْرِ والشُّكْرِ.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه...﴾ الآية، قَرَأَ نَافِعٌ وأَبُو عمرٍو وَابْنُ عَامِرٍ: «ولقد صَدَقَ» بِتَخْفِيفِ الدَّالِ، وَقَرَأَ حَمْزَةُ والكسائِيُّ[1]: «صَدَّقَ» بِتَشْدِيدِها؛ فالظَّنُّ
١٨٠أ عَلى هذِهِ القِرَاءَةِ مَفْعُول «بصدَّقَ» ومعْنَى / الآية: أَنَّ إبْلِيسَ ظَنَّ فِيهِمْ ظَنًّا حَيْثُ قَالَ: ﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ [الأعراف: ١٧]. وغَيْرَ ذلك فَصَدَّقَ ظَنَّهُ فِيهِمْ؛ وأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُمْ اتَّبَعُوهُ وهُو اتِّبَاعٌ فِي كُفْرٍ لأَنَّهُ فِي قِصَّة قَوْمٍ كُفَّارٍ.

وقولُه: ﴿ممن هو منها في شك﴾ يَدُلُّ عَلى ذَلِكَ وَ«مِنْ» فِي قوله: ﴿من المؤمنين﴾ لبيَانِ الجِنْسِ لاَ لِلتَّبْعِيضِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ومَا كَان له عليهم من سلطان﴾ أي: مِنْ حُجَّةٍ، قال الحسنُ: واللّهِ مَا كَانَ لَهُ سَيفٌ وَلاَ سَوْطٌ وَلَكِنَّهُ اسْتَمَالَهُمْ فَمالُوا بِتَزْيِينِهِ[2].

---

(١) وقرأ عاصمٌ بتثقيلها ـ كما قرأ الأخوان.
ينظر: «السبعة» (٥٢٧)، و«الحجة» (٦/ ٢٠)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٢١٩)، و«معاني القراءات» (٢/ ٢٩٤)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٥٦)، و«العنوان» (١٥٦)، و«حجة القراءات» (٥٨٨)، و«شرح شعلة» (٥٥٤)، و«إتحاف» (٢/ ٣٨٦).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٧١) رقم (٢٨٨٣٥) بنحوه، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤١٧) بلفظه، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٣٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٤٠) كلاهما بنحوه.
وعزاه السيوطي لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن الحسن.

وقولُه تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله﴾ يريدُ: الأصْنَامَ والملائِكَةَ؛ وذَلِكَ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الملائِكَةَ؛ وَهَذِهِ آيَةُ تَعْجِيزٍ وَإِقَامَةِ حُجَّةٍ؛ ويُرْوَىٰ أَنَّ الآيَةَ نَزَلَتْ عِنْدَ الجُوعِ الَّذِي أَصَابَ قُرَيشاً، ثُمَّ جَاءَ بِصِفة هؤلاَءِ الذين يَدْعُونهم آلِهَةً أَنَّهُمْ لاَ يَمْلِكُونَ مُلْكَ اخْتِرَاعٍ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ؛ وأَنَّهُمْ لاَ شِرْكَ لَهُمْ فِيهِمَا، وهذَانِ نَوْعَا المُلْكِ: إِمَّا اسْتِبْدَادٌ وَإِمَّا مُشَارَكَةٌ؛ فَنَفَى عَنْهُمْ جَمِيعَ ذَلِكَ وَنَفَى أَنْ يَكُونَ مِنْهُم لِلَّهِ تعالىٰ مُعِينٌ فِي شَيْءٍ، و«الظَّهِيرُ»: المُعينُ، ثُمَّ قَرَّرَ فِي الآيَةِ بَعْدُ أَنَّ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يَشْعَفُونَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ؛ لاَ تَصِحُّ مِنْهُمْ شَفَاعَةٌ لَهُمْ إِذْ هَؤلاءِ كَفَرَةٌ وَلاَ يأْذَنُ اللَّهُ فِي الشَّفَاعَةِ فِي كَافِرٍ، وقَرَأَ حَمْزَةُ والكسائي وأبُو عَمْرٍو «أُذِنَ» ـ بِضَمِّ الهَمْزَةِ ـ[1].

وقوله تعالى: ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم...﴾ الآيَةَ، الضَّميرُ في ﴿قلوبهم﴾ عَائِدٌ عَلَى الملائِكَةِ الَّذِينَ دَعَوْهُمْ آلِهَةً.

قال *ع[2]*: وَتَظَاهَرَتْ الأَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ ـ أَعْنِي قوله: ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم...﴾ ـ إنَّما هِي فِي المَلاَئِكَةِ؛ إِذَا سَمِعَتِ الوَحْيَ إِلَى جِبْرِيلَ، أو الأَمْرَ يَأْمُرُ اللَّهُ بِهِ، سَمِعَتْ كَجَرِّ سِلْسِلَةِ الحَدِيدِ عَلى الصَّفْوَانِ، فَتَفْزَعُ عِنْدَ ذَلِكَ تَعْظِيماً وَهَيْبَةً لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وقِيل: خَوْفاً أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ؛ فَإِذَا فَرَغَ ذَلِك، فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِم، أي: أُطِيرَ الفَزَعُ عَنْهَا وَكُشِفَ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَلِجِبْرِيلَ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيَقُولُ المَسْؤُلُونَ: قَالَ الْحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ.

ت: وَلَفْظُ الحديثِ مِنْ طَرِيقِ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَال: «إِذَا قَضى اللَّهُ أَمْراً فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَاناً لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَىٰ صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ»[3] انتهى.

---

(١) وحجة الباقين في فتح الهمزة قوله تعالى: ﴿إلا من أذن له الرحمن﴾ [النبأ: ٣٨]، وقوله: ﴿إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾ [النجم: ٢٦] فردوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه.
ينظر: **«حجة القراءات»** (٥٨٩)، و**«السبعة»** (٥٢٩ ـ ٥٣٠)، و**«الحجة»** (٦/ ٢١)، و**«إعراب القراءات»** (٢/ ٢٢٠)، و**«معاني القراءات»** (٢/ ٢٩٥)، و**«شرح الطيبة»** (٥/ ١٥٧)، و**«العنوان»** (١٥٧)، و**«شرح شعلة»** (٥٥٤)، و**«إتحاف»** (٢/ ٣٨٦).

(٢) ينظر: **«المحرر»** (٤/ ٤١٨).

(٣) أخرجه البخاري (٨/ ٣٩٨) كتاب التفسير: باب ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾ حديث (٤٨٠٠)، والترمذي (٥/ ٣٦٢) كتاب التفسير: باب ومن سورة سبأ، حديث (٣٢٢٣)، وابن ماجه (١/ ٦٩ ـ ٧٠) المقدمة: باب فيما أنكرت الجهمية، حديث (١٩٤)، والطبري في **«تفسيره»** (١٠/ ٣٧٣) رقم (٢٨٨٤٧) من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

وَقَرَأَ الجُمْهُورُ «فُزع» ـ بِضَمِّ الفَاءِ ـ وَمَعْنَاهُ أُطِيرَ الفَزَعُ عَنْهُمْ وَقَوْلُهُمْ: ﴿وهُو العلي الكبير﴾ تَمْجِيدٌ وَتَحْمِيدٌ، ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّه ﷺ عَلَى جِهَةِ الاحْتِجَاجِ وَإِقَامَةِ الدَّلِيلِ عَلى الرَّازِقِ لَهُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ مَنْ هُوَ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَقْتَضِبَ الاحْتِجَاج بِأَنْ يَأْتِيَ بِجَوَابِ السُّؤَالِ؛ إِذْ هُمْ فِي بَهْتَةٍ وَوَجْمَةٍ مِنَ السُّؤَالِ؛ وإذ لاَ جَوابَ لَهُمْ إلاَّ أَنْ يَقُولُوا: هُو اللَّهُ، وهذِهِ السَّبِيلُ في كلِّ سُؤَال جَوابُهُ فِي غَايَةِ الوُضُوحِ؛ لأَنَّ المُحْتَجَّ يُرِيدُ أنْ يَقْتَضِبَ وَيَتَجَاوَزَ إِلَى حُجَّةٍ أُخْرَى يُورِدُها، وَنَظَائِرُهَا فِي القُرْآنِ كَثِيرٌ.

وقوله تعالى: ﴿وإنا أو إياكم﴾ تلطفٌ فِي الدَّعْوَةِ والمُحَاوَرَةِ والمَعْنَى: كَمَا تقولُ لِمَنْ خَالَفَكَ فِي مَسْأَلَةٍ: أَحَدُنَا مُخْطِىء تَثَبَّتْ وَتَنَبَّهْ؛ وَالمَفْهُومُ مِنْ كَلامِكَ أَنَّ مُخَالِفَكَ هُو المخطىء فَكَذلكَ هَذَا، مَعْنَاهُ: وَإِنا لَعَلَى هَدًى أو فِي ضَلالٍ مبينٍ؛ وَإِنَّكُمْ لَعَلَى هَدًى أَوْ
٨٠ ب فِي ضَلالٍ مُبِينٍ؛ فَتَنَبَّهُوا، وَالمَقْصِدُ أَنَّ الضَّلاَلَ فِي حَيِّزِهِم؛ / وَحَذْفُ أَحَدِ الخَبَرَيْنِ لدَلاَلَةِ البَاقِي عَلَيْهِ.

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ لا تسألون﴾ الآية مُهَادَنَةٌ ومُتَارَكَةٌ مَنْسُوخَةٌ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قل يجمع بيننا ربنا﴾ إِخْبَارٌ بِالبَعْثِ و﴿يفتح﴾ مَعْنَاه: يحكم: والفَتَّاحُ: القَاضِي، وهُو مَشْهُورٌ فِي لُغَةِ اليَمَنِ و﴿أروني﴾: هي رُؤْيَة قَلْبٍ، وهَذَا هُو الصَّحِيحُ، أي: أَرُونِي بالحُجَّةِ والدَّلِيلِ.

وقَوْلَهُ: ﴿كَلاَّ﴾ رَدٌّ لِما تَقَرَّرَ مِنْ مَذْهَبِهِمْ فِي الإِشْرَاكِ.

وَقَوْلُه تَعَالَى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس...﴾ الآية: إِعْلامٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى بِأَنَّهُ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ إِلَى جَمِيعِ العَالَمِ وَهِي إِحْدَى خَصَائِصِهِ الَّتِي خُصَّ بِهَا مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الأَنْبِياءِ وبَاقِي الآيةِ بَيِّن.

= وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٤٢)، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه. والبيهقي في «الأسماء والصفات».

قال أبو عُبَيْدَة: الوعدُ والوعيدُ والمِيْعَادُ: بمعنًى؛ وخُولِفَ فِي هَذا، والذِي عليه الناسُ أنَّ الوَعْدُ إذَا أُطْلِقَ فَفِي الخَيْرِ؛ وَالوَعِيدُ فِي المَكْرُوهِ؛ والمِيْعَادِ يَقَعُ لهذا ولهذا.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه﴾ هذه المقالةُ قَالَها بَعْض قُرَيْشٍ وهي أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بالقُرْآنِ ولاَ بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ والزَّبُورِ، فَكَأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِجَمِيعِ كُتُبِ اللّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وإِنَّمَا فَعَلُوا هَذَا لَمَّا وَقَعَ الاحْتِجَاجُ عَلَيْهِم بِمَا فِي التَّوْرَاةِ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ.

قَالَ الوَاحِدِيُّ: قوله تعالى: ﴿يرجع بعضهم إلى بعض القول﴾، أي: في التَّلاَوُم، انتهى. وبَاقِي الآية بَيِّنٌ. وَقَوْلُهُمْ: ﴿بل مكر الليل والنهار﴾، المعنى: بَلْ كَفَرْنَا بمكْرِكُمْ بِنَا في الليل والنهارِ؛ وأَضَافَ المَكْرَ إِلَى الليلِ والنهارِ مِنْ حَيْثُ هُو فِيهِمَا، وَلِتَدُلَّ هَذِهِ الإِضَافَةَ عَلَى الدُّؤُوبِ والدَّوَامِ، والضَّمِيرُ في ﴿أسروا﴾ عَامٌّ لِجَمِيعِهِم مِن المُسْتَضْعَفِينَ والمُسْتَكْبِرِينَ.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون﴾ هذه الآيةُ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبي ﷺ عَنْ فِعْلِ قُرَيْشٍ وَقَوْلِها، أي: هَذِهِ يَا مُحَمَّدُ سِيرَةُ الأُمَمِ، فَلاَ يُهِمَّنَّكَ أَمْرُ قَوْمِكَ، وَالْقَرْيَةُ: المَدِينَةُ، والمُتْرَف: الغَنِيُّ المُنعَمُ، القَلِيلُ تَعَب النَّفْسِ وَالبَدَنِ، فَعَادَتُهُمُ المبَادَرَةُ بالتَّكْذِيبِ.

وقوله: ﴿وقالوا نحن أكثر أموالاً...﴾ الآية: يُحْتَمَلُ أَنْ يَعُودَ الضَّمِيرُ فِي ﴿قالوا﴾ عَلى المُتْرَفِينَ؛ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ لِقُرَيْشٍ، وَيَكُونُ كَلاَمُ المُتْرَفِينَ قَدْ تَمَّ قَبْلَهُ، وَفِي «**صحيح مسلم**» عَنِ النَّبي ﷺ أَنَّه قَالَ: «إِنَّ اللّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلٰكِن يَنْظُرُ إِلَىٰ

قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»(١). انتهى.

وٱعْلَمْ أَنَّ المَالَ الزَّائِدَ عَلَى قَدْرِ الحَاجَةِ قَلَّ أَنْ يَسْلَمَ صَاحِبُهُ مِنَ الآفَاتِ إلاَّ مَنْ عَصَمَه اللّه تعالى، ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧].

وَقَدْ جَاءَ فِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» وَغَيْرِهِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الأَكْثَرُونَ مَالاً هُمُ الأَقَلُّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ إلاَّ مَنْ قَالَ بِالمَالِ هٰكَذَا وَهٰكَذَا»(٢) ـ وأَشَارَ ابنُ شِهَابٍ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ـ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ» اهـ. وَرَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي «رَقَائِقِهِ» قَالَ: أَخْبَرَنَا حَيْوَةُ بنُ شُرَيْحٍ عَن عقَيْلِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ
١٨١أ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ /: «إنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: لَنْ يَنْجُوَ مِنِّي الغَنِيُّ مِنْ إحْدَىٰ ثَلاثٍ: إمَّا أَنْ أُزَيِّنَ مَالَهُ فِي عَيْنَيْهِ فَيَمْنَعُهُ مِنْ حَقِّهِ؛ وَإمَّا أَنْ أُسَهِّلَ لَهُ سَبِيلَهُ فَيُنْفِقُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ؛ وَإمَّا أَنْ أُحَبِّبَهُ فَيَكْسِبَهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ»(٣)؛ انتهى. و«الزُّلْفَىٰ»: مَصْدَرٌ بِمَعْنَى القُرْبِ.

وقوله: ﴿إلا من آمن﴾ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ، وَقَرَأَ الجُمْهُورُ: «جزاء(٤) الضعف»، بالإِضَافَةِ و﴿الضعف﴾: هُنَا اسْمُ جِنْسٍ، أي: بالتَّضْعِيفِ، إذْ بَعْضُهُم يُجَازَى إلَى عَشَرَةٍ، وَبَعْضُهُمْ أَكْثَرُ صاعداً إلى سَبْعِ مِائَةٍ بِحَسْبِ الأَعْمَالِ وَمَشِيئَةِ اللّهِ فِيها.

﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٧) كتاب البر والصلة: باب تحريم ظلم المسلم، حديث (٣٤/ ٢٥٦٤)، وابن ماجه (٢/ ١٣٨٨) كتاب الزهد: باب القناعة، حديث (٤١٤٣)، وأحمد (٢/ ٥٣٩)، وفي «الزهد» (ص ٥٩)، وابن حبان (٣٩٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٩٨، ٧/ ١٢٤)، والبغوي في «شرح السنة» (٧/ ٣٥٤ـ بتحقيقنا) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (١١/ ٥٣٣) كتاب الأيمان والنذور: باب كيف كانت يمين رسول الله ﷺ، حديث (٦٦٣٨).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص ١٩٢ـ ١٩٣) رقم (٥٤٧)، والطبراني في «الكبير» كما في «المجمع» (١٠/ ٢٤٨)، وقال الهيثمي: إسناده حسن.

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٢٢)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٧٣)، و«الدر المصون» (٥/ ٤٥٠).

إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿والذين يسعون في آياتنا معاجزين﴾ تَقَدَّمَ تفْسِيرُهُ و﴿محضرون﴾ من الإِحْضَارِ والإِعْدَادِ، ثُمَّ كَرَّرَ القَوْلَ بِبَسْطِ الرِّزْقِ لاَ عَلَى المَعْنَى الأَوَّلِ؛ بَلْ هَذَا هُنَا عَلَى جِهَةِ الوَعْظِ، والتَّزْهِيدِ فِي الدُّنْيَا، والحَضِّ عَلَى النَّفَقَةِ فِي الطَّاعَاتِ، ثُمَّ وَعَدَ بِالخَلَفِ فِي ذَلِكَ. إِمَّا فِي الدنيا، وإِمَّا فِي الآخِرَةِ، وفي «البُخَارِي» أَنَّ مَلَكاً يُنَادِي كُلَّ يَوْمٍ: اللَّهُمَّ، أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ مَلَكٌ آخَرُ: اللَّهُمَّ، أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً[(١)]. وَرَوَى التِّرمِذِيُّ عَنْ أَبِي كَبْشَةَ الأَنْصَارِي: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «ثَلاَثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوه، قال: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا، وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ، أو كَلِمَةً نَحْوَهَا»[(٢)] الحديثَ، قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، انتهى. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ويوم نحشرهم...﴾ الآية: تَقَدَّمَ تَفْسِيرُ نَظِيرِهَا مُكَرَّراً، وفِي القُرْآنِ آيَاتٌ يَظْهَرُ مِنها أَنَّ الجِنَّ عبدت فِي سُورَةِ الأَنْعَامِ وغيرها؛ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿فاليوم﴾ أي: يُقَال لِمَنْ عَبَدَ وَمَنْ عبدَ: «اليَوْمَ لاَ يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفعاً ولاَ ضَرًّا».

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُواْ رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾.

وقوله تَعَالَى: ﴿وماء آتيناهم من كتب يدرسونها...﴾ الآية المعنى: أَنَّ هَؤُلاَءِ الكَفَرَةِ يَقُولُونَ بِآرَائِهِمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: سِحْرٌ، وَبَعْضُهُمْ: افْتِرَاءٌ، وَذَلِكَ مِنْهُمْ تَسَوُّرٌ لاَ يَسْتَنِدُونَ فِيهِ إِلَى أَثَارَةِ عِلْمٍ؛ فَإِنَّا مَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَها؛ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيهِم قَبْلَكَ مِن نذيرٍ يُبَاشِرُهُمْ وَيُشَافِهُهُمْ فَيُمْكِنَهُمْ أَنْ يُسْنِدُوا دَعْوَاهُمْ إِلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وما بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتيناهم﴾ الضَّمِيرُ في: ﴿بلغوا﴾ يَعُودُ عَلَى قُرَيْشٍ، وفِي آتَيْنَاهُمْ عَلَى الأُمَمِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَالمَعْنَى: مِن القُوَّةِ والنِّعَمِ والظُّهُورِ في

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٣٥٧) كتاب الزكاة: باب قول الله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى...﴾ حديث (١٤٤٢)، ومسلم (٢/ ٧٠٠) كتاب الزكاة: باب في المنفق، حديث (٥٧/ ١٠١٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٦٢- ٥٦٣) كتاب الزهد: باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، حديث (٢٣٢٥). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

الدُّنْيَا؛ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ وابْنُ زَيْدٍ[١]: والمِعْشَارُ: العُشْرُ وَلَمْ يأتِ هَذا البِنَاءُ إلاَّ فِي العَشَرَةِ والأَرْبَعَةِ، فَقَالُوا: مِرْبَاعٌ وَمِعْشَارٌ؛ و«النَّكِيرُ» مَصْدَرٌ كَالإِنْكَارِ فِي المَعْنَى، وكَالعَذِيرِ فِي الوَزْنِ، وَ﴿كَيْفَ﴾: تَعْظِيمٌ لِلأَمْرِ وَلَيْسَتْ اسْتِفْهَاماً مُجَرَّداً؛ وَفِي هَذا تَهْدِيدٌ لِقُرَيْشٍ، أي: أنهم مُتَعَرِّضُونَ لِنَكِيرِ مِثْلِهِ، ثُمَّ أمرَ ـ تَعَالَى ـ نَبِيَّهُ عليه السلام أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللّهِ ـ تَعَالَى ـ وَالنَّظَرِ فِي حَقِيقَةِ نُبُوَّتِهِ هُوَ، وَيَعِظُهُمْ بِأَمْرٍ مُقَرِّبٍ لِلأَفْهَامِ، فَقَوْلُهُ: ﴿بواحدة﴾ معناه: بِقَضِيَّةٍ وَاحِدَةٍ إيجَازاً لَكُمْ وَتَقْرِيباً عَلَيْكُمْ وَهُوَ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ، أي: لأَجلِ اللّهِ أو لِوَجْهِ اللّهِ مَثْنَى أي: اثنين اثنين مُتَنَاظِرَيْنِ وفُرَادَى، أي: وَاحِداً وَاحِداً، ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا، هَلْ
٨١ ب بِصَاحِبِكُمْ جِنَّة، أو هُوَ بَرِيءٌ مِنْ ذَلِكَ، والوَقْفُ عِنْدَ أَبِي حَاتِمٍ ﴿تتفكروا﴾ / فَيَجِيء: ﴿ما بصاحبكم﴾ نَفْياً مُسْتَأْنَفاً، وَهُوَ عِنْدَ سِيبَوَيهِ جَوَابُ مَا تَنْزِلُ مَنْزِلَة القَسَمِ؛ وَقِيلَ فِي الآيَةِ غَيْرُ هَذَا مِمَّا هُو بَعِيدٌ مِنَ أَلْفَاظِهَا فَتَعَيَّنَ تَرْكُهُ.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾.

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قل ماسألتكم من أجر فهو لكم﴾ مَعْنَى الآية بَيِّنٌ وَاضِحٌ لاَ يَفْتَقِرُ إِلَى بَيَانٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿يقذف بالحق﴾ يريدُ بالوَحْيِ وَآياتِ القُرآنِ وَاسْتَعَارَ لَه القَذْفَ مِنْ حَيْثُ كَانَ الكُفَّارُ يَرمُوْنَ بآياته وَحِكَمِهِ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَه: ﴿قل جاء الحق﴾ يُرِيدُ الشَّرْعَ بِجُمْلَتِهِ، ﴿وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾ قَالَتْ فِرْقَةٌ: البَاطِلُ غَيْرُ الحَقِّ مِنَ الكَذِبِ وَالكُفْرِ وَنَحْوِه، اسْتَعَارَ لَهُ الإِبْدَاءَ وَالإِعَادَةَ وَنَفَاهُمَا عَنْه، كَأَنَّهُ قَالَ: وَمَا يَصْنَعُ البَاطِلُ شَيْئاً.

وَقَوْلُهُ: ﴿فبِمَا يُوحِي﴾ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ «مَا» بِمَعْنَى الَّذِي أو مَصْدَرِيَّةً.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٨٤) رقم (٢٨٨٧٧) عن ابن عباس بنحوه، ورقم (٢٨٨٧٩) عن قتادة، (٢٨٨٨٠) عن ابن زيد، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٢٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٤٢) بنحوه، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٠).
وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، ولابن المنذر عن ابن جريج، ولعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة.

ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾﴾.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ولو ترى إذ فزعوا...﴾ الآية. قَالَ الحَسَنُ بن أبي الحَسَنِ: ذَلِكَ فِي الكُفَّارِ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ مِنَ القُبُورِ فِي القِيَامَةِ[1].

قال ﷺع[2]ﷺ: وَهُوَ أَرْجَحُ الأَقْوَالِ هُنَا، وَأَمَّا مَعْنَى الآيَةِ فَهُوَ التَّعَجُّبُ مِنْ حَالِهِمْ إذَا فَزِعُوا مِنْ أَخْذِ اللّهِ إيَّاهُمْ وَلَمْ يَتَمَكَّنْ لَهُمْ أَنْ يَفُوتَ مِنْهُمْ أَحَد ﴿وأخذوا من مكان قريب﴾، أي: أنَّ الأَخْذَ يَجِيئُهُمْ مِنْ قُرْبٍ فِي طُمَأْنِينَتِهِمْ وبَعقِبِهَا، بَيْنَمَا الكَافِرُ يُؤَمِّلُ ويَتَرَجَّى إذْ غَشِيَهُ الأَخْذُ، وَمَنْ غَشِيَهُ أُخِذَ مِنْ قَرِيبٍ؛ فَلاَ حِيلَةَ لَهُ وَلاَ رَوِيَّةَ، و﴿قالوا آمنا به﴾ الضَّمِيرُ في ﴿به﴾ عَائِدٌ عَلى اللّهِ ـ تعالى ـ، وَقِيلَ: عَلى محمدٍ وَشَرْعِهِ والقُرْآنِ، وَقَرَأَ نَافِعٌ وَعَامَّةُ القُرَّاءِ: «التناوش» دُونَ هَمْزٍ وَمَعْنَاهُ التَّنَاوُلِ، مِن قَوْلِهِمْ نَاشَ يَنُوشُ إذَا تَنَاوَلَ، وَعِبَارَةُ الوَاحِدِيِّ ﴿وأنى لهم التناوش﴾ أي: كَيْفَ يَتَنَاوَلُونَ التَّوْبَةَ وَقَدْ بَعُدَتْ عَنْهُمْ. انتهى.

وقَرَأَ أَبُو عمرو وحمزة[3] والكسائي: «التناؤش» بِالهَمْزِ فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ تَفْسِيرُهُ كَالقِرَاءَةِ الأُولَى، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الطَّلَبِ؛ تَقُولُ: انْتَأَشْتُ الخَيْرَ إذَا طَلَبْته مِنْ بُعْدِ.

ﷺتﷺ: وَقَالَ البُخَارِيُّ: التَّنَاوُشُ الرَّدُّ مِنَ الآخِرَة إلَى الدُّنْيَا، انتهى.

﴿ويقذفون بالغيب﴾ أي: يَرْجُمُونَ بِظُنُونِهِمْ وَيَرْمُوْنَ بِهَا الرَّسُولَ وَكِتَابَ اللّهِ، وَذَلِكَ غَيْبٌ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِمْ سِحْرٌ وَافْتِرَاءٌ وَغَيْرُ ذَلِكَ، قَالَه مُجَاهِدٌ[4]، وَقَالَ قَتَادَةُ: قَذْفُهُمْ بِالْغَيْبِ هُوَ قَوْلُهُمْ: لاَ بَعْثَ وَلاَ جَنَّةَ وَلا نَارَ[5].

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٨٨) رقم (٢٨٨٩٤)، وذكره ابن عطية (٤/ ٤٢٦)، وابن كثير (٣/ ٥٤٤)، والسيوطي (٥/ ٤٥١)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن الحسن.

(٢) ينظر: «المحرر» (٤/ ٤٢٦).

(٣) ينظر: «السبعة» (٥٣٠)، و«الحجة» (٦/ ٢٣)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٢٢١)، و«معاني القراءات» (٢/ ٢٩٧)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٥٨)، و«العنوان» (١٥٧)، و«حجة القراءات» (٥٩٠)، و«شرح شعلة» (٥٥٥)، و«إتحاف» (٢/ ٣٨٩).

(٤) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٩٠) رقم (٢٨٩١٠)، وذكره ابن عطية (٤/ ٤٢٧)، وابن كثير (٣/ ٥٤٥)، والسيوطي (٥/ ٤٥٤)، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٥) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٩١) رقم (٢٨٩١١)، وذكره ابن عطية (٤/ ٤٢٧)، وابن كثير (٣/ ٥٤٥)، والسيوطي (٥/ ٤٥٤)، وعزاه لابن أبي حاتم عن قتادة.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَه: ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾.

قَالَ الحَسَنُ: مَعْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ وَالتَّوْبَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَى الإِنَابَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ[١]، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ اشْتَهَوْهُ فِي وَقْتٍ لاَ تَنْفَعُ فِيهِ التَّوْبَةُ. وَقَالَهُ أَيْضاً قَتَادَةُ[٢]؛ وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مَعْنَاه: وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ نَعِيمِ الدُّنْيَا[٣].

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا كَمَا فُعِلَ بَأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ، والأَشْيَاعُ الفِرَقُ المُتَشَابِهَةُ، فَأَشْيَاعُ هَؤُلاَءِ هُمُ الكَفَرَةُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ.

ص: قَالَ أَبُو حَيَّانٍ[٤]: و﴿مريب﴾ اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ أَرَابَ، أي: أتى بِرِيْبَةٍ وَأَرْبَتُهُ أَوْقَعْتُهُ فِي رَيْبَة، وَنِسْبَةُ الإِرَابَةِ إِلَى الشَّكِّ مَجَازٌ.

قَالَ *ع[٥]*: والشَّكُّ المُرِيبُ أَقْوَى مَا يَكُونُ مِنَ الشَّكِّ وَأَشَدُّهُ إِظْلاَماً، انتهى.

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٩١) رقم (٢٨٩١٣، ٢٨٩١٤، ٨٩١٥) وذكره ابن عطية (٤/ ٤٢٧)، وابن كثير (٣/ ٥٤٥)، والسيوطي (٥/ ٤٥٤)، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن الحسن.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٩١) رقم (٢٨٩١٧) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٤٢٧).

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٩١) رقم (٢٨٩١٦)، وذكره ابن عطية (٤/ ٤٢٧)، وابن كثير (٣/ ٥٤٥)، والسيوطي (٥/ ٤٥٤)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد نحوه.

(٤) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٢٨١).

(٥) ينظر: «المحرر» (٤/ ٤٢٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى ٱللَّهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ

تفسير سورة فاطر

وهي مكية

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٖ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٞ مِّن قَبْلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾﴾.

٨٢/أ قوله تعالى: ﴿الحمد للّه فاطر السمٰوات والأرض جاعل / الملائكة رسلاً أولي أجنحة...﴾ الآية ﴿رسلاً﴾ مَعْنَاهُ: بِالْوَحْيِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَوَامِرِهِ سُبْحَانَهُ، كَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وعزرائيل رسلٌ، وَالمَلاَئِكَةُ المُتَعَاقِبُونَ رُسُلٌ وَغَيْرُ ذَلِكَ، و﴿مَثْنَى وَثلاَث ورباع﴾ أَلْفَاظٌ مَعْدُولَةٌ عَنْ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ وَثَلاَثَةٍ ثَلاَثَةٍ وَأَرْبَعَةٍ أَرْبَعَةٍ، عُدِلَتْ فِي حَالَةِ التَّنْكِيرِ فَتَعَرَّفَتْ بِالْعَدْلِ فَهِيَ لاَ تَنْصَرِفُ لِلْعَدْلِ وَالتَّعْرِيفِ، وَقِيلَ: لِلْعَدْلِ وَالصِّفَةِ، وَفَائِدَةُ العَدْلِ الدَّلاَلَةُ عَلَى التَّكْرَارِ لأَنَّ مَثْنَى بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ: اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ.

قَالَ قَتَادَةُ: إِنَّ أَنْوَاعَ المَلاَئِكَةِ هُمْ هَكَذَا مِنْهَا مَا لَه جَنَاحَانِ؛ وَمِنْهَا مَا لَه ثَلاَثَةٌ، وَمِنْهَا مَا لَهُ أَرْبَعَةٌ، وَيَشُذُّ مِنْها مَا لَهُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، وَرُوِيَ[1]: أَنَّ لِجِبْرِيلَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ سِتَّ مِائَةِ جَنَاحٍ مِنْهَا اثْنَانِ يَبْلُغَانِ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ.

وَقَوْلُه تَعَالَى: ﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾ تَقْرِيرٌ لِمَا يَقَعُ فِي النُّفُوسِ مِنَ التَّعَجُّبِ عِنْدَ الخَبَرِ بِالمَلاَئِكَةِ أُولِي الأَجْنِحَةِ، أي: لَيْسَ هَذَا بِبِدْعٍ فِي قُدْرَةِ اللّهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُ يَزِيدُ فِي الخَلْقِ مَا يَشَاءُ؟ وَرُوِيَ عَنْ الحَسَنِ وَابْنِ شِهَابٍ أَنَّهُمَا قَالاَ: المَزِيدُ هُوَ حُسْنُ الصَّوْتِ[2]،

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/٣٩٣) برقم (٢٨٩٢٣)، وذكره البغوي (٣/٥٦٤)، وابن عطية (٤/٤٢٩)، والسيوطي (٥/٤٥٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) ذكره البغوي (٣/٥٦٤)، وابن عطية (٤/٤٢٩)، وابن كثير (٣/٥٤٦)، والسيوطي (٥/٤٥٩)، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في **«شعب الإيمان»** عن الزهري.

قَالَ الهَيْثَمُ الفَارِسِيُّ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي النَّوْمِ فَقَالَ لِي: أَنْتَ الهَيْثَمُ الَّذِي تُزَيِّنُ القُرْآنَ بِصَوْتِكَ جَزَاكَ اللّهُ خَيْراً.

وَقِيلَ مِنَ الأَقْوَالِ فِي الزِّيَادَةِ غَيْرَ هَذَا وَذَلِكَ عَلَى جِهَةِ المِثَالِ لاَ أَنَّ المَقْصِدَ هِيَ فَقَطْ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ما يفتح اللّه﴾ ﴿ما﴾ شَرْطٌ و﴿يَفْتَحْ﴾ مَجْزُومٌ بِالشَّرْطِ.

وقوله: ﴿من رحمة﴾ عَامٌّ فِي كُلِّ خَيْرٍ يُعْطِيهِ اللّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ.

وَقَوْلُه: ﴿من بعده﴾ فيه حَذْفُ مُضَافٍ، أي: مِنْ بَعْدِ إِمْسَاكِهِ وَمِنْ هَذِهِ الآيَةِ سَمَّتِ الصُّوفِيَّةُ مَا تُعْطَاهُ مِنَ الأَمْوَالِ وَالمَطَاعِمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ «الفُتُوحَاتِ».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ۝٧﴾.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يأيها الناس﴾ خِطَابٌ لِقُرَيْشٍ وَهُوَ مُتَوَجِّهٌ لِكُلِّ كَافِرٍ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَه: ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾.

ت: هذِهِ الآيَةُ مَعْنَاهَا بَيِّنٌ، قَالَ ابْنُ عَطَاءِ اللّهِ: يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يُقَلِّلَ الدُّخُولَ فِي أَسْبَابِ الدُّنْيَا فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ قَلِيلَ الدُّنْيَا يُلْهِي عَنْ كَثِيرِ الآخِرَةِ» وَقَالَ ﷺ: «مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ إِلاَّ وَبِجَنْبَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ: يَأَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمُّوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ، فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَىٰ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى»[1]. انتهى مِنْ «لَطَائِفِ المِنَنِ». وَقَرَأَ جُمْهُورُ النَّاسِ: «الغرور» - بِفَتْحِ الغَيْنِ - وَهُوَ الشَّيْطَانُ. قَالَهُ ابْنِ عَبَّاسٍ[2].

وَقَوْلُهُ: ﴿إن الشيطان لكم عدو﴾ الآية: يُقَوِّي قِرَاءَةَ الجُمْهُورِ ﴿فاتَّخذوه عدواً﴾. أي: بالمبَايَنَةِ والمقَاطَعَةِ والمخَالَفَةِ لَه بِاتِّبَاعِ الشَّرْعِ.

---

(١) أخرجه ابن حبان (٢٤٧٦ـ موارد)، وأحمد (٥/ ١٩٧)، وفي «الزهد» (ص ١٩)، وعبد بن حميد في «المنتخب» رقم (٢٠٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٣٣ـ ٢٣٤). والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ٢٥) رقم (٨١٠) من حديث أبي الدرداء.
وذكره الهيثمي في «المجمع» (٣/ ١٢٢) وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٩٥) (٢٨٩٢٧)، وذكره ابن عطية (٤/ ٤٢٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٤٧).

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً﴾ تَوْقِيفٌ وَجَوَابُهُ مَحْذُوفٌ يُمْكِنُ أَنْ يُقَدَّرَ كَمَن اهْتَدَى وَنَحْوَ هَذا مِنَ التَّقْدِيرِ وأَحسَنُ التقدير مَا دَلَّ اللَّفْظُ بَعْدُ عَلَيْهِ[١]؛ وقَرَأَ الجُمْهُورُ: ﴿فلا تذهب﴾ ـ بِفَتْحِ التَّاءِ والهَاءِ ـ: ﴿نفسك﴾ ـ بالرَّفْعِ ـ، وقَرَأَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ[٢] «تُذْهِبْ» ـ بِضَمِّ التَّاءِ وَكَسْرِ الهَاءِ ـ «نَفْسَكَ» ـ بِالنَّصْبِ ـ وَرُوِيَتْ عَنْ نَافِعٍ[٣]، وَالْحَسْرَةُ هَمُّ النَّفْسِ عَلَى فَوَاتِ أَمْرٍ، وَهَذِهِ الآيَة تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَنْ كُفْرِ قَوْمِه، وَوَجَبَ التَسْلِيمُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِضْلاَلِ مَنْ شَاءَ وَهِدَايَةِ مَنْ شَاءَ.

وَقَوْلُهُ سبحانه: ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت﴾ هَذِهِ آيَةُ احْتِجَاجٍ عَلَى الكَفَرَةِ فِي إِنْكَارِهِم البَعْثَ مِنَ القُبُورِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿من كان يريد العزة﴾ يُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ: مَنْ كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ بِمُغَالَبَةٍ فَلِلَّهِ العِزَّةُ: أي: لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ وَلاَ تَتِمُّ إِلاَّ بِهِ، وَنَحَا إِلَيْهِ مُجَاهِدٌ وَقَالَ: مَنْ كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ بِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ[٤].

قال *ع[٥]*: وَهَذَا تَمَسُّكٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١].

وَيُحْتَمَلُ / أَنْ يُرِيدَ: مَنْ كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ وَطَرِيقَهَا القَوِيمَ وَيُحِبُّ نَيْلَهَا عَلَى وَجْهِهَا فَلِلَّهِ ٨٢ ب

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٣٠)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٨٨)، و«الدر المصون» (٥/ ٤٦٠).
(٢) ينظر: «مختصر الشواذ» ص ١٢٤، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٣٠)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٨٨)، وزاد نسبتها إلى أبي حيوة، وشيبة، وحميد، والأعمش، وابن محيصن.
وهي في «الدر» (٥/ ٤٦٠).
(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٣٠)، و«البحر المحيط» (٧/ ٢٨٨).
(٤) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٩٨) (٢٨٩٣٥)، وذكره ابن عطية (٤/ ٤٢٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٤٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٦١)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد رضي الله عنه.
(٥) ينظر: «المحرر» (٤/ ٤٣١).

العِزَّةِ، أي: بِهِ، وَعَنْ أَوَامِرِه، لاَ تُنَالُ عِزَّتُهُ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ، وَنَحَا إِلَيْهِ[١] قَتَادَةُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلِيه يصعد الكلم الطيب﴾ أي: التوحيدُ، والتحميدُ، وذكر اللّه ونحوه.

وقوله تعالى: ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ قيل: المعنى؛ يرفعه اللّه، وهذا أرجحُ الأقوال.

وقال ابن عباس[٢] وغيره: إن العملَ الصالح هو الرافعُ للكَلِم، وهذا التأويل إنما يستقيمُ بأن يتأوّل على معنى أنه يَزِيد في رفعه وحُسْن موقعِه.

﴿ت﴾: وعن ابن مسعودٍ؛ قال: «إذا حدّثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك في كتاب اللّه سبحانه: «إن العبد إذا قال: «سبحان اللّه والحمد للّه واللّه أكبر وتبارك اللّه» قَبَضَ عليهن ملك؛ فضمَّهن تحت جَناحه؛ وصَعَدَ بهن لا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يُجَاء بهن وجهُ الرحمن سبحانه. ثم تلا عبد اللّه بن مسعود: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾»[٣]. رواه الحاكم في «**المستدرك**» وقال: صحيح الإسناد: انتهى من «**السلاح**». و﴿يمكرون السيئات﴾ أي: المكرات السيئات. و﴿يبور﴾ معناه: يفسد ويبقى لا نفع فيه.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٩٨) (٢٨٩٣٦)، وذكره البغوي (٣/ ٥٦٦)، وذكره ابن عطية (٤/ ٤٢٩)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٣/ ٥٤٩).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٩٩) (٢٨٩٤٠)، وذكره البغوي (٣/ ٥٦٦)، وابن عطية (٤/ ٤٣١)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٣/ ٥٤٩)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٤٦٢)، وعزاه لابن المبارك، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن الحسن رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٩٨) (٢٨٩٣٧)، وذكره البغوي (٤/ ٥٦٦)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٣/ ٥٤٩)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٤٦٢)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، والحاكم وصححه، والبيهقي في «**الأسماء والصفات**» عن ابن مسعود رضي الله عنه.

يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره﴾ الآية. قيل: معنى الأزواج هنا: الأنواع، وقيل: أراد تزويجَ الرجالِ النساءَ، والضميرُ في ﴿عمره﴾ قال ابن عباس وغيره، ما مقتضاه: أنه عائد على ﴿معمر﴾ الذي هو اسم جنس[١]؛ والمراد غيرُ الذي يعمر، وقال ابن جبير وغيره: بل المراد شخص واحد وعليه يعود الضمير، أي: ما يعمر إنسان ولا ينقص من عمره بأن يحصي ما مضى منه إذا مَرَّ حَوْلٌ كتب ما مضى منه، فإذا مر حول آخر كتب ذلك، ثم حول، ثم حول؛ فهذا هو النقص.

قال ابن جبير: فما مضى من عمره؛ فهو النقص وما يستقبل؛ فهو الذي يعمره[٢].

وقوله تعالى: ﴿وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ تقدم تفسير نظير هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى﴾ الآية: الأجل المسمَّى هو قيام الساعة، وقيل: آماد الليل، وآماد النهار، والقِطْمِير: القشرة الرقيقة التي على نوى التمرة. وقال الضحاك وغيره: القِطْمِير القِمَعُ الذي في رأس التمرة[٣]، والأول أشهرُ وأصوبُ. ثم بيَّن تعالى بطلانَ الأصنام بثلاثة أشياءَ: أوّلُها: أنها لا تسمع إنْ دُعِيَتْ، والثاني: أنها لا تجيب إن لو سمعت، وإنما جاء بهذه؛ لأن القائل متعسف أن يقول: عساها تسمع، والثالثُ: أنها تَتَبَرَّأ يوم القيامة من الكفرة.

وقوله تعالى: ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾ قال المفسرون: الخبيرُ هنا هو الله سبحانه فهو

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٤٠٠) (٢٨٩٤٩)، وذكره ابن كثير في «**تفسيره**» (٣/ ٥٥٠)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٤٦٣)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٤٠١) (٢٨٩٥٢)، وذكره البغوي (٤/ ٥٦٦)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٤٦٤)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في «**العظمة**» عن سعيد بن جبير.

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٤٠٣) (٢٨٩٦٦)، عن جويبر عن بعض أصحابه. وذكره ابن عطية (٤/ ٤٣٤)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٤٦٦)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر عن الضحاك.

الخبيرُ الصادقُ الخبر، ونَبَّأَ بهذا؛ فلا شك في وقوعه.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾ الآية: آيةُ وعظٍ وتذكيرٍ، والإنسان فقيرٌ إلى الله ـ تعالى ـ في دقائقِ الأمورِ وجلائِلها؛ لاَ يَسْتَغني عنه طرفةَ عَيْنٍ؛ وهو به
١٨٣أ مستغنٍ عن كل أحدٍ، ﴿والله هو الغني / الحميد﴾ أي: المحمود بالإطلاق.

وقوله: ﴿بعزيز﴾ أي: بِمُمْتَنِعٍ و﴿تزر﴾ تَحْمِلُ، وهذه الآية في الذنوب، وأُنِّثَتْ ﴿وازرة﴾ لأنه ذهبَ بها مذهبَ النفسِ وعلى ذلك أُجريت ﴿مثقلة﴾، واسم ﴿كان﴾ مضمرٌ تقديره: ولو كان الداعي. ثم أخبر تعالى نبيه أنه إنما ينذر أهل الخَشْيَةَ. ثم حض على التزكي بأن رجَّى عليه غايةَ الترجية. ثم توعد بعد ذلك بقوله: ﴿وإلى الله المصير﴾.

قال ﴿ع[1]﴾: وكلُّ عبارةٍ فهي مقصِّرة عن تفسير هذه الآيةِ، وكذلك كتابُ اللهِ كلُّه، ولكن يظهر الأمرُ لنا نحنُ في مواضعَ أكثَرَ منه في مواضِعَ؛ بحَسْبِ تَقْصِيرنا.

﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير﴾ الآية: مُضَمَّنُ هذه الآية الطعنُ على الكفرة وتمثيلُهم بالعمي والظلماتِ؛ وتمثيلُ المؤمنِينَ بإزائهم بالبُصَرَاءِ والأنوارِ.

و﴿الحرور﴾: شدة الحر.

(١) ينظر: «المحرر» (٤/ ٤٣٥).

قال الفراء وغيره: إن السمُومَ يختص بالنَّهار و﴿الحرور﴾ يقالُ فِي حرِّ الليلِ وحرِّ النهار. وتَأَوَّلَ قومٌ الظلَّ في هذه الآية الجنةَ والحرورَ جهنمَ، وشبَّه المؤمنين بالأحياء، والكَفَرَةَ بالأمْوَاتِ؛ من حيثُ لا يفهمون الذكر ولا يُقْبِلُون عليه.

وقوله سبحانه: ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ تمثيلٌ بما يُحِسُّه البشرُ ويَعْهَدُه جميعاً من أن الميتَ الشخصَ الذي في القبر لا يسمعُ، وأما الأرواحُ فلا نقول إنها في القبر، بل تَتَضَمَّنُ الأحاديثُ أن أرواح المؤمنين؛ في شجر عند العرش، وفي قناديلَ وغير ذلك، وأن أرواح الكفرةِ في سجين، ويجوز في بعض الأحيان أن تكون الأرواح عند القبور؛ فربما سمعت، وكذلك أهل قَلِيبِ بَدْرٍ إنما سمعت أرواحهم؛ فلا تعارض بين الآيةِ وحديث القَليبِ.

وقوله تعالى: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ معناه: أن دعوةَ اللّه تعالى قد عمَّت جميعَ الخلق، وإنْ كان فيهم مَنْ لَمْ تُبَاشِرْه النِّذَارَةُ؛ فهو ممن بلغته؛ لأن آدم بُعِثَ إلى بَنِيه، ثم لم تنقطع النذارة إلى زمن محمد ﷺ، و﴿البينات﴾ و﴿الزبر﴾ و﴿الكتاب المنير﴾: شيء واحد؛ لكنه أكد أوصافَ بعضِها ببعضٍ.

وقوله تعالى: ﴿ومن الجبال جدد...﴾ الآية: جمع «جُدَّة» وهي: الطريقةُ تكون من الأرض والجبلُ كالقطعة العظيمة المتصلة طولاً، وحكى أبو عبيدةَ في بعض كتبه: أنه يقال: جُدَدٌ في جمع «جديد»، ولا معنى لمدخلِ الجديد في هذه الآية، وقال الثعلبي: وقيل الجُدَدَ القِطَع؛ جَدَدْتَ الشيء؛ إذا قطعتَه، انتهى.

وقوله: ﴿وغرابيب سود﴾ لفظان لمعنى واحدٍ، وقَدَّمَ الوصفَ الأبلغَ، وكان حقُّه أن يتأخرَ، وكذلك هو في المعنى؛ لكنَّ كلامَ العربِ الفصيحَ يأتي كثيراً عَلى هذا النحو، والمعنى: ومنها، أي: من الجبال؛ سودٌ غرابيبُ، ورُوِي عن النَّبِيّ ﷺ أنه قال: «إنَّ اللّهَ يَبْغَضُ الشَّيْخَ الْغِرْبِيبَ»[1]؛ يعني: الذي يَخْضُبُ بالسَّوَادِ. ﴿ومن الناس والدواب والأنعام﴾، أي: خَلْقٌ مختلِفٌ ألوانهُ.

وقوله تعالى: ﴿كذلك﴾ يحتمل أن يكونَ من الكلام الأول فيجيءُ الوقْفُ عليهِ حَسَناً، وإلى هذا ذهب كثيرٌ من المفسرين. ويحتملُ أنْ يكونَ مِن الكَلامِ الثَّانِي؛ خَرَجَ مخرج السببِ كأنّه قال: كما جاءتْ القدرةُ في هذا كلّه كذلك ﴿إنما يَخشَى اللّهَ من عباده

(١) ذكره السيوطي في «الجامع الكبير» (٥١٧٨)، وعزاه للديلمي في «مسند الفردوس» عن أبي هريرة.

٨٣ ب العلماء﴾، أي: المحصلون لهذه العبرَ، الناظرون فيها، / وفي الحديث عن النبي ﷺ:[١] «أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ أَشدُّكُم لَهُ خشية»؛ وقال ﷺ «رَأْسُ الحِكْمَة مَخَافَةُ اللَّه»[٢].

وقال الرَّبِيع بن أنس: مِنْ لم يخشَ اللّه فليسَ بعالم[٣]، وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية: كفى بالزهدِ عِلماً[٤]، ويقال: إن فاتحةَ الزَّبور: «رأس الحكمة خشيةُ اللّه» وقال ابن مسعود[٥]: كفى بخشيةِ اللّه علماً، وبالاغترارِ به جهلاً.

وقال مجاهد والشعبي[٦]: إنما العالمُ مَنْ يخْشَى اللّهَ. و﴿إنما﴾ في هذه الآية تَخْصِيصٌ لِلعلمَاء؛ لاَ للحصر. قال ابن عطاء اللّه في «الحِكم»: العلمُ النافعُ هُو الذي يَنْبَسِط في الصدر شعاعُه، ويُكْشَفُ به عن القلبِ قناعُه، خَيرُ العلم ما كانت الخشيةُ مَعَه؛ والعلم إن قارَنَتْهُ الخشيةُ فَلَكَ؛ وإلا؛ فَعَلَيْكَ.

وقال في «التنوير»: اْعلم أن العلمَ؛ حيثُ ما تكرَّر في الكتابِ العزيز أو في السنة؛ فإنما المرادُ به العلمُ النافعُ الذي تُقَارِنُه الخشيةُ وتَكْتَنِفُه المخَافَةُ: قال تعالى: ﴿إنما يخشى اللّه من عباده العلماء﴾ فبَيَّنَ سبحانه أنَّ الخشيةَ تُلازِمُ العلمَ، وفُهِمَ من هذا أن العلماءَ إنما هم أهل الخشية. انتهى.

قال ابن عَبَاد في «شرح الحكم»: واعلم أن العلمَ النافعَ المتفقَ عليه فيما سلف وخلف؛ إنما هو العلم الذي يؤدي صاحبَه إلى الخوفِ، والخشيةِ، وملازمةِ التَّواضُع، والذِّلَّةِ، والتخلُّقِ بأخلاق الإيمان، إلى ما يَتْبَعُ ذلك من بُغْضِ الدنيا، والزَّهَادَةِ فيها، وإيثارِ الآخرة عليها، ولزوم الأدَب بين يَدَيْ اللّه تعالى، إلى غير ذلك من الصفات العَلِيَّةِ والمَنَاحِي السَّنِيَّة. انتهى. وهذه المعاني كلها مُحَصَّلة في كتب الغزالي وغيره؛ رضي اللّه عن جميعهم، ونفعنا ببركاتهم.

---

(١) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ١٥٢): غريب، وذكره الثعلبي هكذا.
(٢) أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (١١٦) عن عقبة بن عامر، وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٤٧٠ ـ ٤٧١) رقم (٧٤٤) من حديث ابن مسعود، وضعفه البيهقي.
(٣) ذكره ابن عطية (٤/ ٤٣٧).
(٤) ذكره ابن عطية (٤/ ٤٣٧).
(٥) ذكره ابن عطية (٤/ ٤٣٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٧٠)، وعزاه لابن أبي شيبة، وأحمد في «الزهد»، وعبد بن حميد، والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه.
(٦) ذكره البغوي (٣/ ٥٧٠)، وابن عطية (٤/ ٤٣٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٧٠)، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد عن مجاهد.

قال صاحب: «**الكلم الفارقية والحكم الحقيقية**»: العلم النافعُ ما زَهَّدَك في دنياك، ورغَّبك في أخراك، وزادَ في خوفِك وتقْواك، وبعثَك على طاعةِ مولاك، وصَفَّاك مِن كَدَرِ هَوَاك. وقال ـ رحمه الله ـ: العلومُ النافعةُ ما كانتْ لِلْهِمَمِ رافعةً، وللأهواءِ قامِعةً، وللشكوكِ صَارِفةً دافعةً. انتهى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم...﴾ الآية، قال مطرف بن عبد الله بن الشخير: هذه آية[١] القُرَّاء.

قال *ع[٢]*: وهذا على أنْ ﴿يتلون﴾ بمعنى: يقرؤون، وإنْ جَعَلناه بمعنى: يتبعون، صَحَّ معنى الآية؛ وكانت في القُرَّاء وغيرهم ممن اتصف بأوصاف الآية، وكتاب الله هو القرآن، وإقامةُ الصلاة، أي: بجميع شروطها، والنفقةُ هي في الصدقاتِ ووجوهِ البرِّ و﴿لن تبور﴾ معناه: لن تَكْسَدَ. و ﴿يزيدهم من فضله﴾ قالت فرقة: هو تَضْعِيفُ الحسناتِ، وقالت فرقة: هو إما النظر إلى وجه الله عز وجل، وإما أن يجعلَهم شَافِعِينَ في غيرهم؛ كما قال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

ت: وَقَدْ خَرَّجَ أبو نُعَيْم بإسناده عن الثَّوري عن شَقِيقٍ عن عبدالله قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ليوفيهم أجورَهم ويزيدهم من فضله﴾ قال: أجورهم: يدخلهم الجنة، ويزيدهم من فضله: الشفاعةُ لِمَنْ وَجَبَتْ له النار ممن صنع إليه المعروف في الدنيا. وخَرَّجَ ابنُ مَاجَه في «**سُنَنه**» عن أنس بن مالك / ، قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُصَفُّ النَّاسُ صُفُوفاً». وقال ابن نُمير: أَهْلُ الجَنَّةِ ـ فَيَمُرُّ الرَّجل مِنْ أَهْلِ النَّارِ عَلَى الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا فُلاَنُ، أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ ٱسْتَسْقَيْتَنِي، فَسَقَيْتُكَ شَرْبَةً؟ قال: فَيَشْفَعُ لَهُ. وَيَمُرُّ ٨٤ أ

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٤١٠) (٢٨٩٨٨)، وذكره ابن عطية (٤/ ٤٣٨)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٣/ ٥٥٤)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٤٧١)، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، ومحمد بن نصر، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة رضي الله عنه.

(٢) ينظر: «**المحرر**» (٤/ ٤٣٨).

الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ فَيَقُولُ: أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ نَاوَلْتُكَ طَهُوراً؟ فَيَشْفَعُ لَهُ»، قال ابن نُمَيْر: «وَيَقُولُ: يَا فُلاَنُ؛ أَما تَذْكُرُ يَوْمَ بعَثْتَنِي لِحَاجَةِ كَذَا وَكَذَا، فَذَهَبْتُ لَكَ؟ فَيَشْفَعُ لَهُ»[(١)]. وخرجه الطحاوي وابن وضاح بمعناه، انتهى من «**التَّذْكِرَة**».

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا...﴾ الآيةُ: ﴿أورثنا﴾ معناه: أعطيناه فرقةً بعد موتِ فرقةٍ، و﴿الكتاب﴾ هنا يريد به: معانيَ الكتابِ، وعلمَه، وأحكامَه، وعقائدَه، فكأن اللّهَ تعالى لمّا أعطى أمَة محمد ﷺ القرآنَ؛ وهو قد تضمَّن معانيَ الكُتُبِ المنزَّلةِ قَبْلَه؛ فكأنه وَرَّثَ أمَّة محمد الكتابَ الذي كان في الأمم قبلَها. قال ابْنُ عَطَاء اللّه في «**التنوير**»: قال الشيخ أبو الحسنِ الشاذليُّ ـ رحمه اللّه تعالى ـ: أَكْرِمِ المؤمنين؛ وإن كانوا عصاةً فاسقينَ، وَأْمُرْهُمْ بالمعروف، وَٱنْهَهُمْ عن المنكر، وٱهْجُرْهم رحمة بهم؛ لا تعزُّزاً عليهم، فلو كُشِفَ عن نور المؤمن العاصي، لَطَبَّقَ السماءَ والأرض، فما ظنُّك بنورِ المؤمِن المطيع، ويكفيكَ في تعظيم المؤمنين ـ وإن كانوا عن اللّه غافلينَ ـ قولُ ربِّ العالمينَ: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن اللّه﴾ فانظر كيف أثبت لهم الاصطفاءَ مع وجود ظلمِهم، واعلم أنّه لا بد في مملكتِه من عبادٍ هُمْ نصيبُ الحِلْم، ومحلُّ ظهورِ الرحمةِ والمغفرةِ، ووقوعِ الشفاعةِ، انتهى. و﴿الذين اصطفينا﴾ يريد بهم أمَّة محمد ﷺ. قاله ابن عباس وغيره[(٢)]. و﴿اصطفينا﴾ معناه: اخترنا وفضَّلنا، والعبادُ عامٌّ في جميع العَالم، واخْتُلِفَ في عَوْدِ الضمير من قوله: ﴿فمنهم﴾ فقال ابن عباس وغيره؛ ما مقتضاه: إن الضمير عائدٌ على

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢١٥) كتاب الأدب: باب فضل صدقة الماء، حديث (٣٦٨٥) من طريق يزيد الرقاشي عن أنس.
وقال البوصيري في «**الزوائد**»: في إسناده يزيد بن أبان الرقاشي، وهو ضعيف.

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٤١١) (٢٨٩٩٣)، وذكره البغوي (٣/ ٥٧٠، ٥٧١)، وذكره ابن عطية (٤/ ٤٣٨)، وذكره ابن كثير (٣/ ٥٥٥)، وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٤٧٢)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس بنحوه.

﴿الذين اصطفينا﴾ وإن الأصنافَ الثلاثةَ هِي كلُّها فِي أمة نبينا محمدٍ ﷺ[١]، فالظالمُ لنفسِه: العاصي المسرفُ، والمقتصدُ: متقي الكبائرِ، وَهُمْ جمهور الأمَّة، والسَّابق: المتقي على الإطلاق، وقالت هذه الفرقة: الأصناف الثلاثة في الجنة، وقاله أبو سعيد الخدري[٢]، والضمير في ﴿يدخلونها﴾ عائد على الأصناف الثلاثة، قالت عائشة ـ رضي اللّه عنها ـ وكعب ـ رضي اللّه عنه ـ: دخلوها كلُّهمْ ورَبِّ الكَعْبَة[٣]، وقال أبو إسحاق السبيعي: أما الذي سمعت منذ ستين سنة فكلُّهم[٤] ناجٍ.

وقال ابن مسعود: هذه الأمة يوم القيامة أثلاث: ثلثٌ: يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث: يحاسبون حساباً يسيراً؛ ثم يدخلون الجنة، وثلث: يجيئون بذنوب عظام؛ فيقولُ اللّهُ ـ عز وجل ـ: ما هؤلاء؟ ـ وهو أعلم بهم ـ فتقول الملائكة: هم مذنبون إلا أنهم لم يشركوا؛ فيقول ـ عز وجل ـ أدخلوهم في سعة رحمتي[٥]. وروى أسامة بن زيد أن النبيَّ ﷺ قَرَأَ هَـٰذِهِ الآيَةَ وَقَالَ: «كُلُّهُمْ في الجَنَّةِ» وقرأ عُمَرُ هذه الآية، ثم قال / : قال ٨٤ ب
رسول اللّه ﷺ سابِقُنَا سَابِقٌ، ومُقْتَصِدُنَا نَاجٍ، وَظَالِمُنَا مَغْفُور له»[٦]؛ وقال عكرمة والحسن وقتادة[٧]؛ ما مقتضاه: أن الضمير في ﴿منهم﴾ عائدٌ على العباد، فالظَّالِم لنفسه: الكافرُ، والمقتصد: المؤمن العاصي، والسابق: التقي على الإطلاق[٨]. وقالوا هذه الآية نظير قوله

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٤١١) (٢٨٩٩٣) بنحوه، وذكره البغوي (٣/ ٥٧١) وذكره ابن عطية (٤/ ٤٣٩)، وذكره ابن كثير (٣/ ٥٥٥).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٤١٤)، رقم (٢٩٠١٢) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٤٣٩)، وذكره ابن كثير (٣/ ٥٥٥)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٧٢)، وعزاه للطيالسي، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي عن أبي سعيد الخدري.

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٤١١) رقم (٢٨٩٩٦، ٢٨٩٩٨) عن كعب، وذكره البغوي (٣/ ٥٧١) عن عائشة، وذكره ابن عطية (٤/ ٤٣٩)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٧٢، ٤٧٣)، وعزاه للطيالسي، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم، وابن مردويه، عن عقبة بن صهبان عن عائشة، وعزاه أيضاً لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد وابن المنذر، والبيهقي عن كعب الأحبار بنحوه.

(٤) أخرجه الطبري (١٠/ ٤١٢) رقم (٢٩٠٠٠) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٤٣٩).

(٥) أخرجه الطبري (١٠/ ٤١١) رقم (٢٨٩٩٤٦) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٤٣٩)، وذكره ابن كثير (٣/ ٥٥٥)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٧٣)، وعزاه لابن جرير عن ابن مسعود بنحوه.

(٦) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٧٦)، وعزاه إلى الطبراني، والبيهقي في «البعث».

(٧) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٧٧)، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، والبيهقي في «البعث».

(٨) أخرجه الطبري (١٠/ ٤١٢، ٤١٣) رقم (٢٩٠٠٧، ٢٩٠٠٨) عن الحسن وقتادة، وذكره البغوي (٣/ ٥٧١)، وابن عطية (٤/ ٤٣٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٧٤)، وعزاه لعبد بن حميد عن قتادة، وله وللبيهقي عن الحسن بنحوه.

تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاثَةً﴾ [الواقعة: ٧] الآية.

والضمير في ﴿يدخلونها﴾ على هذا التأويل خاصٌّ بالمُقْتَصِد والسابقِ، وباقي الآية بيِّن، و﴿الحزن﴾ في هذه الآية عامٌّ في جميع أنواع الأحزان، وقولهم: ﴿إن ربنا لغفور شكور﴾ وصفوه سبحانه بأنه يغفر الذنوبَ، ويجازي على القليلِ من الأعمال بالكثير من الثوابِ، وهذا هو شكره، لا ربَّ سواه، و﴿دار المقامة﴾: الجنة، و﴿المقَامَة﴾: الإقامةُ و«النَّصَبُ»: تعب البَدَنِ و«اللغوب»: تَعَبُ النَّفْسِ اللازمُ عن تعبِ البَدَنِ.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم﴾ هذه الآية تؤيد التأوِيلَ الأوَّل مِن أنَّ الثَلاثَةَ الأصْنَافِ هي كلها في الجنة، لأن ذِكْرَ الكافرين أُفْرِدَ ها هنا.

وقوله: ﴿لا يقضى عليهم﴾ أي لا يُجْهَزُ عليهم.

وقولهم: ﴿ربّنا أخرجنا﴾ أي: يقولون هذه المقالة فيقال لهم على جهة التوبيخ: ﴿أو لم نعمركم﴾ الآية. واخْتُلِفَ في المدة التي هي حَدٌّ للتذكر، فقال الحسن بن أبي الحسن: البلوغُ، يريد أنه أول حال التذكر[1]. وقال ابن عباس أربعون سنة؛ وهذا قول حسن[2]؛ ورويت فيه آثار. ورُوِيَ أن العبدَ إذا بلغ أربعينَ سنةً ولم يتب؛ مسح الشيطانُ على وجهه، وقال: بأبي وجهٌ لا يفلح، وقيل: الستين وفيه حديث.

ت: وفي «**البخاري**»: من بلغ ستين سنة فقد أَعْذَرَ اللّه إليه؛ لقوله: ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير﴾ يعني: الشيب. ثم أسْنَد عن أبي هريرةَ عن

---

(١) ذكره ابن عطية (٤/٤٤١).

(٢) ذكره ابن عطية (٤/٤٤١)، وابن كثير (٣/٥٥٨) بنحوه.

النبي ﷺ قال: «أَعْذَرَ اللّهُ امْرَأً أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّىٰ بَلَغَ سِتِّين سنةٍ»[١]. انتهى. و﴿النذير﴾ في قول الجمهور: الأنبياء. قال الطبري[٢]: وقيل: النذيرُ: الشيبُ، وهذا أيضاً قول حَسَنٌ.

وقوله: ﴿فعليه كفره﴾ أي وَبَالُ كفرهِ و«المقت»: ٱحتقارُك الإنسَانَ مِن أجْلِ مَعْصِيَتِهِ، والخَسَارُ: مُصْدَرُ خَسِرَ يَخْسَرُ، و﴿أرأيتم﴾، تتنزل عند سيبويه منزلةَ أخبروني، ولذلك لا تحتاج إلى مفعولين، والرؤية في قوله ﴿أروني﴾ رؤيةُ بَصر.

ت: قال ابن هشام: قوله ﴿من الأرض﴾، «من»: مرادفة «في». ثم قال: والظاهر أنَّها لبيان الجِنْسِ، مثلها: ﴿ما ننسخ من آية. . .﴾ [البقرة: ١٠٦] الآية. انتهى. ثم أَضْرَبَ سبحانه عنهم بقوله: ﴿بل إن يعد﴾ أي: بل إنما يعدون أنفسهم غروراً.

وقوله: ﴿أن تزولا﴾ أي: لئلا تزولا، ومعنى الزوال هنا: التنقلُ من مكانها، والسُّقُوطُ من عُلُوِّهَا. وعن ابن مسعودٍ أن السَّماءَ لا تدورُ وإنما تَجْرِي فيها الكواكبُ[٣].

وقوله تعالى: ﴿ولئن زالتا﴾ قيل: أراد يوم القيامة. وقوله تعالى: ﴿إن أمسكهما من أحد من بعده﴾ أي: من بعد تركه الإمساك.

قال *ص*: ﴿إن أمسكهما﴾: إن: نافية بمعنى، ما، وأمسَك: جواب القسم المقدَّرِ قبل اللام الموطئة في ﴿لَئِنْ﴾، وهو بمعنى: يمسك؛ لدخول إن الشرطية؛ كقوله تعالى: ﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك﴾ [البقرة: ١٤٥] أي: ما يتبعون / ١٨٥
وكقوله: ﴿ولئن أرسلنا ريحاً﴾ الآية إلى قَوْلِهِ: ﴿لظلوا من بعده﴾ [الروم: ٥١] أي: لَيَظلونَ، وحذف جواب إن في هذه المواضع لدلالةِ جوابِ القَسَم عليه.

وقوله: ﴿من أحد﴾ ﴿من﴾: زائدة لتأكيد الاستغراق انتهى.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٢٤٣) كتاب الرقاق: باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر، حديث (٦٤١٩).
(٢) ينظر: «الطبري» (١٠/ ٤١٩).
(٣) ذكره ابن عطية (٤/ ٤٤٢).

تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿واقسموا بالله﴾ يعني: قريشاً ﴿لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم﴾ الآية: وذلك أنه رُوِي: أن كُفَّارَ قريش كانت قبل الإسلام تنكر على اليهود والنصارى، وتَأْخُذُ عليهم في تكذيب بعضهم بعضاً وتقول: لو جاءنا نحنُ رَسُوْلٌ لكنا أَهدىٰ من هؤلاءِ، و﴿إحدى الأمم﴾: يُريدونَ: اليهود والنصارى، ﴿فلما جاءهم نذير﴾ وهو: محمدٌ ﷺ ﴿ما زادهم إلا نفوراً﴾ وقرأ ابن مسعود[1]: و«مكراً سيئاً»، و﴿يحيق﴾: معناه: يحيط ويحل وينزل، ولا يستعملُ إلا في المكروه و﴿ينظرون﴾ معناهُ: ينتظرون والسنة: الطريقةُ والعادَةُ. وقوله: ﴿فلن تجد لِسُنَّتِ الله تبديلاً﴾ أي: لتعذيبه الكفرة المكذبين، وفي هذا وَعِيدٌ بَيِّنٌ.

وقوله تعالى: ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض﴾ لمَّا توعدهم سبحانه بسنةِ الأولين وقفهم في هذه الآية على رؤيتهم لما رأوا من ذلك في طريق الشام وغيره؛ كديارِ ثمودَ ونحوِها، و«يعجزه»: معناه: يفوته ويفلته.

وقوله تعالى: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة﴾ الآية: قوله: ﴿من دابة﴾: مبالغة، والمراد: بنو آدم؛ لأنهم المُجَاوَزِنَ، وقيل: المراد الإنس والجن، وقيل: المُرادُ: كُل ما دبَّ من الحيوانِ وأكثرُهُ إنما هو لِمَنْفَعَةِ ابن آدَم، وبسببه، والضمير في: ﴿ظهرها﴾ عائدٌ على الأرض، والأجل المسمى: القيامة.

وقوله تعالى: ﴿فإن الله كان بعباده بصيراً﴾: وعيدٌ، وفيه للمتقين وعدٌ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً والحمد للّٰه على ما أنعم به.

---

(١) قال أبو الفتح: يشهد لتنكيره تنكيرُ ما قبله من قول الله سبحانه: «استكباراً في الأرض». وقراءة العامة أقوى معنى؛ وذلك أن «المكر» فيها معرفة لإضافته إلى المعرفة، أعني السَّيِّىء»، فكأنه قال: والمكر السَّيِّىء الذي هو عال مستكره مستنكر في النفوس.
ينظر: «**المحتسب**» (٢/٢٠٢)، و«**الكشاف**» (٣/٦١٩)، و«**المحرر الوجيز**» (٤/٤٤٣)، و«**البحر المحيط**» (٧/٣٠٥)، و«**الدر المصون**» (٥/٤٧٣).

محتوى الجزء الرابع من تفسير «الثعالبي»